العدد السابع والخمسون السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع
في كل عدد روايتان : رواية تامة و رواية متسلسلة

الرواية التامة

## لا هي امه ولا هو ابوه

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

الاشتراك
في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً في الخارج : نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٩ شباط سنة ١٩٢٩

مطابع قوزما

# لا هي امه ولا هو ابوه

وقف ابوه غاضباً لما بلغه ان وحيده يهيم بهند ورفع طربوشه المغربي عن رأسه و صاح:
« ليحل غضب الله عليك اذا تزوجتها يا ولدي ..... »

وامثال هذه اللعنات لها الوقع الاليم في نفس من تسدد اليهم . فالاباء يتحامونها والابناء ، ولا يرسلها الاب الى ابنه الا بعد ان يطفح الكيل ولا يبقى ثمة مجال للصبر والاحتمال .

وقد ضاق صدر مسعود الرومي لما صب على ابنه لعنته . فالشاب وحيد لابويه لا اخ له ولا اخت ، فاذاب ابوه روحه وحياته في تهذيبه وتربيته ، وخطب له منذ الصغر ابنة عمه وقال لاهله وذويه : « ابنتنا لابننا ! ... » ونشأ الفتى والفتاة وكل منهما يعتقد انه للاخر ، ولكن الشاب ما ترعرع وادرك مرمى الحياة حتى مال عن ابنة عمه وهام بفتاة راقته محاسنها ، فاعلن رغبته في الاقتران بها ، فغضب ابوه مسعود الرومي وزجره ، فما اطاع ، فتألم الوالد ومن شدة ألمه وغيظه تلفظ بلعنته المشؤومة وهو يود لو لم تخطر له في بال . ولكن ابنه دفعه الى ذلك الموقف الحرج ، فلم يجد بداً من ارسال اللعنة ، فلعن . .

والحادث في بلدة فرن الشباك . البلدة التي اصبحت حيساً من احياء بيروت والتي كانت في العهد التركي حمى لكل من تغضب عليه الولاية . واي حمى كانت فرن الشباك . فان حمى كليب دونها ، فالداخل اليها في مأمن من كل شر ولو كان من المجرمين . وكثيراً ما كان القاتل يفتك بضحاياه في ارض الولاية ويفر الى فرن الشباك آمناً مطمئناً يتخطر في ارضها شامخ الرأس . هازئاً برجال الامن في بيروت . ضاحكا من الوالي والولاية وكل ما هو عثماني الشكل و الجنس

ولماذا تمتعت فرن الشباك بهذه المزايا العالية وهي على قيد خطوتين من بيروت ؟ . . ذلك انها كانت قطعة من لبنان القديم ، ولبنان القديم كان امنع من حصن السموأل ، فمن لاذ به اضحى في قدس الاقداس . فلا تصل يد الاذى اليه حتى ولو كانت يد البــاب العالي

اجل . ان الباب العالي في الاستانة كان يخاف لبنان . كان يخاف تلك البقعة الحافلة باربعماية الف من السكان والساهرة عليها ست دول عظام تحميها من استبداد الاستانة . فكان لبنان في ذلك الحين حصناً منيعاً تخر امامه رؤوس الجبابرة . ورجال الولاية كانوا يعجزون عن دخوله بقواتهم اذا رفضت حكومته ان يدخلوه . امـــا اليوم فالعرين ماتت اسوده واستبيح ذماره وانتهكت حرماته ، فلم يبق شيء من ذلك المجد والحول — فوارحمتاه للعز الشهيد . .

***

رأى مسعود الرومي ان يجرب آخر دواء في ابنه عسى ان يردعه عن حب هند البحمدوني ، فدعاه اليه وقال : اتراني عدواً لك يا ولدي .

فاجاب : لا

— أتراني ذا مأرب في نصيحتي ؟

— هذا ما لا اعتقده مطلقاً فيك يا ابي

فرضع الوالد يده على كتف ابنه وقال : وحق هذا الشعر الابيض الذي يجللني ، وحقك انت وحيدي اني في اختياري ابنة عمك زوجة لك لم ابخسك حقك ولا ساومت عليك !

فلم يرفع الشاب نظره من الارض ، وتابع الاب فقال : اني قضيت ايامي وبلغت ساحل الحياة وكل جهادي في سبيلك انت ، فكيف لا ابغي لك الهناء والنجاح وكل ما املكه من ثروة واسم وشرف هو لك باجمعه ؟

فقال الشاب : والى اين تريد الوصول بي بعد هذه المقدمة ؟

— اريد منك ان تمتنع عن حب هند البحمدوني .

— ان ما تطلبه مني لهو المحال بعينه .

— لا تعاند يا ولدي ، ان اباك اكبر منك سناً وادرى منك بامور الحياة .

— وهل يكون ادرى مني بقلبي ؟

— وبماذا يأمرك هذا القلب ؟

— انه يأمرني بحب هند

فسدد الاب نظراته القاسية الى ابنه وقال : هذا منطق جديد لم اكن لاسمعه في عهدي الاول . فالاولاد في ايامنا ما كانوا ليجرؤوا على معاندة ابائهم . اما اليوم . .

فقاطعه ابنه قائلا : عش كثيراً تر كثيراً .

فتفاقم غضب مسعود الرومي امام تلك القحة البادية من ابنه وصاح به : أهذا هو مبلغ الادب فيك . . . والله مثلثة ، اني اعود فالعنك لعنة لا نهوض لك بعدها اذا بقيت مصراً على عنادك . . هند البحمدوني لا اريد ان اتزوجها .

ــ ولكني احبها . . . فما العمل

ــ العمل ان تكفر بهذا الحب ، فالفتاة لا تملك فلسا ، ثم هي تزيد عليك في العمر . ويقولون لي انها من عمر امك ، فهل يليق بك ان تتزوجها وقــد خطبت لك ابنة عمك وهي صاحبة ثروة وجمال ولطف وكمال وتكاد لا تبلغ الثامنة عشرة

ــ ابنة عمي لا احبها

ــ اما هند البحمدوني فانك لتحبها . . . يالك من مجنون

ــ ابي ، ما لنا وللاهانة ، فمن منا الذي سيتزوج ، أأنا ام انت ؟ . . .

فاشتعل الوالد غيظاً ورفع طربوشه المغربي عن رأسه الملتهب شيباً وصاح :

ــ للمرة الثانية استنزل غضب الله عليك ايها الولد المجنون ! . . .

ودخل مسعود الرومي منزله ساخطاً غاضباً لا يريد ان يبصر لابنه وجهاً ولا يريد ان يقال عنه انه ابوه

## ــ ٢ ــ

وهند البحمدوني في الثامنة والثلاثين من العمر ، طويلة القــامة ، عريضة المنكبين ، كبيرة الانف ، بارزة النهدين ، غليظة الردف ، ضخمة الساقين ، اذا ضحكت تهتز جدران المنزل لضحكتها العريضة الطنانة ، واذا تكلمت فكأنها تنفخ في بوق . فكل ما فيها ضخم في ضخم ، على انها مع هذه الضخامة لم تفقد نعمة الجمال . فان قسمات وجهها تناسقت وضخامة جسدها فاعجبت ملامحها الكثيرين ، واقبلوا عليها يخطبون ودها . فما برحت تمــانع في الزواج الى ان كادت تبلغ الاربعين

وكل الذين توددوا اليها لم يلذوا لها . فكانت تقول عن هذا انه جميل وفقير والجمال مع الفقر شقاء ، وتقول عن ذاك انه غني وشنيع ولنها تستميت في الغنى مع الجمال . والغنى والجمال مزدوجان لم يقتربا منها ، فقضت ايامها تنتظر اميرها الفتان . والامير الفتان لم يظهر لعينيها

فغضبت هند على الطبيعة وخالقها . فالخاطبون بعد ان تزاحموا عليها تواروا عنــها ، واقفرت دارها بعد ان كانت تعج بالعشاق الهائمين . وذبل وجهها بعد نضرته وانطفأ منه ذلك

النور الوهاج . فـــامست تشتاق الى الحب والزواج اشتياق الجائع الى الزاد . فارادت لنفسها حبيباً وخطيباً . وليست مثل هذه البضاعة بالكثيرة الوجود في هذه الايام . ففتشت وفتشت طويلا ولم تصل الى مايزيل ريبها ويرويها

واكثرت من طلاء وجهها بالمساحيق، وراحت تسدد نظراتها الى قلوب الشبان، فتقع العيون على العيون ويتكهرب الفريقان : الفريسة والرامي . ولكن ما ان ينعم الشاب النظر في هند ويبدو له انها كبيرة العمر حتى يعود ادراجه بنظـــام وتبيت المسكينة بليلة الملسوع

واخيراً القت شبكتها فاصطادت ، ولقد اصطادت ابن الرومي الوحيد لاهله وذويه، واصطادته باعجوبة ، فمن ابتسامة الى سلام الى لقاء وبث اشواق . وشاع في فرن الشباك ان الفتى يحب هند البحمدوني . ولم تبصر هند في طريقها جارة لهـا او رفيقة الا روت الخبر وزادت عليه قائلة : « انه يحبني ويكاد يموت في حبي ... » وقال الجميع : لقـــد وجدت هند لهـا عريسا .

وللعريس في يومنا هذا شأن واي شأن ، فالمقام الاول له ، والاكلة الطيبة لاضراسه وبطنه ، والابتسامات ترسل اليه لا شريك له فيها ، والكلمة المسموعة لجلالته دون سواه ، وغمزات العيون وخفقان القلوب وحلو الحديث لمقامه العالي . كل هذا الى ان يقع في الفخ المنصوب ومتى وقع في الفخ فمن ابن للمنكود الطالع ان ينجو . .

فالعريس اضحى في هذه الاثناء كالسمكة السابحة في بطن اليم ، يطعمونه اشهى مـا يؤكل ويسمعونه اعذب ما يقال ليصطادوه . ومتى اصطادوه افهموه انه تدلل عليهم كثيراً وانهم سينتقمون منه كثيراً

وهند البحمدوني اطلقت لابن الرومي حريته في الغنج والدلال ، فظلت ترخي له العنان وتطيعه وتلتمس رضاه الى ان خطبها ، واكثرت من اظهار الميل اليه ومن الاغراق في ارضائه مما جعله في يدها كالخاتم ، فقالت : ومتى يكون الزواج

قال : انت تعلمين ان والدي غير مرتاح الى زواجنا ، فاصبري الى ان يرضى وحينذاك يتم لنا ما نرجوه

قالت : وما شأن ابيك في امرنا ، ألا تحبني انت

ــ وكيف لا احبك

ــ ألا تريد ان تتزوجني

ـــ وهل ترتابين في وعودي لك

ـــ ان تكن صادقا فلماذا التردد اذا وانتظار مشيئة ابيك

ـــ ليس لوالدي من ابناء سواي . فانا وحيده . واخشى اذا تزوجت وهو شديد الغضب على ان لا يحالفني التوفيق . ولا يخفاك ان والدي كبير السن فليس من المستحب اغضابه وهو على وشك الفناء . ثم هو يملك ثروة طائلة فاذا لم اكسب رضاه حرمني حقي في الارث فاخسر مالا وفيراً لا يسعني ان اجمعه في حياتي

فسكتت قليلا ثم نظرت الى الشاب تقول : لان اباك يريد ان يزوجك ابنة عمك ، قل لي هل تحبها

قال : لو كنت احبها لبقيت الى قربها لا اطمع فيك

ـــ ومن يقول لي انك لا تحبها

ـــ الدليل الاكبر هو وجودي هنا امامك وخطبتي اياك

فقالت وهي تتباكى : ربما تبدلت في الغد ، فمن يدري

فاخذ يمسح دموعها ويقول . هند لو لم اكن احبك فما الذي يمنعني ان اتزوج ابنة عمي .

قالت : اني اخاف ان يسلبوك مني ، فتزوجني الان . لماذا لا تتزوجني .

وبكت وانتحبت ، فقال : لا تتوجعي ساعمل بما تريدين .

ومضى الى ابيه يطلعه على رغبته في الزواج ، فحاول الوالد ان يثنيه . فاسقط في يده ، ولم يجد سلاحاً يحارب به ابنه غير اللعنة . فلعنه ، ولكن لعنة الوالد لم تمنع الابن ان يتزوج هند البحمدوني . الفتاة التي احبها ولمس في قلبها اثراً لحبه وغرامه

— ٣ —

ضحك الربيع في آكام لبنان وروابيه

وارتدت الجبال تلك الحلة الخضراء الطافحة بالحياة والامل . وسار القوم الى البراري والحقول يشاطرونها زهوها ونعيمها . فهنا عيال بكل من فيها جلست حول عين ماء يضحك افرادها ويطربون على انغام العود واصوات المنشدين ويرشفون كؤوس الخمر صافية مترعة . وهناك زوجان في عهدهما الاول ينظران الى اخضرار الطبيعة بعين الرجاء ويعقدان الامال الطيبة على المستقبل الاتي ، وهنالك عاشقان لا يعرفان في الربيع سوى

حبهما وهيامهما . فكل ما يقع تحت اعينهما من المناظر الخلابة الفتانة لا يعادل نظرة واحدة من نظرات الحب الجامعة لالف معنى ومعنى ، الناطقة بالف شفة ولسان

وفي اعالي بيت مري البلدة اللبنانية الجاثمة في قلب المتن. تحت اشجار الصنوبر الباسقة القائمة هناك تحجب عن العيون روايات العشق والغرام — وانها لروايات يبدع فيها ممثلوها ويجيدون الضم والعناق — هنالك تحت تلك الاغصان السرمدية الاخضرار التي لو نطقت لفضحت من الاسرار ما تندى له خجلا الوف من الجباه يعتقد بها الناس الطهر والعفاف . اجل . هنالك اجتمع شفيق وسلمى يتبادلان القبلات ويرتويان من خمرة الحب . وشفيق وسلمى في مقتبل العمر يحسبان النعيم في انشودة الغرام التي تبدأ بالتحية وتنتهي بالوصال .

ومن لا يعشق في حياته ؟ . . ومن لا يريد له قلباً يبثه شكواه ويتزود منه الامل والرجاء . فالحب قوة النفوس وحياتها . ولولاه لنفر الناس من الناس . وشفيق وسلمى كانا يرددان هذه الاراء وهما في خلوتهما تحت اشجار الصنوبر في اعالي بيت مري . فقال الشاب لسلمى : الا ترين في الحب بلسما للقلوب المكلومة .

قالت : اني ارى فيه الجنة وما النفع بدونه من الحياة .

ولم ينس الحبيبان وهما يتبادلان هذه الافكار الفلسفية ان يتعانقا بشوق ولذة . فكانت الشفاه تلامس الشفاه . والاذان تسمع دقات القلبين . والصدران يوشكان ان يتلاصقا

وشفيق وسلمى تحابا منذ عهد بعيد . واعظم ما كان يبتغيه كل منهما ان يقضي الليالي الطوال امام من يهوى . فضربت بهما الامثال حتى قالوا لمن يحب باخلاص ووفاء . اصبحت كشفيق وسلمى .

وفي ذلك النهار الممتلئ اشراقاً واخضراراً تمادى الحبيبان في عواطفهما . فطوق شفيق الفتاة بذراعيه وراح ينشد على مسمعها قصيدة الحب الصامتة . فقبلها بشغف ولاعب شعرها . ورفعها فوق ركبتيه وامعن في اثارة مكامن الشوق فيها الى ان استسلمت بكليتها اليه . وماذا بقي؟ . . فتغلبت اللذة على الحياء . واشتعلت نار الجوى فوقع ما يجب ان لا يقع . وكان ما كان . ولما استفاقا ندما على ما فرط منهما . ولكن هل يفيد الندم بعد وقوع المصاب فصاحت سلمى ووجهها بين يديها وعيناها طافحتان بالدمع : شفيق . ماذا فعلنا .

فعض على شفتيه ولم يرفع نظره اليها . قالت : ماذا فعلنا . قل لي . ماهذه البلية التي وقعنا فيها .

فلم يجب ، فاجهشت بالبكاء وهي تقول : مـــا لك لا تجيب . لماذا لا تشجعني على احتمال مصابي .

فاسند رأسها الى صدره وقال : لا تخافي . لا تبكي . ألست حبيبك . فـالامر ليس ذا بال . ساطلبك عما قريب للزواج .

فما ارتاحت الى جوابه وقالت : اني احس بـــان قلبي يكاد يذوب بين ضلوعي ... ايالشقائي . . . يا ويلي انا اعرف ابي وامي . .

فاجتهد في تسكين روعها بقوله لهـــا : سلمى . ساطلبك في هذا الاسبوع للزواج الا يرضيك ذلك مني ، فلماذا النحيب والبكاء . هل تحبين سواي وتريدينه لك زوجا حتى بدا منك كل هذا الجزع

قالت : لو كنت اريد سواك لرفضت المجيء واياك الى هذا المكان . لو كنت احب غير شفيق لاثرت الموت الاحمر على ان استسلم اليه

وعادت الى البكاء . فاخذ شفيق يقبلها ويقول : لا تخافي . لن يشعر احد بما جرى ، ان زواجنا سيكون قريباً باذن الله

قالت : وهل انت صادق في ما تقول

فافلت منها ونظر اليها باستياء وقال : ومتى كذبت في وعودي

فتظاهرت بالاطمئنان وقالت : ابقاك لي الله عوناً ومجيراً

على ان نفسها ما كانت لتطمئن . فقد شعرت بان الشاب سيتخلف في وعده لها ، وبانها في تلك الساعة اللذيذه التي قضتها فقدت الى الابد سمعتها وشرفها واضحت في حياتها عرضة الشر ة والهوان



بلغت هند البحمدوني اقصى مطامحها . فتزوجت ابن الرومي بالرغم من ذويه وتلذذت بحلاوة الزواج واستعاضت عما فاتها من بهجة وغبطة وخيل اليها انها اسعد خلق الله

واشتد غضب آل الرومي على ابنهم فلم يشهدوا حفلة زواجه ولا هنأوه . بل هم اعلنوا انه ليس منهم وليسوا منه وانهم ينكرونه ولا يعترفون به من الاقرباء والانسباء

وحرمه ابوه كل حق في ثروته . ولعنه بدل اللعنة لعنتين وعشر لعنات . وصرح بانه ان يطأ له عتبة ولا يأذن له بان يسير وراء نعشه يوم يموت

فاقام الابن بعيدا عن الاب لا يراه ولا يشتاق ان يراه . فقد اكتفى بحب هند البحمدوني لا يفارق ذراعيها ولا تفارق ذراعيه . وكان يقول لها عندما تطلب منه ان يهون عليه في امر ابيه : ان حبك وحده يكفيني . فالثروة لا تهمني على الاطلاق وانت تفيضين علي من قلبك الحب والاخلاص

فتضمه هند اليها و بودها لو يبقى لاصقاً بصدرها . فهي تحب الشباب وتحب حركات الشباب وتتمنى ان تموت بين ايدي الشباب . ولقد سرها من ابن الرومي حبه المفرط لها وزادها به هياماً اعراضه في سبيلها عن ثروة ابيه

وتلك الثروة ليست مما يستهان به . فان مسعود الرومي يملك لا اقل من خمسة الاف ليرة ذهبية . وهذا المبلغ لا يتسنى لابنه احرازه في زمن قليل وربما ان يصل في طول حياته اليه والتضحية بتلك الثروة في سبيل الحب لاقت عند هند البحمدوني تقديراً واكباراً . فراقها ان يكون حبها استحكم من قلب زوجها الى ذلك الحد القصي . وطلبت الى ربها ان تدوم هذه العاطفة في قلب الزوج الحبيب

وبعد انقضاء شهر العسل اقبلت الايام التي لا يجد فيها الزوجان شيئاً من طعم العسل . فقالت هند : ليتنا نرزق ولداً يكون لنا في ايامنا هذه سلوى نلهو بها وفي مستقبلنا عضداً نستعين به ونتكل عليه

ورددت كثيراً هذا الطلب امام زوجها . فاجتهد المسكين بكل ما فيه من قوة ليلبي نداءها فلم يفلح ، وكادت تذهب قواه والطفل المنشود لا يلوح ولا يبدو

وشاع ان هند البحمدوني عاقر لا ترزق اولاداً . واتصلت الاشاعة باقرباء زوجها وانسبائه فطربوا لهذا الخبر وشمتوا بابنهم وبامرأته قائلين : لقد افهمناه انها طاعنة في السن وانها لا ترزق البنين فما كان منه الا ان تزوجها . فليقطف اليوم ثمرة عناده !

ونقلوا هذه الكلمات لهند فثار ثائرها . ولم تترك وسيلة الا استعانت بها في سبيل الاولاد . فتنقلت من يد طبيب الى يد طبيب تسأل عن علاج يحيي الارحام ويجعلها خصبة ذات انتاج ولم تظفر بالعلاج الشافي

وكانوا اذا اخبروها عن طبيب يقيم في اخر بلاد الله انه يشفي من العقم تسرع اليه تستشيره في امرها حتى كاد ما يكسبه زوجها لا يكفي لتداويها . ومع هذا لم تصل الى الدواء الناجع المفيد . فاظلمت الدنيا في عينيها وتقاذفتها الهموم . وكثيرا ما كان يفاجئها زوجها وهي تبكي . فقال لها يوما : هند . لماذا تبكين ؟

فاجابت : ألا تعلم لماذا .

ـــ ألا تزالين تبكين عقمك و تلتمسين لك ولدا .

ـــ وهل يجب ان اضحك واهلك قد شمتوا بي وعيروني باني عاقر .

ـــ ليقل اهلي ما شاءوا فما لي ولهم . اني لراض بك مهما يكن من امرك

فقالت : اريد لي ولداً . ولن يهدأ لي بال اذا لم افز به

فضحك وقال : و من اين تأتي بالولد وهذه حالك . .

فزاد تألمها لكلمات زوجها واجهشت بالبكاء . فقال الزوج في نفسه : انها لغريبة حقاً في مطالبها . فهل اكون ملوماً اذا بليت امرأتي بالعقم .

والزوج المسكين كان على صواب . فمن اين تريد هند البحمدوني ان ترزق اولاداً وهي عاقر منذ نشأتها . عدا انها تزوجت في الاربعين . فهي تطلب معجزة وليس الزمن زمن العجائب والمعجزات

وتدخل المصلحون بين مسعود الرومي وابنه . فقالوا له : هذا وحيدك وقرة عينك ، فليس من المستحب ان تنكره وتحرمه حقه في الارث

فقال : أتريدون مني ان اتناسى زلاته . اني لاجلكم اتناساها . ولكني لا ارضى على الاطلاق ان ينقرض نسلي من بعدي . فاذا شئتم ان اصفح كل الصفح عن ولدي وجب ن ارى له ابناً يحمل اسمي من بعدي

فقالوا له : ان الاولاد عطاء الله فلماذا اعتراض الخالق في احكامه

قال : اني ابديت لكم رغبتي ولا اتنازل عن حرف منها

تعبوا في اقناعه بالعدول عن مطلبه فلم يقنع . وعادوا الى ابنه يحملون رغبة الاب .

فقال الابن : ان والدي ليتشبث بطلب المستحيل

فكان على ثقة تامة بان امرأته لا تلد ولن تلد . فما العمل لاجابة رغبة ابيه وتحقيق طلبه . وعرفت هند البحمدوني بما جرى و بما طلب والد زوجها فتفاقم غيظها من نفسها والتفتت الى الفضاء الاعلى تقول : خففي غضبك عني ياسماء ! . . .

— ٥ —

بادرت سلمى الى حرج الصنوبر في اعالي بيت مري تنتظر فيه شفيقاً حبيبها فهي التي طلبت هذا الاجتماع . وبدا من ملامحها ان الحديث بينها وبين الشاب

سيتناول امراً ذا شأن

وكانت الشمس قد بدأت تدغدغ باهدابها الطويلة الحمراء قطرات الندى المتكئة على صدر وريقات الاشجار تسقيها وتحييها . والرعاة راحوا يسوقون مواشيهم الى البراري الممرعة الخضراء . وجرس الكنيسة ارسل نداءه الرنان يدعو الى الصلاة فتجاوبت اصداؤه في بطن الوادي وحملتها النسمات الى اعالي القمم تنفض عنها السبات العميق

واشرفت سلمى بعينين تائهتين على الطرق المؤدية من بيت مري الى حرج الصنوبر فلم تبصر شفيقاً يسرع اليها في الموعد المضروب . فقالت : هل اخل بوعده لي .

وانتظرت طويلا واذا بشفيق يبدو اخيراً يتسلق الاكمة بشيء من الملل والعياء . واقبل عليها يحييها بعدم اكتراث ظاهر . فقالت : اراك تنفر مني يا شفيق

قال : انك لعلى خطأ . فان حبي لك لا يبرح هو هو . ولكن اخبريني ما الذي حملك على ان تأتي بي الى هنا في مثل هذه الساعة .

قالت : اريد الافضاء اليك بحديث خطير .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وشاءت ان تلقي رأسها على صدر الشاب فابتعد عنها ، فشعرت اذذاك بان الارض تكاد تميد بها فصاحت : ما بالك تتجنبني .

قال : اني اخاف ان يبصرونا

— وكيف لم تخف ذلك يوم غدرت بي وافترستني .

فلم يجب ، قالت : شفيق ، هل تدري لماذا طلبت ان اجتمع بك في هذا المكان .

— لا ، ومن اين لي ان ادري .

— جئت اسألك ان تسرع في الاستعداد لحفلة الزواج

— وما الفائدة من الاسراع .

— اني اخاف ان يفتضح امرنا فنصبح تحت رحمة الالسن النمامة !

فضحك ضحكة مصطنعة قائلا : لا خوف علينا من احد ، والايام بيننا طويلة ففي وسعنا ان نتزوج ساعة يطيب لنا

فامسكت بيده وقالت : لا ، بل يجب ان نتزوج في هذا الشهر ، بل في هذا الاسبوع

— لست ارى لذلك سبباً

— السبب موجود ، فان تكن ذا شرف عليك ان تسبقني في طلب عقد الزواج

— ولماذا .

فاطرقت الى الارض وهي تقول بصوت امتزج فيه الالم والبكاء : شفيق ، الا تحبني .

فاجاب : واي شأن للحب في ما تطلبين .

ــ ان تكن تحبني وتغـــار على شرفك وشرفي فمن الواجب عليك ان تتزوجني في العاجل القريب .

ففهم في هذه المرة ، الا انه تظاهر بالحمق وقال : اوضحي يا سلمى ، اوضحي لمـــاذا الاسراع في الزواج .

فسترت وجهها بمنديلها وقالت بلوعة وانين : ان طيش تلك الليلة اثمر ثمرته واصبحت له اماً ! . . .

واختلج جسمها وهي تفوه بهذه الكلمات وترامت على الارض تشهق شهيقاً عالياً وتقول: بيت الارض تبتلعني لانجو من هذا العار ، ان حياتي ومصيري بين يديك يا شفيق . فانظر ما انت فاعل بهما .

فلم يتحرك ولا تأثر لمصابها ،بل نظر اليها كمن يود الخلاص منها وقال : وماذا تنتظرين مني ان افعل .

فقالت : وهل تجهل ما يجب في مثل هذا الموقف عليك . يجب ان تصون سمعتي ، يجب ان تصون حبنا عن كل شائبة ، فلا تفضحني وتفضح نفسك فيقول عنك النـــاس انك خائن لئيم .

قال : واذا لم يكن عندي مال يساعدني على الزواج فما العمل .

ــ واي حاجة لك بالمال ، فان اهلي اغنياء واذا طلبتني للزواج اعطوني بائنة تكفيني وتكفيك .

ــ اني لا استطيع الزواج في هذه الايام .

ــ ألا تستطيع . وكيف خدعتني اذاً . ان حالتي امست لا تطاق . فاشفق علي ولا تجعلني مضغة في الافواه

وانطرحت تحت قدميه ، وتوسلت اليه ان لا يتركهـــا . وذكرت له وعوده وعهوده وغسلت بدموعهـــا رجليه ، وهو هو ذلك الصخر الاصم لا يرحم ولا يلين . قالت : ولماذا لا تخاطبني بما يثلج صدري ويخفف لوعتي . هل نسيتني . ألا تذكر ما كنت تقوله لي .

فاجاب : لا ابرح على وعدي لك ، ولكن الاسراع في الزواج ليس مما ارتاح اليه

ـ ان الحالة تكرهك و تكرهني على هذا الزواج

ـ لا ارى في الامر اكراهاً . وفي اي حال سنرى .

فثار ثائرها وصاحت به : وهل نسيت فعلتك الشنعاء بي ايها الاثيم .

فضحك وقال : وهل اجبرتك عليها . التبعة فيها عليك وحدك .

فاخذت ترتجف كمن اصابته البرداء وتقول : لعن الله ساعة عرفتك بها ايها الغادر . لقد خدعتني وسحقت شرفي ومزقت قلبي . اين وعود الحب التي اسمعتني اياهـا . اين شرفك يا قليل الشرف .

فقال بكل هدؤ : الذنب في ما جرى ذنبك لا ذنبي

فنهضت كاللبؤة الهائجة وخلعت حذاءها وقذفته بوجـه الشاب وهي تقول والدمع يسيل على خديها والشرر يتطاير من عينيها : نعم . الذنب ذنبي يا غادر لاني صدقتك . لاني رضيت بان اكون لك بكليتي ، لاني احببتك ايها الكافر السافل الاخلاق .

فمال شفيق عن الحذاء فلم تصبه الضربة وسقطت سلمى على الارض تبكي قلبها وحبها وشرفها ، وشهقت شهقة اغمي بعدها عليها فامست اشبه بالجثة الفاقدة الروح لا تشعر ولا تعي

## = ٦ =

يا لها من بشرى جاءت هند البحمدوني تزفها الى زوجها

فقد خيل اليها وهي تحدثه عما بها انها تبشره بامتلاك الارض وما فيها

قالت : بشراك ... بشراك ! ...

ولشدة طربها وحبورها عجزت عن رواية الخبر ، فكانت تضحك وتضحك طويلا حتى اعياها الكلام

وماذا تحمل هند البحمدوني من الاخبار السارة . فان زوجها ألقى عليها هذا السؤال ثلاث مرات وكان جوابها له في المرة الاخيرة : احزر ان كنت ذكياً

قال : هل جاء ابي يزورني ؟

فقالت بغنج ودلال : لا والف لا

ـ هل عثرت على كيس نقود في الطريق يحتوي ثروة كبرى ؟

ـ واي اهمية للمال عندي

فتعجب ابن الرومي من منطق زوجته . وزاده تعجباً عدم اكتراث امرأته للمال وهو

منه نظيف اليد والجيب . فقال : واي بشرى تحملين . لقد حيرتني .

فنظرت اليه بتيه وخيلاء وقالت : ساصبح عما قريب اما .

فدهش ابن الرومي مما يسمع وقال : وكيف هذا . هل حلت عليك نعمة السماء

قالت : هذه مشيئة ربي . فافرح واطرب . فاننا سنرزق ولداً نبلغ به امنيتنا القصوى

فخيل لابن الرومي ان الادوية الكثيرة التي عولجت بها امرأته قد افادتها ونجعت فيها . وانتهى به الامر الى الاعتقاد ان الرواية صحيحة ليس عليها غبار

وانتشر الخبر في قرن الشباك من اقصاها الى اقصاها . واسرع اصدقـــاء ابن الرومي يهنئونه كما اقبلت صديقات هند لتهنئتها بالطفل الذي تحمل في احشائها . وكان فرح وحبور وهرج ومرج . وضرب الطبل والمزمار في منزل ابن الرومي فاحيي الليـــالي الساهرة ودعا جيرانه واخوانه . ولما بانوا يقولون لهند : ( عسى ان يكون نصيبك طفلا ذكراً . ) كانت تجيب : ليكن ما يريده ربي ، ولا فرق عندي سواء كانـــ ذكراً او انثى فالمهم ان يبقى سالمـــاً لي

وسمع آل الرومي بأن امرأة ابنهم حامل فتناسوا كل احقادهم على الشاب وحفائظهم واقبلوا على منزله يهنئونه ويرجون للطفل العمر الطويل . واسرع ابوه بنفسه يجرر مشيه ووقاره وصافح ابنه ودموع الفرح تتساقط من عينيه وقـال : جئت اهنئك يابني . فلقد نلت الان ما اشتهي ، واذا صفحت عن الماضي فلا ازال ارجو امراً واحداً وهو ان يكون الطفل المنتظر ذكراً لا انثى

فقال من حضر تلك المصافحة : لا بأس سواء كان الطفل ذكراً او انثى فـالمهم ان لا تكـن هند مصابة بالعقم . و اذا هي رزقت اليوم طفلا انثى فلا بد ان ترزق في الغد ذكراً يعمل بفخر اسم جده وابيه .

فلم يجد مسعود الرومي ما يعترض به على هذا المقال . فاكتفى بان يخـــاطب ابنه بقوله : اذا رزقت ولداً ذكراً يا بني كتبت باسمك ثروتي باجمعها والا اذا انعم الله عليك بالانثى اعطيتك خمسماية ليرة على ان تأتيني في الغد بما تقر به عيني

واتفق الاب والابن . وتوالت الايام الرغيدة السعيدة وهند البحمدوني يكاد رأسها يناطح السحاب لشدة اغتباطها . فهي سترزق ولداً . وهل بالشيء القليل ان ترزق النساء اولاداً وخصوصاً من كانت مصابة بالعقم الشديد .

ان هند البحمدوني رأت في النعمة التي حلت عليها سعادة لا تضاهيها سعادة . وبجد

يعادله مجد. فكانت تمشي على الارض وهي ترقص رقصاً. وتنظر الى رفيقاتها بعظمة وكبرياء، وتتدلل حتى على القمر والنجوم والشمس والسماء. وبلغ بها التباهي ان نظرت ذات يوم الى القمر السابح في اوج علاه وخاطبته بقولها: غداً سارزق ولداً اجمل وابهى منك ايها القمر ...

وقال الناس: بطرت هند البحمدوني !...

ولم يكن الناس على خطأ في ما قالوا. فلقد حسبت هند نفسها شيئاً في الوجود، كانه لم تحبل في الوجود امرأة سواها

والدلال الاكبر يوم تركب هند السيارة. فلا تصعد اليها الا محمولة على الاكف، ولا تسمح للسائق بان يجد في السير ولا بان يسير في الطرق الوعرة. فيظل صوتها يرن في اذن السائق قائلا: حذار ايها السائق... حذار يا «شوفير» انني حامل... سيرزقني الله ولداً... قل ان شاء الله...

والسائق المسكين يسمع ويتململ، ولكنه يضطر في آخر الامر الى المسايرة، فهو سيقبض اجرته بكاملها وتمامها. وماذا يرجوا اكثر من هذا. افلا يكفيه؟...

## — ٧ —

عرف سكان بيت مري ان كل علاقة ودية انفصم عراها بين سلمى وشفيق

وزادهم يقيناً بانقطاع هذه الصلات ما رأوه من امتناع الشاب امتناعاً نهائياً عن ارتياد منزل الفتاة بعدما كادت اعتاب ذلك المنزل تذوب لكثرة ما وطأتها قدمه

وتساءلوا: «ما هو سبب هذا الجفاء...» وانى لهم ان يعرفوا للجفاء المستحكم من الحبيبين سبباً. فهل شهدوا مأساة حرج الصنوبر ليحكموا على ما انتاب علاقات سلمى وشفيق من الفتور

ان الفتاة بعد ما غابت عن رشدها لتأثرها الشديد من كلمات حبيبها واخلافه لها بالوعد استفاقت ولم تجد احدا الى قربها. فان شفيقاً تركها في حالة الاغماء لا يسعفها بالمنعشات ولا يسهر عليها. فلما رأت ذلك منه صاحت: أالى هنا تبلغ الخيانة بالانذال.

وعادت الى منزلها واستلقت في سريرها. واشتدت عليها وطأة الحمى فاخذت تهذي في نومها وتتلفظ باقوال غريبة لا معنى لها. وعكفت عليها والدتها تعالجها ولا تدري ماذا صاب ابنتها. ولما كانت الفتاة تعود الى صوابها وتتراءى لها صورة الحبيب الخائن لا تلبث

ن يدركها الاغماء ، فانها لم تكن لتنتظر خيانة شفيق لها ولا فكرت بها في حياتها ، وكيف يخون شفيق وقد اقسم باغلظ ايمان انه لا يميل عن سلمى وفي جسده بقية من الروح .

ولم تجد والدة سلمى امام حالة ابنتها المحزنة الا ان تدعو اليهـــا الطبيب . فاستغاثت بالجيران ورجت منهم ان يعينوها على امرها ، فنادوا لها طبيباً حاذقاً لم تقع عينه على الفتاة المغمى عليها حتى دهمته الظنون . فاختلى بالام وقال لها : اتعلمين ما اصاب ابنتك

قالت : اني لم اعرف لمرضها سبباً ياسيدي الطبيب .

قال : هي مصابة بالحمى ، ولكن بها شيئاً افظع من الف حمى .

فلم تفهم الام ما يريد الطبيب ان يقول . فسألته قائلة : وهل هي في خطر ياسيدي

ـــ لا ، لا خطر عليها في حياتها . ان هنالك خطراً على سمعتها

فغاب معنى هذه الكلمات ايضاً عن الام ، وبدا للطبيب انها لم تفهمه . فامسك بيدهـا واقترب منها يهمس في اذنها قوله : ان ابنتك حامل والجنين يتحرك في بطنها . فستصبح اماً بعد زمن قريب .

فلم تصدق الام ما يرويه لها الطبيب واعتقدته مخطئاً في تقديره . فقالت له : انك لعلى ضلال ياسيدي الطبيب

قال : ان ما اقوله هو الصواب بعينه فان ابنتك حبلى ويجب ان تتدبري امرها

فصاحت : هل انت واثق بما تقـ ـل

ـــ كل الثقة ، وارى مخافة الفضيحة ان تحملوا الفتاة الى بيروت فتلد هناك ولا يتصل خبرها باحد

فضربت الام كفاً بكف ، وبدل ان تهتم بابنتها المريضة اخذت تسبها وتلعنها قائلة : ليتها ماتت ، ليتهم جاءوني بنعيها ، ذلك افضل لي من ان اراها امامي حقيرة زانية . ذلك افضل لي من ان اراها تشوه سمعة ابيها وسمعتي . . . فياللفضيحة . . . وياللعار . . .

واخذت تلك الام المفجوعة بشرف ابنتها تلطم خديها وتبكي . فلقد آثرت ان تموت على ان تسمع بان ابنتها افتضحت وهوت الى احط دركات الذل والهوان

وكان في نيتها ان تطرد الفتاة من المنزل . ولكنها لمست بين ويلين : فويل عليها اذا درى الناس بسقوط ابنتها في هاوية الفجور ، وويل لها اذا ولدت الفتاة في منزل ابيها .

وبعد تفكير وامعان الروية بدا للام ان لا تتخلى عن ابنتها في ساعة الشدة والضيق . فرأت ان تدفع عن الفتاة الفضيحة ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، وراحت تبحث عن

وسيلة يظل بها شرف ابنتها سليا و يختفي معها اثر الجريمة فلا يدري بها احد في الوجود



واخيراً جادت هند البحمدوني بذلك الجنين الذي تمخضت به أحشاؤها فاذا هو مولود ذكر يليق بالامراء والملوك

وكان طرب عظيم . وتوافد القوم يهنئون بالطفل العجيب . وتدفقت المرطبات والحلويات على الجيران والمهنئين . واقبل مسعود الرومي يزغرد لحفيده وينشد له الاناشيد ودعا ابنه اليه وقال : كل ما املكه من مال وارزاق هو لك يا بني

وحمل حفيده بين يديه وراح يناغيه ، وشمل الفرح والطرب القوم باجمعهم فشعروا بغبطة لم يتفق لهم مثلها في الحياة ، وشقت الاسهم النارية كبد الفضاء . فان هند البحمدوني رزقت ولداً فلتطرب الامم والشعوب . . . .

ولما كانت هند تنادي ابنها كانوا يسمعونها من بعد الف ميل . وما هي ان تغني له كي ينام حتى يقبل الجيران لسماع غنائها وهي ذات الصوت البديع . وقد ازداد صوتها روعة وانسجاماً بعد ان رزقها المولى ذلك الطفل الجميل

٭٭٭

تراكضت بيت مري لعيادة سلمى في مرضها المؤلم الطويل الامد

فالفتاة عزيزة على قلوب ذويها وصديقاتها . فاقبل الناس افواجاً افواجاً يسألون عنها ويتفقدون صحتها وفي اعتقادهم انها تلزم الفراش لان شفيقا نكث عهدها وهجرها

ولم يقف احد في بيت مري باجمعها على حقيقة امر سلمى . وكلهم اغرق في اللوم على شفيق لاهماله امرها . فالصبايا ارسلن اليه اللعنات وانزلن عليه غضب رب السماء . والرجال افهموه انه لم ينهج منهجا شريفا

فقالوا له : عهدنا بك انك تحبها وتتمنى الموت بين يديها . فماذا حملك على هجرانها والعبث بعهودك لها ؟

فما كان الشاب ليجد ما يدافع به عن نفسه . واحس بالندم يستولي عليه وبتبكيت الضمير يقلق مضجعه فراح الى شيخ محترم في بيت مري يقص عليه حكايته ويطلب منه ان يساعده في امره . فقال له الشيخ : من الافضل لك ان تتزوج الفتاة يابني

ـ وهل يرضى ذووها بان ازوجها بعد ما بدر مني نحوها من الاهمال والاعراض

فقال الشيخ : اتكل علي ولا تخف ، وكل اريده منك ان تطيعني في ما افعل وتقول

ومضى الشيخ لساعته الى والد سلمى يطلب منه الصفح والغفران ويدعوه الى نسيان الماضي . ولم يكن والد الفتاة ممن يتشبثون بالمحال . فادرك ان رتق الفتق اولى من اهماله فيزداد اتساعاً

وجاءوا بشفيق الى والد سلمى ، ودخلوا على الفتاة يقولون لهـــا ان شفيقاً عاد الى صوابه وندم على ما فرط منه ، وقادوه اليها فلم تقع عليه عيناها حتى مالتا عنه بقوة غريبة فجثا امامها وهو يقول : سلمى انا على يقين تام باني كنت خائنا جبانا . الا تصفحين عن شعر بزلته وجاء يطلب منك عفواً

فالقت عليه نظرة الاحتقار من تينك العينين الغارقتين في وجهها الشاحب اللون وقالت: كنت اعتقد انك اشرف مما بدا لي منك

قال : عفوك ... عفوك ...

وظل بها الى ان انتزع كلمات العفو منها انتزاعا . وفي تلك الليلة ، في تلك الليلة نفسها عقد زواجه عليها واستراحت الفتاة واستراح ذووها من القيل والقال

ولكن شفيقاً كان قد علم ان سلمى رزقت منه مولوداً ذكراً . فقال لها : ما اصاب هذا المولود ؟

قالت : ان القابلة حملته لا ادري الى اين

ـ ومن هي هذه القابلة ؟

ارشدته اليها . فطلب شفيق من القابلة ان يختلي بها لحديث خطير . ولما خـــلا بهما المكان قال : جاءني عنك انك القابلة التي تلقت ابن سلمى امرأتي

فلم يسع القابلة النكران فقالت : اجل ، اني هي !

ـ واين المولود ؟

ـ لقد مات وطرحناه في حفرة بعيدة من البلدة

ـ اني اريد ان اشاهد عظام ولدي

فتلعثمت القابلة ولم تدر بما تجيب . فالحيرة والارتباك ظهرا في ملامحها وحركاتها فقال شفيق : اراك تترددين في الجواب . فاين الطفل . صارحيني ، فهو ان يكن حيا ذهبت اليه ولو كان في اطراف الدنيا . وان يكن ميتاً ارشديني الى بقاياه لاضمها الى رفـــات

اهلي و اجدادي !

قالت : اني اجهل مكان الحفرة التي طرحناه فيها

ـ ألا تعرفين في اي جهة تقوم هذه الحفرة ؟

ـ لا

ـ اياك وان تتفوهي بما يحملك على الندم . فاذا لم ترشديني الى مقر ولدي شكوتك الى الحكومة ، فلا تجازفي بنفسك .

فخافت القابلة تهديد شفيق لها وقالت باضطراب و وجل : وهل تكتم امري اذا رويت لك الحقيقة ؟

ـ بلا ريب

ـ ان ابنك هو الان في فرن الشباك ، وقد تبنته امرأة عاقر تدعى هند البحمدوني وزعمت انها حبلت به وولدته ، ولكني استحلفك بكل عزيز ان لا تبوح بسري فانا التي كنت الواسطة في استنباط هذه الحيلة ، واخشى اذا درى بامري الناس ان يعرضوا عني فينقطع رزقي .

## ـ ٩ ـ

اذن لم يكن الطفل ابن هند البحمدوني

فكل ذاك التظاهر من هند بان الطفل ابنها كان خداعاً و تدجيلا

فهزأت بنفسها و بزوجها و بالناس وملأت الدنيا بانها رزقت طفلا و الامر الراهن انها اشترت ذلك الطفل بالمال . فياخيبتها و يا ويلها عند افتضاح امرها . فماذا تستطيع ان تفعل لترد السخرية عنها

ولكن كيف وصلت هند الى الطفل . ومن اخبرها ان الفتاة سلمى رزقت في بيت مري طفلا اثيما وذوو الفتاة بذلوا كل جهد في طمس البلية ؟

ان هند البحمدوني في شوقها العظيم الى الاولاد لم تترك قابلة من القوابل الا استشارتها في امرها وتوسلت اليها ان تهتم بحالتها . واتفق ان احدى هذه القوابل جاءت الى هند يوماً تقول : الا تزالين على رغبتك في ان يرزقك الله ولداً

فتأوهت هند وقالت : وهل ارجو في حياتي غير هذا الولد

فاقتربت منها القابلة وقالت بدهاء : يجب ان تعلمي يا هند ان لا حيلة لك في الاولاد

فصاحت هند : رحماك ، لا تقطعي لي هذا الرجاء

— اني اروي لك الحقيقة الخالصة . فلا امل لك بان ترزقي اولادا

— وما العمل اذاً وقد بنيت على هذا الرجاء سعادتي وسعادة زوجي

— عندي طريقة عجيبة في اجابة رغبتك . ولكن عليك في كتمان السر و في اجادة التمثيل

— وما هي هذه الطريقة ؟

— لا ابوح بها الا لقاء مبلغ كبير من المال

— لك ما تشائين اذا نجحنا فيها

فادنت القابلة شفتيها من اذن هند وقالت لها همسا : دعيت في بيت مري الى توليد فتاة خدعها خطيبها ، واهل الفتاة يريدون قتل الطفل للخلاص من عاره ، بيد اني اقنعتهم بأن قتله جريمة واني سانقذهم منه بحيلة جهنمية ، وفكرت في تلك الساعة بك انت

فتنفست هند الصعداء وعكفت على القابلة تمعن في تقبيلها وتقول : شكراً لك . . . شكراً . . . لقد اعدت الي حياتي !

قالت القابلة : ولكن عليك ان تجيدي التمثيل بان تتظاهري منذ اليوم انك حامل وان الجنين يتحرك في احشائك

فأطاعت هند واجزلت للقابلة العطاء ، و في صباح اليوم التالي روت للجيران انها تشعر بانها حبلى . وانتشر الخبر وحدث ما حدث وهند تعتقد انها فازت بما ترجو على اهون سبيل ولم تحسب لتقلبات الايام حسابا

وذات صباح بينا هي تحمل الطفل بين يديها وتغنيه اذا بابها يقرع وتدخل منه القابلة و وراءها شاب يتجلى الغضب في وجهه . ونظرت هند الى القابلة فبدت لهـــا مضطربة . فشعرت بان وراء الاكمة شراً مستطيراً . والتفتت الى القابلة تقول : اراك تحملين خبراً سيئاً فماذا جرى ؟

فامتقع وجه القابلة وقالت : هذا والد الطفل وقد جاء اليك يطلب ابنه

فجمدت هند في مكانها لدى سماع هذه الكلمات وعقد لسانها . فلم تقو على التلفظ بحرف واحد . ونظر اليها شفيق والد الطفل يقول : نعم . ان الولد ابني . فاشكر لك اهتمامــك به وارجو منك ان تعيديه الي .

فصاحت : بل هو ابني . فما شأنك به . . هذا ابني ، والكل يشهدون بانه لي .

فقال : انا اعرف الطريقة التي وصل بها اليك . فلا تعاندي ولا تدفعيني الى التشكي

فحملت الطفل بين ذراعيها وقالت : لن أسلمه لاحد . هذا ابني

فاستعطفتها القابلة وناشدتها ان لا تفضح امرها فالطفل ليس طفلها بل هو ابن شفيق الواقف امامها . فما كانت هند لتلين امام كلمات الاقناع . فهددها شفيق للمرة الثانية والثالثة بالشكوى . فالقت اذ ذاك الطفل على الارض وفرت الى حديقة منزلها تلطم خديها و تبكي وتصيح : يا ويلي . . . يا ويلي . . . فماذا ترى الناس يقولون عني اذا عرفوا حكايتي .

ولما جاءت القابلة تودعها لطمتها هند وصاحت بها : انت علة مصابي .

ونادت شفيقاً تقول له : لا تحرمني قبلة اخيرة من الطفل رحماك . فاني احببته كابني فلم يضن شفيق عليها بما طلبت . ولما ابصرته يخرج بالولد من منزلها اصيبت بعارض جنون وهوت الى الارض مغمى عليها ! .

ولم يطلع صباح اليوم التالي حتى انتشر الخبر في كل مجلس وناد . فرددته الالسن وتعجب من غرابته الجميع . واسرع مسعود الرومي يشتم ويلعن ويسترد وعده لابنه ويحرمه حقه بالارث . وانزوت هند في منزلها تبكي هفوتها ومصابها ولا تريد ان تبصر احداً . وبعد ان مضى على الحادث مدة من الزمن قالوا لهند : وكيف رضيت بان تحملي طفلا لا انت امه ولا زوجك ابوه ؟

فاجابت : الذنب ذنب القابلة ، فهي التي خدعتني ودفعتني الى الهوة ولولاها لنجوت من كل سخرية وشماتة .

وضاقت هذه الديار بهند . فعزمت على الهجرة الى العالم الجديد لتخلص من هزء الناس وازدرائهم ، والناس انجاس . طوال الالسن . يعشقون القيل والقال ، فاذا نقموا على جبل طحنوه واذا استخفوا بشمل شتتوه . فصبراً جميلا والف صبر يا هند ! . . .

تمت

---

غضي جفونك ان فيها سحراً يكهرب عاشقيها

اشراكها ممدودة تتصيدين القلب فيها

لو انني قاضي الهوى والي جاؤوا واشتكوها

ألهتها وامرت في شرع الهوى ان يعبدوها

نقولا بسترس

العدد الثامن والخمسون السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان : رواية تامة و رواية متسلسلة

---

الرواية التامة

## خاطف النساء

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً في الخارج : نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١٧ شباط سنة ١٩٢٩

مطابع قوزما

# في صفوف الثائرين

— لسليم ابي جمره —

— مالي اراك مقطب الجبين يا عقيل ؟ أسقطت في الامتحان ام تخشى موعد الزفاف وقد قرب .

— ما هذا المزاح يا ليلى . . امـــا الامتحان فقد نجحت فيه ونلت الاولية وساصبح محامياً عما قريب

— حملوا الي بشرى نجاحك ايها الحبيب ، ولكنك لم تذكر شيئاً عن موعد الزفاف

— لانه سيتأخر يا عزيزتي

— يتأخر . ولماذا ؟ الم تعدني الى ما بعد نيل الشهادة يا عقيل

— اجل ولن اخلف وعداً ، ولكني اعهدك رقيقة الشعور كثيرة الاحساس ياليلى فكيف نقيم الافراح والبلاد في مأتم ؟ أتكون حناؤك دماء الوطنيين فنمشي يوم عرسنا على اشلاء القتلى ، أننشد وسط العويل ونغني بين الباكين ونرقص فوق القبور ، اتريدين سماع ازيز الرصاص وقصف المدافع بدل اصوات الموسيقى وآلات الطرب . اسمعي . اصغي . ان المدافع تحصد الارواح وتدمر المنازل . اتكون مشاعل العرس نيران البيوت الملتهبة ؟ ان قلبي يتقطع على الشباب الناهض . على الضحايا البريئة الذاهبة دماؤها هدراً . ستقضي هذه الثورة على مستقبل البلاد ياليلى وتلتهم الاخضر واليابس . . ولكن لا . . بقدر ما تكون التضحية عظيمة تأتي النتيجة مفيدة . أعرفت لماذا اريد تأخير موعد الزفاف ايتها الحبيبة ؟ يميناً لا اقيم الافراح قبل انتهاء الثورة ونيل البلاد امانيها

وما انهى عقيل كلماته حتى تهدج صوته واتسعت حدقتاه وتصلبت عروقه كمن اصيب بنوبة عصبية بعد حمى شديدة

— سكن روعك ايها الحبيب . خفف من حدتك . واغفرلي اساءتي . عقيل . . . حبيبي . . يالله ماذا دهاه

— لا تخافي يا ليلى . اني تأثرت من منظر رأيته في الشارع ويا لهول ما رأيت

اليوم على اثر المعركة التي دارت رحاها بين الجند والوطنيين

« فقد تغلل هؤلاء في قلب دمشق فصوبت القلعة مدافعها على الثوار «واخذت تطلق القنابل وبينا انا في نافذة المكتب انظر الى الاهلين يسيرون والذعر ملء قلوبهم اذا شظية قنبلة سقطت على فتاة في عمر البدر وهي ماسكة بيد اخيها الطفل فعكف الطفل عليها اذ هوت الى الارض يقبلها باكياً صائحاً : قومي يا اختاه . هـــا هم قد ادركونا . لا تخافي يا اختي لا تتركيني وحـــدي .

« ثم بكى بمرارة واذا رصاصة تخترق ظهره فتلقيه جثة هامدة على صدر اخته اللافظة الروح فاارهب ذلك المنظر يا ليلى !

«ان علي واجباً نحو البلاد ولا ازف اليك ايتها الحبيبة قبـــل القيام به . فسأنضم الى صفوف الوطنيين فان عشت بعد ذلك لا اخشى تو بيخ الضمير وان مت ففي ساحة الواجب وقد جئت اودعك ايتها الحبيبة فالى اللقاء !

وقف عقيل ماداً يده ليصافح حبيبته بعد ما قال كلماته الاخيرة ثم طوق خصرها وقال لها : اسمحي لي ان اقبلك لاول مرة يا ليلى وربما تكون الاخيرة . زوديني بقبلة تزيـــد نيران قلبي اشتعالا ولا تبخلي علي بها

وما انهى عقيل جملته هذه حتى تقدم وقبل ليلى بسرعة وتركها بذهولها وخرج وهو يقول : استودعك الله يا ليلى ، لا تحزني . اذكريني الى الملتقى .

فصاحت : عقيل ، قف . . . لا تذهب اسمع كلمة واحدة ياعقيل . . . النظرة الاخيرة و يلاه انه لا يجيب . . . لقد ذهب

وارتمت على مقعد من الحرير الدمشقي الفاخر المطرز بالقصب الفضي الثمين تبكي هذا الفراق الفجائي الاليم وتسأل الارض والسماء هل يعود حبيبها سالماً اليها

•

عقيل الفارس من بيوتات دمشق المعروفة بالوجاهة في السادسة والعشرين من عمره طويل القامة رقيق الجسم عصبي المزاج ابيض اللون عليه مسحة من جمال الرجولية و يلمع في عينيه الذكاء والنبل . طالب حقوق في الجامعة العربية بدمشق . وحبيبته ليلى النبكي ابنة احد اصحاب المعامل الحريرية الوطنية في دمشق خريجة احدى المدارس الاجنبية الراقية لا تقل عنه علما وذكاء وقد وهبتها الطبيعة جمالا يترك في انفس الرائين اثرا لا يمحى

ولم يهدأ لليلى بال بعد سفر الحبيب فامحت تلك الابتسامة عن ثغرهـا الجميل وجعد جبينها واصبحت قليلة الكلام كثيرة التفكير لا تهتم بسوى قراءة الجرائد املا ان تسمع عن عقيل خبراً ولا يلذ لها غير ترديد بعض ابيات من الشعر كان يرددها على مسمعها .

وبينما كانت تطالع في احد الايـام جريدة المقطم عثرت على الخبر التالي : عن منطقة الثورة ـ انضم الى جيوش الوطنيين الزعيم عقيل الفارس وتولى قيادة احـدى الفرق المحاربة في جبل الدروز وقد علقت هذه الجريدة على هـذا الخبر معددة محامد عقيل مثنية على جرأته ووطنيته »

ـ عقيل في صفوف المقاتلين . عقيل يقوم بما يدعوه واجباً . عقيل يعرض نفسه للقتل وانا هنا على فراشي الوثير . لماذا لا اكون بشجاعته وقد اصبحت ساحات القتال تقبل النساء قبولها للرجال . عقيل وحده . . لا بد من القيام بالواجب والالتحاق به

بهذه الاقوال اخذت تتغنى ليلى . ثم هبت بسرعة مرتدية ملابسها ولم تطلع والديها على ما يحول في خاطرها فسارت ووجهتها الازرق بطريق فلسطين فشرقي الاردن وهناك اقامت في المستشفى الوطني تؤاسي المرضى وتضمد جراحهم حتى جاؤها بعقيل مغمى عليه لكثرة ما نزف من دمائه على اثر جرح اصابه في كتفه الايمن واتابته حمى شديدة كادت تقضي عليه .

وكثيراً ما سمعته ليلى يردد اسمها وهو في غيبوبته فسهرت عليه الليالي ترجو له الشفاء وتسقيه عصير القلب لو كان ذلك العصير يحييه

وبعد ثلاثة ايام ذهبت عنه الحمى ففتح عينيه واول كلمة قالها : ليلى . انت هنا . ما الذي جاء بك ياليلى ؟ ؟

فاجابته : واجبان ياحبيبي انت احدهما

وهي تريد بالواجبين حبها لوطنها وحبها لخطيبها . وقد اعجب الثائرون شديد الاعجاب ببطولة ليلى وبسالتها وابوا الا ان يعقدوا قران عقيل عليها . فمشى العروسان بين الهتاف وصليل السيوف . وكان سلطان الاطرش في طليعة المهنئين فقال للعروسين : عسى ان تتحقق اماني البلاد كما تحققت امانيكما ايها البطلان ! . . .

ـ تمت ـ

العدد الواحد والستون السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## مزاحمة اخوه

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١٠ اذار سنة ١٩٢٩

# مزاحمه اخوه

جلس ادهم باشا بين امرأته وولديه يقص عليهم مآتيه في حصار « سباستوبول » ويروي لهم كيف قاد الجيوش في حرب القرم ودحر الروس يناصرعليهم القوات الفرنسية والانكليزية

وتدفق في وصف المعارك واستبسال قواته امام النيران الروسية المندفعة السنتها من البر والبحرفقال : دعا الروس في تلك الحرب الهائلة الي الجهاد المقدس ، فكانت قواتهم تترامى تحت النار ولا هدف لها غير النصر . وكثيرون هم الذين ماتوا منهم تحت الرصاص ووصيتهم الاخيرة لرفاقهم الاحياء ان لا يبيعوا ارض الاباء والاجداد الا بالثمن الغالي

وادهم باشا من قادة الاتراك القدماء . بلغ الثانين من العمر ومـا برح يذكر اول حرب شهدها في حياته . فكان ابن عشرين لما نزل الى الشواطىء الروسية يشترك في حرب القرم وينازل الروس الطامحين الى امتلاك مضيق البوسفور والاستانة . وقد سار يومذاك الى مقاتلتهم تحت قيادة عمر باشا

وبالرغم من صغر سنه فقد عهدوا اليه بقيادة كتيبة يبلغ عددهاعشرة الاف رجل ، فان عمر باشا كان شديد الثقة به ، يرى فيه قائداً ذا مستقبل باهر ، ولمـا فاجأ الروس القوات التركية اظهر ادهم باشا من المعجزات ما اكسبه بحق لقب « الفرخ البطل »

وكان عدد الحملة التركية التي اسرعت لمساعدة الانكليز والفرنسيين على الروس خمسة وثلاثين الف رجل . فنزلت في اوائل السنة ١٨٥٥ في مرفأ « اوباتوريا » وهناك هجم عليها الروس واصلوها النار الحامية وهم يصيحون بها صيحات الاستخفاف والازدراء ، على انها ثبتت ثباتاً عجيباً ، وردت هجوم الروس ببسالة نادرة المثـال . فالروس كانوا يزيدون عليها اضعاف الاضعاف غير انها عرفت كيف تقاوم البركان المائج ، فكانت تتلقى ما يقذفها به من حمم وهي رابطة الجأش ثابتة الجنان الى ان بادرت كتيبة فرنسية لانقاذها من الملم العصيب

كل هذا رواه ادهم باشا لامرأته وولديه وهو يتيه فخراً واعجاباً بنفسه . وكان الشعر الابيض قد جلل رأسه ولحيته وشاربيه ، ونظر الى ولديه يقول : ارأيتما هذا الصدر ؟

لقد ضاق عن الاوسمة ؛ وكلها غنمتها في الحروب ؛ فهي لسان ناطق بمساعي وعنوان فخري ومجدي وانه ليسرني ان تنالا بعضها في مواقف النضال

وادار انظاره الى ولديه . وعادت الى ذهنه ذكرى الماضي فخيل اليه انه يقود رجاله الى سباستوبول . ولمعت عيناه الصفراوان بنور الفخار فقام الى سيفه يجرده ويصيح : ان العدو يرهب هذا السيف !

وجاء بملابسه المرصعة بالاوسمة واللامعة بالخيوط البراقة الصفراء وبشاراتها وازرارها الفضية والذهبية وعرضها على انظار ولديه قائلا : نيازي ؛ شوكت ؛ خذا عن والدكما الرفعة والمجد والطموح الى المعالي !

وانه الذيذ للجندي القديم ان يستعيد ذكرى الماضي وعذوبته ؛ يوم كان يمتطي جواده ويشهر سيفه مسرعاً الى اقتحام غمرات المنايا . فيستقبل بصدره الموت ولا يحفل بالموت ؛ ويأمر وينهي في الجند وهم اطوع له من يمينه ، ويتقد في صدره روح الشباب والشباب عز من الحرام ان يضمحل ويزول

وادهم باشا تذكر وهو يخاطب ولديه بماضيه الحافل بالمآثر والمكرمات . فهنا بطولة وهناك استبسال . فقد قضى حياة كلها روعة وبهاء ؛ مجد يتلوه مجد ؛ واكرام يتناوبه اكرام . فقاد الفيالق الى الحروب ولم يعرف الاخفاق . فكان اشبه بالصاعقة ينقض على اعدائه . وقد عز عليه ان لا يرى ولديه مثله ؛ فدعاهما الى الجلوس حوله وراح يقص عليهما من مفاخره الشيء الكثير

والولدان : شوكت ونيازي ؛ في عنفوان العمر ، يسطع البهاء في ملامحها وتتجلى العظمة في حركاتها . فقد خلقا ليقوما مقام والدهما في قيادة الجيوش . الا ان الاصغر نيازي بدا منه انه احق من شوكت اخيه الاكبر في القيام بهذه المهمة . فكان طويل القامة عريض المنكبين ، مهاباً بالرغم من صغر سنه ، وقوراً ، يحترمه فوراً من يقع نظره عليه ؛ بينا شوكت شقيقه الاكبر لم يملك هذه الصفات . فقد عرفه رفاقه كما عرفه ابوه شديد الميل لمسايرة الغواني ومجالستهن ، فلا يلذ له الا ان يسعى وراءهن يطلب منهن الوصال مداعباً مازحاً

وكثيرات هن اللواتي وقعن في شراك الشاب . فكان يصطادهن بجماله وحلو حديثه وعذوبة حركاته ، وهذا ما دعا الى تذمر ابيه . فالاب كان يؤثر نيازي على شوكت ويقول : ان نيازي هو الوحيد الذي اعقد عليه الامل باحياء سمعتي واسمي

وتململ جداً من شوكت ؛ وابدى امام امرأته استياءه من ذلك الولد الطائش كما اخذ يلقبه ؛ فكانت الام تدافع عن ابنها وتقول : ولماذا تشكوه ؛ الاتراه مع هيامه بالبنات الحسان يدرس جيداً وينال ثناء روءسائه عليه· ربما طاش قليلا ولكن طيشه لم يجلب له الاذى !...

فيغضب ادهم باشا عندما يسمع امرأته تدافع عن ابنه الاكبر ويصيح بها : انت التي جعلته مخنثاً ؛ فلولاك لكان اكثر تهذيبــاً · فقد شكوه لي في المدرسة الحربية وقالوا عنه انه لا يخرج من المدرسة الا للقاء فتاة هو واياها على موعد

فضحكت الام وقالت : وماذا تريد ان نفعل به ؛ انه في سن الحب والهيام !

فصاح ادهم باشا : يجب عليه ان يحب وطنه قبل ان يميل مع تيار الهوى ؛ فاني يوم كنت في عمره دعيت لقيادة الجيوش ! ...

ورأت الام ان السكوت اولى لها ؛ فسكتت لا تبدي جواباً ، فهي تعلم حق العلم ان زوجها لا يلين لرأيها وهو لا يجد رأياً اصوب من رأيه ؛ وهــذا شأن الجنود ؛ وخصوصاً الجنود القدماء ؛ فانهم ليتشبثون باقوالهم كأن كل كلمة يتلفظون بها هي امر لا يقبل النقض ولا الابرام

— ٢ —

خرجت تركيا من المجزرة البشرية منهوكة القوى

فان دخولها حرب ١٩١٤ الى جانب المانيا زعزع اركانها · وما اوشكت الحرب ان تنتهي في اواخر ١٩١٨ حتى كانت قوات الحلفاء تجتاح السلطنة العثمانية من اقصاها الى اقصاها

فالرجل المريض ارسل يومذاك النفس الاخير · ففاضت روحه تحت سنابك خيول فرنسا وانكلترا وايطاليا واليونان ؛ وخضع للسيادة الاجنبية ، فابدت الاستــانة من الخنوع والضعف والاستسلام ما لا يظهر به غير النكس الذليل

وكانت مقاليد الحكم في يد الداماد فريد باشا · فسعى سعياً حثيثاً لانقاذ البقية الباقية من السلطنة العثمانية فلم يفلح · فكل بقعة من بقــاع تلك السلطنة الشاسعة الاطراف بالامس ثارت على حكومة الاستانة تطلب الاستقلال

واحتل اليونانيون ازمير ؛ واقاموا فيها قواتهم يهددون الاناضول ؛ ولوى الاتراك رقابهم للذل والهوان ؛ فقد احسوا بانهم شعب ميت يجب ان يدرجوه بالاكفان

وتحدثوا حتى عن تطويق تركيا بسلسلة الانتــداب ؛ وتدفقت الشهوة من عيون الانكليز لدى نزولهم في الاستــانة . فارادوا امتلاك مضيق الدردنيل والبوسفور كما يمتلكون مضيق جبل طارق وممر السويس

وتخبطت حكومة الداماد فريد باشا في مشا كل لم يتفق ان عانتها حكومة قبلها فكان الويل لها اذا هي تمردت على اوامر الحلفاء، والويل عليها اذا هي طأطأت الرأس وخضعت ؛ فامست في اضطراب لا تدري معه كيف الخلاص

وشاء رجال الاتحاد والترقي ان يحتفظوا بمقامهم في خلال تلك الفوضى فماستطاعوا؛ فالامة التركية وثقت حينذاك بان الاتحاديين خانوها اذ القوا بها في هوة الحرب العالمية الى جانب المانيا

وظهر قائد في خلال تلك الفوضى لم تلبث حكومة الداماد فريد باشا ان خافت منه على نفسها . وهذا القائد من هو ؟ . . . هو مصطفى كمال باشا الخامل الذكر قبل الحرب العالمية ؛ فلم يكن احد ليسمع به او ليعرفه

على ان معارك الدردنيل اظهرت للاتراك من هو مصطفى كمال . فقهر الحلفاء في احدى المعارك الكبرى ؛ واشتهر باستخفافه باوامر رؤسائه ؛ فكان لا يعمل بسوى رأيه اذا بدا له ان رئيسه غير مصيب في ما اعطاه من اوامر وابداه من اراء

وكثيراً ما خالف القائد الالماني ليمان فون سندرس باشا في دفاعه عن سوريا والبلاد العربية يوم غزاها الحلفاء ؛ ومن ذلك الحين شعر مصطفى كمال بان في وسعه القيــام بتمثيل دور خطير في تركيا ؛ فامتلأ صدره بالمطامع والاحلام؛ وقد انفجرت هــذه المطامع على اثر سقوط انور وطلعت وجمال ؛ فايقن مصطفى كمال ان الوقت قد حــان ليظهر على الملعب ؛ وان الامة التركية بعدان تقهقرت في عهد جمال وانور وطلعت امست تحتاج الى سواهم من الرجال

وطاب لمصطفى كمال ان يقلب السلطنة ؛ ولكنه جاء من يهمس في اذنه انهُ اذا حالف السلطان محمد السادس لا بد له ان يستفيد ؛ فعمل في البدء بهذه المشورة واذاع النداء تلو النداء يدعو الى تأييد السلطان ؛ الا ان مطــامعهُ تغلبت عليه فخافت منهُ حكومة الداماد واوفدته الى الاناضول برتبة مفتش للفيلق الثالث ، وعهدت اليه بحفظ الامن في البلاد الاناضولية

على ان القصد من هذا الابعاد ما غاب عن بصيرة مصطفى كمال الوقادة . ولما جاء

اصدقاوءه يودعونه على محطة حيدر باشا في الاستانة قال لهم : « اني ذاهب الى الاناضول وساعود منه عندما يلذ لي ان اعود ! ... »

وما وطأ مصطفى كمال ارض الاناضول حتى رفع لواء الاستقلال · فنادى بمبدأ « تركيا للاتراك » ونادى ابناء قومه للانضمام اليه ، فتلفت هوءلاء يميناً ويساراً واذ لم يبصروا من زعيم غير مصطفى كمال نفسه مدوا اليه ايديهم مصافحين ونظروا اليه كمنقذ جاء يرفعهم من وهدة البلاء

وكان في الاناضول تسع كتائب من فلول الجيش التركي · فنظم مصطفى كمال شوءونها وجاءها بالذخائر والاسلحة · فغضبت عليه حكومة الاستانة ودعته الى الكف عن خطة التجنيد فلم يحفل بها · فطلبوا محاكمته فاعلن العصيان · فلعنه شيخ الاسلام فضحك من اللعنة ودعا الى موءتمر عقده في شهر تموز ١٩١٩ في ارضروم ووضع فيه الميثاق الوطني · وقد رفض في ذلك الميثاق كل سلطة اجنبية ونادى بان تركيا للاتراك وبانه سيحارب كل من يعبث بالوحدة التركية

فسقطت وزارة الداماد فريد باشا على اثر اعلان الميثاق الوطني وحلت محلها وزارة علي رضا باشا · وهذه الوزارة لم تنظر الى مصطفى كمال كقائد جاهر بالعصيان بل اعترفت به كقائد من قادة السلطنة العثمانية · فازداد تمرد مصطفى كمال ووقف يرقب الحوادث ليستفيد منها · وجمع فئة من انصاره حاول ان ينشىء منهم حكومة مستقلة في الاناضول يهدد بهم حكومة الاستانة

— ٣ —

للجمال لسان وشفتان

فانه لينطق ولو حجبته الستائر والبراقع والقناع

وليس جمال المرأة المتحجبة ليخفى عن العيون ولو سدلت على وجهها الف حجاب · فان قامتها وصدرها وخصرها ويديها ورجليها وكل ما فيها يتحدث عن حسنها وجمالها · ومن يبصرها يشعر فوراً بان امامه للجمال تمثالا هو احق بالعبادة من الاصنام

وقد ذهب لنساء الاستانة صيت وذكر · فهن اكثر النساء الشرقيات رشاقة وسحراً · واقدرهن على التحجب الانيق يوم كان الحجاب من البضاعة الرائجة في اسواق تركيا

·· وخطرت بقدها الممشوق تسخر بابناء الصبابة والوجد

وراحت تشمخ بانفها ولا تتنازل لالقاء نظرة واحدة على المعجبين بها · فكانت تسير وعيناها الى الارض حيناً والى السماء احياناً · وسقط منها في الطريق كيس نقودها فلم تسمع الا صوتاً يناديها : هانم افندي ··· هانم افندي !

فاعتقدت ان شاباً يريد مداعبتها فلم تلتفت · ولكن الصوت تابع قائلاً : هانم افندي؛ لقد وقع كيس نقودك

والنقود عزيزة على قلب النساء مثلها على قلب الرجال · بل ان المرأة تهيم بالمال اكثر من هيام الرجل بذلك الرب الثاني · وما كادت الفتاة تسمع بان نقودها وقعت حتى بغتت والتفتت الى الوراء فابصرت شاباً في بزة ضابط يحمل بيده كيس النقود ويمشي اليها

فاكبرت منه هذا الاهتمام · ورأت ان لا تضن عليه بكلمة شكر تقولها له · فاسفرت واماطت عن وجهها القناع قائلة : اني لاشكر لك عطفك من صميم قلبي ايها الضابط الشهم !

على انه لم يفهم ما قالت · فان حسنها سباه · فجمد امامها كالصنم لا يقوى على تحريك شفتيه · بلى · لقد تكلم · ولكن لسانه لم ينطلق من عقاله الا لدن رآها تحاول سدل الحجاب على وجهها · فامسك بيدها وهو لا يدري ما يفعل وقال : هانم افندي عفواً اذا تجرأت عليك بسؤال واحد

فرأت ان لا تخيب رجاءه بعد صنيعه اليها · فقالت : وماذا تريد ؟

قال · هل يسعني ان اعرف من انت ؟

قالت · وما الفائدة من معرفة اسمي واصلي ؟

قال · لا تضني علي بهذا الرجاء !

قالت · اني ادعى نظيره · ووالدي وحيد بك رئيس جمعية الهلال الاحمر !

فاهت بهذه الكلمات وسارت في طريقها لا تبدي ادنى اهتمام بما اتفق لها · اجل لقد طربت ان تكون نقودها وقعت بيد رجل امين فردها اليها الا ان صورة الشاب لم تترك اثراً في ذهنها

واتجهت خطاها الى منزلها · وبينا هي تطأ عتبة الباب سمعت وقع اقدام وراءها · فالتفتت فاذا ضابطان يتبعانها احدهما ذلك الذي عثر على كيس نقودها · فارادت ان تحييه فما اطاعتها كبرياؤها · فدخلت المنزل وهي تقول · ان ما ارسلته له من الشكر

ليكني !...

على انها في هذه المرة فكرت بشيء غير النقود • فان جمود الضابط امامها لم يكن ليخفى عليها • فوثقت بعد ما رأته يلحق بها بان جمالها ترك اثره فيه • فاغتبطت لهذه النتيجة • وسرها ان تكون محاسنها ذات سيطرة على القلوب • ووقفت وراء زجاج النوافذ تنظر الى ما يكون من امر الضابطين • فابصرتهما لا يزالان امام الباب يقول احدهما للاخر • لم تقع عيني على اجمل منها !

ويجيبه رفيقه • وهل تتزوجها اذا رضيت بك زوجاً ؟ ...

— اني لا اتأخر دقيقة واحدة اذا رضيت بان يعقدوا لي عليها

فشعرت نظيره هانم ببهجة في قلبها • واحست بيقظة عواطفها • فان كلمات الضابطين جعلتها على يقين بان لها قلباً • وبان هذا القلب من لحم ودم اذا لم يخضع اليوم لسلطان الحب فسيخضع غداً • وبان ما تبديه من كبرياء وتصعير خد في غير موضعه • فاذا شمخت اليوم على محبيها فسوف تأتيها ساعة تطأطئ فيها رأسها مكرهة صاغرة امام احكام الحب والغرام

واطلت من النافذة تبسم للضابطين وتدعو الذي جاءها بالنقود الضائعة منها الى دخول المنزل قائلة • ان والدي سيكون مسروراً بك جداً للجميل الذي طوقتني به !

فدخل الضابطان معاً • فقد جاءتهما هذه الدعوة طبق المرام • وكانا في مستهل الشباب • تزيدهما ثيابهما العسكرية الفخمة بهاء وكمالا • فلما دخلا منزل وحيد بك ازدانت قاعة الدار بهما • واسرعت نظيرة الى ابيها تقول • اتريد ان اقدم لك شاباً افاض علي من كرم اخلاقه ما جعلني احفظ الى الابد صنيعه ؟ ...

فقال وحيد بك • ومن هو هذا

فقادته الفتاة الى قاعة المنزل وقدمت له الضابط الذي فعل معها ذاك الصنيع قائلة • هذا هو الشهم صاحب اليد البيضاء !

واحمر وجهها خجلا لما التفتت الى الضابط الاخر • فهي لا تعرفه • فماذا تقول عنه لابيها • وشعر الضابط بما يجول في خاطرها فقال • اني اخوه ايتها الانسة !

ونظيره وحيدة لابيها • ترعرعت بين العز والدلال • فكانت صاحبة الامر المطلق في منزلها لا يرد لها ابوها طلباً ولا يعاندها في مشيئتها • وقد سره ان يصافح ذلك الشاب الذي ادى لابنته تلك الخدمة الصادقة • فهز يده قائلا • هل يكون لي الشرف بان اعرف حضرة الضابط؟

فاجاب . انا يا مولاي نيازي بن ادهم باشا . وهذا اخي شوكت . وكلانا في خدمة الجيش

— ولكن ادهم باشا صديق قديم لنا . فاهلًا بكما ... اهلا ... اننا اصدقاء

ورحب وحيد بك بالشابين اجمل ترحيب وهو يقول . المنزل منزلكما . فان ابوابه مفتوحة في كل ساعة لكما . وما ابنتي سوى شقيقتكما . فلا تبخلا علينا برؤية طلعتكما البهية كلما سنحت الفرصة !

وجلسوا يتبادلون الاحاديث ونيازي وشوكت يبديان كل تودد للفتاة . ولما غادرا المنزل كانا على اشد اتصال بنظيره وبابيها . وقد وعدا بان يعودا اليها في اليوم التالي

— ٤ —

انالشرارة التي انبعثت من عينيهااحرقت القلبينمعاً

فالشقيقان اضطربا لدن وقعت انظار الفتاة عليهما . ونظر كل منهما الى الاخر خلسة ليشاهد ما تركته الحاظها في اخيه .

ولما برحا دارها لم يكن ليجرؤ احدهما على مخاطبة الاخر . فقد خافا ان يجرهما الحديث الي الافضاء بسرهما . وهنالك البلاء كل البلاء ! ...

ووثقا بان حب الفتاة امتلك القلبين . فكل منهما يحبها ويسعى الي كسب عطفها ورضاها . فما العمل . ايتنازل احدهما للاخر ام يتنازعان قلبها والرابح من يفوز ؟ ...

وعادا اليها في اليوم التالي . وبلغ من دهاء الفتاة انها شعرت بالزحام بين الاخوين ولمست في كلامهما ما يدل على انهما يتزاحمان عليها . فاخذت تلاطفهما بكل ادب ومجاملة فلا تجرح عاطفة احدهما بابتسامة ترسلها لنيازي ولا تبادل شوكت مثلها

فالاثنان تساويا لديها . وخشيت اذا ابدت ميلا لاحدهما اكثر مما تبدي للاخر ان يفضي هذا الميل الى الخصام والقتال بين الشقيقين مما تعافه النفوس الشريفة الابية

وشوكت ادهى من نيازي في مغازلة الحسان . فراح يبذل جهده للاستيلاء على عواطف نظيره بكلامه الساحر الجذاب

وكثيراً ما تردد الى منزل الفتاة وحيداً يحاذر ان يرافقه اليه اخوه . وهنالك كان يقضي الساعات الطوال في محادثة نظيره الكاملة المحاسن والاخلاق . واجتهد طويلًا في انتزاع كلمة منها تدل على الحب والهيام فباء بالخذلان

ولمع نيازي بين رفاقه الضباط · فكانوا يخافونه لشده قوتة وبطشه ويرون انه سيفوقهم جميعاً في مستقبل الحين لتضلعه من العلوم ولذكائه المفرط · فان رؤساءه اعجبوا به ايما اعجاب وعهدوا اليه بالمهمات الكبرى يتولاها دون سائر رفاقه مما ساعده على الارتقاء السريع الى اعلى المراتب التي يبلغها ابن ثلاث وعشرين

وكانت الحرب العالمية الكبرى في اشدها · وانتابت الرزايا البلاد التركية من سائر الجهات . واحتاجت جمعية الهلال الاحمر الى المال · فبدا لرئيسها وحيد بك ان يدعو كبار الاتراك الى حفلة يتبادلون فيها الانخاب ويجمعون الاموال باسم الهلال الاحمر ودعا الى تلك الحفلة الوزراء والقادة العسكريين وذوي الثروة والجاه · ورأى ان يكون شوكت ونيازي ولدا ادهم باشا بين المدعوين فارسل اليهما بطاقات الدعوة مع رجاء خاص بان لا يتخلفا عن الحضور

فشكر الشقيقان لوحيد بك عطفه ، واستعدا لتلك الليلة الكبرى ، وفكر كل منهما بنظيره ابنة وحيد بك وتساءل عما يجب عمله للفت نظرها وارضائها

فخطر لنيازي ان يوصي بخياطة ثوب جميل يليق بان يمثل فيه بين المدعوين؛ وكتم امر ذلك الثوب عن اخيه شوكت كي يظهر وحده بالرداء الجديد الانيق ، ولما حان الموعد المضروب دخل غرفته يخلع عنه ثيابه استعداداً لارتداء الثوب الجديد ، فانتظر وانتظر طويلا والخياط لا يأتي بالرداء مما غاظ الشاب ودعاه لارسال الشتائم ، فاوفد خادمه مرتين متواليتين الى دكان الخياط وكان هذا يجيبه ان الرداء يحتاج الى ربع ساعة من الزمن ريثما يكويه

وسمع شوكت اخاه يلعن ويشتم فجاء يسأله عن السبب ، فلم يكن من نيازي الا ان اخبره بالحقيقة ، فتظاهر شوكت بانه يشاطر اخاه صياحه وغضبه على انه امتعض في باطنه وآلمه ان يبدو اخوه امام نظيره هانم بثوب جديد بدون ان يستشيره ، بل ساءه ان لا يكون لديه مثل ذلك الثوب. فوطد النية على النكاية باخيه وبات يرقب مجيء الخياط . ولما وصل هذا يحمل الرداء ناداه شوكت قائلا : لماذا تأخرت الى الان . ان نيازي بك ينتظرك منذ وقت طويل · ولقد رجا مني ان احفظ له الرداء في غرفتي فهاته !

فاطاع الخياط واعطاه الرداء وانصرف. فما كان من شوكت الا ان خبأ الرداء تحت سريره واقفل الباب وراءه واسرع الى الحفلة تاركاً اخاه في حيرته وارتباكه

فارسل نيازي للمرة الثالثة يطلب من الخياط ان يأتيه بالرداء. فاسرع الخياط يقول انه اعطاه لضابط يقيم في الغرفة المجاورة لغرفة نيازي. فلم يبق من ريب لدى الشاب ان اخاه حاول بذلك ابعاده عن الفتاة نظيره هانم. فانتفض كمن لمس الكهربا. وهجم على باب غرفة اخيه يحطمه. ودخل الى الغرفة يقلبها رأساً على عقب. فلم يظفر بامنيته، فارتمى على السرير خائر القوى واخذ يبكي. والغضب الشديد، كالحزن الشديد والفرح الشديد، يثير الدموع

وبينا هو في بكائه اقبل عليه احد رفاقه الضباط يقول: الست مدعواً الى حفلة الهلال الاحمر يا نيازي بك؟

قال. بلى. ولكن ليس عندي ثوب يليق بان ارتديه للمثول فيها!

وكان به شوق عظيم لرؤية نظيره هانم في تلك الليلة. فهو اذا لم يبصرها يكاد يموت. فنظر الى مخاطبه. فبدا له يلبس ثوباً جديداً لماعاً فقال له متوسلاً. رحماك اتبيعني هذا الثوب؟

فضحك الضابط وقال. اني اشتريته لهذه الليلة فكيف تطلب مني ان ابيعك اياه؟

— دعني امثل به في الحفلة ولو نصف ساعة من الزمن!

— هذا محال!

فما كان من نيازي وقد اوجعه عناد مخاطبه الا ان وثب اليه وقبض منه على عنقه ونزع ثوبه الجديد واوثقه ثم ارتدى ذلك الثوب وطار الى منزل وحيد بك ينهب اليه الارض. واتفق له وهو يجتاز الباب الكبير من الثكنة العسكرية حيث يقيم ان وقعت عيناه على مرآة مرفوعة في الجدار. فهاله ما بدا لعينيه فيها. فالثوب قصير جداً. فكان فيه اشبه بالمسخ. فازداد حنقه وغيظه ولم يدر ما يفعل. فعاد الى غرفته وما كاد يبلغها حتى لاح له الضابط الذي اوثقه يرفل في حلة قشيبة ولكنها فضفاضة. فهجم عليه ورماه بخفة مدهشة الى الارض ونزع منه الحلة الجديدة وارتداها. فاذا هي طبق المرام. وترك لذلك المسكين ثوبه الاول وركض الى منزل وحيد بك وهو في كل ما قام به من الغرائب لم ينبس بكلمة

ولم يكن الثوب الذي انتزعه للمرة الثانية من الضابط المنكود الحظ بسوى الرداء الذي جاء به الخياط وسلمه لشوكت فاخفاه هذا تحت سريره. ولقد عثر عليه الضابط وهو يجتهد في حل وثاقه. فوقع تحت السرير وهناك ابصر الرداء. فلبسه الا انه جاء عليه

فضفاضاً . فلم يحفل وارتدى الثوب واسرع الى الحفلة . فاتفق له ما اتفق لما ابصره نيازي واضطر الى الاكتفاء بثوبه الاول بعد ان امسى ذلك الثوب في حالة مضحكة

وانطلق نيازي كالسهم الى منزل وحيد بك ، فلما رآه اخوه يرفل في ثوبه الجديد جرض بريقه وامتقع لونه . فاقترب منه نيازي يقول . ان مزاحك لغليظ يا شوكت !

فسكت شوكت لا يجيب . وكان جالساً الى نظيره هانم يحادثها ويتودد اليها . والفتاة ما لاح لها نيازي يقترب منها حتى قامت الى استقباله والابتسامة على شفتيها . قالت . مالي اراك عابساً ؟

فاجاب . ليس بي شيء .

قالت . تكلم . ما بك . ماذا اصابك ؟

فكاد يروي لها ما جرى ويسجد امامها يبثها اشواقه وعواطفه ويفضح السر الذي يخفيه في قلبه منذ زمن طويل . فيقول لها : «اني احبك واكاد اعبدك! ..» ولكن المجال لم يكن مجال هيام وبث اشواق . فسكت على مضض واخذ يتحدث الى الفتاة بما يدل على طرب وسرور . فزال عنه التجهم والعبوس غير انه ما كان ليطيق ان يسدد ابصاره الى اخيه . فقد كره ذلك الاخ ومقته ولم يبق له في فؤاده غير الاحتقار

وشوكت نفسه انزوى في القاعة وترك لاخيه المجال الواسع الرحيب لمحادثة نظيره هانم ، وكان يرمقها من حين الى آخر ويتوسل اليها ان تعطف عليه ولو ببضع كلمات يستمد منها قليلا من الرجاء ؛ غير ان الفتاة شعرت بذلك النفور بين الاخوين ، فشاءت ان لا تميل الى كفة اكثر منها الى كفة ، فكانت في مظاهرها بين بين ؛ تبدم لهذا ولذاك ، ولكن ما هو موقف فؤادها من الشقيقين ؛ هل احبت احدهما ، وهب احبت ، فالى من اتجهت ميولها ، ومن منهما آثرت على الآخر ، أاحبت نيازي ام شوكت ام الاثنين معاً ، وهل في المستطاع ان تحب الاثنين حباً صادقاً عادلاً لا غبن فيه ولا اجحاف ؟؟؟

— ٥ —

سال لعاب الدولة الانكليزية لدى احتلال قواتها الاستانة وشبه جزيرة غاليبولي فقد تحرك فيها الجشع الى امتلاك الدردنيل والبوسفور ورأت ان الوسيلة الوحيدة التي تضمن لها هذه الامنية هي ان تثير الحرب بين اليونان والاتراك فتهدم القوات التي ينظمها مصطفى كمال في انقره ويحاول ان يشيد بها دولة تركية جديدة

فالانكليز يريدون مفاتيح البحر الاسود . وهذه المفاتيح لا يتسلمونها الا اذا

استطاعوا الاشراف على البوسفور والدردنيل ، والاتراك ابعد الناس عن ان يرضوا بهذه التضحية . فنقموا على الانكليز وشاطرهم الفرنسيون نقمتهم ، ومن ذلك الحين انقسم الحلفاء الى قسمين : فريق منهم يؤيد اليونان وهؤلاء هم الانكليز ، وفريق يؤيد الاتراك وهذا الفريق هو الفرنسيون

فالقادة الفرنسيون انفسهم انتصروا لمصطفى كمال حتى ان احدهم لم يمانع في القول انه يحارب تحت لواء الزعيم التركي . وزاد في نفور الفرنسيين من اليونان وانتصارهم لمصطفى كمال موت الملك اسكندر بعضة قرد وسقوط فنزيلوس داهية اثينا وارتقاء الملك قسطنطين الى العرش ؛ والملك قسطنطين عدو لدود لفرنسا بعد ان هاجمت قواته البحريين الفرنسيين وسفكت دمهم يوم نزلت حملة الشرق في سالونيك ، فامسى انعداء التركي اليوناني عداء فرنسياً انكليزياً تتجاذب فيه اطراف الحبل فرنسا وانكلترا

ولمس مصطفى كمال هذا الخلاف بين الدولتين الحليفتين فاستدساعده ، واعلن نفسه مستقلا عن الاستانة ، وانشأ في انقره حكومة تدين بمذهبه وتعاليمه ، وطالب في ما طالب به ان يجلو اليونان عن ازمير

وكيف يجلو اليونان عن ازمير ومعاهدة «سيفر» منحتهم حق البقاء فيها ، ومصلحتهم تدعوهم الى ترسيخ قدمهم على شواطىء اسيا الصغرى ؛ فبدا لهم في مصطفى كمال الخصم العنيد ؛ ورأوا ان يستجيروا بالحلفاء من شره ، ولكن الحلفاء كانوا قد انقسموا الى قسمين ؛ فلم تحفل فرنسا بنداء حكومة اثينا ، فكانت تتظاهر بانها تؤيدها ثم تهمس في اذن مصطفى كمال انها في جانبه ، فتمرد الزعيم التركي وابى ان يخضع لاحكام معاهدة « سيفر » بل هو نادى بتمزيقها وجاهر بانه لا يعترف بها ؛ وان اليونانيين اذا شاءوا ان يعقدوا واياه صلحاً عليهم ان يجلوا عن سائر البلاد التركية

وطال الاخذ والرد بين اليونان والحلفاء وحكومة مصطفى كمال . وآخر ما توسط به الحلفاء لدى سيد انقره ان تجلو قواتهم عن الاستانة وتصبح شواطىء البوسفور والدردنيل مناطق حرة تهدم قلاعها وابراجها وينزع السلاح منها ويكون للاتراك حق الاشراف عليها ويجلو اليونانيون عن ولاية ازمير بكاملها ولا يبقى منها في يدهم غير المدينة دون سورها ، ولكن هذه الوساطة ما كانت لترضي الكماليين ، فهم ابدوا رغائبهم في مؤتمر ارضروم ومؤتمر سيواس ، ووطدوا النية في هذين المؤتمرين على تحقيق الميثاق الوطني الذي وضعوه ، والميثاق الوطني يقول ان تركيا للاتراك كاملة ؛ وانهم لا

يقبلون قطع شبر واحد من ارضها ، وقد اوضحوا للحلفاء هذه الحقيقة ، فما كان من اليونانيين الا ان قاموا الى السلاح يطلبون به انصافاً

واعلن القائد « بانغالوس » اليوناني الهجوم على عش مصطفى كمال . فوضع انقره امام عينيه ومشى اليها بخيله وقواته . فلقد اراد ان يعطي الثائر التركي امثولة قاسية ، فسارت الجيوش اليونانية المرابطة في الشمال الى بروسه واسكي شهر ، والجيوش المرابطة في جنوبي اوشاق الى افيون قره حصار

وكل مقصد القائد اليوناني ان يطوق انقره من الجنوب والشمال ، فتضرب القوات اليونانية الجيش التركي الضربة القاضية . ولقد نجحت خطته نجاحاً باهراً ، فتقدمت قواته في ايام قلائل مئات الاميال

واذاع مصطفى كمال في ابناء قومه نداءه التاريخي . وتجاوب صدى ذلك النداء في تركيا باسرها . وقد صاح مصطفى كمال بالاتراك صيحته المشهورة حيث يقول : « ايها الاخوان ، يا حفدة الابطال ، اليوم يومكم الاخير . فاما موت او حياة . ان جدودكم من وراء اربعمائة عام يناشدونكم ان تنقذوا الوطن من هوة الفناء !... »

— ٦ —

تفاقم العداء بين شوكت ونيازي ولدي ادهم باشا

فامتنعا عن الاجتماع بعضهما ببعض . وبلغ التنافر بينهما ان نيازي كان يأبى الجلوس حيث يكون اخوه

فكل منهما يحب نظيرة هانم . وكل منهما يريدها لنفسه ولو سال الدم وفاضت الارواح

وشاءت الفتاة ان تضع حداً لهذا الخصام ، ولكن شوكت عاندها كما عاندها نيازي . فظل الاخوان يترددان اليها كلٌ في ساعة معلومة لا يكون فيها اخوه

وكثيراً ما حاول نيازي ان يتحدث اليها عن حبه والحياء يقعده عن ذلك الحديث . وشوكت نفسه ما كان ليدري اتحبه نظيره هانم ام تحب نيازي اخاه الصغير

ورأى شوكت ان يحل تلك العقدة . فدعا يوماً الفتاة اليه وقال : نظيره هانم . اتريدين ان افضي اليك بما عندي ؟

قالت : وماذا ترى يكون عندك يا شوكت ؟

قال : لا ريب انك لحظت ما بيني وبين اخي من النفور

قالت : وهذا ما اعتب عليكما لاجله

— ان في وسعك ان تزيليه ايتها الانسة

— وما العمل لازالته ؟

— انت تعلمين ان النفور المستحكم بيني وبين اخي مصدره حبك . فان نيازي يحبك وانا مثله . وقد بلغ بنا هذا الحب حده الاقصى الى ان قادنا للخصام . ولا يخفى على احد ما يجلبه الخصام بين الانسباء من الضرر والاذى فكيف بين الشقيقين

— والى اي هدف ترمي يا شوكت بك

— اريد ان اقول ايتها الانسة ان كلمة واحدة تعلنين بها موقفك مني ومن اخي تزيل ما بيننا من عداء

— وما هي هذه الكلمة ؟

— هي ان تصرحي باسم الذي تحبين منا . اتحبين نيازي ام تحبينني ؟

— ذلك مما لا استطيع التصريح به

— ولماذا ؟

— لانك انت ونيازي عزيزان على قلبي

فصاح الشاب : ولكن الصداقة شيء والحب شيء آخر ايتها الانسة ؟ فان كنت صديقة لي ولاخي فلا بد انك تؤثرين احدنا على الآخر ، فمن هو ذلك الذي تؤثرين

قالت : انك لتحرجني يا شوكت فلا ادري ما اقول !

— لا ، لا احرجك . بل انت التي تحرجين موقفي وموقف اخي . قولي ، تكلمي من تحبين منا ؟

فاطرقت الى الارض . وانتظر شوكت طويلا وهي لا تفتح شفتيها للكلام .

فقال : على مَ قر رأيك ؟

فرفعت اليه انظارها بشوق وهيام وقالت : شوكت ، اتحبني انت

فقال : اما رأيت كيف خاصمت اخي لاجلك ؟

— وهل اختلج قلبك لحب غير حبي ؟

— ما هذه الاسئلة يا نظيره هانم ، اني لم احب وان احب سواك !

لحدقت اليه كأنها تسأل عينيه ايقول حقاً ام يحاول خداعها ، فبدا لها الصدق المجسم في تلك الملامح النضرة الجميلة . فقالت له : ان نيازي صاحب فضل علي يا شوكت ، وهو

وأسطة التعارف بيننا فكيف يليق بي ان اجازيه بالكفران والجحود وانا لا اجهل حبه لي !

قال : ان ما فعله نيازي لاجلك لا يدعوك الى مخالفة ميول قلبك . فان كنت تحبين سواه فماذا يستطيع ان يقول . فهو صاحب حق بصداقتك وبودك لا بقلبك وهواك !

فقالت : صدقت

قال: اخبريني الان، من تحبين منا أانا ام نيازي ؟

قالت : وماذا ترى انت ؟

فصاح : ارى انك تحبينني !

فالقت رأسها على صدره وتمتمت قائلة : انك لعلى صواب!

فطوق بيديه خصرها وراح يفتش عن ثغرها يطبع عليه شفتيه ، فاستسلمت له ولم تمانع في القبلة . و كانت تردد من حين الى آخر : اجل ؛ اني احبك يا شوكت ، فلقد عرفت بحديثك الساحر كيف تقتنص فؤادي ! . . .

— ٧ —

وشاع بين بنات الحي ان نظيره هانم تحب الضابط شوكت بك

واية فتاة لا تعرف شوكت . فهو من اجمل ضباط الاستانة وقد ذهب له صيت بعيد بين النساء بلطفه وجماله ، ثم ان صلاته بهن وهيامه بمغازلتهن ووصالهن جعلته معروفاً من اكثرهن ؛ ومن جهلته منهن لا بد انها سمعت به

واكثر اللواتي وقعن في شراك الشاب وجدن منه اعراضاً فجائياً لا مبرر له . فما هو ان يهيم بفتاة من الفتيات وينال منها بغيته حتى يسلوها ويترامى بين ذراعي سواها ، فساءت سمعته لدى الكثيرات منهن ، وغضبت عليه اللواتي خدعهن غضباً شديداً ووطدن النية على الانتقام منه شر انتقام

واتفق ان الحي حيث تقيم نظيره هانم حفل ببعض اللواتي خدعهن شوكت وابدى لهن الصدود ، فما هن ان عرفن بحب الشاب لصديقتهن نظيره حتى اسرعن اليها يروين لها حكاياتهن وخداع الضابط الجميل لهن ، فاضطربت الفتاة وشعرت بوجع في قلبها ، ووهت قواها فكادت تصاب بالاغماء

فقد عز عليها ان يكون من قدمت له انقى واطهر واقدس ما عندها ماكراً غادراً ، ولما انصرفت عنها رفيقاتها لجأت الى الدموع تخفف بها من اوجاعها وآلامها — والدموع

كثيراً ما تجلب العزاء لذوي القلوب المكلومة   ووطدت النية على قطع كل علاقة لها بالشاب قائلة في نفسها: ان في وسعي الآن ان اعرض عنه وانساه اما اذا طال الزمن ورسخ حبه في قلبي فمن اين لي ان اسلوه ؟

ولما اقبل شوكت في ذلك النهار يسأل عنها قيل له انها في مخدعها، فطلب مقابلتها فاجابوه: انتظر قليلاً ريثما ترتدي ثيابها !

فانتظر، على انه احس بان هنالك حادثاً مزعجاً سيقلقه، ولما اطلت نظيره هانم ادرك من نظراتها انه اصاب المرمى في قوله ان ثمة ما يقلق ويزعج. ونهض بكل احترام يحيي الفتاة ؛ فردت عليه التحية بكل فتور ، قال . ما لي ارى حضرة الآنسة لا تتنازل الى القاء نظرة عليّ من نظراتها الساحرة !

فالتفتت اليه بغضب وقالت: شوكت، ان ابنة وحيد بك لا تمنح قلبها لغادر ماكر!

فلم يفهم ما تريد ان تقول ، وخيل اليه ان اخاه نيازي سعى به لديها، فارتجفت اعضاؤه وقال: ومن هو الغادر ايتها الآنسة ، بربك من هو ؟..

قالت : هو انت

— وكيف غدرت، ومن غدرت، واين ؛ ومتى ؟

— انت ادرى الناس باعمالك ، وكل ما اقوله ان العهد الذي قطعته لك على نفسي اراني في حل منه، فانا لست من اللواتي تستطيع خداعهن !

فتصبب العرق البارد من جبينه وقال: ألى هنا بلغ سوء ظنك بي ؟.. نعم اني احببت في الماضي ولكن حبي كان كغمامة الصيف تمطر ثم تزول ؛ ولو كنت سيء النية في حبي لك لمصتني اخلاقي عن ان ابثه اليك !

فما كانت لتصدق ما قال ؛ ونفرت منه لا تريد ان تصغي اليه ؛ ودخلت غرفتها تذرف فيها دمع الخيبة والاخفاق، واذا بها تسمع الباب يطرق، وقبل ان تصيح: «من الطارق؟» اذا بنيازي يدخل عليها يقول : اخبرني شوكت انك تتألمين فما الذي يؤلمك؟

وامسك يدها وطبع عليها قبلة الشوق والاحترام فلم تمانعه ؛ وتجرأ في تلك اللحظة على الكلام فقال : نظيره اني احبك !

فسكتت لا تجيب ؛ قال : ألا تحبينني ؟

فتمتمت قائلة : اني لا انسى جميلك وعطفك يا نيازي !

قال : وقلبك لمن هو ؟.. لمن ؟.. أليس لي ؟؟؟

ولم يكن لديها مجال للجواب· فان اباها دخل اذ ذاك مخدعها يقول لها :

– اخبروني انك تتوجين يا بنية !

فاجتهدت في الابتسام وقالت : ليس بي شي·والحمد لله!··

وخرجت مع نيازي وابيها الى قاعة الدار وبذلت كل ما في وسعها كي لا تظهر امام والدها بمظهر المضطرب القانط الكئيب

– ٩ –

حار شوكت في ما يقوم به من المساعي لاقناع نظيره هانم بانه صادق في حبه لها، فبات يرقب خروجها من المنزل ليفضي اليها بحقيقة امره · ومن عادة الفتاة انها تغادر المنزل في كل صباح الى دار الهلال الاحمر · فانتظرها الى ان توسطت الشارع واقبل عليها يقول · نظيره ؟ الا تريدين دليلاً صادقاً على حبي اك

وكانت صفراء ذابلة الوجنتين حمراء العينين ؟ فقالت · ما لنا ولهذا الحديث ياشوكت ؟

قال : أليس اعظم دليل على حبي لك ان اطلبك من ابيك للزواج ؟

قالت : نعم

فقال : وسافعل ، وفي هذا المساء ساخاطب اباك بهذا الشأن ولا اعتقد انه يرد طلبي !

ولم ينتظر منها جواباً؟ بل تركها ومضى؟ وكان على يقين تام بانها سترضى عنه متى طلبها من ابيها وبان لاباها وحيد بك سيكون شديد الارتياح الى هذا الطلب فلا يرفضه بل هو لا يفكر مطلقاً بالرفض

***

اذيع نداء مصطفى كمال في الاستانة · فالقائد التركي دعا ابناء قومه الى الذود عن الوطن المستحكمة منه براثن الاعداء تستنزف دمه

وتحمس شباب الاتراك في عاصمة السلاطين العثمانيين فاجتمعت الالوف منهم وابدت رغبتها في محاربة اعداء تركيا تحت لواء الزعيم الثائر مصطفى كمال

ودعا ادهم باشا ولديه شوكت ونيازي قائلاً لهما : يجب ان تسرعا لانقاذ الوطن المنكوب ؟ فالزوارق ستحملكما الى الشاطىء الاسيوي في هذه الليلة وساكون هنالك لوداعكما ! · · ·

فاجابا بالقبول ؛ ورأى كل منهما ان يودع نظيره قبل رحيله، ولما دخل نيازي وابصر شوكت يقبل الفتاة تراجع الى الوراء مذعوراً ، فضحكت نظيره وقالت : لا تغضب يا نيازي بك ان اخاك خطبني من ابي وهذه القبلة هي عربون خطبتنا وحبنا ! ...

فصاح : لقد خطبك ؟... هو خطبك ؟ ... اخي ؟ ... ورضيت به انت ؟

فقالت : ولماذا الاستغراب ؟

فردع الشاب دمعة اوشكت ان تسيل على خده واولى ظهره اخاه ونظيره هائم وقال : ساعرف كيف انتقم من نفسي !

فاليأس جاش في صدره ، وخاف عليه اخوه ان يدفعه هذا اليأس الى الانتحار . فاسرع وراءه يناديه ، فما كان ليسمع بل ركب عربة قادته الى منازل الفجور والفحشاء . وهنالك حمل احدى النساء العاريات بين يديه ودخل بها الى غرفتها ، ودعا له بالشراب ؛ فتناول زجاجة من الويسكي وجرع نصفها جرعة واحدة . وطرق الباب فلم يفتح ، وارتفع صوت من الخارج يصيح : نيازي . افتح ؛ افتح ! ...

فلم يجب . فاذا الباب يهوي تحت ضربة قوية ويبدو وراءه شوكت صائحاً باخيه : اخرج من هذا المنزل الموبوء اخرج منه . لقد ابصرك ابي تدخل اليه وجاء يقتفي اثرك . فيا لخيبته اذا رآك هنا وهو ينتظر اسراعك الى الاناضول لتشترك في انقاذ الوطن من نكبته !

فصاح نيازي : دعني ايها الغادر ، دعني

فقال : استحلفك بالله ان تخرج من هذا المكان القذر

وكانت المرأة العارية تسمع الحديث وهي لا تبالي بما يقال . ولما رفع نيازي قبضة يده يهدد بها اخاه اخذت المرأة تضحك . وهل للفاجرة قلب كي تشفق وترحم شباباً يذيب حياته امام عينيها ؟ ...

ولعبت الخمرة برأس نيازي فقام الى اخيه يقذف به الى جهة الباب ويقول : اخرج ايها النذل . دعني هنا وحدي ! ...

فما كان من شوكت الا ان امسك باخيه وراح يجره الى خارج الغرفة حتى اذا ما فاجأه ابوه لا يبصره في تلك الحالة الشائنة . غير ان نيازي وهو اشد ساعداً وامتن عضلاً دفع عنه شوكت الى الارض ورفسه برجله والزبد يتدفق من شدقيه ؛ فكان يصيح باخيه : انت خائن ... انت نذل ! ...

وعكف على كأس الشراب يمتصها ؛ فاستجمع شوكت قواه ووثب الى نيازي ينزع الكأس منه ويقول له : ارحم شيخوخة ابي . انه يموت اذا ابصرك هنا وهو الذي يعقد عليك آماله !

فضربه نيازي ضربة القاه بها الى الارض وقال : اسكت ايها الماكر !

على ان هذه الضربات ما كانت لتثني شوكت عن عزمه فعاد الى اخيه يسجد امامه ويقول . نيازي ؛ نيازي ؛ ارحم اباك ! ...

وسمعا وقع خطوات في قاعة المنزل ؛ فاستفاق نيازي من سكره ونظر الى القادم فاذا هو ابوه . فقال لشوكت . ها هو ابي بربك قل لي اين اختبئ !

فقاده شوكت الى باب يطل على طريق سري في المنزل وقال له اخرج من هنا ... من هنا ... انه لن يبصرك !

وجاء شوكت الى الكأس ووقف امام المرأة العارية يخاطبها ضاحكاً كالمجانين ؛ ولما دخل ابوه وابصره في تلك الحالة قال . لقد صدق ظني ؛ ما كنت لاعتقد ان نيازي يدخل هذه الاماكن الساقطة ، الحمد لله . اما انت ايها الدنيء السافل فانك لخليق بهذه الاوحال

وبصق ادهم باشا بوجه ابنهُ الاكبر . واحتمل شوكت هذه الاهانة وهو لا يبدي ولا يعيد . فكل ما اراده ان ينقذ اخاه من غضب والده وان يدعوه الى القيام بالواجب ، ولقد فعل وضحى بكرامته كي يظل ابوه مرتاحاً الى مسلك ابنه الصغير فلا يبرح يقول عنه . ان هذا الشبل ابن ابيه ! ..

***

اوشكت القوات اليونانية ان تدخل انقره

واخذت الجيوش التركية تتراجع وتفسح المجال لهجمات القوات اليونانية . واقام مصطفى كمال على ضفاف نهر « سقاريا » ينتظر وصول الجيش اليوناني وهناك تقاتل الفريقان وجهاً لوجه . فكانا يتنازعان الارض شبراً فشبراً . وصاح مصطفى كمال بقواته ان ضحوا بارواحكم ولا تجعلوا العدو يمتلك بلادكم الا وانتم جثث لا روح فيها . فوثبت القوات التركية الى امتلاك النصر وثبة الابطال

فجاهدت واستبسلت وضحت بالعزيز والغالي ؛ وقد لمع في صفوفها ضابط شاب انتزع عن مفرق العدو ثلاثة اعلام مجازفاً بروحه وبحياته ، ولم يكن الضابط غير نيازي نفسه ،

فاسرع اليه مصطفى كمال يقبله في جبينه ويقول له : هكذا تكون الابطال !...

واندحرت القوات اليونانية في معركة سقاريا وكان النصر للاتراك؛ ولما اتصل خبر الانتصار بادهم باشا سالت دموع الفرح من عينيه؛ ولم يطرب في حياته طربه للاخبار التي جاءته عن نيازي ؛ فقال : اذا قضيت الان نحبي فاني اموت مطمئناً مرتاحاً !...

وكان يلعن ابنه شوكت ويطلق عليه لقب الرعديد الجبان ؛ وبعد شهرين من الزمن لما عاد اليه نيازي والاوسمة تلمع على صدره وشارة القيادة تبدو على منكبيه عانقه ذلك الشيخ الجليل طويلاً وقال وهو يبكي: نيازي ، انت فخر ابيك!..

فرأى الشاب ان يروي لابيه الحقيقة الخالصة وما كان من تضحية شوكت اخيه واندفاعه؛ وقال انه لولا اخوه لانتحر في منازل الفحشاء لوعة على حبه الشهيد ؛ اما الان فان ما حازه من الفخر بواسطة اخيه يدعوه الى التنازل له عن نظيره هانم بملء الرضى

فقبل ادهم باشا ابنه البطل ودعا شوكت وقال له : يجب ان نحتفل الليلة بعقد قرانك على ابنة وحيد بك

واحتفلوا بذلك الزواج في حفلة حافلة بكبار القوم ؛ وكان نيازي اشد الجميع طرباً؛ وبلغ سرور المدعوين حده الاقصى لما جاءهم وهم في تلك الحفلة ؛ خبر انهزام اليونان الاخير وخروجهم من ازمير

فوقف ادهم باشا بين ذلك الجمع وصاح : ليأخذ خالقي روحي اذا شاء ؛ فان بلادي استعادت الان مجدها وستعيش بسلام!...

﴿ تمت ﴾

---

العدد الثاني والستون

السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## مكيدة جمال باشا

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١٧ اذار سنة ١٩٢٩

# مكيدة جمال باشا

وظلوا بها الى ان رموها في الآتون الحامي

ولقد مانعت طويلاً قبل ان تزج نفسها في النار، ولكنهم وهم ولاة امرها قادوها صاغرة ذليلة الى ساحة النطع، واضافوا بها الى ضحايا المجزرة العالمية ضحية جديدة

وقالوا : «خاضت تركيا حرب ١٩١٤ الى جانب المانيا !...» على انهم لو خلوا بها واستطلعوا رأيها لجاهرت بانها تنفر من الحرب ولا تريدها ولا تفكر في ساعة من الساعات بها ؛ الا ان القابضين على زمامها هكذا شاءوا لمآرب لهم في النفس، فما استطاعت ان تردهم عنها وهي لا تملك امرها ولا مشيئة لها

وولاة امر تركيا في حرب ١٩١٤ ثلاثة لا اكثر ، هم : طلعت وانور وجمال. والذين طلبوا الانضمام الى المانيا هم طلعت وانور ورجالهما من الاتحاديين؛ اما جمال فقد شعر في الصفقة بانه مكره لا بطل ، فخاف اذا قاوم ان ينبذوه ويبعدوه فوافق على آراء الاتحادين بامتعاض وألم وهو يحس بان السلطنة العثمانية سيقضى لا محالة عليها

وجمال اذكى رجال تركيا في مستهل الحرب الكبرى. فهو ادهاهم واقدرهم. ولو كان يملك من النفوذ ما يملكه طلعت وانور لكان له من الشأن ما لم يبلغ اليه في تركيا رجل. فمن المحتمل جداً انه لو ملك ذلك النفوذ لقلب وجه التاريخ التركي شأن مصطفى كمال من بعده

ولم يكن دهاء جمال باشا ليخفى عن طلعت وانور وانصارهما. فلقد عرفوا ان في دماغ هذا الرجل الربع القامة ، النـاري النظرات ، الشديد الحزم ، من المطامح ما يضيق عنه صدره. وخافوا ان يسطو على رجال الاستانة وعلى الجيش فيقلبهم جميعاً ويحتكر السيادة المطلقة لنفسه

وجمال كثير العطش الى السيادة. فهي تتجلى في نظراته وحركاته وكل موقف من مواقفه. والاراء التي كان يبديها والخطط التي كان ينظمها جعلت رفاقه على يقين بانه ثاقب الرأي. بصير في العواقب. قوي الحجة. سريع الخـاطر ، لا يطول بهِ الزمن ان

يعلوهم جميعاً ويصبح ذا سلطان مطلق في البلاد العثمانية باسرها

ودخل انور على طلعت يقول : اني اخاف يا طلعت !..

فقال طلعت باشا : وممن تخاف وانت قائد الجيش العثماني بامه وابيه. اذا شئت ان يسجد الملايين امامك سجدوا خاشعين راضين !..

فهز انور برأسه وقال : ولكن فرداً واحداً من هؤلاء الملايين يقلقني، ألا تعرف من هو ؟

فادرك طلعت فوراً ان انور يقصد وزير البحرية جمال باشا، ولكنه تجاهل وقال : ومن هو ؟

— اللعين جمال، فهو اقدرنا جميعاً وادهانا؛ فله من علمه الغزير ومن الثقة بنفسه ما يجعلني اخشى منه على حياتي !

— ولكنك واهم يا باشا؛ فمن هو جمال اذا جئنا نقارنه بك ؟..

— انه للرجل الداهية؛ فلقد عجمت عوده وعرفت ان تركيا لو جمعت خمسة رجال من امثاله لكانت اعظم دولة على سطح الارض، وماذا اقول لك عنه ؛ انه للسياسي المحنك، والداهية الخبيث، والعالم القدير، ففي كل فن اتيته بدا لك في الطليعة. ولولا هذه المزايا فيه من اين له ان يبلغ ذلك المقام العالي وهو ابن فقير حقير وضيع الاصل ؟

وكان انور يتكلم وصوته يتهدج من الغضب، وطاب لطلعت ان يستثمر الموقف وهو يخشى جمالاً كما يخشاه انور، فقال : اتريد ان نتخلص من شره ؟..

قال : بلا ريب، ولكن ما هي حيلتنا في اتقاء هذا الشر ؟..

— سنبعده من الاستانة الى اقاصي البلاد العثمانية

— والى اين نبعده ؟

ففكر طلعت قليلاً ثم ألقى نظرة على خارطة الدولة العثمانية الماثلة في جدار ديوانه وقال : افضل مكان نبعده اليه هو القطر العربي؛ فنوفده الى الشام ونعهد اليه بصون تلك الارجاء عن اغتصاب الغاصبين فيتخبط في مشاكل يتضاءل معها نفوذه وتتشوه سمعته

— وهل يكفي هذا الابعاد للقضاء عليه فيصبح مكروهاً من الشعب التركي ؟.

فابتسم طلعت وقال : ان البلاد العربية لهي اكثر ارجاء الدولة العثمانية عرضة

لهجمات العدو. بل ان الحلفاء وهم يعلمون حق العلم ان العرب ينفرون من الاتراك وان لهم هناك الانصار والاصدقاء سيهاجمون تلك الديار وينزلون فيها. ومن الراهن اننا لن نقوى على صد هجماتهم ومعظم الاهلين يميلون اليهم ويكرهوننا. فسنقول لجمال اننا اخترناه لهذه المهمة الدقيقة اذ ان الجيش التركي يخلو من قائد اقدر منه على القيام بها. وما هو ان يقيم في بلاد الشام حتى تقوم عليه القيامة فيضطر الى المجازفة بقواه ويبوء بالخذلان. فلا العرب يرتاحون الى سياسته ولا الاتراك يطربون لاخفاقه!

فكاد انور يصفق لهذا الخاطر الجهنمي ونهض يصافح طلعت ويقول له : انك لذو رأي صائب ياطلعت!...

وفي صباح اليوم الثاني اجتمع الوزراء وتباحثوا في موقف السلطنة العثمانية بعد خوضها الحرب العظمى. فقال انور : ان المعضلة كل المعضلة في حفظ البلاد العربية فلا تنتصر للحلفاء علينا!

وقال طلعت : اذا لم يكن لنا في الشام من نثق به ونتكل عليه ان بنا يطول الزمن الا والبلاد العربية قد اعلنت انفصالها عن تركيا

فقال جمال : ومن تريدون ان توفدوا اليها؟...

— يجب علينا ان نختار رجلاً ذا قوة تفل الحديد!

= وعلى من يقع اختياركم ؟

فابتسم طلعت ابتسامة المكر والدهاء والتفت الى جمال باشا يقول. ليس لهذه المهمة سواك!

فقال انور . ولكننا في حاجة هنا الى خدماته!

فلم يكن من طلعت الا ان قال . لا اجد في تركيا بكاملها قائداً يجمل بنا ان نعهد عليه بالدفاع عن السلطنة العثمانية من ثورة العرب غير جمال باشا. فانا اطلب ان نحصر به هذه المهمة الشاقة وهو الكفيل بتحقيقها اجمل تحقيق

ووافق على هذا الرأي وزير الداخلية ، فلم يجد جمال بداً من القول. اني لبلادي حيث تدعوني. فان رأيتم انه يسعني خدمة وطني في البلاد العربية فسأغادركم الساعة اليها!...

وكان يتكلم بحماسة فائقة الحد. فقال انور . يسرني ان اعينك قائداً للفيلق الرابع فانت منذ الان ساعدي الايمن في سائر بلاد الشام. لك الامر والنهي والسلطان

المطلق في سياسة البلاد وشؤون الجيش !

وباسرع من البرق اعلن مجلس الوزراء العثماني تعيين جمال باشا قائداً للفيلق الرابع في سوريا. وجاءت الارادة الشاهانية تصدق هذا التعيين. وبعد ايام قلائل كان جمال باشا يبرح الاستانة الى دمشق وكان طلعت يقول لانور . أرأيت كيف نجونا من ظله الثقيل ؟

فقال انور. وهل تعتقد انه سيتعثر هنالك باذياله ؟

قال. لن تقوم له بعد اليوم قائمة. فقد حكمنا عليه بالموت . ومن المحال ان يسلم فالبلاد العربية في فوضى يعجز عن اصلاحها حتى الله ! . . .

— ٢ —

اراد جمال ان يكون في سوريا شيئاً مذكوراً. فجاءها بالسيف والارهاب فعزل ونفى واضطهد وقتل وصلب وقطع اللقمة عن افواه الايتام والمساكين

وكان يخاف جبل لبنان، جبل لبنان الذي تحميه دول ست، فارسل اليه حملة تطوقه وتحتل قراه، وتولى قيادة تلك الحملة امير الالاي رضا بك، فاقام في عاليه ودخلت قواته زحله والشوير وبعبدا ودير القمر وبيت الدين ، وما استقرت هذه القوات في اماكنها حتى طارت البرقيات الى سائر انحاء السلطنة العثمانية بان الجند الشاهاني احتل جبل لبنان

ولماذا يحتلون لبنان؟ . . هل جاهر بالعصيان؟ . . هل تمرد على اوامر الباب العالي وازدراها ؟ . . هل هو بقعة لا تشملها احكام السلاطين وقوانين الدولة العثمانية ???

حقاً انهم لمضحكون، كيف يحتلون لبنان ويفاخرون بهذا الاحتلال ويرسلون جله الاسهم النارية تشق كبد الفضاء ولبنان ما فكر بان يناوئ تركيا ولا بان يهزأ باوامرها ويشهر بوجهها السلاح ؟ . .

لقد خدعوهم فجازت الحيلة عليهم وجمال نفسه كان من المخدوعين. فاوهموه ان لبنان اعز من حصون الدردنيل وان بنيه من اكلة لحوم البشر، بل اوهموه ان لفرنسا وانكلترا وروسيا الابراج المنيعة والقلاع الجبارة في لبنان، فنظم الخطة الحربية لاحتلاله وقبض على زعمائه ونفاهم الى القدس، وسد بوجوه اللبنانيين منافذ الحنطة والقوت ليميتهم جوعاً وتعذيباً، واعذب كلمة كان يسمعها اللبناني من الاتراك قولهم له: « خائن ملت ! . . . خائن وطن ! . . . ادب سز ! . . . »

وما اكتفى جمال بالنفي والتعذيب ، بل جاء بزهرة البلاد من زعماء وشبان وعمد الى الاسواط يلذعهم بها في كل صباح ومساء، واخيراً ... اخيراً بعد كل هذا الهوان رفعهم على الاعواد فصلبهم ، ولقد اطربه ان يرى ذويهم يسرعون اليه يسترحمونه ويطلبون منه شفقة وعطفاً ؛ واشجاه ان يبصر ضحايا الجوع تملأ الشوارع والطرق ؛ وشاقه ان تغرق البلاد في بحيرة من الدم فتغوص فيها الى الرأس حتى الى ما فوق الرأس وجمال يبسم ويضحك لموتها كالطاغية نيرون لما اوقد النار في اطراف رومه عاصمة ملكه وجاء بالغواني العاريات يتمرغ على اجسادهن وهو يجرع الكؤوس ولا يرتوي ! ...

وقال قائل لجمال : ماذا فعلت ؟

فاجاب . اني انقذت وطني من فئة شريرة عاثت فيه فساداً !

فقالوا له . بل انت اهلكت بلادك وشطرتها الى شطرين

ولم يكن القائل غير قائد تركي ممن تعودوا الجرأة في احاديثهم والجهر بالحقيقة في سائر مواقفهم ؛ فغضب عليه جمال باشا وابعده الى اقاصي الحجاز

ووقع يوماً في قبضة جيش دمشق اسير انكليزي ، فامر جمال باشا ان يأتوه به ، فلما مثل الاسير بين يديه قال له جمال . ماذا ترى الانكليز يقولون عني ؟

فقال الاسير . انهم يثنون عليك الثناء الجم يا صاحب الدولة

فتعجب الباشا من جواب الاسير وقال . أيثنون علي ؟ ... وكيف يثنون؟ ولماذا؟

قال . انهم تعبوا جداً ليفصلوا الاتراك عن العرب فما استطاعوا ، فجئت انت وقمت في سنة واحدة بما عجزوا عنه في مئات السنين !

فكان هذا الجواب اشبه بالخنجر ينفذ الى قلب جمال ، فنهض من مكانه ناقماً هائجاً يحاول ان ينقض على الانكليزي ويمزقه تمزيقاً ، فضحك الاسير تلك الضحكة الفترة الصفراء ، التي تجول على شفاه الانكليز لدى ازدرائهم من يخاطبونه ، وقال . الحقيقة تجرح يا باشا !

فصاح جمال بالجند . الا خذوا هذا الاحمق عني ! ...

ورفع قبضة يده يسددها الى دماغ الانكليزي ، فظلت ابتسامة الاحتقار بادية على شفتي الاسير ، ازداد بها حنق جمال وغيظه وكاد يرفس برجله الانكليزي لو لم يخرج به الجند الى مضارب الاسرى

وفكر الباشا طويلا بقول الاسير فوجد فيه الصواب كل الصواب ، ورأى ان

الخدمة التي كان يسعى لادائها لبلاده قد عادت على الدولة العثمانية بالوبال ، وان التاريخ سيلعنه ويسجل اسمه بين الطغاة الاغبياء ، وان سمعته بين ابناء قومه ستلوكها الالسن، وقد تكون لاكتها ، فيهوي عن مقامه الى احط الدركات وهو الذي يطمح الى اسمى منصب وارفع مقام

— ٣ —

اذا هام جمال باشا بالشهرة والسيادة فقد هام ايضاً بالنساء ، وبين كان هيامه الاكبر فان هذا القائد الاصفر الوجه ، الماكر المراوغ ، المتخفي في لحية استدارت حول وجهه كمنجل الحصاد ، المجهول المقصد والمأرب ؛ كان لا يبصر المرأة الجميلة الا ويتمنى ان يكون بين ذراعيها او تكون بين ذراعيه ، فان نظراته المتقدة بالخبث والدهاء كانت تتطاير منها الشهوة لدى وقوعها على الجمال الساحر المذيب

وذلك القلب ، ذلك القلب المتحجر الاصم ، الذي لم يشعر بالرحمة ولا عرف الشفقة امام صراخ الايتام وضحايا الجوع ، كان يخفق شديداً لدى روئية الغانية الحسناء ، بل كان اشبه بالريشة في مهب الريح اذا عرضت له فاترة اللحظ ، ناهدة الصدر ، مرتجة الردف ، فتنة العشاق والهائمين

وكم من حسناء تذكر الطاغية الاثيم . ففي دمشق له ضحايا ، وفي بيروت له ضحايا ، وربما ... وربما تمنت الكثيرات ان يعود ولو خربت البلاد ومات العباد ، فان لذتهن وهناءهن قبل الجميع

ومن بعدهن الطوفان ! ... ليهلك البشر جميعاً وليدمن وحدهن في نعيم ، واي نعيم !.

ولقد كان العفاف كالسلعة في عهد جمال . فالجوع افترس الشرف كما افترس الاجساد ، والام بنفسها كانت تقود بناتها الى المفترسين ، فتقذف بهن في الهوة ليعشن باثدائهن وتعيش ، وجمال اول من استفاد من هذه المتاجرة ، ففي كل مساء تقاد اليه العذارى وهو يختار منهن التي يشاء

والمتاجرة بالشرف والاعراض لم تكن لولا جمال باشا ، فهو الذي اوجدها وساعد عليها وطرب لها ، واروع مشهد لديه ان تبرز الكاعب الهيفاء عارية امام عينيه ، فتصب له الكأس وتسقيه ويتمرغ عليها وتتمرغ عليه ، وما هو ان يشبع شهواته منها حتى يسلوها وينساها ، فتموت ندماً على عفافها المذبوح ! ...

... وبدت في حجابها الشفاف تطلب مقابلة الباشا

فقالوا لها : ومن انت لنستأذن لك عليه !

قالت : اخبروه ان على الباب امرأة تود مقابلته !

ولكن جمالاً اراد ان يعرف من هي . فاصر بان تبوح باسمها قبل دخولها عليه . فهو كان يخاف ثورة الاهلين بعد فتكه الذريع بهم وبطشه بكبار الناس فيهم واضطهاده الوجهاء والزعماء منهم . فامسى اذا جال في الشوارع او خرج من مقره يستصحب الضباط الاوفياء الذين يعتقد فيهم الاخلاص ويحشو جيوبه بالمسدسات والمتفجرات

قالت : هذه بطاقتي ، قدموها له !

فتفرس جمال ملياً في الاسم المنقوش على البطاقة ، واخذ يقول : اني لا افهم ، فمن هي هذه الراغبة في مقابلتي ؟

ومشى بنفسه اليها ويده لا تفارق جيبه ، فكان على استعداد لاطلاق النار لدى كل لحظة . وما ابصر المرأة ترتدي الملاءة والحجاب حتى ازداد استغرابه . فاقترب منها وقال : وماذا تريد حضرة السيدة ؟

فكشفت عن محياها ، فاذا هناك سحر يفتن ازهد الناس ، فاختلج جمال باشا ، ولكنه تغلب على نفسه وامسك بيد المرأة وقادها الى ديوانه ، واجلسها على مقعد بالقرب منه وقال . من انت ومن تكونين ؟ . . .

فابتسمت واخرجت من صدرها الرسائل المختومة بالشمع الاحمر وهي تقول . انك لتعرف من تلاوة هذه الرسائل مهمتي لديك ! . . .

فانعم جمال نظره في الرسائل وهو لا يجرؤ على فض غلافها ، والتفت الى المرأة الجالسة الى قربه يقلب النظر في اسارير وجهها ، فابتسمت وقالت بلهجة تركية خالصة :

— لا تخف ، اني قادمة اليك من موسكو ! . . .

فذعر جمال باشا وتمتم قائلا . من موسكو ؟ . . . وكيف استطعت الوصول الى هنا ؟ ومن حملك على المجيء الينا ؟ . . .

قالت . حبي لك امر فاطعت

قال : امسلمة انت؟

— لا ، اني روسية الاصل اقمت في الاستانة ردحاً من الحين ثم غادرتها الى مسقط رأسي ، وهنالك سمعت عنك ورأيت اسمك في الصحف فعشقتك عن بعد وسعيت للوصول اليك فساعدني الحظ وها انا الان بين يديك اقدم لك حبي وقلبي ! . . .

وكان جمال شديد الحذر كثير الفطنة ، فقال . وهذه الرسائل من اين جئتني بها ...

قالت . لا ازال في حاجة الى متابعة حديثي . اني اعرفك قبل ان ابرح الاستانة الى وطني روسيا وانت ايضاً تعرفني ، الا تتذكرني؟...

وخلعت عنها الملاءة والحجاب وبدت في ثياب تلمع فيها خيوط الفضة والذهب ، واضاء جمالها ذلك الديوان العسكري الفخم ، فبهر جمال باشا لدن رآها في هذا الحسن الخلاب وما تمالك ان قال لها . ما ابهاك ! ...

وجمد في مكانه مدهوشاً فقالت . الا تعرفني ...

قال . لا اذكر اني لمست بيدي هذا الجمال الالهي !

فقهقهت ضاحكة وقالت . انك لتعرفني حق المعرفة ، انسيت لطيفه هانم الفتاة التي كتبت اليها تخطب ودها فلم تنل منها جواباً

فصاح . ولكن لطيفه هانم لم تكن في مثل هذا الجمال !

فتبسمت وجاءت برسالة بالية صفراء قديمة العهد وعرضتها على انظار الباشا وهي تقول . هذه هي الرسالة ؛ الا ترى انها مكتوبة بخطك ... اني لا ازال احفظها لشدة هيامي بك ، بيد اني تكتمت يومذاك على امل انك تستمر في مكاتبتي فلم تفعل ، قل لي الان الا تذكرني ؟ ...

فاستعاد جمال ذكرى ايامه الاولى وارسل الى المرأة الماثلة امامه تلك النظرات الجهنمية التي كان يحاول بها ان يقلد نابليون الاول ، فلم تحفل المرأة بحدة نظراته بل ظلت تبسم له وهي كأنما تقول . انك تعرفني جيداً فلماذا الانكار ...

وجمال كان يعرفها حقاً ، ولكن عز عليه من اول وهلة ان يقول لها . « اني اعرفك ! ... » وهي قد اعرضت عنه في الماضي ، وبعد تفكير وامعان قال . بلى ، اني اذكر هيامي بك ، على انك زدت سحراً على سحر وكمالاً على كمال ، فما هذا النور المتدفق من وجنتيك وما هذه الكهرباء المتقدة في عينيك ...

وارتجف كأنه لمس من تلك الكهرباء سلكها ، واقتربت منه المرأة ولمست بيدها كتفه فانتفض ورأى نفسه مدفوعاً بالرغم منه الى معانقتها فغمغم بخشوع قائلاً وهو يطوق خصرها بيديه : انت معبودتي !...

ولكنه افلت منها بغتة وقال . اخبريني ما الذي جاء بك الى هنا ... وهذه

الرسائل ممن هي ... وكيف تقولين انك روسية وقد عرفتك في الاستانة باسم لطيفه هانم ، تكلمي ، ما هذه المتناقضات ...

فلم تجفل ، ولا شعرت بالاضطراب ، بل جلست الى قربه ولامست فخذه بفخذها وراحت تقول : هذه الرسائل ستعرف ممن هي لدن تتلوها وتطلع على ما فيها . اما ما دفعني للمجيء اليك فهو حبي اولاً وهذه الرسائل ثانياً ! . واذا شئت ان تعرف كيف أكون روسية الاصل وادعى لطيفه هانم ، فاعلم اني يهودية المذهب ، وقد اضطهدت حكومة القياصرة اهلي وابناء ديني ففررنا الى الاستانة نتقي فيها الظلم والجور وهنالك تمرسنا باخلاق الاتراك واقتبسنا لغتهم وعاداتهم ، على ان والدي — وهو من كبار رجال المال — ما برح يحن الى وطنه ، واحتاجت حكومة بطرسبرج الى المال فدعته اليها وبرحنا الاستانة واقمنا في موسكو ؛ من حيث تراني قادمة اليك ! ...

— وكيف استطعت الوصول الى هنا ولم يشعروا بامرك !

فقالت . الحجاب دفع عني الفضوليين ، فحسبوا اني ادين بالاسلام وتركوني وشأني ! ...

فما برح جمال مرتاباً في امرها الى ان ابرزت له جوازاً مطبوعاً بطابع الحكومة الروسية وقالت . متى اطلعت على الرسائل التي احملها اليك ايقنت بصدقي . اني ابغي لك الخير في كل ما ابذله من المساعي !

ففض جمال الرسائل المطروحة امامه واخذ يقرأ وهو يكاد لا يفهم ما يقع تحت عينيه من الحروف ، ولما اتم قراءة تلك الرسائل نهض من مكانه كمن يخرج عن حلم اقلقه واثار اهتمامه ونظر الى المرأة الروسية يقول .

— اجاسوسة انت على جمال باشا ام عاشقة له ؟ ...

— ٤ —

وماذا ورد في الرسائل ؟ ...

ان مظهر جمال باشا دل على ان هنالك امراً ذا شأن وان المرأة الروسية جاءت دمشق بمهمة خطيرة لا يتسنى لكل فرد من الناس ان يقوم بها

واعاد الطاغية التركي نظره مرات عديدة في الرسائل . وكان يقرأها ويكثر من التمعن في كل كلمة من كلماتها كأنه امام لغز من الالغاز . ويرمق بين الدقيقة والدقيقة لطيفه هانم بنظرة امضى من السيف الباتر ليقرأ على وجهها حقيقة مهمتها ؛ ولما سألها .

« اجاسوسة انت ام عاشقة ؟ . . . » قالت : ربما اكون جاسوسة لمصلحة بلادي على ان الحقيقة الراهنة اني عاشقة لك وراغبة في ان اراك تملك السعادة ومنتهى الصفاء !

قال : اتعرفين ماذا تحتويه الرسائل التي تحملينها ؟

قالت . بلا ريب ، فلست عمياء ولا اريد ان اكون ؛ ولو لم اكن واثقة بان في ما احمله اليك المستقبل الزاهي البسام لترددت طويلا قبل ان اخطو خطوة واحدة الى هذه الانحاء !

— ومن اعطاك هذه الرسائل ؟

— المسيو ساسانوف وزير الخارجية في حكومة نقولا الثاني قيصر روسيا

— وكيف تعرفينه ؟

— ان والدي يعرفه ويعرف اني احبك واهيم بك هياماً شديداً فوجد انني افضل من يقوم بمهمة حمل الرسائل اليك، ولما ناداني والدي وعرض علي فكرته رضيت فوراً بان اكون الرسول بينك وبين حكومة القيصر نقولا الثاني

— وهل تعتقد حكومة القيصر اني اخون وطني

— ليس ثمة خيانة ، فاني اجلك وحكومة روسيا تجلك عن الخيانة والعار

— لا افهم !

— اقول يا صاحب الدولة ان وزير خارجية روسيا المسيو ساسانوف لما خاطب والدي في شأن الدولة العثمانية اشار عليه ابي بان يفاوضك في مستقبل اوطانك ، الا ترى انه على صواب . . .

— ولكن المسيو ساسانوف لا يفاوضني بل هو يطلب مني ان اثور على حكومة لاستانة

— وحسناً تفعل يا صاحب الدولة . فان حكومة الاستانة تمشي الى الهلاك . فلن تتنفس بعد اليوم . ان الاتحاديين — وان تكن منهم — قد طعنوها في الصميم !

فهز جمال باشا برأسه كمن يخاف ان يوافق على كلمات الفتاة اليهودية وبوده ان يقول لها . « انك لعلى صواب ! . . . » وتابعت الفتاة فقالت . ليس في ما تطلب حكومة روسيا منك خيانة على الاطلاق . فان تركيا ستبقى كما هي فلا يمسها احد باذى ، وكل ما ترجوه حكومة بطرسبورج منك ان تتدخل بكل قواك فتحول دون سقوط بلادك في هوة الحرب السحيقة من حيث لا تنهض اذا تدحرجت الى الاعماق

- وماذا استطيع ان افعل وحدي

- انك تستطيع كل شيء ؛ فلديك الجيش والمال ؛ ولديك القوة والعزم . وقد تسألني واي مكافأة تكافئك بها حكومة روسيا ، فاعلم ان حكومة القياصرة رهن يديك ، فاطلب منها ما تشاء ، فاذا راقك ان تكون سيد الدولة العثمانية كنت لها سيداً ؛ وليس لك الا ان تعلن الثورة على الاتحاديين لتنضم اليك من القفقاس مئات الالوف من الجند الروسي ؛ ويتدافع اسطول البحر الاسود الى الشواطىء التركية ينتظر اشارة واحدة منك ليرفع لواءك عالياً وينادي بك ملكاً على تركيا او سلطاناً او امبراطوراً او ديكتاتوراً ، فاختر لك من هذه الالقاب ما يحلو ! ...

قال . اخشى ان تكوني اعظم دهاء مني !

قالت . ليس في الامر دهاء ، ان ما ارويه لك لا يقبل الدحض ، فالوزير « ساسانوف » اكد لي انه يساعدك على بلوغ ما تريد اذا استطعت الوقوف بالدولة العثمانية عن متابعة الحرب . وفي متابعة الحرب كما تعلم ويل الكم عظيم

فعاد جمال باشا الى تلاوة الاوراق . فاخذ يتحقق امضاء وزير الخارجية في روسيا وخاتم الوزارة ، اهنالك تزوير ام مفاوضات لا مسحة من التضليل والتدجيل عليها

ونظر الى الفتاة اليهودية وقال . يسألني المسيو ساسانوف في رسالته لي ان ابدي له شروطي للانتقاض على الاتحاديين والسير ببلادي في طريق جديد لا اعادي فيه الحلفاء ولا اقاتلهم

قالت . هو ما تقول

قال . واذا ابديت هذه الشروط فمن يحملها له

- انا ! ...

-- ولكني في حاجة اليك ، ان حبي لك ازداد الان عما كان عليه بالامس ، ولقد بت اشتهيك في كل ثانية ولحظة !

فكادت الفتاة اليهودية تستلقي على ظهرها من شدة الضحك وقالت . ان تجد سواي لهذه المهمة . وكل من تعهد اليه بالوصول الى بطرسبورج ليحمل جوابك لحكومة القيصر نقولا الثاني ان يؤدي الرسالة حقها . ثم هل تعتقد ان روسيا تطلق للناس الحبل على الغارب فلا تمانعهم اذا توغلوا في ارضها ؟ .. اني اولا ما بذلته من الدهاء يا صاحب الدولة لكانت هذه الرسائل وقعت حتماً في ايدي خصومك وانت تعلم ان عددهم لا يحصى ،

ولكني بذلت من الدهاء ما يعجز عنه آفة هذا الفن الى ان تسنى لي بلوغ دمشق . ولا اخفي عنك اني احمل جوازين احدهما من حكومة روسيا والاخر من حكومة الاستانة فاستطعت بهما ان اجتاز البلدين لا يعارضني احد على الاطلاق

— وحبي لك يا لطيفه هانم ماذا نفعل بهاذا عدت الى موسكو؟ . . .

— المجال رحيب لبث الاشواق يا باشا ، على اني سابقى لديك اسبوعين تتمتع بي في اثنائهما ما شاء لك الاستمتاع ثم ابرحك وجوابك معي لحكومة القيصر

وطاب له ان يرفعها على ركبتيه وان يمعن في تقبيلها ، فهوت عليه والصقت شفتيها بشفتيه ؛ ولما جاء الحاجب يقرع الباب صاح به جمال باشا :

— لا تدخل . قل لمن يريد ان يقابلني اني كثير الاشغال في هذا النهار ! . . .

— ٥ —

غاص جمال باشا في اللذة حتى منتهاها

ففاضت عليه لطيفه هانم من حبها وعواطفها ما زاد في شوقه اليها اضعاف الاضعاف وكان اذا جلس يتحدث اليها عن كتاب وزير الخارجية في حكومة قيصر روسيا يقول : هل تبر روسيا بوعدها اذا قلبت الحالة في تركيا رأساً على عقب فتساعدني على الاتحاديين وتأخذ بيدي؟

فتجيبه لطيفه هانم : ان روسيا لا تترك وعدها بلا وفاء ، فليس لك الا ان تبدي شروطك وتعلن رضاك عما يطلبونه منك حتى تسرع القوات الروسية لنجدتك من الشرق والشمال !

— وهل يحسن بي ان اخون رفاقي في الجهاد يا لطيفه ؛ فماذا يقول عني غداً انور وطلعت متى جاءهما اني اعلنت العصيان وحشدت الجيوش لمقاتلة ابناء قومي ووطني

فضحكت وقالت . اسمح لي بان اضحك طويلا من مخاوفك يا صاحب الدولة ، فلا ادري كيف تحسب لصداقة انور وطلعت حساباً وهما لو استطاعا ان يلتهماك لفعلا في اقل من لحظة . وهل تعتقد انهما اوفداك الى بلاد الشام تقديراً لمقامك العالي

فشعر جمال بانه صحا من سبات عميق لدى سماعه كلمات الفتاة وقال لها . وهل تعلمين يا لطيفه لماذا شاءوا ان اكون في هذه الديار؟

قالت . لا اعتقد ان القصد من ابعادك الى هنا يخفى عليك !

فصاح : والله اني اجهل مقصدهم من ايفادي الى الشام فهل تعرفين انت شيئا من

هذا ؟ ...

فقالت : اتريد ان تسمع الحقيقة بعينها ام يطيب لك الكذب والتضليل

قال : بل اريد الحقيقة ، صارحيني بها ولو كان في الامر ما يجرح عاطفتي وكبريائي !

فتنحنحت لطيفه هانم كمن يستعد للكلام الطويل وقالت : اطال الله عمر صاحب الدولة ، انهم ابعدوك من الاستانة خوفاً عليهم منك ، فقد رأوا فيك من المزايا النادرة المثيل ما اقلقهم ، فدب في افئدتهم الرعب وقالوا : «هذا مزاحم عنيد ! ... » وتشاوروا في امرك وقرّ رأيهم على ابعادك عن الاستانة كي يخلو لهم الجو ، وقد خلا

— أهذا من مخترعاتك يا لطيفه ؟

— قسماً بالله ، ليكن مولاي على ثقة باني اروي له ما سمعته من افواه كبار السياسيين . فالكل يقولون انهم ابعدوك عن الاستانة كي لا تكون على اعمالهم واباطيلهم حسيباً ولا رقيباً

— ومن يخافني ؟ ... ايخافني انور وطلعت ؟ ...

— كلهم يخافونك وانور في مقدمتهم . ولقد نظموا خطة المؤامرة عليك في سرهم وبلغ من دهائهم ان حيلتهم جازت عليك فبت تعتقد انهم يبغون الاستفادة من مواهبك لخدمة وطنك !

فاخذت الحقائق تجاو شيئاً فشيئاً لجمال باشا ، وبدأ يرى في انور وطلعت عدوين لدودين يحاولان الغدر به ليتصرفا بشؤون تركيا كما يريدان ، فلا يقوم هنالك من يناقشهما الحساب ولا من يردعهما عن التمادي في الآثام والموبقات

وكان يروح ويجيء في عرض ديوانه وهو كثير التفكير ، ثم وقف فجأة ونظر الى لطيفه هانم قائلا : اني اعاهد حكومة القيصر نقولا الثاني على الثورة وهدم الاتحاديين فهل في وسعك ان تنقلي اليها عهدي ؟

قالت : اكتب لها هذا العهد ، واطلعها على شروطك ، فهي في اشد الحاجة الى معرفة هذه الشروط !

فقال لها : صدقت

وجلس الى منضدته ورأسه بين يديه ، فكان يفكر في تلك الساعة بما عساه ان يضع من شروط لا يكون فيها مغبوناً ولا يكون نصيبها الرفض من حكومة روسيا ، واخيراً التفت الى لطيفه هانم وقال لها :

—هذه الشروط اتركيها لي الى صباح الغد ، فسافكر بها في هذا الليل ؛ والليل كثير الالهام !

وكان مضطرباً كثيرالقلق، فان ما افضت به اليه الفتـاة اليهودية اثار اهتمامه فاخذ يقول : انها لمصيبة ؛ فان انور وطلعت في ايفادهما اياي الى بلاد الشام رغبا في ابعـادي عنهما لتنطلق يديهما في شؤون البلاد العثمانية وليأمنا شري وهما دوني مقدرة ودهاء . ولكن لماذا اخضع لاحكامهما ولي الجيش يطيعني وروسيا تساعدني والبلاد العربية تعضدني في محاربة رجال الاستانةوتحطيم العرش العثماني ؟

وتمثل انور وطلعت يحتكران كل سلطة ولا يحفلان به ، فاضطرم الغيظ فيصدره وصاح : سيعرفان غداً من منا اقوى ! . . .

وعكف على ورقة يملأها بشروطه على روسيـا ؛ فكتب صفحة وصفحتين بل ثلاث صفحات وهو لا يقف ثانية من الثواني . وقرأ بامعـان ما كتبه فهذبه ثم اعاد نظره فيه،ثم نقله على ورقة ثانية وثالثة، وتعب من كثرة ما كتب فقـال : ساعود في الصباح الى عملي ! . . .

وعند الصباح سبك شروطه في القالب الذي اراد وطواها في غلاف ختمه بالشمع الاحمر ونادى الفتاة اليهودية وقال لها :

— هذا جوابي لحكومة روسيا فاحمليه غداً الى الوزير ساسانوف ! . . .

فافتر ثغرها لشدة طربها ، وارسلت الى الباشا لحاظها الفـاتكات وهي تقول : ألا تشتاق قبلة مني قبل رحيلي ؟

فوثب اليها كالنمر الدامي البراثن وشدها اليه وصاح : بل انا في شوق الى اكثر من قبلة ؛ فلقد سلبت عقلي وديني ايتها الظـالمة الكثيرة الجفاء ؛ فما كدت تجودين بالوصل حتى بادرت الى الهجران ! . . .

— ٦ —

ماذا احتوت رسالة جمال باشا الى وزير خارجية روسيا ؟ . .

ان جمالاً وافق بلا ريب على مطلب الوزير الروسي . فاقواله ومظهره ونقمته على طلعت وانور دلت باجلى بيان على ان الرجل يريد الخلاص من نير حكومة الاستـانة فيشيد لنفسه مملكة واسعة الاطراف يبقي فيها على ابنـاء قومه واخوانه و يقلب الاتحاديين عن منصات الحكم ويتربع في عرش الملك ويكون صاحب الامر المطلق

لا مزاحم له ولا شريك

ولقد اوضح شروطه للمسيو ساسانوف في قالب دل على ميله الشديد للسيادة والسلطة فقال في رسالته للوزير الروسي :

« تطلبون مني ان اصون بلادي عن التلاشي والفناء ؛ واني لفاعل . ولكنكم تعلمون ان الطريق وعر المسالك ، فلا بد معه من ثورة تسقط رجال الحكم وتحدث في تركيا انقلاباً عظيماً من الرأس حتى القدم . ومثل هذه الثورة اذا لم تدعمها دولة اجنبية ، بل دول الحلفاء بكاملها ، فلا امل بتحقيقها

« واني اعاهدكم على القيام بهذه الثورة على ان تضمنوا لي مطالبي . فيعاهدني الحلفاء على استقلال البلاد التركية في الاناضول وسوريا وفلسطين والعراق وارمينيا وكيليكيا وكردستان . ويعترفون بي سلطاناً عليها وينتقل العرش الى اولادي وحفدتي من بعدي . وانا اكفل للحلفاء اسقاط محمد رشاد سلطان تركيا وخلع الحكومة الاتحادية والتخلي عن المضايق والاستانة وانقاذ الارمن من الاضطهاد واتباع السياسة التي يسير الحلفاء عليها .

« ولا بد ايضاً لتحقيق هذا الانقلاب من ان يزودني الحلفاء بالذخائر والاسلحة والمدافع والنجدات »

تلك الكلمات خطها جمال باشا ووقعها بامضائه وسلمها للطيفه هانم كي تحملها الى ساسانوف وزير القيصر نقولا الثاني ؛ وبات يرقب جوابه بين حين وآخر ؛ وكان يقول في سره : سيرى انور وطلعت اني ادهى منهما وان كيدتهما علي لن تنجح حتى آخرها ، فلقد حسبتهما يبادلاني الاخلاص ، فاذا هما كالافاعي نافثات السم ! . . .

وبدى جفاءه لرجال الاستانة ؛ وكان يقابل اوامرهم بالاستياء وعدم الاكتراث ، وكثيراً ما طوى تلك الاوامر في جيبه لا يحفل بها ، فكان يعمل بمشيئته ويقضي ويمضي ولا يستشير حكومة الاستانة في شيء . . وكتبوا اليه يقولون له : بالك تتأخر في هجومك على ممر السويس ؟ . . .

فاجاب : اني هنا ادرس وارى بينما انتم بعيدون فلا تدرسون ولا تنظرون !

وكأن به اراد ان يقول : الامر لي وحدي ؛ فاذا شئت الزحف على مصر زحفت عليها عندما يلذ لي فلا تتدخلوا في شؤوني ! . . . .

ووصل جوابه الى انور فجحظت عيناه من شدة الغضب ، ودخل على طلعت صاخباً

هائجاً ورمى كتاب جمال باشا على منضدة وزير المالية وهو يعربد ويصيح :

– انظر يا طلعت باشا كيف يكتب الينا جمال . لقد حسب نفسه السيد الناهي فهو لا يطيق ان نسأله عن حركات الجيش ، فهل رأيت رعونة اعظم من تلك ؟ . . .

ووقف طلعت على رسالة جمال باشا فساءته منها لهجتها والتفت الى انور يقول له : يجب ان نحاسب جمالاً حساباً دقيقاً عن اعماله ، وارى ان تقوم برحلة الى سوريا تدرس فيها الموقف فاذا بدا لك ان جمالاً خاننا او اصبح خطراً علينا فليس لك الا ان تقبض عليه وتقوده الى السجون مكبلاً بالحديد

– واذا عاند وابى الطاعة فماذا يكون ؟ . . .

– انه لا يقوى على العصيان وانت في عالم الوجود . فالجيش لا يطيعه اذا دعاه للانتفاض عليك . ويكفي ان تطل على هذا الجيش فيما لو ثار وانتفض لتسكن روعه وتخمد غليانه ؛ فالجند يهيم بك ويرى فيك معبوده الاوحد !

فاسكرت هذه الكلمات انور باشا وقال : ومتى اقوم برحلتي الى سوريا ؟

فاجاب طلعت : خير البر عاجله ؛ فان استطعت القيام بها اليوم فذلك أفضل من ان تقوم بها غداً ! . . .

فاكبر انور باشا هذا الرأي ؛ وبعد ايام ثلاثة كان يركب سيارته متنكراً ووجهته البلاد السورية

– ٧ –

اجتازت لطيفه هانم الحدود التركية وبلغت جبال القفقاس . وكانوا هنالك في انتظارها . فالحكومة الروسية خصصت بالفتاة شرذمة من الجند تقوم على حراستها وتسهر عليها . ولما ابصروها تعود جاءوها بسيارة نقش عليها شعار القياصرة وطاروا بها الى بطرسبرج

والمسافة طويلة جداً بين القفقاس وبطرسبرج . على ان لطيفه هانم قطعتها في بضعة ايام ، وكان الوزير سازانوف يرقب مجيئها بفارغ صبر ؛ ولما اخبروه انها وصلت اسرع فوراً اليها وهو يقول : ما وراءك ، هل نجحت في مسعاك ؟ . . .

ولقد اطمأن شديد الاطمئنان لما ابصرها تحييه بابتسامة الارتياح . وتأبطت ذراعه ودخلت واياه الديوان الوزاري . وهناك قال لها : ماذا جرى ؟

قالت : هذا هو جواب الباشا !

فمزق ساسانوف غلاف الكتاب بسرعة فائقة ، ولما قرأ ما خطته انامل جمال باشا سري عنه وقال للفتاة : عافاك الله ، فلقد عرفت كيف تتلاعبين بلبه وتحملينه على قبول مطلبنا منه !

وقام فوراً الى اللاسلكي وخاطب سفراء روسيا في لندن وباريس وروما واطلعهم على جواب جمال باشا ٠ وطلب منهم ان ينقلوا خبر هذا الجواب الى دول الحلفاء . ومما قاله : ان جمالاً اذا لم يفلح في هدم حكومة الاستانة فانه يوقد على الاقل نار الثورة في تركيا ويفيدنا فائدة كبرى !

فكان جواب المسيو بريان رئيس وزارة فرنسا انه يرضى كل الرضى بمفاوضة جمال باشا على اساس الشروط التي ابداها على ان تضم سوريا وفلسطين وكيلكيا الى فرنسا لدى انتهاء الحرب الكبرى

واجابت الحكومة الايطالية انها لا تمانع مطلقاً في مفاوضة جمال باشا على اساس الشروط التي ابداها

وقال السير « ادوار غراي » رئيس وزارة انكلترا انه ممن يرتاحون الى اضرام نار الثورة في تركيا على ان تبقى البصرة في يد الجيش الانكليزي وعلى ان يؤيد جمال باشا فكرة انشاء دولة عربية في الاماكن الاسلامية المقدسة

فاجتمعت كل هذه الاجوبة لدى المسيو ساسانوف وزير خارجية روسيا ، فامعن في درسها ؛ وايقن من نتيجة هذا الدرس ان فرنسا وانكلترا بالغتا في مطالبهما ؛ فقام يعدل في تلك المطالب بما يرضي جمال باشا ويدعوه الى اعلان الثورة

ونادى الفتاة اليهودية قائلا لها : هل انت على استعداد للعودة الى جمال باشا ؟

قالت : بلا ريب

قال : احملي اليه هذه الرسالة واجتهدي في اقناعه بالانتفاض على حكومة الاستانة

فقالت : سافعل ، ولكن هل اجبتموه الى مطالبه بكاملها ؟

قال : اننا اجبناه الى معظمها ، وعليك ان تفهميه انه سيعود من الغنيمة بحصة الاسد !

ودعا لها الوزير بالتوفيق ، فودعت وهي تقول : لي ثقة كبيرة بجمال باشا ٠ فهو لا يخيب رجائي في كل ما اطلبه منه ٠ فكونوا على اطمئنان بانه سيثور على الاتحاديين ويخلق لحكومة الاستانة المشاكل والمعضلات !

ووثبت الى السيارة ؛ وراحت تطوي الى دمشق السهول والجبال ، فقد شاقتها مهمتها

السياسية واخذت تعتقد انها ستحدث في هذا الشرق الجامد الهاجع انقلاباً خطيراً ! ..

– ٧ –

ما درى جمال باشا بان انور قادم في رحلة الى سوريا يتفقد في خلالها شؤون الجيش حتى طار لبه ونبا به مضجعه

فقال : وماذا جاء يفعل انور في البلاد السورية . أليس لديه في القفقاس والدردنيل وشواطىء الاناضول ما هو اعظم واهم ؟ ...

وخاف ان تكون رسالته لوزير الخارجية في حكومة روسيا قد وقعت في يد انور وطلعت . فاظلمت الدنيا في عينيه وملكه الخوف والرعب وخاطب نفسه بنفسه قائلا : اني قضيت على حياتي بيدي !

وفكر بما عساه ان يقدم عليه اذا فضحوا مكيدتهُ ، فقال : ليس لي غير هذا المسدس اقتل به نفسي !

وضرب يده على مسدسه يسأله ايطيعه في الملم العصيب ام يخونه . وبعد تفكير طويل صمم النية على مقابلة انور باشا مهما كلف الامر . فقال : اذا شعروا بالمكيدة فني وسعي انكارها ، واذا اصروا على اتهامي بها كان بيني وبينهم حساب ؛ فاما انا او هم ! ...

ولما حملوا اليه خبر وصول انور اسرع اليه بجرأة واقدام . وصافحه بقوة من لا يرهب ولا يخشى . ورحب به بشوق وابتسام . وارسل نظراته الى وجه انور الصافي الجميل فلم يلمح فيه ما يدل على ان هناك ما يتوهم . اجل ، ان مظهر انور باشا لم يكن ليبعث الاطمئنان في نفس جمال ؛ ولكن انور لو شعر بالمكيدة لرفض ان يمد يده الى جمال يصافحه ، فماذا ترى وراء الاكمة ؟ ...

لقد لعبت الظنون بدماغ جمال باشا وكان يقول : «ان لمجيء انور صبغة غير الصبغة العسكرية المحض ؛ فاي لون هو لونها ؟ ... » ذلك مما عجز جمال عن ادراكه ، واخيراً قال : اني على استعداد للطوارىء ، فاذا عرضت لي قابلتها بعزم اليائس المستميت !

ونفض عنه الخوف والاضطراب . ومشى الى قرب انور يحادثه بكل بشاشة وايناس . وكان الناظر اليهما يشعر بانهما يخشيان بعضهما بعضاً . فكل منهما يحذر الآخر ويرمقه بنظرة الريب وسوء الظن . وبينا هما يستعدان لركوب سيارتهما اذا بضابط كبير من ضباط الجيش يركض اليهما . ولما اقترب من السيارة حيا التحية العسكرية

وقال يخاطب انور : انا قبضنا يا صاحب الدولة على جاسوسة اجنبية

فقطب انور باشا حاجبيه وصاح مستفهما : جاسوسة اجنبية ؟ ...

— نعم يا صاحب الدولة . ولقد قبضنا عليها متنكرة بالملاءة والحجاب !

فارتجف جمال باشا وعقد لسانه الا انه اجتهد في التغلب على نفسه ووضع يده على مسدسه يستعد لاطلاق النار لدى اول حركة تفضح مكيدته . فايقن بان المرأة المقبوض عليها هي لطيفه هانم وقد جاءت تحمل اليه كتاب وزير روسيا . وقال انور للضابط : واين هي هذه المرأة ؟ واين قبضتم عليها ؟..

فاجاب : قبضنا عليها في حلب وهي تغادر الفندق ووجدنا في حقيبتها جوازين احدهما من الحكومة الروسية والاخر من حكومة الاستانة .

فلم يبق من ريب لدى جمال بان المرأة هي لطيفه هانم بعينهـا ، فقال للضابط : وهل وجدتم معها ما يدل على كونها جاسوسة غير هذين الجوازين ؟

— لا

— اني اريد ان اراها ! ...

ووثب جمال من السيارة الى الارض وامسك بيد الضابط وقال : تعال ارشدني اليها والتفت الى انور يقول له : ساعود اليك بالنتيجة ! ...

فلم يشأ ان يصحبه انور الى مشاهدة الجاسوسة بل طار وحده اليها ولما ابصرها ثبت لديه انها هي هي ؛ فقال للضابط : دعني اتحدث اليها وحدي ! ...

واقترب منها فقال : لطيفه هانم لقد جنيت علينا معاً ! ...

وكانت تبكي فتظاهر جمال بالغضب وصاح بها : اين الجوازان اللذان تحمليهما ؟.

وهمس في اذنها قوله : هل استولوا على كتاب المسيو ساسانوف ؟ ...

فقالت : لا ؛ اني اخفيته في طيات ملاءتي فاليك به !

وناولته اياه ، فاخفاه في جيبه ؛ ونادى الضابط فقال له : خذ هذه الفتاة الى السجن ، سارها في هذا المساء !

وعاد الى السيارة لا يلتفت الى الفتاة ولا يتلفظ امامها بكلمة تشجيع وامل . وفي السيارة كان انور ينتظره ، فقال له : انها لجاسوسة حقاً ، فقد امرت بسجنهـا ، وغداً ستمثل امام المجلس الحربي ، ونصيبها — نصيب كل جاسوس — الموت الزؤام ! ...

ولما عاد الى مقره وخلا به المكان دقيقة من الزمن اخرج الرسالة من جيبه واحرقها

وهو يخشى ان يقرأ مافيها وان تقع عيناه على حرف واحد منها· فقد هاله ان يعرف جواب الوزير الروسي اليه ؟ ولما اضحت الرسالة رمـاداً في رماد شعر بان عبئا ثقيلا تدحرج عن ظهره وبانه اضحى في امان وسلام

وطلب ان يدخل على لطيفة هانم في سجنها · فلما ابصرته قالت في نفسها : لقد نجوت !

اماهو فاقترب منها وقال : لطيفه هانم ، لا اعتقد انك تنكرين حبي لك· وباسم هذا الحب قد جئت اطلب منك تضحية كبرى تحفظين بها حياتي

قالت : اني ساقوم بهذه التضحية ولو كان فيها موتي !

فقال : اريد منك ان تكتمي خبر الرسائل المتبادلة بيني وبين الوزير الروسي

فقالت : ساكتم خبرها كل الكتمان !

— واريد منك ان لا تبوحي بعلاقتي بك ولو هددوك بالموت

— كن على اطمئنان ، ان الموت لا يخيفني ، فيكفيني أن اموت فداك · بيد اني قبل ان الفظ الروح اريد منك ان تضمني الى صدرك وتعانقني عناق الوداع !

فخاف ان يفعل · وشعرت الفتاة بتردده فسال دمعها وقالت : آه منك يا جبان !

ففر من امامها كالنذل ، واقفل وراءه باب سجنها لا يلقي نظرة واحدة عليها ، فقد خاف ان يبصروه وهو يعانقها فتقع عليه التهمة بان الجاسوسة على اتفاق واياه · ولقد تألمت لطيفه هانم شديداً من هذا المظهر السافل الذي بدا فيه جمال باشا ، غير انها مع كل لؤمه وخساسته ابت ان تذكر اسمه امام المجلس الحربي، فقالت انها جاسوسة لمصلحة روسيا ، وكتمت كل ما جرى بينها وبين جمال فلم تتلفظ بحرف عن المكيـدة ، تلك المكيدة التي ماتت وهي في المهد وانطفأ خبرها قبل ان تبصر النور

ولما عصبوا عيني الفتاة ووقفت شرذمة الجند وبايديها البنادق المحشوة بالرصاص، قالت لطيفه هانم : اني اموت في سبيل حبي وبلادي ! .

ولم تلعن ذلك الاثيم ، ولم تفضح مكيدته ، وكان عزاؤها الاوحد وهي تلفظ الروح انها تموت في سبيل الحب ، والحب ارفع من ان يدنس بوشاية تؤذي الحبيب ، وان يكن هذا الحبيب خائناً سافلا ذليلا جباناً ! ...

﴿ تمت ﴾

العدد الخامس والستون | السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في هذا العدد اربع روايات تامة

الرواية الاولى

## القطار الضائع

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٦ نيسان سنة ١٩٢٩

# راهبة بيروت

– بقلم السيدة لبيبه هاشم –

حدث ان شاباً يدعى جبرائيل قدم الى بيروت من مدينة حلب الشهباء واكترى لنفسه غرفة مفروشة في جهة يقال لها ميناء الحصن ، وهو مكان تكتنفه السهول والغياض الزاهرة والمناظر الطبيعية الانيقة ، ويزيده تكسر امواج البحر المتوسط على شواطئه رونقاً وجمالاً ، فتجلو زرقته عن الصدر الهموم وينفي صوت عجيجه عن القلب الشجون

وكان الفتى ربعة القوام ، عريض الجبهة ؛ حاد البصر ، اسود الشعر والعينين ،تدل ملامحه على الذكاء وتوقد الذهن.

اما سبب قدومه الى بيروت فانه كان قد اصدر جريدة سياسية يخدم بها وطنه فلم يشعر يوماً الا وقد صدر اليه الامر بتوقيفها الى اجل غير مسمى لانه تطرف في بعض مباحثها السياسية الى ما لا يوافق مصلحة الحكومة ، وبذلك اقفل امامه باب الرزق واصبح في ضيق شديد ، فترك وطنه وذهب هائماً على وجهه يبحث عن وسيلة يجدد بها بناء ما هدم من مستقبله حتى وصل الى بيروت فاستوقفه فيها ما عاينه من جودة الموقع وحسن الاقليم ، عدا انه وجد سوق الاداب والعلوم رائجة فيها لتقدم اهلها في المعارف والحضارة ، فصمم على الاقامة فيها ومزاولة صناعة الانشاء والتدريس

ولما كان اليوم الاول من دخوله الغرفة الجديدة ، جلس على متكأ قرب النافذة واخذ يجيل نظره في الاماكن المجاورة ، فرأى امامه سهلا فسيح الجوانب قد كسته يد الربيع حللاً مختلفة الاشكال متعددة الالوان ؛ يمر عليها النسيم فتتماوج تيهاً ودلالاً ويسمع له حفيف اشبه بمناغاة او تغريد الاطيار يمازجه صوت امواج البحر المتلاطمة بالقرب منه وهي متتابعة الهجوم يخالها الرائي قريبة الوصول اليه ولكنها لا تلبث ان تعود القهقرى وقد تمزق شملها

وبينما كان جبرائيل يرسل نظره في تلك الجهات رأى على مسافة قريبة قصراً يفوق المنازل المجاورة في حسن البناء وزخرفة النقش تكتنفه حديقة حافلة بالاشجار ،مزدانة بالازهار ، يتخللها طرق وارصفة منقوشة بالحصى الملونة ؛ وفي احدى نوافذ ذلك القصر

جلست فتاة تتعاطى بعض الأعمال اليدوية وقد ظهر قسم من وجهها الوردي البديع يتدلى حوله شعرها كاسلاك من الذهب

فلبث الشاب محدقاً اليها ببصره ، متلذذاً بهذا المشهد اللطيف الى ان كانت منها التفاتة فصادفت عيناها عيني جارها الحديث اذ كان لم يزل متفرساً فيها ٠وقد ادهشه ما رأى من جمال طلعتها فاضطربت الفتاة لدى مشاهدته على تلك الحال واسرعت ففرت من امامه كالظبي النافر وقد صبغتها حمرة الخجل

ومن تلك الساعة بدأ جبرائيل يشعر بجاذب يجذبه الى الجلوس بقرب النافذة ليتمتع بمرأى جارته التي لم تكن اقل منه شغفاً بذلك

ولم يمض اسبوع على وجود الشاب في المدينة حتى توفرت له الاشغال بما يكفل حسن حاضره ؛ فتولى الانشاء في احدى الجرائد وكثر لديه طالبو العلم ، فكان يعطي دروساً متفرقة في ساعات معينة فحسنت حاله وتوفرت موارد ربحه

— ٢ —

وردت في احد الايام على الشاب رقعة من احد الموسرين — واسمه نعمان بك — يدعوه لاعطاء دروس في منزله

فلبى جبرائيل الطلب وسار الى المنزل يتقدمه خادم الرجل المثري حتى انتهى به الى باب القصر المجاور له ، وهناك وقف الخادم وقال لجبرائيل : تفضل،ادخل ياسيدي

فلبث الشاب في مكانه جامداً كالتمثال مفكراً فيما عساه ان يكون من هذه الدعوة . فتارة يخيل له انها حيلة عمدت اليها حبيبته لاستقدامه ، ثم يغالط نفسه لان الدعوة كانت من ابيها،وطوراً يظن انه ربما باحت الى ابيها بامر حبها وكاشفته بعواطفها فتذهب به الامال الى ذروة الهناء ويحسب ان السعادة تدنو منه وانه سيحصل على تلك الدرة الثمينة فيهنىء نفسه بهذا الفوز السريع

واخيراً دخل بصحبة الخادم الى غرفة الاستقبال وكانت مزينة باحسن الرياش ، وقد جلس في صدرها رجل يبلغ الخمسين من العمر هو نعمان بك صاحب الدار. فاستقبل نعمان بك زائره بابتسام ، وبعد ان استقر بهما المقام قال نعمان بك انه يروم تعليم ابنته مبادىء اللغة الفرنساوية . فما كان من جبرائيل الا ان اجاب مخاطبه الى ذلك مسروراً

ومضت تلك الليلة وجبرائيل يحلم الاحلام الجميلة منتظراً بقلب ملتهب دنو الساعة الاولى التي يمكنه فيها التمتع بلقاء فاتنته التي ستمسي تلميذة له ، وكان يرى الدقائق اطول من الساعات والايام ؛ وما حان الوقت حتى هرول الى منزل نعمان بك فقادوه الى غرفة

التدريس في الطبقة السفلى

وكان جبرائيل ينتظر ان يبصر هناك حبيبته، وما كان اشد خيبته لما بدت لعينيه فتاة صغيرة تبلغ الثالثة عشرة من العمر والى جانبها حاضنتها ، فادرك فوراً ان الفتاةهي شقيقة التي يهوى ؛ وشرع في تعليمها وفكره شارد في عالم آخر ، ونظره متجه ابداً نحو الباب ينتظر من وقت الى آخر دخول مالكة فؤاده اذ لم يكن عنده ريب في انها ستحضر متى علمت بوجوده

ولكن مضى الوقت وحان موعد الانصراف وهي لم تحضر . فنهض كاسف البال وخرج . وقد كادت تفنى منه الآمال لو لم يلتمس لها فؤاده بعض الاعذار ؛ فعلل نفسه برؤيتها في اليوم التالي ، ولكنه كان كالقابض على الريح اذ مضى عليه اليوم الثاني والثالث ، وانقضى الاسبوع الرابع دون ان تمن عليه بزورة او ترحم فؤاده بنظرة

واخيراً عيل صبره وعلم انه في واد وهي في واد ، وان لا دخل لها في دعوته ؛ بل ان الاتفاق اوقع اختيار الاب عليه لتعليم ابنته الصغرى ، ومن ذلك الحين تراكمت عليه الاحزان واشتد به اليأس

وكان يبصر الفتاة في نافذتها كل صباح ولا تظهر له على محياها الجميل اشارة تفيد مشاركته في الوجد والقلق مما زاده ألماً ويأساً ، فكان لا يجرؤ على مخاطبتها من غرفته مخافة ان تشكوه الى ابيها فيطرده الاب من منزله طرداً قطعياً ؛ ولا يدري لامتناعها عن زيارته وهو يلقي الدروس على اختها سبباً من الاسباب

فلم يبق من ريب لديه انها عديمة الاكتراث له ؛ ووجد لها في عدم اكتراثها عذراً وبين منزلتيهما من حيث الرفعة والغنى تباين عظيم

فرأى ان الابتعاد عن ذلك المكان خير وسيلة للسلو واكبر مساعد على النسيان وكتب الى نعمان بك يخبره بعدم استطاعته الاستمرار على تعليم ابنته ويسأله الاعفاء

فاجابه ذاك الى طلبه بعد ان ضرب له موعداً يوافيه به الى منزله لاجراء ما بينهما من حساب

— ٣ —

وهكذا حضر جبرائيل في الوقت المعين لاستيفاء الاجرة ووداع ذلك المنزل المحبوب الى الابد

ولكنه لم تطأ قدماه الباب الخارجي حتى وقف مبهوتاً اذ رأى شخص حبيبته

يتمايل بين الاشجار وعليه ثوب حريري تحاكي الوانه ازهار الربيع . فلم يشعر جبرائيل الا وقد اصبح امامها كأن يداً قوية دفعته الى ذلك المكان ، ثم وقف بغتة ولم يدر كيف يفاتحها الحديث

اما هي فحين ابصرته توقفت فجأة كمن مسه سلك كهربائي ،وما لبثت ان اسرعت نحوه باسمة توشك شدة الفرح ان تنم بخفايا ضمائرها

فبادرها بالسلام بينما كانت ترحب به ثم دعته الى الجلوس على مقعد هناك ، وبعد سكوت دام بضع دقائق قالت له وقد توردت وجنتاهـا : اني اهنىء نفسي بقدومك يا سيدي ، ولا ريب في ان ابي سيسر كثيراً بزيارتك هذه التي اؤمل ان تكون فاتحة الزيارات بيننا !

فاجابها : اني اشكر كرم اخلاقك ايتها الآنسة واخبرك مع الاسف ان زيارتي هي خاتمة الزيارات بيننا !

فاجابته مكتئبة : وكيف ذلك ؟...

قال : لقد سبقت فطلبت الى والدك ان يعفيني من تعليم اختك، وهـا انذا اتيت للمرة الاخيرة تلبية لدعوته و...

فقاطعته قائلة : وهل انت هو الاستـاذ الذي وكل اليه ابي تعليم شقيقتي كل هذه المدة ؟

قال : نعم ، ولم يسعدني الطالع بمشاهدتك يوماً مع طول تعللي بهذا الامل !

قالت : يا للاسف ، فاني علمت ان استاذاً يحضر في كل يوم لتدريس شقيقتي ، غير انه لم يخطر لي ان اتبينه مرة ولا عرفت من امره سوى ان اسمه جبرائيل كما كانت تقول شقيقتي ؛ وانت تعلم ان ابي يمنع عنا رؤية الرجال الغرباء الذين يدخلون منزلنا ؛ فمن اين لي بعد هذا ان اراك ؟

فاجابها وقد اغرورقت عيناه بالدموع : انا هو هذا الشقي البخت الذي يدعى جبرائيل ويلقي الدروس على شقيقتك . وقد جئت الان اطلب من والدك اعفائي من مهمة تدريس اختك لان يأسي من رؤيتك والاجتماع بك دفعني للابتعاد عن هذا المنزل المقدس حيث ابصرت علة شقائي

فاكدت له ان لا علم لها بشيء مما يذكره ، ودارت بينهما الاحاديث فبث كل منهما اشواقه الآخر وتعاهدا على الحب واقسم كلاهما يمين الاخلاص لهذا الحب، بان يجعل

كل منهما حياته وقفاً على الآخر ولا يميل الى سواه

وهنا قطع حديثهما وصول الاب وهو ينادي : ماري ، ماري !

واذ ابصر جبرائيل الي جانبها هش له ودعاه الى غرفة الاستقبال حيث خلا كل منهما بصاحبه ؛ ثم خرج جبرائيل كاسف البال حزيناً ؛ فان نعمان بك رفض قبوله صهراً لضيق ذات يده

واعيا جبرائيل وجود وسيلة تتوفر بهـا لديه الثروة في مدينة بيروت لقلة موارد الكسب فيها فاضطر ان يسافر الى الاسكندرية فالقاهرة

فودع حبيبته سراً وتبادلا التذكار بعد ان كررا الاقسام على حفظ العهود

ولم يمض القليل على هجرة الشاب الي مصر حتى وفق الى خدمـة في بعض دوائر الحكومة فكان يمني النفس بالترقي القريب

وكانت قد جهزت حملة لفتح السودان تحت قيادة « غردون باشا » فعين جبرائيل من جملة الذين يرافقون الحملة . فوجم اولاً واستاء غير انه ما لبث ان افتر ثغره ابتساماً للآمال التي تجلت له في هذه الرحلة

فسافر في جملة الجيش وكان يحضر معه مواقع القتال غير مبـال بما قد يصيبه من غوائل الحرب ؛ وهو انما يطمع في بلوغ منزلة عـالية تساعده على الاقتراب من حبيبته وارضاء ابيها

واظهر من الجرأة والاقدام ما حببه الى ولي امره وفتح له باب الرجاء في الترقي، غير ان الدهر لم يلبث ان قلب له ظهر المجن وبدد جيش آماله بوقوع الفرقة التي كان فيها في اسر قوم لا يعرفون للشفقة معنى ، فاستباحوا دمـاء البعض واسروا البعض الاخر ، وكان جبرائيل بين الاسرى فتمنى لو اتبعوه باخوانه القتلى تخلصاً من تلك الحياة الثقيلة والعذاب المستمر

ولبث في الاسر ثلاث عشرة سنة ذاق فيهـا من نكال الاسر ومرارة العيش ما لا يحيط به وصف ، فحدثته نفسه مراراً بالانتحار ثم كان يعـاوده الامل بالتخلص والوصول الى لقاء حبيبته التي لم يكن له تعزية غير التفكير بها والنظر الى رسم لطيف كانت قد اهدته اليه قبل رحيله فعلقه بين صدره وقميصه ضمن حرز من الفضة وجعل ينظر اليه من وقت الي آخر وينفس بالحسرات

وفي ذلك الحين بلغه خبر قدوم الجيوش المصرية والانكليزية لفتح السودان فلمع

امام عينيه بارق الامل وجعل يحاول الهرب من ايدي الاعداء، فتم له ذلك بعد عناء شديد وذهب فانضم الى الجيوش الفاتحة بعد ان اطلع القائد العام على حقيقة امره

وبينما كان ذات يوم مع صفوف المحاربين اصابته رصاصة من يد العدو فخر صريعاً، فاحتمله رجال فرقته الى المستشفى حيث وضعوه على فراش في احدى الغرف، وحضر الطبيب لتضميد جراحه فاعلن بعد الفحص ان لا امل بشفاء الجريح

— ٤ —

مرت على جبرائيل اربع وعشرون ساعة وهو يتقلب بين الاوجاع والآلام ورشده غائب، لا يعي مما حوله شيئاً

ثم عرضت له انتباهة، وهي الانتباهة الاخيرة، ففتح عينيه فلم ير عنده احداً سوى راهبة من جمعية الصليب الاحمر اللواتي خصصن انفسهن لخدمة المرضى

وكانت جاثية قرب سريره تنظر في الحرز الفضي الذي على صدره وتبكي بدموع حارة وتسأل للجريح الشفاء

وكان الجريح في حال غيبوبته يتلفظ من وقت الى اخر بكلمات متقطعة يتخللها اسم «ماري» احياناً

فلما فتح عينيه وقع نظره على الراهبة فتبسم شاكراً عنايتها ثم اطبق جفنيه وظهر على وجهه بعض التأثر وجمجم بكلمات وضح منها قوله : آه ما اشبهها بماري!

ثم تنهد وقال : ماري حبيبتي، ها انذا اموت فدى عينيك!

فاضطربت الراهبة وخانها الصبر فصاحت من اعماق قلبها : آه يا جبرائيل رفقاً بي!

فتنبه الجريح لدى استماع ذلك الصوت وحدق بها ملياً . واذ تحققت له معرفتها ورأى خاتمه في يدها ارتعش ارتعاشاً شديداً وبلغ منه التأثر اقصاه بحيث منعه خفقان قلبه عن الكلام، فاخذ يدي الراهبة المبللتين بالدموع وضمها الى صدره وصاح بصوته الضعيف المتقطع : ماري، ماري!

فقالت : جبرائيل، انا هي الفتاة التي احبتك واحببتها، فرفقاً بي وارحم قلبي

فاخذ يعيد نداءه : ماري، ماري!

وقبل يديها وساد سكوت عميق كانت في اثنائه تتساقط دموعها بغزارة فتمتزج فوق ايديهما المشتبكة بعرى الدقائق الاخيرة الباقية للشاب من الحياة

واخيراً اشار اليها ان تخبره شيئاً من امرها فقالت : اني بعد ان مضت علي عدة

سنوات ولم يأتني خبر منك ينست من لقائك فانقلبت الدنيا في عيني ولم اجد منها ما يحببها اليّ ففضلت عليها الحياة في هذا الثوب !

واشارت الى ثوبها الاسود الرهبـاني . فقال جبرائيل : شكراً لك ايها الملك الكريم !

وما كاد يتم هذه الالفاظ حتى تلاشت قوته ؛ وعلت جبينه صفرة الموت ؛ ورأت ماري ان ساعته قد دنت فاكبت عليه ترش وجهه بدموعها الحارة ؛ ففتح عينيه وقال : استودعك الله يا ماري ، لا تنسيني !

وفاضت روحه ، فصاحت الراهبة صيحة أغمي بعدها عليها ولم يطل بها الزمن حتى انتابها داء شديد فصعدت انفاسها بين اللوعة والتـأسف على حبيب مات ولسان حاله ينشد ويقول :

ولما دنا مني السياق تعطفت ... عليّ وعندي عن تعطفها شغلُ
اتت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

تمت

العدد الثامن والستون السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## خضر القهوجي

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة - تجاه الكبوشية - باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٢٨ نيسان سنة ١٩٢٩

# خضر القهوجي

ألا تراه ؟ ...

ألا تراه يمشي ويرفس الارض برجليه ، وينطح قبة السماء برأسه ، وتتمايل يداه كرقاص الساعة الى جنبيه ، ويحني طربوشه الى الامام اعتزازاً بنفسه ، ويزيد في عرض زناره ، ويفتل شاربيه ، وينظر الى من حوله نظرات المتنفخ المتغطرس ؟ ...

ألا تراه وقد ضاق زناره عن الخناجر والمسدسات وبيوت الرصاص ، فاذا اغضبته كشف لك عن قبضة مسدسه مهدداً ، وان انت احرجته شهر عليك ذلك المسدس وروحك فدى رصاصة واحدة من رصاصاته ؟ ...

هذا من يسمونه في بيروت « قبضاياً » ومن يحدثك عن نفسه بقوله : « نحن لها ... » ومن يخاطبك بلهجة خاصة كلها دلع وغنج وغرور واعتزاز ؛ فلا تدري من اين جاءك بهذه اللهجة الغريبة ، ولا ما يقصده من مخاطبتك بها . وهذا « القباضاي » غريب الاخلاق ؛ فقد تراه في احيان كثيرة من اشرف خلق الله يحترم العلم والذكاء والفن ويصون العرض والشرف ويدافع عن الفقير واليتيم والمسكين ؛ وتراه احياناً من اشرس الناس يفتك بمن يقع تحت يده ويفترس ضحيته سواء كانت من الفقراء او من الاغنياء ، فيقوده المال ويدفعه الى ارتكاب افظع الاثام ويعمى ولا يحفل بسوى جمع الدرهم من اي طريق كان ، فقد يجمعه مغموساً بالدم الطاهر البريء .. وقد يجمعه مسلوباً من جيب الغني والفقير . وقد يجمعه عن مناضد الميسر او تهريب المخدرات او بيع السلاح الممنوع او تدبير المكايد والمؤامرات ، فهو شاذ في اخلاقه ويريد ان يعيش من كل شذوذ ! ...

وكل حياته شذوذ في شذوذ . فانه لشاذ في مأكله ومشربه ونومه وملبسه وحديثه ولفظه ، بل هو شاذ حتى في تحياته . فلا تتعجب اذا سمعته يقول لك : « مرحباً يا خال ! ... » او « الله يعزك ! ... » او « القدر عز ! ... » فهذه لغة مطبوعة باسمه ، ومهما تكلفت النطق بها فانك لا تجيدها ولن تجيدها مثله وهو يرسلها على مسمعك بسهولة لا كد فيها ولا عناء ، ويسبكها في قالب جميل اللون ، ويتفنن بها تفنن

الكاتب في عباراته والشاعر في معانيه وقوافيه

وقد تقول : « ولكن هذا القباضاي ابن فن ! ... » واننا لنجيبك انه ابن فن وصاحب مصلحة ، وهو يعيش من فنه ومصلحته ، ويرتع في عز دونه عز اصحاب الامر والنهي ، وكم من مرة لجأ ويلجأ اليه كبار الناس في الدولة اما لعدو يريدون الفتك به، او للص يسعون للقبض عليه ، او لدسيسة يحلو لهم تنظيمها

ولهؤلاء « القباضايات » مناطق خاصة بكل منهم . فهم دول في قلب الدولة لهم عروشهم وتيجانهم وخدمهم وحجابهم . فلكل منهم جماعة تنادي باسمه وتؤدي له الخضوع ، ولكل منهم اناس من كبار القوم يعضدونه ويناصرونه ، فلهم في كل عرس قرص ، فان يكن هنالك تهريب مخدرات كان لهم نصيبهم فيه ، وان يكن ثمة مكيدة سياسية كانوا في مقدمة المتآمرين ، وان قيل من للانتخابات رأيناهم في طليعة العاملين، فان كلمتهم محترمة جداً لدى الناخبين والمنخوبين ، وكثيرون هم النواب المدينون لجماعة ( القباضايات ) بفوزهم ، فقد ساعدوهم في جمع اصوات الناخبين مساعدة ذات شأن ، على ان هذه المساعدة تكلف من يطلبها المال الكثير ! ...

(والقباضايات )يطلقون على ايام الانتخابات وايام تهريب المخدرات والركاب وما اشبه لقب ( الموسم ) فانهم ليرون فيها من الفائدة والنفع ما يراه سواهم في موسم الاصطياف او موسم الحرير . واذا شئت تشبيهاً آخر قلنا لك انهم اشبه بالصحفيين الذين يضرعون الى الله ان تخرب الارض ويتطاحن من على الارض ليشتد الاقبال على صحفهم وتزداد ارباحهم وتعمر بيوتهم ولو تهدمت بيوت الجميع

هذه هي حال( القباضايات ) في بيروت ، فهم ابناء فن خاص ومنطق خاص ورأي خاص ؛ فالحق عندهم للقوة ، وشعارهم القوي يأكل الضعيف ! ...

— ٢ —

وخضر القهوجي من اولئك( القباضايات ) ولكن من ابناء الطبقة الثانية فيهم .

فهو يقتل اذا دفعوه للقتل، لا كمن يقتل باجر زهيد فلا يغالي في البدل الذي يتقاضاه . فان اعطوه خمسين ليرة ذهبية قتل، وان اعطوه اربعين قتل ؛ وان اعطوه ثلاثين قتل ايضاً ، فليس له الا ان يسدد مسدسه الى صدر ضحيته كما يسدده الى صدر افعى اوثعبان ليطلق النار غير آسف ولا مكترث ، فيصبح القتل لديه كالصلاة عند المتعبدين يقدم عليه في كل لحظة، واطلاق النار اهون عليه من الكلام ، فاذا خانه المنطق ناب عنه المسدس بالجواب

ولخضر القهوجي مقام محترم لدى اخوانه ( القباضايات ) ، فقد اظهر في احيان كثيرة من ضروب الشجاعة ما حببه اليهم . فاجلوه واكرموه وخافوه

وكلهم يعرف حق المعرفة ان القهوجي ارتكب جريمتين وربما ثلاث جرائم ولم يرهب القوة . وكلهم يعرف ان القهوجي متين العضلات قوي الساعد لا يؤخذ في النضـال . وكلهم على يقين بان رفيقهم خضر القهوجي يجيد اطلاق الرصاص فمن يقابله بالعدوان كان لا محالة خاسراً

واقبل الرفاق يخطبون ود خضر ورضاه . وكثر اصحابه ومحبوه . وانزلوه منزلة تليق به . فكان اذا طلب منهم شيئاً لبوا نداءه بقولهم : ( بامرك يا سيد خضر ! ... ) و( السيد خضر ) بعد ذلك العز امسى لا يحسب لاحـد حساباً . فكان يجلس في الحانات ومسدسه الى جنبه ، ويستلقي على اربع من الكراسي . فيجلس على كرسي ويلقي كل يد من يديه على كرسي ويرفع رجليه على كرسي آخر ، وينادي خادم الحانة بتشامخ وانفة ، ويا ويل الخادم اذا احجم ، فالسماء تصب عليه نقمتها ، بل يا ويل صاحب الحانة اذا تردد خادمه عن تلبية ( السيد خضر ) فالاهانة جزاؤه ، وربما اللطمة والصفعة والرفسة ؛ وربما النار ! ...

وليس من رجل عزيز الجانب محترم بعد الله عند خضر وامثال خضر غير المسدس . فالمسدس عند هؤلاء إله آخر . فهم يكادون يعبدونه لشدة حبهم له ، فالمسدس ينقذهم من بطش العدو ويحرسهم في ساعـة الشدة ويضمن رزقهم في يوم الضيق ؛ فهو مورد رزقهم ورأس مالهم الاوحد والركن الركين في معيشتهم واحوالهم ؛ وهب عاندهم الحظ وجنى ذلك المسدس عليهم والقاهم في اعماق السجون فانهم ليعودون اليه لدن تفتح ابواب السجن امامهم ، كأنه لم يكن بالجاني عليهم ولا ذاقوا لاجله الاهوال

وخضر القهوجي قتل وألقي في السجون ، على انه لم يستطع يوم أخلي سبيله الا ان يعود الى حليفه وأليفه المسدس المالك في قلبه سعيداً ، فظل يتباهى به ويرهب بطلقاته قلوب الناس الى ان نفر منه فريق غير قليل ممن اخلصوا له بالامس

ولكن هل يستطيع هؤلاء ان يبدوا امام خضر نفورهم ؟ ... لا ، انهم ليخافونه شديداً ، وهل يجرؤ من يخاف على اظهار امتعاضه ممن ينفر منه ؟ ...

وخضر القهوجي كان عاشقاً . وقد عشق فتاة جميلة ممن فتنتهن الازياء الاخيرة . فكانت تتقاضى من خضر المال الكثير وتنفقه ثمناً لثياب جديدة تشتريها ، وثمناً للروائح

العطرية والمساحيق الحافل بها مخدعها ، وقد تحمل خضر القهوجي منها كل هذا الاسراف بصبر وجلد ، فلم يتلفظ بكلمة تستاء معشوقته منها ؛ ذلك ازه كان يحبها ويرى اللذ في الاجتماع بها والجلوس اليها

ومعشوقة خضر القهوجي هي جميلة الشقراء · جميلة الفتاة اليهودية التي تلاعبت زمناً طويلا بقلوب اولئك الذين يرتادون ( كوكب الغرب )

فهي راقصة من الطراز الاول ، وسيمة الخلق ؛ شقراء الشعر ، طويلة القوام ؛ رجراجة الصدر ؛ مرتجة الردف ؛ وقد اعجب بها خضر القهوجي كل الاعجاب لدن رآها ، على ان جميلة جابهته بالاعراض ، فساء اعراضها خضر القهوجي وهددها ذات مساء بمسدسه ان هي لم تمنحه جسمها وقلبها ، فوعدت على كره منهــا ، غير ان القهوجي وقع في يد الشرطة كمتهم بجريمة قتل ،فنجت جميلهمن شره وتألم هو لعجزه عن اصطيادها

وجميلة الشقراء آية من الآيات في رقصها ، وما كرة محتالة في سلب الاموال واقتناصها من جيوب العشاق ؛ فلا يدعوها عاشق لوصال الا وتمعن في التهام نقوده ، ولا تميل لهائم بها الا لتتركه لا يملك فلساً

واشتهر امرها في نادي ( كوكب الغرب )القائم على رأس ساحة الشهداء في بيروت · فكان الذين يرتادون ذلك النادي يعرفون من اسرارها وعيوبها الشيء الكثير ومع هذا لا يملكون انفسهم عن اظهار اعجابهم بها ،وكانوا يتساءلون من يستطيع منهم التلاعب بقلبها؛ فقال بعضهم انها ليست بذات قلب ، وقال آخرون انها من عشاق المال لا الجمال؛ وقال سواهم ان عاطفة جمع المال تغلبت فيها على كل عاطفة

وقد جهلوا ان جميلة الشقراء عاشقة ، وانها تعشق فتى يقطن في الحي السرسقي العامر ، وانها تقضي معظم لياليها الى قرب ذلك الفتى فلا تبرح غرفته الا عند مطلع الفجر ، فما هي ان تنتهي من الرقص في نادي ( كوكب الغرب ) ويخلو لها الجو حتى تنادي سائق عربة يحملها الى الحي السرسقي ، وهنالك في غرفة فاخرة الرياش انبسط فيها سرير واحد ترتمي جميلة الشقراء وتسجد امام معشوقها كما يسجد الكاهن في الهيكل امـام صورة احد الانبياء او القديسين

ولو نفحوا جميلة بمال الارض فانها لا تطرب مثلها لقبلة من معشوقها الجميل · فقد عرفت كيف تختار ذلك الفتى ، ولم تحسب معه للنقود حساباً ، فكانت تجود عليه بكل ما تكسبه ولا تطلب منه الا ان يحبها ويسكب فيها عواطفه وغرامه ،والفتى لم يكن ليأنع ،

فان جميلة اغدقت عليه من الخيرات ما يضن به عليه حتى ابوه

وجميلة الشقراء تمثال من عاج ، فكيف يرفض الفتى وصالها وهي تعرض عليه جسماً « لذيذاً » ومالا وفيراً . فواصلها الى ان ارتوى منها ؛ ولما ارتوى منها خانهـا ووقع في شرك امرأة من الحي العامر ترد عنها ثروتها الطائلة فساد اخلاقها

فندبت جميلة حظها المنكود ، ومشت الى الفتى تعاتبه فاقفل بابه بوجهها ؛فطرقت الباب وكادت تحطمه فدعا الشاب رجال الشرطة اليه وقبضوا على جميلة الشقراء واودعوها السجن ، الا انها ما لبثت ان استعادت حريتها ، وكان اليأس الشديد قد ملك قلبها ، فسارت الى البحر تود ان تدفن نفسها في اعماقه لتنسى خيانة حبيبها فيموت قلبها ويمسي ولا حياة فيه تعيد اليه ذكرى الحبيب الخؤون ! ...

— ٣ —

هل تطرح جميلة الشقراء نفسها في البحر ؟ ...

واين تطرح نفسها اذا هي حاولت الانتحار ???

ان في رأس بيروت ، بين تلك الشواطىء الصخرية المتعددة الرؤوس والخلجان ، محلة يطلقون عليها اسم محلة « الروشه » فهي تقع على صخور شاهقة وقفت دون البحر كالحصن المنيع ترد كيده الى نحره فلا يهاجمها الا ليعود مقهوراً ذليلا لا ينال من اليابسة منالا .

وقد اشتهرت تلك المحلة بحوادث الانتحار ؛ فلا يقطع اليائسون املهم من الحيـاة وينوون الخلاص الا وتراهم يقصدون محلة « الروشه » حيث ينتقـلون بلحظة من الدنيا الى الاخرة

فالروشه بصخورها الصلداء العالية تنزل الرعب في القلوب من مجرد النظر اليهـا ؛ والطير ا ا تدحرج عن تلك الصخور وهوى الى مياه البحر قد يموت قبل ان يغطس في الماء ،فكيف يكون نصيب المنتحر فيها وهو انما يتدحرج من صخر الى صخر فتتحطم اعضاؤه ويتهشم رأسه وتفيض روحه وهو دون الماء باذرع واشبار ،وهب نجـا من الموت لدى سقوطه في الماء فالصخور المنخفضة التي تترامى عليها امواج البحر كفيلة بان تسلب منه الحياة

فان اجمل منظر في شواطىء بيروت هو منظر « الروشه »واشد المناظر هولا ورعباً في تلك الشواطىء هو منظر « الروشه » ايضاً ، فقد اختـاره المنتحرون عمداً للخلاص

من الحياة ، ولو انصفوا لاطلقوا عليه اسم ( صخرة الانتحار ) لكثرة ما وقع فيه من حوادث انتحار غريبة ولكثرة ما ابتلعت مياهه من منتحرين

وهناك على ( صخرة الانتحار ) جلست جميلة الشقراء تفكر بما عساها ان تقدم عليه. أتعود عن فكرة الانتحار ام تلقي بنفسها الى البحر من فوق هاتيك الصخور ؟ ...

وقد اخذت تقول في نفسها : أيستحق ذلك الخائن ان انتحر لاجله وقد داس بقدميه حبي وغرامي ؟

وودت ان ترجع عن عزمها وان تقضي الحياة في فرح ومرح فتتناسى خيانة حبيبها لها وتفتش من معشوق جديد تهبه قلبها وجسدها ، ولكن ذلك القلب عصاها في ما حاولت؛ فقالت تندد به : انك لتميتني ايها الخافق بين ضلوعي ! ...

ونظرت الى المياه الزرقاء المتلألئة في اسفل الروشة ، وبدا لها سطح الماء ينتفض انتفاضاً كأنما يدعوها اليه قائلا : ( تعالي اليّ واستريحي ! ... ) فشاقها ان تودع ذلك الازرق الصامت الكتوم قلبها وحبها فنهضت ووقفت على صخرة الانتحار وشددت عزائمها تريد ان تلقي بنفسها في الهوة ، ولكن يداً من حديد قبضت عليها من الوراء؛ فذعرت والتفتت فاذا امامها خضر القهوجي ، العشيق الذي تخافه وتكرهه ؛ فصاحت به : دعني ! ... دعني ، فاني اريد الخلاص من هذه الحياة الثقيلة العبء ! ...

قال : والله لن اتركك ؛ فقد لحقت بك من المنارة ورقبت حركاتك فخيل اليّ في البدء انك تنتظرين عشيقاً ؛ اما الان وقد وقعت في يدي فلن تفلتي منها !

— دعني ، دعني ، اريد ان اموت !

فقهقه خضر القهوجي ضاحكاً وقال : ما لنا وللخلط ، تعالي نطرب معاً وبعد ذلك تموتين

وجذبها اليه وحملها تحت ابطه كأنه لا يحمل شيئاً وسار بها الى مقهى هناك .

وكانت جميلة تبكي وتصيح : ( اريد ان اموت ! ... ) وخضر يضحك ويقول لها : ألا يكفي اننا انقذناك من الموت وتبكين ايضاً ؟ ...

ورأى ان لا سبيل لمنعها عن البكاء بسوى القوة فطرح امامها مسدسه وقال مهدداً : جميله ، اذا كنت لا ترين بداً من الموت فالافضل لك ان تموتي بهذا المسدس المطروح امامك ، فان كنت في حاجة الى الموت فتوبي الى ربك واستغفريه عن خطاياك ، وان يكن لك وصية فجاهري بها ولا تخافي ! ...

وسدد المسدس الى صدرها وقال : أتريدين ان اطلق النار ؟ ...

فبكت وقالت : ولماذا تريد ان تقتلني ؟

قال : لانك تعذبينني ، أفلا يطيب لك ان تكوني لي ؟

قالت : اريد ان اذهب طعماً للاسماك !

— ولماذا ؟

— لانكم انتم الرجال تخونون !

— هل خانك الحبيب ؟

— اجل؛لقد خانني اللئيم ودفعني الى الانتحار !

فقام خضر القهوجي الى جميله وألقى يده على رأسها وقال بلهجته المفخمة : لما جئت اعرض عليك حبي نفرت مني لاني صادق في قولي اني احبك ووقعت في شرك غادر ماكر استهزأ بعاطفتك ، فانتن النساء تطربن اذا ضحك منكن الرجال وملأوا اذانكن بالكلمات الخداعة اما الذي يقول لكن الصحيح بلا زخرف ولا طلاء فلا تصدقنه !

قالت : ومن اين لي ان اعلم انه لا يحبني ؟...

قال : من حديثه وحركاته وتكتمه ؛ انت لا تعرفين ما هو الحب يا جميله ،انت لا تعرفين ما هو !...

واطبق بالقبلة على شفتيها وصاح : عسل ؛ عسل شفتاك،ما اطيبها !... اعطيني منها قبلة ثانية وثالثة !...

وضمها الى صدره واخذ ينفحها القبلة تلو القبلة وهو يقول لها : هذا هو الحب ياجميلة! هذا هو الحب !...

فضحكت لحركاته وقالت : واي حب هو هذا ؟...

قال : هذا حب خضر القهوجي ، اخوك خضر ، الا تعرفينه ؟...

فرأت ان السكوت اولى من الكلام ، فسكتت وتركت امرها بين يدي ذلك الحبيب الذي لا يعرف من الحب الا انه ضم وعناق وشهوة والتصاق ، فقال لها : جميله، اني انقذتك من الموت ، وعليك ان تحفظي لي هذا المعروف وتستعدي للوفاء !

قالت : ولماذا انقذتني من الموت ؟...

— انقذتك منه لاني احبك ، لاني لا اريد ان تموتي فدى ذلك السافل ، لاني ارى نفسي احق من البحر في امتلاكك ، لان جسمك عرش يلذ لي التربع فيه ، فكل ما فيك يشتهيه القلب !...

فابتسمت ؛ قال : اخبريني ، ألا تودين ان تكوني لخضر القهوجي ؟ ...
وهز لها بسدسه ، فخافت واومأت برأسها تشير بالايجاب، فنادى خضر عربة حملته وحملت جميله الى منزل استأجره لها وامست له بعد ذلك الحين ملكاً خالصاً بدون مزاحم ولاشريك! ...

- ٤ -

اضطجعت بيروت في سريرها الملتهب بانفاس العشاق
واربد افق السماء وانتشرت الغيوم تحجب اشعة الكواكب الشاحبة الصفراء لشدة سهدها وارقها ، ولم يكن في شوارع المدينة من رائح او غاد، فالكل غرقوا في النوم العميق .
وهدأت كل حركة ؛ ولم يكن ليطرق الاذان غير صفير حراس الليل وهدير بعض السيارات وغناء نفر من السكارى اطربتهم الخمرة فراحوا ينشدون لها الاناشيد
ولا يجول في اسواق بيروت بعد نصف الليل غير ثلاثة . اما عاشق ولهان؛ او مولع بالميسر ، او لص يبغي لنفسه صيداً
ومشى اثنان في حي خندق الغميق يتهامسان . قال الاول : يجب ان تقضوا عليه وان تذيقوه الموت وتأتوني برأسه ؛ فاذا وثقت بانه هو اغدقت عليكم المبالغ الطائلة من المال ! ...
وقال الاخر : ولكن كيف تطلب منا ان نأتيك برأسه ألا يكفي قولنا لك اننا قتلناه ؟
— لا ، اني اريد رأسه لاكون على ثقة بانه فارق الحياة ، فان مجرد تفكيري ببقائه حياً ينغص علي العيش !
- وهل اتفقت واخواني على المبلغ الذي يجب ان نتقاضاه ؟ ...
قال : اجتمعت بهم مراراً ووعدوني بانهم سيفتكون به ؛ حتى ان احدهم طلب مني مبلغ ثلاثين ليرة عثمانية كعربون للقتل فلم ابخل عليه بما طلب ! ...
— ولكني لم اجد في جيبي من هذا المبلغ فلساً واحداً ، وليس من الانصاف في شيء ان تجود على احدنا بالمال وتحرم الاخرين ؛ فانت تعلم اننا سنرتكب الجريمة باجمعنا وكل منا اذا وقع في يد العدل سينال من العقاب ما يناله الاخر !
قال : ومتى كنتم تعرفون قوانين العدل ؟

فابتسم الآخر وقال : ان الحبس امسى لنا كمسقط الرأس ، والمحاكم اضحت محلا لتسليتنا ، ولكثرة ما تحادثنا نحن والقضاة اصبحنا نعرف مثلهم القانون ومواد القانون ، ففي وسعنا ان نتنبأ بالحكم قبل وقوع الجريمة ولانخطىء التقدير في معظم الاحيان ! ...

— والمقصود من كل ما تقول ؟

— المقصود ان القضية التي تعهد بها الينا شاقة جداً فلا يكفيها الاجر الزهيد ! ..

— الى كم تحتاج الان من النقود ؟

— الى خمسين ليرة ذهبية !

فضحك الرجل لسماعه كلمة ( خمسين ليرة ) وقال : ألا يكفيك تسع واربعون ؟

= لا ارضى بمبلغ اقل من خمسين ! ...

فامسكه مخاطبه بيده وقال له : ان تختلف يا سيد مصطفى ، اقتاوه ولك مني ما تريد ! ....

ومشي واياه الى منزل في تلك الانحاء ، ودخلا غرفة بدا من حركات المحرض على القتل انها غرفته ، فاضاء فيها مصباحاً وجلس الى خوان قامت عليه بعض الفاكهة فقدم منها شيئاً لمن دعاه بالسيد مصطفى واكل هو منها شيئاً ثم قال : هل يخطر لك اني اهتم بالمال وهو لا قيمة له عندي ؟ ... فلو كنت املك منه القناطير لوهبت اكثرها لاصدقائي . ولا يخفى مطلقاً عني ان المهمة التي اكلفكم اياها حافلة بالمصاعب والاخطار وتستوجب المال الطائل ، ولكنني ادفع لكم الان ما تيسر لدي على ان اوافيكم بما تطلبونه على التوالي !

ومد يده الى كيس نقوده واخرج عشر قطع ذهبية اعطاها لرفيقة مصطفى وهو يقول : اظن ان هذا المبلغ يكفي الان !

فما كان من مصطفى الا ان عد النقود ولما وجدها قليلة ازاء ما يطلبه طرحها على الخوان امامه وقال : ارجو منك اعفائي من هذه المهمة فاني اخاف فيها على نفسي !

فقال : ألا يكفيك المبلغ ؟

— ليست القضية قضية نقود بل هي قضية ارواح وانا معها شاع عني وذاع لاستحل قتل النفوس لاقضي حياتي بكاملها بين قضبان الحديد !

ففهم مخاطبه من هذه الكلمات انه وجد المبلغ المعروض عليه زهيداً فجاءه بخمس قطع ذهبية اخرى وقال له : امامك الان خمس عشرة ليرة ذهبية وهي بلا ريب تكفي

قبل البدء بالعمل !

ولمعت الليرات الخمس عشرة امام عيني مصطفى فاسكرته رؤيتها وجمعها في جيبه وهو يقول : والله لولا الصداقة المتينة بيننا لرفضت كل الرفض ان ألمس ليرة واحدة من كل هذه النقود ، ولكن خاطرك عزيز علينا ونحن اخوان ولا شأن للمال عندنا ، فكن مطمئن البال ان صاحبنا سيلقى حتفه عما قريب ! . . .

فابتسم المحرض على القتل وقال : لست ارتاب مطلقاً في حبك يا مصطفى وسترى مني ما يرضيك !

وودع كل منهما الآخر على ان يسرع مصطفى ورفاقه بقتل الرجل الذي يدبرونه المكيدة ، والقتل والمكيدة عند مصطفى ورفاقه اسهل من اكل القوت وشرب الماء!

الجرائم العربية

— ٥ —

لخضر القهوجي اصدقاء ، واي اصدقاء ! . . .

فهم منتخبون انتخاباً . ولو طلبوا الى احذق الناس ان يختار الاصدقاء الاوفياء لخضر القهوجي لخانه التوفيق في امثال اولئك الاخوان المتقدين غيرة واخلاصاً

فاجتمع حول القهوجي كل قاتل سفاك وكل من يبيع ربه بثلاثين من الفضة . لقد اجتمع حوله المتاجرون بالحشيش وبالكوكايين وبسائر المواد المخدرة . اجتمع حوله الذين تطاردهم الحكومة لجنايات عديدة ارتكبوها ولجرائم لا تعد اتهموا بها . اجتمعوا حوله حلقة من المجرمين والفارين والسفاكين وكلهم يناديه : بامرك يا خضر!

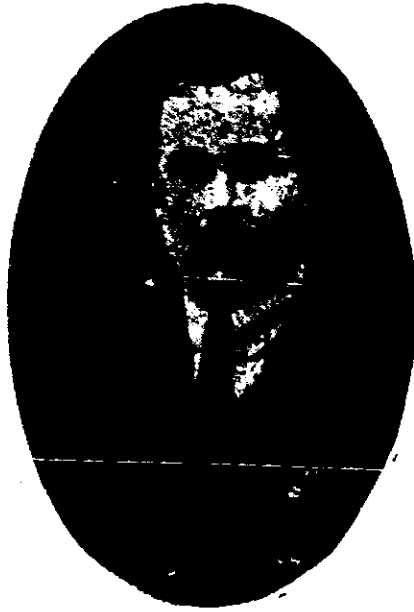
والقهوجي مع كل ابائه وتشامخه تلذه معاشرة هؤلاء الرفاق . . فهو يرى فيهم اصدقاء اعزاء يغارون عليه ويساعدونه في الملمات . وكم من ليلة قضاها القهوجي بين تلك الفئة من اصحابه يسامرهم وينادمونه وتذهب بهم الخمرة مذاهب ، فتذوب اوقاتهم بين الطاس والكاس والعود والغناء والطرب واللذات ، وكان القهوجي يساير رفاقه في كل شيء الا في امور النساء ، فلم يكن ليخون جميله الشقراء ويعاشر سواها ولو لبضع دقائق معدودات

ومن هم رفاق القهوجي ؟ . . . هم امثال التخيخ الذي قضى معظم ايامه في تهريب الحشيش وشرب الراح وتنظيم المكايد ونصب الاشراك

وامثال علي شفيق تاجر الكوكايين الاكبر والمدمن شرب الخمرة وشم الكوكايين والشهير بتهريب الحشيش والمخدرات

وامثال محمد المناصفي المتهم بجرائم كثيرة ، منها مقتل احد رجال الشرطة، والمعروف بميوله لسفك الدم · والمناصفي جريء في مغامراته لا يطيش له رصاص · فهو يجيد اطلاق النار اجادة نادرة المثيل ويهاجم مطارديه ولو كانوا عشرة ولا يهاب

هؤلاء هم اصدقاء القهوجي · ولا بدع فالقهوجي وان يكن اكثر اباء منهم فانه لم يكن ليقل عنهم ميلا الى قتل النفوس وسلب الارواح ، وكل ما هنالك من فرق بين القهوجي ورفاقه ان القهوجي لا يقتل الا من يعتدي عليه بينما معظم اخوانه يقتلون في سبيل المال



المرحوم خضر القهوجي

ولعلي شفيق احد رفاق القهوجي دكان يطل على شارعين من اعظم شوارع بيروت · فهو بين شارع فوش وشارع ويغند · وقد تعاطى فيه علي شفيق بيع الدخان والحشيش والكوكايين · والكوكايين محور تجارته الاكبر · وكانوا يعدلون ربحه في النهار من تلك المادة المخدرة دون سواها بمبلغ لا يقل عن ليرة عثمانية اذا لم نقل ليرتين عثمانيتين

والى دكان علي شفيق كان يختلف خضر القهوجي والتخيخ والمناصفي · فهنالك يضعون رسم الخطة التي ينوون العمل بها في ليلهم · أيسكرون في المنارة ام في الروشه ام في نهر بيروت ، ويتفقون على الطريق الواجب عليهم السير فيه لتضليل رجال الامن في تهريب الحشيش والكوكايين

في تلك البيئة وقع خضر القهوجي ، وقد ارتاح الى معاشرة اولئك الرفاق ، وهم ايضاً ارتاحو الى صداقة خضر فابدوا له من الود والبشاشة ما حببهم اليه ؛ فوثق بهم وصافاهم ، وكانت جميله الشقراء اذا سألته : « الى اين تذهب يا خضر في هذه الساعة ؟ · · · » يجيبها في معظم الاحيان : « اني قاصد الى دكان علي شفيق ! · · · »

ووقف كل من هؤلاء الاخوان على اسرار رفاقه الآخرين ، فامسى كل منهم يعرف قوة الآخر ومكامن الضعف فيه · وقد اتفقوا جميعهم على تقدير خضر القهوجي قدره ؛ فرأوا انه اذا لم يكن اقدرهم وادهاهم فهو بلا ريب اشد منهم صولة وارهب جانباً ، فكانوا يظهرون له كل عطف واكرام

وذات مساء قالت جميله الشقراء لخضر . أذاهب انت الى دكان علي شفيق ؟ . .

قال : أنظل تردد الامثولة على مسمعك يا جميلة ، ان علي شفيق من اعز اصدقائي ولا ارى مكاناً يلذ لي الجلوس فيه عند المساء غير دكانه ! . . .

قالت : لا تذهب ، اني في شوق الى احاديثك في هذه الليلة !

فقال : ساعود بعد هنيهة ، فلا تقلقي !

— قلت لك لا تذهب !

— لا بد من روئية رفاقي فلماذا كل هذا العناد ؟

— اني اخاف عليك ، لا تذهب ! . . .

فضحك وقال : أتخافين على خضر يا جميلة ؛ وهل يخشى اخوك خضر الموت ؟ . .

وتابع مسيره لا يتلفت اليها ولا يريد ان يسمع كلماتها ، فكان يستخف عقلها فيما تبديه من المخاوف والقلق . وسار تواً الى دكان علي شفيق ، وكان بانتظاره هناك التخيخ وعلي شفيق والمناصفي ، فما هم ان ابصروه حتى وقفوا له يبادلونه التحية ويرحبون به قائلين : اهلا بالسيد خضر ! . . .

قال : أتطول اقامتنا هنا ؟ . . .

فاجاب المناصفي : لا ؛ ان علي شفيق سيقفل دكانه بعد زمن قليـــل فنقوم بنزهة الى المنارة !

وقال التخيخ : من يتبرع بمصروف النزهة ؟

فقال المناصفي : اني اقدم سيارتي !

وقال علي شفيق : ومني الباقي ، انا بامر الاخوان ! . . .

وعرض القهوجي على انظار رفاقه مسدساً جديداً يشع كالنور ؛ وقال : هذا آخر نوع من المسدسات اشتريته امس من بحري يوناني ! . . .

فاتجهت انظار الجميع الى المسدس وقال المناصفي : والله يا خضر اني لا ارى اجمل من « الكولت » الذي احمله ؛ فهو رب المسدسات ! . . .

وقال التخيخ : واخوكم التخيخ لا يجد امضى من خنجره ، فهو عندي بالف مسدس !

واخذ علي شفيق المسدس من يد خضر وراح يقلبه وهو يبدي اعجابه ويقول : والله يا سيد خضر انه لمسدس جميل ، اتمنى لو يكون عندي مثله ، أتبيعني اياه ؟ . . .

فقال القهوجي : هذا مسدس يصطاد العصفور ، وعسى ان نجربه عما قليل في

صدر العدو !

وكانت سيارة المناصفي قد اقبلت فاقفل علي شفيق دكانه وركب الاربعةالسيارة: القهوجي في اليمين ، والتخيخ في الوسط ، وعلي شفيق في اليسار ؛ والمناصفي قرب السائق، وساروا على بركة الرحمن يجتازون محلة باب ادريس ومنها الى خندق الغميق ٠٠٠

— ٦ —

تجلبب الليل برداثه الاسود

فاقفرت شوارع بيروت وأقفلت مخازنها واسواقها ، ولجأ كل الى منزله يجلس الى عياله وذويه

وشوارع بيروت اذا اقفرت من البائعين والشارين فان خماراتها لتمتلىء بمن تطربهم الخمرة ويحنون الى طعمها ومذاقها ٠ ولما ركب علي شفيق والقهوجي ورفاقهما سيارة المناصفي واجتازت بهم باب ادريس وعطفت على الكبوشية وبلغت تمثال اليازجي في سيرها الى خندق الغميق طلب المناصفي ان ينزل منها بحجة ان لديه هناك عملا

فتعجب القهوجي من حركة المناصفي الا انه لم يعرها اهتماماً كبيراً ٠ فالمناصفي قال له انه سيكون رفيقه في تلك النزهة فلماذا عدل الان عن متابعة الطريق ؟ ٠٠٠

وبلغت السيارة مدخل خندق الغميق فقال القهوجي : أمن هنا تريدون ان نذهب الى المنارة ؟

فقال التخيخ : لا ، ولكنني ساعرج على البيت احمل منه زجاجة من العرق الفاخر جاءتني هدية من احد الاصدقاء !

وتوغلت السيارة في خندق الغميق فاذا رصاصة تنفجر فيها ، فالتفت السائق ليرى ما الخبر فما كان من التخيخ الا ان شهر عليه مسدسه يهدده به قائلا : اياك وان تتلفظ بكلمة ! ٠٠٠ اذهب الى حيث نأمرك بالذهاب ! ٠٠٠ لا تقف في الطريق !٠٠

فخار السائق في ما يفعل ٠ وتساءل من من اولئك الثلاثة وقع قتيلا ٠ أسقط علي شفيق مضرجاً بدمه ام خضر القهوجي ؟ ٠٠٠ هو يعلم ان التخيخ لا يزال في قيد الحياة لان التخيخ هدده بالمسدس فسمعه ورآه ، اما علي شفيق فلم يسمع منه كلمة واحدة ؛ ومثله القهوجي ، فالاثنان صمتا صمتاً عميقاً ! ٠٠٠

وكان السائق اطوع للتخيخ من بنانه، فيتجه بالسيارة الى حيث يأمره ٠ فاذا قال له : «سر الى اليمين! ٠٠٠ » يجد نفسه مضطراً لتلبية النداء ، واذا امره بان يسير الى الشمال فعل

وهو لا يجرؤ على معاندة الامر ! ...

وقد تعجب كيف يقتتل هؤلاء الثلاثة ومن المعروف عنهم انهم اصدقاء اوفياء ، وزاده رعباً سكوت علي شفيق والقهوجي معاً ، فاخذ يقول : « أيكون التخيخ قتل الاثنين ؟ ... » ولكنه لم يسمع غير طلق ناري واحد ، فمن هو القتيل . واراد ان يلتفت الى الوراء ليتأكد الخبر فاذا التخيخ لا يزال يشهر عليه مسدسه ؛ فخاف ولم يملك جرأة النظر الى صدر السيارة ، ورن في اذنيه صوت علي شفيق يقول : قف هنا ، لقد وصلنا ! ...

فثبت لديه اذ ذاك ان القتيل هو خضر القهوجي ؛ ولكن لماذا قُتل ، ومن قتله ، أقتله التخيخ ام علي شفيق ؟ ...

توالت هذه الافكار على مخيلة سائق السيارة فاخذ يرتجف . لقد شعر بانه امام لغز من الالغاز . فكيف يقتل التخيخ وعلي شفيق صديقهما الحميم خضر القهوجي وقد ابديا له كل اكرام وعاهداه على الاخلاص فوثق بهما ثقته بنفسه ؟ ... ذاك ما لم يكن سائق السيارة ليدركه !

وزاد في حيرته ان علي شفيق طلب منه الوقوف امام منزل لا يعرفه ، فهل يقف امام ذلك المنزل وفي سيارته قتيل ؟ ... واذا ابصره رجال الشرطة فماذا تراهم يفعلون به ، ألا يقبضون عليه كمتهم بالجريمة ؟ ...

لقد بات سائق السيارة على نار ، فكان يخاف من جهة شر علي شفيق والتخيخ ؛ ويخاف من جهة اخرى ان يقبض رجال الشرطة عليه ويلقونه بين ايدي القضاء كمجرم سفاك اثيم وليس له يد في الامر وليس له من شأن فيه ! ...

وخاطب علي شفيق رفيقه التخيخ بقوله : انزل ، واقرع باب صاحبنا ! ...

قال : أتراه لا يزال مستيقظاً ؟

فاجاب : اني وعدته بقتل خضر القهوجي في هذه الليلة فلا بد انه ينتظر مجيئنا اليه لنبشره البشارة الكبرى ! ...

— وهل يدفع لنا الان المبلغ المتفق عليه ؟

— هذا ما وعدني به ؛ وهو من الذين يبرون بوعدهم على ما اعلم وتعلم انت !

فوثب التخيخ الى الارض ، وتلفت ذات اليمين وذات اليسار ، واذ لم يبصر احداً اقترب من باب المنزل واخذ يقرعه بحذر شديد ، فسمع صوتاً من الداخل يقول : من

الطارق ؟ ...

قال : انا التخيخ ، افتحوا ! ...

فقال الصوت : هل من جديد ؟ ...

— لقد جئنا عملا بالوعد !

— أتريدون مني مالا ، ان ماعطيتكم اياه يكفيكم !

فقال التخيخ : جئناك بالجثة ، ألا تريد رؤيتها ؟ ...

فصاح : وهل قتلتم القهوجي ؟

قال : نعم ؛ لقد قتلناه ، وجئته هنا في السيارة، فاحمل الينا النقود التي وعدتنا بها وتعال شاهد جثمان صديقنا العزيز ! ...

وكان التخيخ يتهكم بلهجته ، فلم يكفه انه ساعد على قتل من عاهده على الصداقة والوفاء ، ولم يكفه انه سفك الدم في سبيل المال؛ بل راح ينعت ضحيته «بالصديق العزيز» كأن لا حرمة للصداقة عنده ولا عهد ، فاذا طلبوا منه ان يقتل اقرب الناس اليه فعل بلا تردد ولا ابطاء ، واذا صادقه حليف او أليف عبث بصداقته وألقته في سبيل عشرين من الفضة ، فما اوطد دعائم الصداقة في نفسه واكرم به من خل وفيّ ! ...

— ٧ —

كان لمصرع خضر القهوجي صداه المستحب في داخل المنزل الذي طرق بابه التخيخ .

فقد كبر له الذين سمعوا به، وفتح الباب وظهر منه رجل في العقد الاوسط من العمر يرتدي ثياب النوم . وكان البشر يتجلى في نبرات صوته . ومن نظر اليه والتخيخ عرف فيهما ينك الرجلين اللذين كانا يتهامسان سراً هاتيك الليلة المظلمة في خندق الغميق

فالتخيخ لم يكن غير المدعو مصطفى، والآخر هو الرجل الذي كان يحرضه على القتل.

ولما خرج المحرض على القتل من منزله كانت الكلمات الاولى التي تلفظ بها قوله : اين هذا اللعين ، فاني اريد رؤيته مضرجاً بالدم ! ...

واسرع الى السيارة يبغي رؤية القهوجي سابحاً في النجيع القاني ؛ فقال له عبي شفيق : تعال ابصره ، تعال ! ...

وفتح له باب السيارة ، وكان خضر القهوجي يلفظ الروح فيها ، فقد اصابته الرصاصة في رأسه فطارت دماغه ولم تمهله ثانية واحدة للتلفظ بكلمة واحدة . فشخر شخرتين

وضاع صوابه . ولما اقبل المحرض على قتله ليشاهده بدا له ينتفض قليلا ؛ فصفعه وهو يقول : أرأيت من منا اقوى ايها الغادر ؟ . . .

وصعد الى السيارة يريد ان يرفسه برجله ولكن التخيخ قال له : دعنـا منه فقد مات ويكفي ان يكون الموت قصاصه ، والان اين النقود التي وعدتنا بها ؟

قال : ساعطيكم بعضها واؤدي لكم في الغد الباقي !

فقال علي شفيق : لا نذهب من هنا الا والمبلغ بكامله في جيبنا ! . . .

= واذا لم تكن القيمة كلها في جيبي ؟

= اجتهد في ان تأتينا بها الساعة . . . فاذا باتت فاتت !

وقال التخيخ : نحن في حاجة الى المال ، فمن المحتمل جداً ان نرحل عن هذه البلاد بعد جريمتنا الاخيرة

وتشدد كل منهما في طلب النقود فلم يجد صاحب المنزل بداً من اجابتهما الى ما يريدان. فدخل داره ووقف التخيخ وعلي شفيق وسائق السيارة ينتظرون عودته ، فابطأ ، فناداه التخيخ مرتين وثلاث مرات ، وقال له في المرة الاخيرة : اسرع والا طرحنا الجثة امام الباب ! . . .

وكان المحرض على القتل قد عاد وبيده صرة من النقود فقال لعلي شفيق : هذا كل ما معي الان ، ألم نتعاهد على مئتي ليرة عثمانية ، فالمبلغ الذي وصل اليكم هو ستون ليره وهذه تسعون ليره الان ، والباقي غداً ، ألا تكفلني يا علي شفيق ؟ . . .

فاجابه بعد ان لمس كيس النقود : بامرك يا بك ! . . .

والتفت علي شفيق الى التخيخ يقول : المبلغ الباقي عندي يا مصطفى !

فرضي التخيخ بهذه الكفالة وركب السيارة وهو يقول للسائق : اذهب بنا ! . . .

فرأى سائق السيارة ان الاذعان اولى له ، فادار سيارته كما امره التخيخ ؛ وكانت آخر كلمة تبادلها المجرمان والمحرض على القتل قولهما له : « بخاطرك ! . . . » فاجابهما: « بالامان ! . . . »

ولكن هل ينفع الدعاء لهما بالامان ؟ . . .

* * *

رددت بيروت باجمعها : « لقد اختفى خضر القهوجي ! . . . »

واستبطأ ذووه عودته ففتشوا عنه في كل جهـة وكل مكان ولم يقفوا له على اثر

يدل عليه

وسألوا عنه اصدقاءه فانكر هؤلاء ان يكونوا ابصروه · وسألوا عنه التخيخ والناصفي وعلي شفيق فاقسم كل منهم بانه لم يبصر منذ اسبوع لخضر القهوجي وجهاً

وقلقت جميله الشقراء لغياب عشيقها ، فجاءت تبحث عنه وتقول : ان قلبي يحدثني بانهم غدروا به !

ولكن من يسمع قولها ومن يهتم بامرها وامرها معروف؟··

وبكت جميلة ، ولعنت القاتلين ، وندبت ذلك الحبيب الذي انقذها من الانتحار وحفظت له الود الجميل ، على ان الندب والبكاء واللعنات لا تعيد الرجل المفقود ،فان خضر القهوجي اختفى ومن يدري اين هو ! ···

واين هو خضر ؟··· لقد شاع في بيروت انه هاجر الى اميركا ومنهم من قال انه في دمشق ومنهم من اعلن انضمامه الى الثائرين في النبك · ولكن كل هذا لم يكن ليقنع احداً بان القهوجي اختفى اختفاء طبيعياً لا تهديد فيه ولا اكراه

ولماذا يهاجر القهوجي الى اميركا او يبرح بيروت الى دمشق او ينضم الى الثائرين الدروز في جهات النبك وليس ثمة ما يدعوه الى هذا التخفي · فان احواله سائرة على ما يروم ، فله معشوقته ، وله مورد رزقه ؛ وله احترامه في قلوب الرفاق

واتصل خبر الاختفاء برجال الشرطة · وعلى رأس رجال الشرطة في بيروت عين ساهرة لا تنام ودماغ مفكر يلمع فيه الذكاء · فان اكثر الجرائم =اذا لم نقل كلها= التي وقعت في عهد اسعد البستاني رئيس رجال التحري في لبنان وجدت من يحل رموزها ويكشف اسرارها · فالهمة التي يبديها اسعد البستاني همة حديدية لا تطيق الجمود والاستسلا ·فانه ليظل في اثر الجريمة الاشهر والايام الى ان يقبض على مفاتيح سرها · ولما وقف على امر اختفاء القهوجي وطد النية على فضح السر المكنون · فبحث وبحث، وسأل عمن كان يرافق القهوجي لآخر مرة ابصروه فقيل له انهم شاهدوه بمعية مصطفى التخيخ

وما سمع اسعد البستاني باسم التخيخ حتى ادرك فوراً شيئاً عن غوامض الاختفاء · فهو يعلم ان مصطفى التخيخ ذو سوابق عديدة وذو منهج يدعو الى الريب الشديد ، فارسل في طلبه ، ولما مثل التخيخ بين يديه انكر ان يكون له علم باختفاء القهوجي وقال انه تألم جداً لاختفاء رفيقه خضر وانه يرجو ان تهتدي الحكومة الى مقره لانه اخ له واعز على قلبه من الاخ ولانه يحبه حباً جماً ولا يجد هناء وارتياحاً في سوى معاشرة

اخيه خضر ! ...

فقال له رئيس التحري : ألا تستطيع يا مصطفى ان تهدينا الى مقر صديقك الحميم
قال : والله يا سيدي لو كنت اعلم ان خضر القهوجي في السماء لصعدت اليها وجئت به مرفوعاً على رأسي ! ...

= ألا تعرف شيئاً عن المكيدة التي يدبرها خصومه لاغتياله ؟ ...

= انك تهينني يا سيدي الرئيس بهذا الكلام، فلو كنت اعرف ان هناك مكيدة لاغتيال خضر لكنت اول من يفضحها ويطلعه على خفاياها ؟ ان القهوجي اخي وروحي يا سيدي الرئيس فكيف ارضى بان يتآمر عليه الناس واظل ساكتاً لا ابوح بالسر ! ..

= والى اين ذهب القهوجي بعد ان افترق عنك ؟ ...

= قال لي انه عائد الى البيت

= أفلم تبصره في اليوم الثاني ؟

= لا ؟ وسألت عنه الرفاق فاجابوني انهم لم يبصروه

= ربما ، فكل ما اقوله لك انك ستكون ضيفنا الى ان تنجلي الحقيقة

= ولكن يا سيدي لا شأن لي في هذا الاختفاء ! ...

= لا تخف ، سنخلي سبيلك لدن نقف على الامر الجلي ...

فاخذ التخيخ في الصياح والاحتجاج ، ولكن باب السجن كان قد اطبق عليه ، فاقام هناك ينادي ببراءته وبكونه مظلوماً ، ولكن هل تؤيد الحقيقة انه مظلوم ؟؟؟

— ٨ —

بات الناس يعتقدون ان خضر القهوجي سقط قتيلا ، بل هم باتوا يعتقدون ان خصوم القهوجي غدروا به واخفوا جثته ، ولكن من هم خصوم خضر ؟ ...

ذلك ما اجتهد رئيس رجال التحري في معرفته ، فدعا اليه التخيخ واختلى به ساعات ويلة وهدده بالعقاب الصارم ان لم يقل الحقيقة المجردة ، ووعده بالعفو عنه ان هو اعلن تلك الحقيقة ، فاصر التخيخ على الانكار ، واخيراً ، اخيراً بعد جهد وعناء صرح ببعض ما جرى ، ومن هذا التصريح استدرجوه الى الاعتراف بكل شيء ، فروى لهم كيف وقع القهوجي قتيلا، وزاد فجاهر بالمكان المخبوءة الجثة فيه

واين هي الجثة ؟ ...

ان مصطفى التخيخ ارشد رجال الشرطة الى مقرها ، فسرد لهم الحكاية من اولها

حتى آخرها ولم يكتم عنهم حرفاً واحداً منها ، فقال لهم كل شيء. وصرح بكل شيء. ولم يترك لوجدانه مجالا للعتب عليه ! ...

واين ذهب التخيخ وعلي شفيق بالجثة بعد ما فاضت روح القهوجي . لقد سارا بها الى بئر حسن ، وهنالك بين تلك الرمال النائية ؛ في ذلك المهمه القفر ، وقفت السيارة امام بئر عميقة الغور ، وحمل التخيخ الجثة علي ظهره وقال : انا اطرحها في البئر ! ...

ولكنه قبل ان يطرحها في البئر اخذ يفتش جيوبها عله يعثر فيها على بعض النقود ، فلم تصل يده الى سوى قطع نحاسية من ذات الخمسة القروش ؛ ثم رفع الجثة فوق البئر وقلب رأسها الى اسفل ورمى بها غير آسف عليها ؛ فتعالى منها الانين ، فان القهوجي لم يكن قد مات ، فالروح ما برحت تدب فيه !

وتناول التخيخ وعلي شفيق بعض الحجارة والقوها على الجثة يسحقانها بها ، وعادا الى السيارة يقول احدهما للاخر : هذه بئر لا يخطر في بال احد ان في قعرها جثة قتيل ؛ فلنندب اخانا المرحوم ...

وقال التخيخ : انا الكفيل بان الحكومة لن تعرف مقر الجثة ، على ان خوفنا من سائق السيارة !

— وهل نلحقه بالقهوجي ؟

—لا ، هذا صديق لنا ، فاذا اعطيناه بعض المال سكت وانكران يكون سمع او رأى

وهكذا كان ، فقد اعطيا السائق حفنة من الذهب وهدداه بالقتل ان هو باح بشيء مما وقع تحت ناظريه

* * *

كل هذ رواه التخيخ للسيد اسعد البستاني رئيس التحري ، وبلمحة بصر ألقى رجال الشرطة القبض على سائر المتهمين بالجريمة ، فجاءوا بعلي شفيق من دكانه وهو يبيع الدخان والحشيش والكوكايين ، فهو لم يبرح الدكان مع رؤيته مصطفى التخيخ في السجن ، ذلك ان علي شفيق كان على يقين بان التخيخ لن يبوح بالسر فتظل الجريمة مغلقة على رجال الامن ورجال القضاء ، على ان التخيخ لم يحسن الكتمان فتكلم ، وتكلم ولم يقف عن الكلام الا ساعة قال له رجال الامن : كفى ! ...



زجوا المتهمين بمقتل القهوجي في سجن الرمل . غير ان ابواب ذلك السجن لم تقف

حائلا دون علي شفيق؛ ففر في ليلة ليلاء، ولا يزال يمعن في الفرار

ولما جاء موعد المحاكمة وقف مصطفى التخيخ يتهم علي شفيق بالقتل وينسب الى محمد المناصفي تهمة الاشتراك في الجريمة؛ حتى انه جعل لسائق السيارة زكريا الغلاييني يداً فيها

وسألوا التخيخ عمن حرضه على قتل خضر القهوجي فصرح باسم رجل طيب السمعة حلو الحديث من بيت معروف في بيروت . فقال انه هو الذي دعاه لقتل القهوجي انتقاماً منه لان القهوجي هذا قتل اخاً لذلك الوجيه البيروتي فاضمر له الوجيه الشر وعزم على ان يثأر منه لاخيه

والوجيه البيروتي من آل منيمنه الكرام ،وقد نفى ان يكون له ضلع في الجريمة وقال ان التخيخ يظلمه فيما يعزوه اليه . ولكن المحكمة بعد سماع اقوال الشهود رأت ان تحكم على المناصفي والتخيخ ومنيمه بالحكم المؤبد مع الاشغال الشاقة ، وان تحكم على سائق السيارة زكريا الغلاييني بالسجن خمس عشرة سنة

اما علي شفيق ؛ علي شفيق الفار فقد ألقوا عليه كل تهمة وقالوا عنه انه هو القاتل، فما كان من القضاة الا ان حكموا عليه بالموت؛ ولقد يتلقى علي شفيق الحكم بالموت وهو فار برباطة جأش وربما بازدراء، ولكن ما لا يصبر عليه كل ذي وجدان ان يكون شقيقا علي شفيق واحدهما من رؤساء المحاكم و الآخر من المحامين قد تأثرا بفراره، فانزل الاول عن رتبته وقبض على الآخر ونزعت عنه حريته ، كل هذا في سبيل كسب بضع ليرات عن طريق القتل وسفك الدم ، ولكن هذه الليرات القلائل كلفت الذين كسبوها راحتهم وراحة ذويهم وافقدتهم على قدر ما كسبوه اضعاف الاضعاف . ذاك ان للدم لساناً صارخاً لا يكف عن طلب الانتقام ، كما ان للعدل يداً من فولاذ لا ترحم قاتل الارواح .

الجريمة مهما بولغ في كتمانها لا بد لها من الظهور ، والمجرم ولو اختفى تحت طبقات الارض لابد من ان ينال العقاب !...

تمت

---

السنة الثانية 		العدد السبعون

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## في طريق السر

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١٢ ايار سنة ١٩٢٩

# في طريق السر

— بقلم الشاعر المعروف الياس ابي شبكه —

— مسكينة انها تموت !

— من ؟ !

— غلواء يا بني ! يا للتعاسة ! كيف استطاع الداء ان يتمكن من ذلك الجسد الممتلئ صحة وجمالا في مدة لا تجاوز الاسبوعين ؟ ويل امها بعدها ! يا لخسارة الجمال ! يا لضيعة الشباب ! مسكينة ! مسكينة ! ...

ولم تتمالك الام من ذرف دمعة حرى أعارها ضوء المصباح لوناً برتقالياً كالحاً، وكانت الليلة تنتهد نجوماً ضئيلة ذات بريق اشهب مريب، وكانت الزوق ، القرية المضطجعة على قدمي هضبة الصنوبر مقر بطاركة الشرق، تحلم احلامها العذبة تحت مشارف السماء الكسروانية الهادئة

فلما سمع الياس تلك العبارة الموجعة من فم امه ادركه الجمود في مكانه فلم ينبس ببنت شفة، وبقي ربع ساعة في هذا الموقف الاليم . وكان في الثامنة عشرة من عمره ، فتى تتقاسمه الآمال الواسعة والجمال النقي، ولم يكن قد عرف طريق قلبه بعد اذ انه منذ خروجه من المدرسة انصرف الى مواصلة العلوم والاداب خلافاً لسواه من اترابه الذين دارجوه في الحياة المدرسية ولم يدارجهم في مجاهل الحياة !

مر ربع ساعة على جموده استعرض فيه مشهداً رهيباً . كانت غلواء تمر امام عينيه تارة في جمالها البهي وطوراً في كفن ابيض، صفراء الوجه، مجعدة الجبين، ذات شحوب رهيب كأنما هو رؤيا جريئة في موقف التكفير . ثم استفاق من غيبوبته فعاد الى نفسه واتجه الى الشرفة حيث جثا يصلي ليشفع الخالق بغلواء !

وتصاعد حفيف الشجر في الحديقة الى مسمعيه اشبه بقيثارة الموت تهمس في مسمع الحياة، فعاودته رهشة عنيفة لدى رؤيا اشد ألماً من تلك، تراءت له المريضة المحتضرة محلولة الشعر، منتفضة الاعصاب كأنها جنية هائمة على نفسها في ليلة عصبية تحمل على كتفيها

تابوتاً ابيض تمددت في وسطه فتاة تموت في غيبوبة ولها من العمر ثماني عشرة سنة ، فريع من هذا المشهد المهيب وانتفض انتفاضة خوف عظيم ايقظتهمن رؤياه ؛ عند هذا حوّل نظره الى الدار فرأى المصباح قد انطفأ وسادت على الغرف ظلمة لم يتخللها الا عينـا هرّ اسود !

ودقت الساعة دقتين بعد انتصاف الليل فقال في نفسه : « مالي استسلم الشجون ؟ واي شأن لي بفتاة لا اعرفها ولا يهمني من امرها الا انها ابنة جميلة عاقلة ؟ فهل فكرت بها مرة قبل الان ؟ » وما هي الا فترة حتى كان الفتى يستلقي على سريره ويتكلف النوم ويطرد رؤياه ، في حين كانت السماء لا تزال تتنهد نجوماً ذات بريق ضئيل !

— ٢ —

غلواء ، هو اسمها المستعار .

كان لهذه الفتاة قريبة في مدينة صور تدعى وردة دعتهـا لتمضية بعض الشهر في عاصمة الفينيقيين ، فلبت غلواء دعوة قريبتها وسافرت الى صور مودعة في الزوق امـاً ووالداً وصديقات ، وقلباً اثيما في بيروت !

وكان السفر في العشرين من شهر تموز عام ١٩٢١

وعندما اوشكت المركبة ان تبلغ المدينة الجبارة أطلت الخرائب القديمة آثارتلك الدولة التي غزت الارض في الماضي كأنما هي جبابرة لا تزال عبرة لبني الانسان . فينيقيا ومجدها الخالد ، وملكها العظيم المؤيد ، اميرة التجارة والفنون وحجة الحضارة والعلوم ، سلطانة البحار ، مليكة النضار والبرفير ، لؤلؤة التيجان والعروش ، ومطمح اليونان والرومان ، امست اليوم بقايا وطن مدمر قائمة كطلل مهجور عـلى شاطىء جميل من شواطىء صور !

وذات ليلة من الليالي القمراء ارادت غلواء ان تشاهدالخرائب عن كثب ، فخرجت الى شاطىء واخذت تتأمل بقايا الدهور . وكانت القبور قائمة بين الصخور والميـاه فجلست غلواء تشاهد الامواج وهي تدنو فتقبل القبور طوراً وتعود عنها تارة كالحشاشة الحزينة تذوب على قلب حبيب ميت ؛ او كذكريات عاشق فانٍ تهمس اسراراً غريبة في مسامع الموت !

وكان للمياه زبد خفيف كأنه قطن مندوف جعده النسيم في هبوبه ، فاسترسلت غلواء لاحلامها وقد طفت مقلتاها على المياه ، واذا النسيمات تلامس جبهتها الجميلة فتحرك

شعورها وترطب وجنتيها فالتفتت الى ظلام الليل الجليل وكأن رعشة دبت في عروقها دبيب الهواء العاصف في ثنايا الاوراق فنهضت من جلستها واسرعت الى البيت كشعلة في كبد الظلمة او كفرخ نسر ضل عن وكره فكان يجنح في طيرانه ، حتى اذا بلغت سريرها شعرت بألم شديد ودبت في اعضائها قفقفة عنيفة فنادت اليها قريبتها «وردة» التي لازمتها طوال الليل ، ولما طلع الصباح جيء بالطبيب فقال انها أصيبت بحمى فجائية يخشى عليها من عواقبها .

ومرت الايام على عذاب غلواء فاذا هي خيال ، واذا صدرها الجميل وقد برزت فيه العظام صفحة الموت تخط عليها اقلام العلة احرفاً سوداء ، وعندما يجن الليل تتنبه الاشباح في مخيلتها فتستسلم لرهبة الظلمة اذ يخيل اليها ان شبح الموت كامن في مخابئها ، وتبرز اخيلة الذكريات الاليمة طائفة على جدران الغرفة ؛ ثم تصغي الى اصوات البوم الناعق على الخرائب تتخللها هدرة الامواج في الشاطىء الكئيب !

ذات ليلة ، تذكرت الزوق ايام كانت قبلة الانظار ومطمح الشباب الجميل ، فاستعرضت امام عينيها مواكب الضباب تمتد على الهضبات كالاحلام العذبة ، واخيلة المساء المتموجة على جبل «حريصا» ودوي الاجراس عند المغيب ، والهواء النائح بين القصب ، وسنديانة الكنيسة والفقير الواقف على بابها يستجدي اكف المؤمنين، وذكرت اصفرار الشمس على الاكمات والاطفال اللاعبين في ظلال سنديانة المعبد ، فاضطربت اضطراباً أليماً وحاولت ان تستر حتى عن الموت امراً منكراً ، ثم خانتها عيناها فذرفت دمعة من دموع الضمير على حافة سريرها !

وذات يوم سمعت وطء اقدام على الادراج السفلى فوقع صداه في صدرها وقع السهام ، وما هي الا هنيهة حتى قرع الباب ودخل عليها يحمل في عينيه بدل الشهوات الماضية خوفاً ووجلا ، الا انها حولت بصرها عنه وتركته واجماً في مكانه فعاد ادراجه من غير ان يفوه بكلام !

— ٣ —

شاء القدر الظالم ان تشفى « غلواء » من مرضها وتعود الى الزوق

فاسرع الجيران والاقرباء يهنئونها بسلامتها ويحمدون الله على نجاتها من الموت ؛ وكان بين المهنئين ولد في الثامنة عشرة من عمره لم يكد يدخل باب المنزل حتى شعر باضطراب سرى في جميع مفاصله من غير ان يفقه معنى لذلك الاضطراب الذي استولى عليه

فجأة ومن غير سبب !

فكان اذا ابتسمت غلواء في وجهه اطبق جفنيه خائفاً ، واذا طرحت عليه سؤالا اجاب بتكلف ، ولما حان الانصراف شعر برجفة في قدميه الا انه تجلد بجهد كبير وانصرف الى داره

عاد الياس الى مخدعه مشتت الافكار ، وما ان استوى على سريره حتى شعر بلهيب يسري في رأسه وقلبه عقبه اختلاج عنيف ، وادلهم الليل حول الفتى المسكين وهو يهذي تحت تأثير حمى تنفث في صدره حمة الآلام وقد غرس يده في صدره كأنما يريد ان يحجب في قلبه املاً بناه للمستقبل المشبوه ، وهبط النعاس على جفنيه فنام نوماً مضطربا في حين كانت الطبيعة ساكنة لا يسمع فيها الا حديث الاعشاب والزهور .

* * *

أرقد الى ان ينجلي الظلام ايها الولد البائس ، اما الهناء فقد انكرك منذ شعرت ! ارقد الى ان يطلع الفجر ايها الرشأ الوديع ، فقد اصبحت مغلل اليدين رازحاً في قفص وضعته الحياة تحت رحمة الصياد . ارقد حتى تنكشف الدجنّة الرهيبة عن اصابع النور يا جسداً شاء الحب ان يتقاسم عناصره ، فسوف تصبح هيكلا ثم شبحاً ! ارقد فعسى ان يحمل الرقاد اليك نجوة النسيان الذي تنطفىء لديه شعلة الالم والحزن ! لا تستغرب خفقان قلبك فانت رهين مقلتي غلواء ! اما الخفوق هذا فسوف تتلوه الشجون الاليمة ، والبؤس ، والسقام ، والويل ، والعار ، والموت . . وجميع هذه الالوان يطلق عليها اسم « الحب ! »

— ٤ —

كانت اخيلة الليل ترحف على الهضبات زحف هارب مرتاب مجرّرة وراءها وشاحها الردي وقد سلخته عن جسد الاعشاب والورود ، وبعد هنيهة برزت السهول عارية خجلة كالغادة الساحرة الاجفان قلقت لدى الاستفاقة الاولى ، وانتعشت حشاشة النسمات فمرت على اوراق الكروم مروراً خفيفاً

هو الربيع ! فما براعم الازهار المتايلة على الاكمات الا ابتسامات هذا الاله الجميل ، وليس نغم الجداول المترقرقة الا همس الطبيعة المشتاقة الى الحب ، الى النور ، الى الحياة !

* * *

من تراه يكون هذا الولد الحائر ، الحامل في وجهه امارات الذهول وقد سالت

عليها صفرة الضعف والسقام ؟ لماذا نراه يتراخف في سيره ناحلا شاحباً كورقة من اوراق الخريف ؟ ألسنا في الربيع اليوم ؟ من تراه يكون هذا الولد ؟أما هو ذلك الخلي الممتلىء امل‍اً وحياة الذي كثيراً ما رأيناه ضاحك الثغر كزهرة في الفجر ؟

لقد تبدلت حياة الياس منذ لامسه الحب باطراف انامله النارية ؛ ولم تكن غلواء الجميلة لتدري ما حلّ به وما يحمل في فؤاده من الوان الحب ، بل كانت دائماً تنظر اليه مستغربة اضطرابه المريب ؛ وذات يوم سألته عما به فارتعش الفتى من غير ان يجيب وسقطت من مقلتيه دمعتان اوقفتا غلواء عن اعادة السؤال اذ انها شعرت بان لما يجول في قلبه علاقة بها

وخشيت عقبي الحب وهي ابنة حكيمة خبرت الحياة فلم يبق للغرور سبيل الى خدعها ، اجل ، تذكرت ماضيها البعيد وكيف جار الزمن عليها ونكث الحب الاول ايمانه فنظرت اليه بشيء من الريبة وقد سترت في اعماق ضميرها عاطفة صادقة ، ثم حاولت ان تتناسى ما مضى وتبني على انقاضه حباً جديداً الا انها عادت فارتعشت لدى افكار أليمة قاسية وحسبت للحب الف حساب ، فاجتهدت في حجب ما تغلغل في قلبها الحكيم وتركت الياس هائماً في مجاهل قلبه الساذج

***

عندما اختلت غلواء بنفسها استرسلت الى ذرف الدموع والتحسرات ولم تقو على امساك ما يجول في صدرها من الحب اذ انها شعرت شعوراً قاهراً بان حبها القديم يعاودها ولكن في صورة نقية طاهرة . آه ! لقد كان الهوى الماضي جاحداً عقوقاً اثيماً تفوح منه رائحة الشهوات ملوثة بدماء القلوب

مرت عليها ساعة من الزمن وهي تناجي نفسها المضطربة الواجفة ، تدفعها الشجون والحسرات ؛ وللشجون والحسرات مدّ وجزر ، ثم حاولت ان تغمض جفنيها لتتناسى ذلك الماضي الخائن الا ان الخيال الذي تهواه بتي يرود في اغلاق اجفانها ، وخيل اليها ان الظلام تمتلىء بصوته السهاري وان دماء مقلتيه تجري في عروقها جريان الحمى ؛ فارتعشت ارتعاشة عنيفة ونهضت بسرعة وقد بلغ منها الذعر مبلغه وانحدرت الى الحديقة تبحث فيها عن مهجة اسمى من مهجة الانسان فابصرت الاغصان الساكنة تحلم في الظلمة صامتة خاشعة ، وسمعت المياه ترفع الى الاله شكاياتها كأنما هي دموع امرأة مظلومة ؛ ثم التفتت الى الاوراق المتناثرة على بركة احيطت بازهار الحبق وقد عامت على مياهها

ازهار الليمون كأنها احلام قوم مضوا ، فخيل اليها عند هذا انها ترى الحية سوداء مخيفة تزحف كالافاعي على جدران الحديقة . ان خيلات الآثام لا تحتجب عن مخيلة مجرم يتوب!

* * *

وعادت الى مخدعها باكية متألمة فاستلقت على سريرها لتنام الا ان طيف الاوجاع ابى الا ان يزورها في تلك الاونة

اجل زارها شبح العاشق في حلمها المتقطع حاملا بيده قارورة تقطر منها نقاط حمراء رمز قلب جريح . ولما طلع الفجر افاقت غلواء من رقادها كجمرة تخمد بعد اللهيب فسمعت الطيور ترفع الى الخالق صلواتها فقالت في نفسها : « لا عزاء الا فيه ! » وماهي الا هنيهة حتى كانت غلواء في طريقها الى الكنيسة

* * *

خفت نساء القرية الى الكنيسة الحقيرة يضرعن الى الله سبحانه وتعالى ، واجتمع الآباء وابناؤهم في المعبد يرفعون الى الخالق بخور النفوس في حين كانت العجائز يتنهدن وهن يبسطن اذرعهن المرتجفة كسارج معكوفة جفت الشموع على قنتها كما تجف الدموع في محاجر الباكين ، اما الكاهن فكان صوته يذيب في جميع الصدور روح الله العظيم ؛ وبعد ان تلا سورة الانجيل قال بصوت خافت : « ابانا الذي في السموات اغفر ذنوب عبيدك ! »

في تلك الساعة كانت غلواء ساجدة بين العجائز تصلي الى الله وتضرع له بقلب متألم؛ فلما قرعت مسمعها كلمة الغفران من فم الكاهن القديس جمدت في مكانها جمود الدمية ثم خفضت رأسها الى الارض ذارفة دمعة حرى وقد رشح العرق البارد من جبينها واللهيب من قلبها

كان الياس بين المؤمنين يصغي الى آيات الذبيحة وهو ذلك الفتى النحيل الذي كثير ما كان يذهب مذاهب الملحدين قبل ذلك الحب ، الا ان الحب والالم اذا اجتمعا كانا توطئة للايمان الصحيح . اجل ؛ كان منتصباً في زاوية من زوايا المعبد كسروة لم يحركها النسيم وكان الناس من حوله كالاضرحة الصامتة الباردة !

عندما انتهت الذبيحة وعاد الجميع الى بيوتهم رجع الياس مشتت الفكر والضمير ومر امام بيت غلواء فابصرها واقفة على الباب كدمية في محرابها وقد ارتدت ثوباً ابيض اعطاها شكل فلة؛ فابتسم لها ابتسامة مريضة صفراء سالت عليها افكار غامضة مشبوهة

فقابلته ببسمة مرة تعرّت من جميع اسرار الحب ؛ ثم اومأت اليه وقالت له : لي كلام اقوله لك !

فجلس الفتى مضطرب القلب يدري ماذا تود ان تقول ولا يدري . حتى اذا ما مرت عشر ثوان نظرت اليه بشفقة وقالت له : مالي اراك واجفاً يا الياس ؟ ماذا دهاك وانت في ميعة شبابك والمستقبل الجميل يبسم لك ؟

فلم يجب وبقي صامتاً صمتاً ينم عن شجون وخوف ، وجمدت عيناه جمدة الزجاج مبقيتين اثر اللهيب كموقد خمدت ناره الا انها ابقت فيه اثراً من اضطرامها !

ثم حاول ان يفوه بكلمة فخرجت الكلمة همساً من شفتيه ، عند هذا شعرت غلواء بطويته وتأكدت ان وراء كل هذا قلباً متألماً يذوب من اجلها

ولكنها تجاهلت ما خزرته وابتسمت لتحجب هذا التجاهل بالابتسام ، وحاولت ان تغير الموضوع خشية ان تبدر منه كلمة تنشي لها ما يكتمه عنها ، الا ان لسانها تلعثم وانفجرت الدموع من مقلتيها كأن في عينيها ينبوعاً ينبوعاً من هذا العنصر السائل . فقال الياس :

— لماذا تبكين يا غلواء ، فداوك القلب والعيون وما في القلب والعيون من ألم وعبرات ، لماذا تبكين ؟ وماذا تضمرين في صدرك ؛ ان كنت تودين قلبي فهو باجمعه لك ، ابتسمي له لتخففي ما به من الاوجاع وترفعيه الى اوج السعادة الخالدة ، غلواء ، تكلمي ، تكلمي يا غلواء !

فاضطربت الفتاة اضطراب مجرم يخشى مرور ذكرياته ؛ ولبثت صامتة تفكر في ماضيها المبعثر حتى اذا افاقت من تفكيرها قالت له والدمع يتساقط على فمها : اخاف ان يشقيك الحب ، اخاف ان يظلمك يا الياس ، دعني ... دعني احب شعرك الجميل وروحك النبيلة الطاهرة ، دعني ... فما الحب سوى جهنم القلوب ، لا تدنُ مني وابق بعيداً ... بعيداً ، فمن بلاه الهوى لن يعود اليه ، ان عاقبة الحب اسى ؛ وألم ، وسقم ، وموت ، آه ! امامك المستقبل ، فاذهب اليه ؛ امامك القلم الجذاب يبسم لك عن سحر جميل !

فثارت عاطفة الشاعر في قلب الياس وقال لغلواء : ان الحب كالموت تنحط عنه جميع السلطات ، فمن يحب يا غلواء ، ترحف على قدميه قوى الارض جمعاء ، ان الحب شعاع من عيون الله يذوب في ارواح البشر ، ولم يبدع الله قلوب الناس تبقى صامتة كالاحجار . غلواء ، ان المال والمجد والجمال والالقاب وكل ما في العالم لا يساوي ذرة من الحب ! اجل ،

ولا تستطيع الخطوب مهما ادلهمت ان تقف في وجــه الحب اذا تمكن ، فهو فوق الاخطار والحواجز والترهات ! غلواء ، لماذا تخافين ؟ لن نأتي ما لم يأته غيرنا من العباد ، ان نقترف جريمة تغيظ الله ، والحب لا يخجل الجبين ! آه ! لا تطيب الحياة ما لم يكن القلب اساساً لها ! . .

على ان غلواء وهي ربيبة الالم بقيت شاخصة الى الماضي البعيد ، مستغرقة في حلم مستمر كأنها تبحث في مخابىء الماضي !

الماضي! فماذا يخبي هذا الشبح، اية افعى تتلوى في مساربه ، واي سر تخاف غلواء من تذكاره

* * *

في ليلة من ليالي الشتاء الممطرة كان الشاعر الفتى جالساً في غرفته الى منضدة عليها ورقة وقلم وشمعة

وكان من عادته ان لا يكتب الا على نور شمعة . وفي حين كان يستعرض افكاره السوداء ليسلخها اجزاء دامية من كبده انتبه الى شمعته التي كانت تنازع كالمريض في ساعته الاخيرة ؛ وبعد ان مرت عليه بضع ثوان وهو يحدق الى نورها الضئيل اخذ القلم وكتب هذه الابيات :

شمعة الضياء ، يا رمز الفنا ... ما انت بالنزع تقولين لنا ؟
من انت، انت رمز من يريب ... انت تذوبين كما نذوب
انت رسول الموت للانام ... في ضيــاك شبح الظلام
يا شبح الظلام من انت ترى ... أانت سر لم يزل مستترا
في دمعك المصفرّ نور شاحب ... فهو لسان من ترى يخاطب ؟
يا شمعتي ؛ يا رمز كل مائت ... ماذا تقولين بنور باهت
اللهوى السعيد في البـدايه ... نهاية كهذه النهــايه ؟

ثم تلاشى النور في الظلمة الحالكة كما تتلاشى الانفــاس الاخيرة واذا بالشاعر الياس يسمع همساً كأنه مرتفع من اعماق القبر ؛ ثم تراءى له والده محاطاً بغمامة بيضــاء كالرخام شابت لبياضها الناصع جبة الظلمة ، غمامة نقية كالندى التي تحمل من السماء لوناً كلون الاحلام ، فوقع الياس في غيبوبة مسكرة امام رؤيا نفسه المتألمة وبعد ان مرت فترة قصيرة شعر بان انامل الخيال تلامس اهدابه الطويلة وسمع تنهدة عميقة صدرت من الشبح عقبها صوت كاصوات القبور متمتماً بهذه الوصايا العشر :

«عش وحيداً معماتكن معذباً !

لا تتألم جهراً في الحياة بل اجعل احزانك سراً عميقاً ، فالذي يكشف الحزن في وسط آلامه وويلاته يكون ضعيفاً !

احمل صليبك على كتفيك المثقلتين حتى تصل الى جلجلتك !

لا تدع كائناً من كان يمنحك احساناً في الحياة !

جبان جبان هو الذي يبحث عن انسان يعينه في آلامه !

لا تترك الاستغاثة تغسل الدماء المستقطرة من جراحك !

بل غلغل خنجرك في الجراح وقابل الالم بابتسام وكبرياء !

حافظ على آلامك فلا ينقي النفس ويطهرها الا الالم !

أعط الفقير قسمته فهو اخوك !

وعندما تدق الساعة الاخيرة ادخل الى حجرتك الضيقة وانا ملك على فمك !»

واحتجب الخيال كوميضة البرق تاركاً الشاعر بين الظلام والسكون وما هي الا بضع دقائق حتى استفاق الياس من حلمه فلم يجد امامه سوى القلم والقرطاس وخيال الشمعة المنطفئة فقال :

— يا روح والدي الحبيب ، يا شاهداً عدلاً على الذنوب التي اقترفتها ، اني كما شئت ان اكون ، راض بآلامي وتعاستي ! لقد خطت لي الحياة طريق العذاب بين ثنايا الحب كلما تبسم ثغره ! ولقد بدأت اقرأ نور الشقاء في عيني فتاة مبهمة! الا ان الحب الذي اكابد يا والدي انما هو حب ابكم كالضريح يضمر اسراراً لا قرار لها ! فهل الحياة جميعها أسرار يا ولدي ؟ !

وسجى في الظلمة يتمتم انشودة الالم في حين كانت اعواد الحديقة تعزف نغمات الرياح كأن لليل قلباً شاعراً حساساً ذاق العذاب فبقي ساهراً ! قال :

أشعة من وجنتيك ملهبه — يا ألمي — تجعل نفسي طربه

وفجرك الشاحب يولي قلبي في كل حين ذكريات حب

اذا ابتسمت لي ابتساماً نيّراً احسست ان شوك قلبي ازهرا

يا بردة حالكة فوق قمر تجمع الدمع عليها وانتثر

يا هيكلا كهانه القلوب بخوره الادمع والنحيب

اسمع اجراسك من بعيد فهي تناديني الى السجود !

ودقت الساعة اثنتي عشرة دقة في سكون الليل فنهض الياس من سجدته كراجع يستفيق من هجوعه وقال :

—ان اتعاب الضمير تتصاعد من مدينة الارماس ! ايها الليل ! يا مسرب النواجع ، يا قربة الدماء والدموع ، كم من خلي يستريح فيك وكم من يتيم يتألم ! أرقد ايها الخلي قرير العين ، وابك ايها الشقي ! فالليل ملك السعداء المترفين هو كما ملك التعساء البائسين ! اسمع صوتاً خارجاً من شفاه الحياة يقذف باللعنات والتجاديف ! اتسمعون ايها الظالمون ؟ أتسمعين ايتها الاثام ؟

ولامست انامل النعاس المخملية أهداب جفونه المثقلة فنام نوماً مضطرباً مزعجاً في حين كانت الرياح في الحديقة تهزهز الاغصان والاعشاب !

واستفاق الشاعر في الصباح على دوي الهواء القاصف وكانت الاشباح لا تزال عالقة بأهداب جفنيه ، حتى اذا بدا النهار وسكن الهواء ذهب الى غلواء كمن يذهب الى قاض ظالم وقال لها :

— ليس قلبي يا غلواء طوع يدي كما ظننت ، فالحب يتراءى لي في كل ليلة بزي شبح مبهم يجر وراءه اشباحاً من الالم اشد كفراً من الظلمة المدلهمة فماذا يخيفك ياغلواء؟ واي سر تكتمين عني ؟ اتمقتينني انت ام تكتمين عني حزناً ماضياً يتراءى لي من خلال عينيك ؟ غلواء ، يا نبراس فؤادي البائس ، يا املا في ظلمة اليأس ، يا مرهماً لقلبي الجريح ، يا شبحاً يطوف في ادمع مقلتيّ ؛ لقد احببت نفسك الشريفة العفيفة ، غلواء ، اي ظالم متمرد يقطع خيوط الرجاء التي نسجتها بدموعي ؟ آه ! لا ، لا تتركي سعادتي تتناثر كالهباء في ظلمات اليأس ! يا صورة تجري السعادة عليها ، لقد عبدتك ، وهذا اقل شيء امنحك اياه ! غلواء ، يا ارج المروج والاكمات ، يا وتراً اسمعني نغماتي العذبة ، لقد مجدتك في الازهار ، والماء ، والطيور ؛ لقد مجدتك في بسمات الشمس ، في تموجات السنابل ، في ادمع الضعفاء واليتامى ؛ في شهقات البائسين الاشقياء ، ايه ايتها الزهرة النقية الطاهرة ، يا قربانة نفسي التعسة ، احمدك اليوم وغداً وبعد غد وكلما طلع الفجر ودنا المغيب واستنشقت في المساء نسمات الخريف عند هبوبها ! احمدك كلما بللت بدموعي اشعاري النقية التي اقدها من اضلاعي ! وسوف أريق قربة شعري على قدميك حتى اذا نثرت كل دمي ختم الله في بيدك الناعمة !

لم تقو غلواء على امساك دموعها لدى سماعها هذه الكلمات ، فارتمت على قدميه تبكي

وتنتحب . اما هو فاهوى عليها ليقبلها في جبينها الا انها تراجعت عنه مذعورة ولبثت جامدة في مكانها ثم التفتت اليه وقالت :

— ان بي ألماً يقتات منه جسدي ؛ لا تقترب يا الياس فالويل والسقام والشقاء وحتى الموت افضل مني ! . . .

* * *

رب ! يا عالماً باسرار الناس ، يا مالكاً اعنة القدر ، شدد قوى الشاعر حتى يصل الى حيث يكمن السر !

— ٦ —

مرت على هذه الحوادث تسعة اشهر

نحن اليوم في اوائل الخريف

كان المطر يتساقط من ثنايا الاوراق لدى ارتعاشها ، وكانت انفاس الطبيعة تهز رؤوس الصفصاف فتتساقط منها لدى كل نسمة اوراق صفراء شاحبة كاجزاء قلب عاشق خضبها الصيف القتيل بدمائه ، او بقايا هيكل مهدوم يصنع منها عتبة للشتاء القادم

في تلك المدة كان الشاعر في قرية « الخنشارة » على قدمي صنين الجبل الاجرد الرمادي ومعه صديق عارف بجميع اسراره ، وكانت غلواء في هذه القرية لبعض شهر بين اواخر الصيف ومنتصف الخريف

فمرت على الصديقين هنيهة طويلة من الوقت لم يتبادلا فيها كلمة حتى ولا نظرة ، بل كانا يتأملان من نافذة غرفتهما القائمة بين الصنوبر والكروم ذلك الشحوب السائل بعذوبة على قمم صنين ، ثم رفع الياس الى صديقه « مقلتيه » المغلفتين بسحابة من الدموع شفافة وقال له

— لم يبق لي الحب حشاشة يا صديقي ! فهذه المناظر بكل ما فيها من الجواذب الفتانة ، وكل ما في هذه المزارع من روعة تنحط عنها روائع مشاهد العالم اجمع امست لا تستهوي قلبي الحزين ! سقياً للماضي ما كان اعذبه ، ايام لا سر ولا عذاب ولا حب

واطلق زفرة من اعماق صدره وسكت . . . ومرت فترة من الزمن لم يتخللها سوى زفرات الشاعر وارتفاع حواجب خضاع من حين الى آخر ، وخضاع هذا شاب في مقتبل العمر عرفته الآلام وصقلته التجارب فاذا هو حكيم فيلسوف

قال خضاع :

— يا شاعر الايتام والبائسين ، أصغ الى ما يقوله لك صديقك الخبير المعجب بروحك المتألم لآلامك ، لقد ابصرك تبكي حظك التعس فجاء يمنحك العزاء ، والعزاء يا حبيبي أعز هبة يهبها الصديق لصديقه في وسط الآلام والمصائب !

وبعد ان مسح دمعة سقطت على خده استطرد قائلا :

— اي شاعر الآلام ، فكر في التاعسين الابرياء ، فكر في هؤلاء العذارى اللواتي تطرحهن الحظوظ بين مخالب الشقاء فيتزوين في معبد وضيع موثرات الاديرة على القصور ؛ هن يجدن آلام السجود أعذب من افراح العالم وملذاته . ولكن من يشقى في هذا العالم الفاني يستحق الجزاء في السماء ، فثمن السعادة مهما كانت براقة لا يوازي ثمن الكآبة والحزن ، ان التاعسين اخواني جميعاً فانا سليل الدمع والالم وماعزائي في هذه الحياة الا الخالق اله الحب والامل ! ...

ورفع خضاع عينيه الى الله وتمتم قائلا :

— يامبدع الاقوياء والضعفاء ، لولاك ، لولا رحمتك لما كان الحب سوى تجديف ، لولاك لولا رحمتك لما كانت هذه السماء الا خدعة لامعة براقة !

ثم حول نظره الى الياس واستطرد قائلا :

— اي شاعر الربيع والخريف ، لا تيأس فما اليأس الا للضعفاء من بني البشر ! ألم تقل امس للظالمين مدافعاً عن حرمة البؤساء والايتام في قطعة من شعرك الخالد الجميل :

لي همة في الشعر لست اعافها ما زلت ابصر ادمع الايتام
ما زال في لبنان حق ضائع ما زالت الاحكام للظلام ؟

ألم تقل في احدى ثوراتك :

اني اماشي القلب حيث يقودني واسير حيث تقودني آلامي
فاخوض عاصفة المظالم باسماً لصواعق تنقض من اقلامي

اذن فدافع عن الضعيف ولا تقنط من ربابتك فان ربابة الشعراء احد من سيف قاطع ! لا تقنط من الحب فهو وان اشقاك شعلة مطهرة تنطوي على ثورة من ثورات النفس المتمردة !

وهبط الليل رويداً ملقياً على مطارح السهول والاودية رداءه الاسود المهيب فشخص الشاعر من النافذة الى هذا المشهد المظلم وبقي فترة من الوقت يتمتم في نفسه هذه الكلمة : ايها الليل ، انك تحجب سراً غريباً في كواكبك الضئيلة غير اني اسمع انغاماً ذائبة مع

ضياء نجومك المحتضرة أتراه نغمات اسرارك ترددها حناجر الظلام ؟!

فحزر الفيلسوف ما جال في خاطر الشاعر فقال له :

— ان الشكوك تضرم في صدرك نيراناً ملتهبة ، ويصور لك التشاؤم الاليم ان الحياة خطر عليك ! بيد انك شاعر لك قصور المترفين مواطىء ، وأمامك ورود المستقبل تضفرها الايام اكليلاً لمجدك الخالد

— ٧ —

مرّت اشهر ثلاثة !

ذات يوم بينا كان الشاعر في مكتبه الواقع في ساحة الشهداء يتأمل الليل الهابط على مدينة بيروت دخل عليه موزع البريد وسلمه رسالة ففضها وقرأ :

« صديقي القديم     عن دير الاحراش في ٥ كانون الثاني ١٩٢٣

« اكتب اليك هذه الرسالة الممزوجة بالدموع واليأس وانا بين حواجز سوداء واروقة خرساء ! يا الياس ، شاء الخالق ان يزق قلبين عاشا فترة قصيرة من الزمن ، فحكمة الله لا تحد ولا ترّد ! لقد حتم عليّ ان اصعد الى جلجلتي لاميت جسدي المثقل بالآلام ، واضحي بدمي الاثيم تكفيراً عن ذنوبي القديمة ، لقد حتم عليّ ان اقاسي ألم الوحدة وتجربات الاحزان ! حتم عليّ ان ألطم حجارة المعبد بجبيني وارفض الجواهر التي تتحلى بها النساء ناكرة احلامي العذبة وآمالي الكبيرة ، وان اقص شعوري لارفعها الى مذبح رجل الآلام، الى المصلوب !

«سمعت ضميري يهمس في اذني ذات ليلة : سيري الى الدير يا ابنة العذاب فهو مقيل البائسين من ابناء الحياة ! كم من فتاة لا تجد الراحة الا بين جدرانه الخرساء ! ... هناك ، تجدين السلام الحقيقي لا تدنسه الاثام والجرائم ! هناك ، تجدين المجد الخالد ! هناك ، تجدين الله ! هناك ، تجهلين قلب الرجل وتلامسين البؤس في وسط الرجاء ، وبين جدران ذلك المقر تستعذبين ابتسامات القبور . لا دنس هناك يلطخ جبينك ولا شهوة تطفو على عينيك ! لا تخشين هناك حكم القدر ولا تخافين الموت كما يخافه البشر ... لا ترقبين الزمان ولا منهجه فعدل الزمان وجوره على حدّ واحد هناك ... ولا تعرفين الحياء بين جدرانه السوداء اذ انك لا تشعرين بلهاث الرجل ، ذلك اللهاث الذي تفوح منه روائح الخبث الذميم ! سيري الى الدير فلن تجدي خبزك الحقيقي في مكان سواه . ألا فاستقبلي هذا القلب الطاهر الجديد واستبدلي به ذلك القديم الجاحد فالحب في قلبك الجديد

اعذب منه في غيره

« هذا ما همسه في مسمعي ضميري المعذب • آه ! لقد دخلت الدير حية ودفنت سري في ظلمته ! اليست صديقتك القديمة يا الياس الا فتاة مجرمة تحمل في حبها ما تندى له الجباه خجلا فانسها ناشدتك الله — غلواء »

لم تكن الصاعقة حين تنقض اشد وقعاً على قلب الشاعر من هذه الرسالة الاليمة ! لم تكن النيران المضطرمة ، ولا الرياح الهوجاء ، ولا البركان الثائر، ولا الخضم المضطرب المتمرد اشد من افكاره ساعة تلا الكتاب !

وكانت بيروت المدينة العليلة غارقة في احلامها الرمادية • • •

بيروت ، قلب الامة المظلومة ، الامة الكريمة المضيافة ، اجل ، كانت تاكفة تحت قبضة الجلاد في حين كان الظلم يمتد في صدور بنيها والحاكم الجائر يستبد فيما لا يردعه رادع ولا يثنيه ثان ، وكان الضعيف لا يجد بداً من النزول عند احكام ذلك المستبد ، وللمستبد مراتب والقاب وللضعيف العاجز ضرائب ونكبات ، فقال في نفسه :

— لبنان ، يا بلادي المحبوبة ، يا مرتع الاستبداد والجور لم يبق لي فيك بعد غلواء الا امل واحد وهو ان افديك ! لقد افقدني الحظ من اعبد في هذه الحياة ، ولكن ليحيَ الشعب ! ساضحي بدمي لاشتري به هناءك وهناء البائسين فيك يا وطني ! • • • سكبت في قلبي قارورة الشعر منذ حداثة سني فخذه اليوم يافعاً فتياً من قلب هو نقطة دامية ، آه لم يبق لي بعد غلواء امل في الحياة !

***

ولما كان من غد قال الشاعر في نفسه وهو شاخص الى عالم مجهول :

— ما ضرني ان اذهب ضحية في سبيل وطني ، فان كان لا بد من استشهاد فلأمت ميتة الابطال ! لقد وهبك الله يا نفسي بذرة من بذور الالهة فاجعليها تنمو في دقيقة وتطعم المظلومين من ابناء الشعب المنقسم على نفسه !

ويل لشاعر لبناني يدعو امته الى العصيان !

ويل لكل مفكر تخالجه نفسه بان يجس نبض الوطن المحتضر !

— ٨ —

دعا حاكم من الحكام عظماء البلاد الى حفلة راقصة اقامها لهم في قصره الفخم فاقبلت النساء عاريات الصدور والاذرع تتبعهن مواكب من الغادات الساحرات

الاعين ، المبدعات انواع الرقص والمجون

واذا بالقصر يرج بالقدود المختلجة على رنين الاقداح الذائبة في خمورها اموال الامة الفقيرة . في تلك الاونة كان جمع غفير من ابناء الشعب يصغي على قارعة الطريق الى دوي الرقص وغصة البؤس تنكشف في أعينه ، وكان الشاعر بين الجمهور المحتشد هناك ، يصهر قلبه جمر الثورة ، وتتقاذفه عوامل شتى ، واذا بفكرة غريبة مرت في مخيلته فاختلج لها اختلاجاً شديداً وقال في نفسه :

— لقد حان الوقت يا قلبي فتمرد على المستبدين ، وناد الشعب القاصر الى استشعار المجد والتضحية !

ثم صاح بالشعب فاصغى اليه ، وبقي ربع ساعة يحثهم على العصيان بمثل قوله :

—حان لكم ان تطرحوا اليأس القاتل وتكفوا عن البكاء . لقد ضاعت حقوق الضعفاء ظلما وعدواناً فثوروا جميعاً فاما موت واما حياة . اقفل الظالمون ابواب بيوتكم لكيلا تسمعوا فحيحهم المريب ! ألا فاستحلوا الثورات فهي حياة الذين تحدروا من سلالة الاسود ! حاذر ايها الشعب ، فلقد تمردت الذئاب في امتك ووافقها الرعاة ، انكم تعصرون الجباه في كل يوم لتسددوا الضرائب الجشعة ، ألا فانبشوا تربتكم هذه تجدوا ان عرق جباه العمال يثور في احشائها

عند هذا هاج الشعب وماج كالزوبعة وصاح بصوت واحد :

— ليعش العامل وليَنسحق السفاح !

ثم انبرى فيهم فتى تبدو على سيمائه امارة الثورة المقهورة وصاح قائلا :

— اين البسالة ايها الشجعان ، اين دماء الجدود الابطال ؟!

واندفع الجمهور نحو القصر يزأر بالحداء زأر الاسود الغضبى

فلما بلغ الحداء قصر الحاكم ريع الظالمون وهلعت قلوب المدعوين فسكنت دائرة الخصور واستيقظ السكارى من غيبوبتهم ، وما هي الا هنيهة حتى اقبل الجند على صهوات خيول تعدو عدو العواصف ، فاندفع الشعب اندفاع السيل الجارف غير هياب ولا خائف من الموت الكامن في سيوف الجند ، عند هذا انتصب الشاعر وقد انجلى له الموقف العصيب وصرخ في الجنود قائلا :

— قفوا فليس القتال غايتنا ، غير ان هؤلاء انما هم ضحايا الظلم في الامة . لا ؛ لا تهرقوا هذا الدم الغالي فهو بقية من دماء الابطال . تذكروا ان الدم الذي يجول في

عروقهم انما هو الدم الذي في عروقكم وان آباءهم انما هم آباؤكم ايضاً ! آه ! لا ، لا تثكلوا الارامل والامهات ، لا تلطخوا لبنان بالدم البريء فلديه من الحزن والفقر مايغنيه عن هذه الكأس ، اما ان كنتم تبغون الذي اوقد الفتنة فهو امامكم فاقبضوا عليه !.

ثم التفت الى الجمهور وقال له :

— لقد زرعت فيكم بذرة يا رموز اخي الفقير ، فلتنبت هذه البذرة الشجاعة والقوة والانفة في هذه الامة ، وليحيَ لبنان !

* * *

هناك ، في حجرة كاليأس ضيقة و كالقبر مظلمة باردة ، يستنشق المسجون بين جدرانها روائح الدموع كأنما جدرانها جانية اثيمة ترشح من جباهها اللعنات والتجاديف كان الشاعر السجين محاطاً بالسكون والظلمة لا يحنو عليه سوى الموت الزاحف بما فيه من مقدمات السقم والعلل !

وكان الداء قد تمسك بصدره تمسك الضنين بماله فتقوست اضلعه واحتجب جمال وجهة وراء مسحة كالحة من الاصفرار المريب كأن النور أبى الا ان ينكر فجره الطالع

ذات ليلة ، والليل شجن دائم كواكبه الويلات والاراجيف ، تمرد الداء على الشاعر المسجون فامتزج سعاله بالنحيب والشهقات . وشعر بان ساعته الاخيرة قد دنت ، الا انه لم يشأ ان يموت قبل ان يرى ولو في الحلم تلك الفتاة التي آثرت الدير على الحب وقصت شعورها لتطوق بها قدمي المصلوب ، كما فعلت المجدلية ؛ واحتجبت عن العالم لتحجب معها سرها الغريب !

سرها الغريب ! ! اي سر ؟ اي سر ضحت من اجله بزهرة شبابها واحلامها وحبها؟ اي سر فع نفسها الى الله وطهرها من اقذار البشر ؟ أمعيب هذا السر ام شريف ؟! آه ! لا كان شريفاً لما استطاع ان يقف حاجزاً دون الحب ، دون الشعلة النقية ، دون السماء الصافية الزرقاء ! !

ولم يشأ الشاعر ان يموت قبل ان يرى غلواء ولو في الحلم ، قبل ان يقول لها : اني اموت ولكني لا اريد ان اموت قبل ان اغفر لك شبابي المظلوم ، وقلبي الميت ؛ واحلامي المنطفئة ، لا اريد ان اموت قبل ان اغفر لك جريمتك الماضية مهما كان نوعها ! . . . لا اريد ان اموت قبل ان ابسم لك ولو في الحلم !

وما هي الا ساعة هذيان حتى رقد رقاداً مضطرباً !

واذا به يبصر في الحلم راهبة صفراء شاحبة امـام خشبة تمثل المصلوب الالهي ، وعيناها المغرورقتان بالدموع شاخصتان الى امرأة تشبهها الشبه كله لولا جمال فتان تقاسم وجهها المنير وجسدها المختلج بالشهوات ؛ وما ان تمعن في هذه الراهبة حتى صرخ صرخة أليمة :

— غلواء ! غلواء ! اين انت ؟ اني اموت

اما الراهبة فاشارت بيدها الى المرأة الفتانة وقالت له :

— أنظر ! . . . هذه غلواء الامس ، غلواء الاثيمة ! . . . انظر هناك !

فالتفت الشاعر السجين الى حيث اشارت بيدها فوقع نظره على سرير يتمرغ عليه شابة وشاب ، واستطردت الراهبة قائلة :

— هذه غلواء الامس ، اما انا فلست غير راهبة تصلي ، ولقد انكروا علي اسم غلواء وحسناً فعلوا ؛ فلم يبق عندي من حب الامس غير الذكرى ، ولم يكن حبي لك بل كان لسواك ، لسواك ، لشاب احببتـه فهجرني ونكث عهدي . آه منكم انتم الرجال ، انكم لغادرون ، لخائنون ، دعني ، دعني ؛ اذهب عني ، اني لا احبك ، فالذي احببته قد هجر وخان ، وانت ماذا تريد مني ؛ أتريد ان تلقي بنفسك في هوة الشقاء ، ان غلواء التي تعرفها قد تابت عن الماضي واستغفرت ربها عما دنست به نفسهـا من شهوات الاثم والملذات ؛ وها هي في الدير تنظر الى عهدها المنصرم برعبة وخوف ، انها احبت ولكن من تهواه داس حبها بقدميه ، الله للقلوب المسحوقة ، الله للحب الشهيد ، اني اموت ، دعني ، دعني في بلواي ! . . .

وخيل الشاعر في رؤياه ان التي احبها توشك ان تصعد الانفاس ، فقال : لقد عرفت الان لماذا ابتعدت عني وهجرتني ، انها احبت خائناً فانتهك حرمـة الحب ، ولكن انا ما ذنبي ، ماذنبي اذا احببتها ، أأذهب ضحية ذلك الغادر اللئيم ؟ . . .

وشعر بان قواه تتضعضع وبان نفسه الجبارة تصير الى التلاشي ، فاغمض عينيه وانتظر برباطة جأش دنو الموت

***

هبط الليل هبوط الهم ناشراً على دير الاحراش ارديته السوداء !

ودير الاحراش ، اذا هبط الليل ؛ اعطاك صورة هيكل قديم بنته يد الزهـاد في العهود الاقطاعية الغابرة ؛ ودير الاحراش ، اذا هبط الليـل ، برزت اروقته الخرساء في

وسط الادواح الكثيفة كأنما هي طوائف من الجن تخفر ذلك المكان الموحش الرهيب

وكان الداء قد تمسك بصدر غلواء تمسك الضنين باله فتقوست اضلعها واحتجب جمال وجهها وراء مسحة كالحة من الاصفرار المريب كأن النور ابى الا ان ينكر فجرها الطالع !

في تلك الليلة تمرد الداء على الراهبة الزاهدة فامتزج سعالها بالنحيب والشهقات وشعرت بأن ساعتها الاخيرة قد دنت ، الا انها لم تشأ ان تموت قبل ان ترى ولو في الحلم ذلك الذي احبته حباً نقياً وضحت بنفسها من اجله ، الا ان السعال لم يدع سبيلا لتلك الرقدة العذبة التي تتمنى بل كان يمهد لها رقدة المجدلية بعد موت الفادي !

وفي الدقيقة نفسها التي كان السجين المريض يطلق فيها اواخر انفاسه كانت الراهبة المريضة تطلق انفاسها الاخيرة ، في حجرة ضيقة من ذلك الدير وعيناها المحتضرتان شاخصتان الى المصلوب !

تمت

العدد الرابع والسبعون السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## لقيط بيروت

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٩ حزيران سنة ١٩٢٩

# لقيط بيروت

تعوّدت دار الايتام في بيروت ان يفاجئها الصباح بمشهد كئيب

فلا تفتح خادماتها الابواب الا لتقع في معظم الاحيـان منهن العيون على وليد يتململ في الاقمطة ويبكي ويئن

وليد ابن يوم وليلة طرحته هنالك يد جانية وهي ترتجف رعبـاً وارتباكاً ؛ ولم تترك له من مجير وزاد سوى عطف صاحبات الدار ورهبة المستقبل المجهول

وليد ابن يوم وليلة ابى البطن الاثيم الذي حمله ان يخطف منه الانفاس اشفاقاً وحناناً ؛ وشق عليه ان يربيه والفضيحة تهدده ، فرماه على اعتاب دار الايتام واثقاً بان الراهبات القائمات بشؤون الدار لن يهملن امره ولا يترددن في الاعتناء به كامه وابيه

وفتحت نظيره في صباح ذات يوم باب دار الايتام الكبير فاذا امامها كتلة بيضاء من الحرير ، ونظيره نشأت في دار الايتام من زمن بعيد فلم يغب عنها ان ما تبصره طفلاً تربع في اقمطته ، فاسرعت تنادي الراهبات قائلة : على الباب طفل يظهر ان امه ابنة بيت كبير ! ...

فاسرعت الراهبات يشاهدن الطفل ، ومـا ان ازحن عنه الاقمطة حتى بدا لهن صبوح الوجه ، ازرق العينين ، ناضر الوجنتين ، فابتسمن له قائلات : هذه هبـة السيد يسوع ! ..

والراهبات يعرفن ان هذا اللقيط ليس هبة السيد يسوع ؛ ان هو الا ثمرة الفحش والفجور ، ولكن ما عساهن ان يقلن وهن ملكات الرحمة والحنان ، وهن اقمن في دار الايتام لمثل هذه الساعات الحرجة يرأفن بالانسانية الظالمة الغاشمة ويسكبن البلسم على جراح البائسين

والراهبات لا يضحكن لمثل هذا المشهد البادي لهن بهوله وفظاعته ، ولكن رؤية ذالك اللقيط الجميل اثار شفقتهن وعطفهن فعكفن عليه يبتسمن له ؛ فهو طفل جميل خلاب تشد عليه الاقمطة الحريرية النظيفة الغالية الثمن ، فتأثرن لحاله وعطفن عليـه ،

وهل من جريمة اذا عطفن عليه والجميل يلقى العطف حتى من رب السماء وتفتح له ابواب الجنة على مصراعيها في اليوم الاخير ؟ .. ثم ان هذا اللقيط الصغير قد جمع المزيتين ، الجمال والغنى ، فاي حرج على الراهبات اذا اهتممن به واشفقن عليه ؟ ...

وكن يتساءلن ابن من يكون ، ومن هي امه ، وكيف وصل اليهن ومنظره يدل على انه من بيت جاه وغنى ؟... واخذن في التقدير والتخمين ، ولكن هيهات ان يحزرن من هو وثمة لغز غامض لا يستطيع حتى الضارب بالرمل ان يحل رموزه واحاجيه ! ...

اجل ؛ لقد عرفن ابن من هو ، ولكن كما يعرفن ذوي كل لقيط حبلت به امه في ساعة من ساعات الجنون ؟ ...

ولقد حفلت دار الايتام «العازارية» في بيروت باللقطاء . ففيها المئات بل الالوف من اولئك الذين ابصروا النور من حب غير حلال ، اثيم . وكل واحد منهم يلعن امه واباه وساعة تعارفا فيها واسترسلا لشهواتهما وهتكا ستر الحياء ففضحا نفسيهما وجنيا عليه

ومن حق اللقيط ان يغضب على امه وابيه وهما قذفا به ملطخاً بالجريمة الى عالم الاحياء . فاي شأن يبقى للمرء ان يكن مجهول النسب ، واي مقام هو مقامه وهو لا اب له معروف ولا ام ، ولا اهل ولا نسباء ، وليس لمن يحاول اهانته الا ان يناديه : «يالقيط ! ...» وهذا لعمرك منتهى الغضاضة والتحقير !

وبذات الراهبات كل عناية في تربية اللقيط الجميل . ونما الطفل ونمت محاسنه واعضاؤه . فترعرع وبهاؤه يفتن كل ناظر اليه . وارتادت دار الايتام سيدة مثرية من سيدات فرنسا النبيلات فاعجبها الولد الصغير وطلبت من الراهبات ان يعهدن به اليها لتهذيبه وتلقينه الدروس في معاهد باريس الكبرى ، فما ضنت عليها الراهبات بما طلبت وسلمنها الطفل وهن واثقات بانه يلقى لديها كل اهتمام ، وينشأ على التقوى والفضيلة والعلم ، خصوصاً والسيدة ممن اشتهرن بالاحسان وبالسخاء واعمال البر

— ٢ —

... كان الاحتلال الفرنسي

وانتهت الحرب الكبرى بعد ان نهشت الاخلاق والعفاف وتركتها كالاشلاء ليس من رمق فيها

وكثيرة هي العيال التي كانت بالامس مضرب المثل بالطهر والتقوى فارغمتها ايام

البؤس الى خلع العذار والاستهتار

ورافقتها حياة الخفة والطيش فانغمست فيها . وجاءها عهد الاحتلال فازدادت طيشاً وانغماساً في شهواتها

والاحتلال ساعد جداً على افساد الاخلاق والعبث بالطهر والفضيلة . فان هذه الجيوش المتضاربة الالوان والاجناس من فرنسيين وانكليز وهنود ومصريين اقبلت على بيروت تحمل السلام والمال . وابناء بيروت متعطشون الى رؤيتها املاً بان تنتهي في عهدها ايام البلايا والمحن ؛ فما اقبلت حتى هتفوا لها وأحلوها منهم اعلى مكان

وكان الفريق الاكبر من الناس في ضيق وعوز ، فعقد على نزول الحلفاء في بلاده الامال الكبار بتفريج الازمة المستحكمة من النفوس ، واحس المرتزقون من اعراضهم وشرفهم بتلك الجيوش ميلاً الى اللهو والفحش فتساهلوا لاجل اللقمة في امر بناتهم ونسائهم

وماذا كانت تشتهي في بدء الاحتلال الكثيرات من بنات بيروت ؟ . . . لقد كن يشتهين ان يتزوجهن ضابط فرنسي او انكليزي او مغربي او تونسي . وفسحن لهؤلاء الضباط ، حتى وللجنود ، مجالاً للتردد عليهن وارتياد منازلهن فكانت النتيجة ان سقطن في الهاوية وبعن اقدس ما عندهن بابخس الاثمان وما برحن الى الان يبكين هفوة بدرت منهن في ساعة طيش وجنون

وليس اقدر من الجندي في اغداق الوعود على النساء . فالوعد عنده بضاعة مزجاة يجازف بها في كل حين ولا يخشى . وماذا يخشى ؟ . . . أيخاف ان ترغمه التي يخدعها على ان يتزوجها وهو يتنقل في كل يوم بل في كل دقيقة من بلد الى بلد ؟ . . . أيخشى صياحها وشكواها وله الف حيلة وحيلة في التنعمل منها والافلات من يديها ؟ . . .

ولقدهامت بنات بيروت من الجنود الفرنسيين والانكليز بنعومة بشرتهم وبياضها ، ورشاقة حركاتهم وخفتها ، وبما حملوه الينا من فنون الرقص واللهو والطرب ، وباموالهم الكثيرة وعزهم وجاههم ، ولكونهم من الطراز الجديد الذي لم يألفنه من ذي قبل . وللجديد روعة ؛ واي روعة ، فالكل يرجوه ويقبل عليه ويقتبس منه ؛ وحب جنود الاحتلال كان في بدء الامر زياً من الازياء ، ويا سعد الفتاة التي يحبها ضابط منهم او جندي ! . . .

وكان هؤلاء الضباط والجنود اذا دخلوا منزلاً يبثون فيه روح الحرية المطلقة ويعبثون في احيان كثيرة بشرف اربابه . وانتشرت العدوى من منزل الى منزل ومن دار الى دار الى ان اصبحت البلاد اللبنانية والسورية باجمعها تئن من تلك العادات الذميمة الآخذة بالانتشار يوماً عن يوم . واذا كانت العنزة الجرباء تفسد القطيع بكامله وتبليه بالجرب فالمرأة والفتاة ايضاً ان تفسد كل ما حولها من قلوب نقية طاهرة سليمة . وهكذا كان ، فان الفتاة التي عشقها ضابط او جندي من ضباط جيش الاحتلال وجنوده راحت تنقل فنون عشقه وغرامه الى رفيقتها وجارتها . ومن جارة الى جارة عمت البلوى سائر الناس ؛ ولقد عمت هذه البلوى مدينة بيروت وتسربت الى انحاء كثيرة من لبنان ، فهوت الاخلاق عن مستقرها وأبيحت المحرمات واصبحت من لا تجيد المغازلة والرقص والمسايرة تتأفف من حالها وتود الاقتداء برفيقاتها وباترابها ، فامسى المرء يرى اليوم حلالاً ما كان يراه بالامس حراماً ، وامست الفتاة الخجول الرصينة المعتصمة بالشرف والاباء بضاعة قديمة العهد يسخرون منها ويهزأون

هذا بعض ما حمله الينا الاحتلال الفرنسي من هدايا ، وبئس تلك الهدايا ؛ فالحرام فيها مباح والعرض غير مصون ! ...

* * *

ونادته : روبر اين انت ؟ ...

فقال : هنا في انتظارك يا مارغو ! ...

فمشت اليه مع رفيقة لها ، وكان ينتظرهما في الحديقة يشم الازهار على اغصانها ويجمع منها طاقتين لمارغو طاقة ولرفيقتها مثلها

واقبلت عليه الفتاتان تضحكان له فقال : كنت انتظر مجيئكما واخذت اجمع لكما هذه الازهار كي ازين بها صدر كل منكما ، فاليك بهذه الطاقة يا مارغو ، وانت يا جانيت ليك بالطاقة الاخرى !

فشكرتا باسمتين ؛ ودارت الاحاديث بين ضحك ومداعبة ومجون ؛ وفي كل كلمة يرسلها روبر تجد الفتاتان ما يثير اعجابهما به وميلهما اليه

والحديث وان يكن في بيروت فقد تجاذبوه باللغة الفرنسية . فان روبر لا يحسن اللغة العربية على الاطلاق بل هو لا يعرف شيئاً منها ، بينا الفتاتان تجيدان لغة ابناء باريس كل الاجادة ، واية فتاة في بيروت لا تحسن النطق بلغة الفرنسيين ؟ ...

فاللغة الفرنسية اضحت ايضاً زياً من الازياء ، وهل يليق بفتاة تفتش لنفسها عن مستقبل يرضيها ان يفوتها بعض هذه الازياء ؟ ...

اذن يجب عليها ان تدرس لغة المحتلين كيفما اتفق لها ان تدرسها . فقد تتعلم بعض كلمات منها ، وقد تحسنها حتى التعمق في ادابها . وانما اتريد منك ان تشعر بانها تعرف هذه اللغة ، فاذا خاطبتك جعلت من اللغة العربية واللغة الفرنسية مزيجاً غير مستحب في معظم الاحيان ، فتقول لك مثلاً : «مونشير» ما العمل ، يجب عليّ في كل اسبوع ان اكون عند « الدانتيست » و« الكوافير » وان ألبس دائماً « ألامود »

وقد يهون عليك ان تسمع هذه الكلمات القلائل تتخلل لغة بني قومك ؛ ولكن هناك فريقاً حتى من الشبان يجد من الفخر ان يرسل في خلال اقواله كلمة عربية مع كلمتين فرنسيتين ليستقيم الوزن طبعاً وليستقيم المعنى = وهذا ايضاً من فضائل المحتلين !

ومارغو وجانيت قالتا لروبر لما ابدى اعجابه بنطقها الفرنسي السليم ان اللغة الفرنسية اضحت زياً شائعاً وان الفتاة التي لا تحسنها تخجل من نفسها ، بل هما ذهبتا الى ابعد من هذا المدى ، فقالتا : ان حب فرنسا كوى القلوب وخصوصاً قلوب النساء فاقبلن على اللغة الفرنسية يدرسنها ليزددن شغفاً باربابها !

فضحك روبر لهذا الاستنتاج وقال :

= أحب فرنسا كوى القلوب ام حب ابناء فرنسا ؟...

فارسلت اليه كل من الفتاتين نظرة ذات معنى وقالت مارغو : حب الفريقين يكوي القلوب !

وهم لو طلبوا منها ان تصدقهم القول لجاهرت بان حب ابناء فرنسا يكوي قلبها وخصوصاً حب روبر ؛ روبر الذي ابصرته ذات يوم في طليعة شرذمة من الفرسان فخفق له قلبها . والتقت به مرة ثانية في احد المراقص فراقصته وتحدثت طويلاً اليه ، واجتمعت به للمرة الثالثة في «سينما رويال» فدعته لزيارتها . وهو لم يكن لينتظر اكثر من هذه الدعوة ، فزار اهل الفتاة فاكرموه ، وهناك عرف جانيت رفيقة مارغو وعرفته ، ولما اجابت مارغو ان حب فرنسا يكوي القلوب كان بود جانيت ان تقول شيئاً ، ولكنها امسكت عن الكلام كأنها شعرت بانه في غير موضعه

فماذا تريد ان تقول ؟...

ألا تراها توافق مارغو على ان حب كل ما هو فرنسي يكوي القلوب ؟؟؟

- ٣ -

كثيرون هم ضباط جيش الاحتلال الذين احبوا في بيروت ثم هجروا . على ان ملامح روبر ومظاهره لم تكن لتدل على انه ممن يهجرون

ولكن ، من تراه يحب من الفتاتين اللاحقتين بـه ، الراغبتين في الجلوس اليـه والاصغاء الى حديثه ، أتراه يحب مارغو ام هو يميل الى جانيت ؟ . . .

ان روبر ابدي نحو الفتاتين عواطف طيبة رقيقة ، بيد ان قلبـه صرفه الى حب مارغو ، فكان يجد فيها هدفه الاسمى في الحياة

وكان يجتمع بها على مرأى من جانيت ومسمع ويتودد اليها ويخاطبها بكلمات الحب ويناديها : «يا معبودتي ، يا فاتنتي ، يامالكة قلبي ! . . . » وجانيت تسمع هذه الكلمات تقال لرفيقتها وصديقتها فتضحك ويبدو عليها الفرح والسرور ، غير انها كانت تحس بان قلبها يتمزق من الحسد والغيرة ، وودت ان تمحو الغيرة من قلبها وان تسكت هذا القلب الهائم بحب روبر ولكنها لم تستطع الى ذلك سبيلا

وجانيت صديقـة وفيـة لمارغو . فقد نشأتا معاً منذ الصغر وتحالفتا على الخير والشر ورجت كل منهما للاخرى مستقبلاً زاهياً وهنـاءً عميماً مستديماً . وجانيت نفسها تعجبت لدن شعرت بان قلبها يختلج بحب روبر وقالت : أيليق بي ان ازاحم اوفي واعز صديقة لي على من تهوى ؟

وسعت بكل جهدها لكبح جماح عواطفها . وابت ان تصدق انها تحب روبر ذلك الحب المتناهي . غير انها لم تكن لتبصره حتى يخيل لها انه يجذبها بقوة عجيبة اليه ، ولا تسمعه يخاطب مارغو ويغازلها ويتفنن في ابداء عواطفه نحوها حتى تشعر بالغيرة تدب في قلبها وتدفعها الى كره مارغو والاجتهاد في اقصاء روبر عنها

وحاولت للمرة الثانية والثالثة والرابعة ان تقف من قلبها موقف العدو فلا تبيح له غتصاب ملك سواه ؛ ولكن ذلك القلب الحرون ابى ان يطيعها ، فكان ينتفض غيظاً لكل كلمة حب وهيام يهمس بها روبر في اذن مارغو

وقالت مرةً = للضابط الفرنسي : كيف ترى مارغو يا روبر ؟ . . .

قال : هي عندي كل امل في هذه الدنيا !

-- أتحبها حباً صادقاً ؟ . . .

—من الحرام ان تلقي عليّ هذا السؤال ايتها الآنسة جانيت !

— أتريد ان تتزوجها ؟

— بلا ريب ، وليس موعد زواجنا ببعيد !

فكانت هذه الكلمات تتساقط على قلب جانيت كوخز الابر ، وهاج ذلك القلب وازبد ، ولكن الفتاة عرفت كيف تخمد حدته . واقبلت مارغو فما كان من روبر الا ان عانقها على مرأى من جانيت . وامام هذا المشهد غلب على الفتاة قلبها وعواطفها فما استطاعت ان تملك زمامها وسقطت من عينها دمعة ملتهبة كالجمر ، فادارت وجهها لئلا يلحظ عليها العاشقان اضطرابها وودعت وانصرفت وفي قلبها ثورة من الحسد والغيرة دونها ثورة النار في يابس الهشيم !...

* **

ليست « مارغو » بالفتاة الفقيرة العطشى الى المال

فان ذويها من الاغنياء ومن كبار الاغنياء ، وابوها — ومن لا يعرف اباها — اسعد الحكواتي الصراف الكبير في بيروت

واسعد الحكواتي صاحب محل معروف في سوق سرسق ، في تلك البقعة المكردسة فيها الاموال لشراء الاموال . فمن بائع نقود ذهبية الى بائع اوراق نقدية الى جماعة تشتري من هذه البضاعة الكثيرة الرواج وتبيع

ولم يكن لاسعد الحكواتي غير «مارغو» من اولاد . فخصصها بسائر امواله واحاطها بالعز والدلال ، فكانت مشيئتها مقدسة عنده لا تعاند ولا ترد

و«مارغو» مع كل هذا الغنى لم تشمخ بانفها شأن الكثيرات من بنات الاغنياء ، ولا تكبرت ولا صعرت على رفيقاتها الخدود ، فكانت وديعة لطيفة تؤثر على نفسها افقر المخلوقات ، واذا هي احبت الضابط الفرنسي فما ذنبها ؟... فالضابط راقها ووجدت فيه هدف آمالها فسعت اليه وجهرت بحبها له ، واي خلي يسمع فتاة لها مقام مارغو وجمالها وجاهها تعلن له حبها ولا يجيبها فوراً الى ذلك الحب ؟...

وروبر لم يكن بالصخرة الصماء . فهو لما ابصر «مارغو» هائمة به بادلها عواطفها وصارحها بحبه ، وزاده تمسكاً بهذا الحب ما لمسه في الفتاة من لطف ودعة وثروة وجاه ، ولم يشأ ان يخفي امر هذا الحب عن رفيقتها جانيت ، فردد على مسمعها انه عزم على الاقتران بابنة اسعد الحكواتي التي احبها حباً صادقاً مكيناً

وجانيت لم تقابل هذه الاحاديث بسوى الغيرة والغيظ . فهي ايضاً كانت تحب روبر

وتتمنى ان يكون زوجاً لها ، ولكن حب صديقتها توطد في قلب الضابط الشاب فلم يبق من سبيل لانتزاعه واستئصاله

وقد تكون جانيت في بهاء مارغو ، وقد يملك ابوها بعض الثروة ، الا انها لم تتمتع بالعز الذي تمتعت به ابنة الحكواتي ولا احاطها ذووها بضروب العناية التي احاطوا بها صديقتها

ثم ان جانيت لم تكن على شيء من اللطف الماثل في وجه مارغو وقامتها، فكان من ينظر اليها يحس بانها شامخة متكبرة ، ومع التناقض في الطباع بينها وبين مارغو كانت هذه تحبها حباً لا مثيل له ، ومن حسن الطالع ان هذا الحب وجد صدى عميقاً في فؤاد جانيت ، فلم تبخل على صديقتها بالاخلاص التام والولاء الشديد، والاخلاص والولاء هما اللذان حالا الى الان دون انفجار غيرة الفتاة وظهورها باوضح مجاليها ، فكانت تتألم وتطوي آلامها في صدرها ؛ ولما نفد كل صبر قالت لروبر : متى تعلن زواجك يا روبر ؟

قال : في زمن قريب جداً

فضحكت وقالت : اسرع، فالفرصة سانحة لك الان ، ولقد طال عهد خطبتكما!

فقال : وهل تكون مارغو على استعداد ؟

— بلا ريب ، فهي تنتظر هذه الساعة بفارغ الصبر !

وكانت مارغو قد اقبلت ، فقالت جانيت : لماذا التأخر يا مارغو عن الاحتفال بزفافك الى روبر ؟ . . لقد طالت خطبتكما !

وتابعت وهي تقول مازحة : اعلمي يا مارغو انك اذا تأخرت في احياء تلك الحفلة سلبت روبر منك وتزوجته !

فضحك الثلاثة لهذا المزاح وروبر ومارغو يحسبانه بريئاً ، بينما جانيت تلفظت به وفي النفس ما فيها من ليت وعسى ! . . .

— ٤ —

ضرب روبر موعداً لزواجه بعد اسبوع

واخذ آل الحكواتي في اعداد حفلة الزواج ، فارسلوا يدعون الانسباء والاصدقاء للاحتفال بزفاف ابنتهم الى الضابط الفرنسي

وطرق الخبر اذن جانيت فطار صوابها وعزمت على الحؤول دون هذا الزواج.

ففي هذه المرة تناست. ان بينها وبين مارغو صداقــة وودأ وابت الا ان تفصل بين الشاب والفتاة

واستنبطت الحيل العديدة · فان ابواب الشر واسعة عندما يهم المرء بدخولها ، وجانيت الكثرة ما فكرت بالخطة التي تساعدها على هدم اماني صديقتها حــارت في اي وسيلة تختار لاحباط كل مسعى يرمي الى اقتران الضابط بابنة الحكواتي

واخيراً قرّ رأيها على خطة بلغ فيها الدهاء حده الاقصى · ولم تتمالك جانيت ان ابتسمت لتلك الخطة الجهنمية · وبعد ساعتين من الزمن كانت ترتدي ثيابها وتدعو بعض رفيقاتها وتسير واياهن الى مقر روبر

وروبر يقيم في ثكنات الجنــد المشيدة على شواطىء المنــارة · فهو ضــابط مستودع السيــارات · ولدى دخول جانيت الى ديوانه ومعها رفيقاتهــا اسرع اليهن يستقبلهن اجمل استقبال. وانتظر ان تبدو مارغو بينهن ، ولكن خاب ظنه ، فان خطيبته لم تكن بين هذا السرب المبارك من ناعسات الاهداب وفاترات اللحاظ

وقالت جانيت : جئنا اليك لتكون في رفقتنا يا روبر ، فسنقوم بنزهة على هذه الرمال ولا بد من وجودك بيننا !

فلم يشأ ان يخيب رجاءها امام رفيقات لها لا يعرف واحدة منهن وقال مؤنباً : لماذا وقد شاقك المجيء الى هذه الشواطىء لم تطلبي من مارغو ان ترافقك ؟

قالت : اننا دعوناها فاعتذرت بقولها انها منهكمة في خياطة ثياب العرس !

فابتسم روبر وقال : هيا بنا اذاً ؛ اين تريد الآنسات ان يتنزهن ؟

فقالت جانيت : على الشاطىء ثم نركب السيارات الى اعالي الجبــال ، فالحر في بيروت لا يطاق !

وقاموا بجولة في محلة الروشه وجلسوا على صخرة الانتحار يشاهدون فيها ذلك العلو الشاهق ويتأملون كم هوت هنالك من نفوس شغفت بالموت فراحت تطلبــه بين طيات الامواج · وقالت جانيت في نفسها : اذا خانني الحظ ولم امتلك قلب هــذا الضابط جئت الى هنا ، الى صخرة الانتحار ، ألقي بنفسي في قلب هذا السائل الاصم !

والتفتت الى روبر تقول : ألا يروقك منظر هذه الصخور تشرف كالجبــابرة على الازرق الرجراج ؟ · · ·

فقال : اني اتعجب كيف اطلقوا على هذه البقعة اسم « الروشــه » ولم يسموها

محلة الانتحار ، مع ان كل الذين يدب اليأس في قلوبهم ينتقمون هنا من انفسهم فوق هذه الصخرة التي نجلس عليها !

وكانت الشمس قد مالت الى المغيب ، فقـالت جانيت : ألا يروقك ان نتسلق الجبال فنبلغ بحمدون وصوفر وضهر البيدر ؟

قال : بلا ريب !

ونادى خادمه قائلاً : اذهب وجئني من المستودع بسيارتين جديدتين . اني في انتظارك هنا !

وبعد قليل كانت السيارتان مجهزتين للركوب ، فصعد الى السيـارة الاولى الضابط روبر وجانيت ورفيقة لها ، وركبت السيارة الاخرى ثلاث آنسات ، وهدرت المحركات . فراحت السيارتان تشقان الرمال وتثيران وراءهما الغبار ، وبدأت جانيت العمل بالخطة التي نظمتها ، فامسكت بيد روبر واخذت ترشقه بنظرات الشوق والهيام ، فتكهرب ، واي شاب لا يتكهرب وامامه حسناء تتحكك به وتستثير عواطفه ؟ ... ولم يملك نفسه فتناول يدها وطبع عليها القبلة الاولى ؛ وهذا ما كانت الفتاة ترمي اليه ، قال : انك لطيفة جداً يا جانيت !

وكأنه تناسى ان في السيارة فتاة غير صديقة خطيبته مارغو ، بل كأنه تناسى انه خطيب وان خطيبته تنتظره على احر من الجمر ، فما ان عرضت جانيت عليه شفتيهـا حتى هوى على تينك الشفتين لا يدري كيف يلوكها بشهوة ولهفة

واستعذبت جانيت هذا الاحتكاك ؛ واستلذت عناق روبر وقبلاته ، وقالت في نفسها : لقد وقع في الشرك !

قال : أتريدين ان نجلس هنيهة في عاليه ؟

فقالت : لا ؛ هيا بنا الى صوفر ففيها الهواء والماء والملذات !

وتسلقت السيارتان اعالي الجبال بسرعة مدهشة ، وطاب لروبر ان يعانق جانيت على مرأى من الرائحين والغادين ففعل ، وكان الليل قد احتل تلك الانحاء ولم يكن ليبصر عناق الشاب والفتاة سوى رفيقتها والسائق والجندي خادم روبر

وكان في نيـة الضابط ان يشبع شهواته من جانيت في تلك الليلة . فأخذ ينظر اليها نظره الى آلة لهو وملذة ، قال : وما همني اذا اصابها ما يدعوها الى الندم في مستقبل الحين ، فهي التي عرضت عليّ نفسها ، فما ارغمتها ولا طلبت منها ان تتمادى كل هذا التمادي !

وبلغت السيارتان صوفر . وصوفر في ايام الحر جنة من جنات ربك عز وجل . ففيها الماء المحيي والهواء المنعش والشكل الحسن . ولا يسكنها غير اكابر القوم من سوريين ولبنانيين ومصريين . فكل من انتفخت جيوبه بالمال ينزل في صوفر . وكل من ورث ثروة كبرى لا يجد غير صوفر مكاناً ما يخفف به عنه عبء ذلك الارث

ولو ان صوفر حي من احياء بيروت لكانت اجمل حي فيها . فالمباني الفخمة قامت في كل جهة من جهاتها . وابهى نساء سوريا ولبنان يجتمعن هناك . ففيها للحسن والجمال ملكات لهن الله من ملكات !...

وصوفر في البذخ والابهة اشبه ببيروت ان لم تكن اعظم منها . فليس في تلك البقعة الصغيرة غير رجال اغنياء يقلبون الذهب بين ايديهم كالتراب . فالبؤس قد نأى عن ذلك المصيف الخلاب واستتب الامر فيه للراحة والهناء وطيب العيش والمسرات

وازدانت صوفر بفنادق ليس لها في بيروت مثيل . ففيها الفندق الاكبر وفي الفندق الاكبر الروائع . فان ثمة من الطعام اشهاه ، ومن الرياش افخره ، ومن الغواني ابدعهن . فاذا جلست فيه حسبت نفسك في ليلة من ليالي بيروت الجميلة وقد تألق في فضائها بدر نيسان

هذه هي صوفر . هذه هي البلدة التي اختارتها جانيت لانفاذ خطتها الهائلة . وجلست في باحة الفندق الكبير ، وجلس روبر عن يسارها ، واصطفت رفيقاتها ازاءها في الجانب الاخر من الخوان . وكانت تضحك والناس ينظرون اليها قائلين : ما بها ، أتكون مصابة بالجنون ؟

ونادت احد الخدم ، وطلبت ان يأتيها بافخر ما عنده من شراب . واخذت تصب لروبر ولرفيقاتها الكأس تلو الكأس والكل يشربون . ودعت ايضاً بالشراب وقالت للخادم : هات اقوى ما عندك !

فجاءها باقوى شراب ، وراحت تصب لروبر الكأس وتسقيه وتمزج شراباً بآخر وتقول للضابط : اشرب، اشرب ، فليست ليالي الملذات بالليالي الطويلة الامد ، هي ليلة وان تعود !...

واستولى الشراب على روبر فضاع رشده . وغلب الخمر على رفيقات جانيت فاستسلمن للنعاس . ولقدوقع كل هذا وجانيت ما برحت تصب في كأس روبر وتدنيها من شفتيه فيجرعها وهو لا يدري ما يفعل ، ولم ترفع الكأس عن تينك الشفتين الا

بعدما وثقت بان كل ارادة ذهبت عنه وانه امسى بين يديها كالعبد الصاغر الذليل ، بل كالعاشق الملتهب وجداً وجوى الذي لا يطمع بسوى افتراسها !٠٠٠

— ٥ —

رأسٌ اثقل من كرة الارض ؛ وشخيرٌ وانين ، وجسمٌ أشلّ منهوك القوى ولامست خده يد تقصي عنه النوم ٠ فما برح غارقاً في سباته ٠ فنادوه : « يا روبر !٠٠٠ » فلم يسمع ٠ فهزوه هزاً عنيفاً ، فاجابهم بأنّة السكران الضائع وعاد الى نومه ٠ فجاءوه بالمنبهات ينشقونه اياها، فتململ كمن بدأ ان يستفيق ، وكانت رائحة الخمر تملأ غرفته٠ وفرك عينيه ، ولما ابصر حوله رفاقه قال بصوت لا عزة فيه : اين انا ؟٠٠٠

فضحك رفاقه الضباط وصاحوا : انت في المريخ يا روبر ، ألا تدري اين انت ؟٠٠

قال ٠ اجل ، اني في ديواني ، بين رفاقي ، لقد عرفت الآن !

وكان حقاً في ديوانه٠ فقد ارتمى هناك على مقعد طويل ونام نوماً عميقاً حتى الظهر٠ وخاف رفاقه ان يطول سكره فايقظوه

ولكن ماذا جرى له في الليل ، وماجاء به الى ديوانه وهو سكران ؟٠٠ لم يكن ليدري من ذلك شيئاً ٠ بلى ، انه يذكر ان جانيت حملته الى صوفر وانه شرب هناك كثيراً فقال : سامحها الله !٠٠٠

وقام الى منزله في ميناء الحصن ٠ وكان قد استأجره لحفلة العرس القريبة الموعد وزيّنه بافخر الرياش٠ ودخل ذلك المنزل وهو يود ان ينام يومين كاملين٠ وفكر بمارغو وبما ستقوله عنه وقد تخلف طويلاً عن زيارتها فقال : سأجد لها عذراً يرضيها !٠٠

وبدأ يخلع عنه ثيابه قبل ان يبلغ غرفة النوم ٠ ودخل تلك الغرفة واذا في سريره جسد تمدد واستسلم للنوم بامان واطمئنان ٠ فجحظت عينا روبر واخذ يفركهما ليتأكد ما يراه ٠ وكلما حاول ان يطرد هذا المشهد من ذهنه مثلت له الحقيقة بغرابتها ٠ واستدل من الثياب التي خلعها النائم على ان في السرير امرأة ، فغاظه الامر واقبل على تلك المرأة الجريئة يهزها٠ فاستفاقت٠ وما كاد يبصرها حتى صاح بذهول : جانيت ؟٠٠ من جاء بك الى هنا ؟٠٠٠

فابتسمت وقالت : انت بنفسك يا روبر !

= انا بنفسي ؟٠٠٠ وكيف ترضين بان تبيتي في غرفتي وان ترقدي في سريري ؟٠٠

فضحكت ؛ فتعجب من لحتها وعدم اكتراثها وقال : ألا تخافين اقوال الناس فيك ؟ ...

فازدادت ضحكاً وقالت : أرى الخمرة قد سلبت لبك يا روبر وافقدتك الذاكرة !

قال : ما لنا وللذاكرة الان فاذهبي عني ايتها الانسة جانيت ، فان في بقائك هنا ما يشوه سمعتك !

فقالت وهي لا تزال في ضحكها : اذهب الى اين ؟ ...

— الى منزلك ايتها الآنسة !

— هذا هو منزلي ، أتطردني منه ؟ ...

— منزلك ؟ ... انك لتهزلين جداً يا جانيت ، فاعلمي اني في حاجة شديدة الى النوم ولا اطيق المزاح ، فقومي ارتدي ثيابك واتركي لي دقيقتين من الراحة !

فلم تتحرك من مكانها وقالت : أرأيت انك فقدت الذاكرة ، هل فاتك انك تزوجتني ؟ ...

فصاح كالمجنون : تزوجتك ؟ ...

قالت : اجل ، تزوجتني في حفلة باركها الكاهن وحضرها شهود عديدون ! ...

فلطم وجهه بيديه وقال : أأنا تزوجتك ؟ ... انها لفظاعة !

فلم تنفك عن الابتسام واخذت تقول : أتذكر يا روبر ساعة جلسنا في صوفر نجرع كؤوس الخمر مترعة ؟ ... أتذكر لما اجتزنا الشوط الاول من الليل وقد شربنا كثيراً ولهونا كثيراً كيف ملت عليَّ تقول لي : « جانيت ، اني اعبدك ، فهل ترضين بي زوجاً لك ؟ ... » ولم تمهلني دقيقة واحدة للجواب بل حملتني بين يديك واجلستني على ركبتيك واخذت في تقبيلي وانا لا امانع ولا استطيع ان امانع ، فكنت اخاف اذا مانعت ان تفتك بي . وانتهى بك الامر ان دخلت الى الفندق وطلبت من الخادم ان يقودك الى احدى غرف النوم وهناك بلغ منك الجنون انك عبثت بعفافي ؛ ولما رأيتني ابكي وانتحب اشفقت عليَّ وقلت لي : «جانيت لا تبكي ولا تقلقي ، سأكفر عاجلاً عن ذنبي ، ألم اقل لك اني اريدك للزواج ؟ ... » ودعوت خادمك وقلت له ان يجهز السيارتين للعودة الى بيروت ، وفي بيروت لم تشأ الا ان يبارك الكاهن رأسينا بالزواج في تلك الليلة عينها ، فذهبنا الى الكنيسة القريبة من منزلك هذا واوضحت للكاهن

حرج الموقف فعقد الك عليَّ وكان شاهدك خادمك نفسه وشاهدتي احدى رفيقاتي ، أنسيت كل هذا ، أنسيت ؟ . . .

فكان روبر يسمع وهو لا يفهم ما تقول جانيت . فكيف تزوج ؟ وكيف يخطر له في بال ان يتزوج فتاة غير مارغو ، مارغو التي يحبها والتي وعدها وعداً قاطعاً بانه سيتزوجها في موعد قريب . وخيل اليه انه في حلم ، والتفت الى جانيت يقول : اصدقيني القول يا جانيت ، هل تزوجتك ؟ . . .

قالت : وهل تعتقد ان المزاح يجوز في مثل هذا الامر الخطير ؟ . . . بل هل تتوهم انك كنت تراني هنا لو لم ازف اليك ؟ . . . ان زواجنا صحيح شرعي يا روبر وهذه شهادة الكاهن ، خذ واقرأ ! . . .

واعطته الشهادة ؛ فلم يبق من ريب لديه انه تزوجها فانتفض وصاح : لقد خدعتني يا جانيت ! . . .

واستفاق من ذهوله لما ثبتت له الحقيقة الراهنة وضرب كفاً بكف وهو يقول : يا ويلي ، كيف استطيع بعد اليوم ان اقابل مارغو ؟ . . .

وفرَّ من المنزل لا يسمع نداء جانيت له . فالضربة كانت اعظم مما يتوقع . وهام على وجهه لا يدري الى اين تتجه خطاه . وانى له ان يدري وقد احس بان دماغه تضعضع وبان حياته امست سلسلة من الالم والعذاب

— ٦ —

لقد فازت جانيت ؛ وفازت فوزاً مبيناً

فالرجل الذي اشتهاه قلبها امسى لها ، والتنافس الذي قام بينها وبين صديقتها مارغو خمدت حدته وتلاشى

ولم تبال بما ستقوله مارغو فيها . فكل ما كانت تطمح اليه في هذا الوجود ان تستولي على روبر وتستأثر به دون سواها ؛ وهذا ما تم لها بسهولة لم تكن لتحلم بها

اجل ، ان الامور جرت كما اعتقدت انها ستجري ، ولكنها ظلت ترى العقبات تعترض سيرها وتقف حائلاً دون امنيتها ؛ بيد انها في آخر الامر عزمت على ان تضحي الكل في سبيل الكل ، وهذه الجرأة الغريبة كانت لها خير مساعد في ما اقدمت عليه

وهكذا امسى روبر لها . فالزواج كبله بقيوده شاء او ابى . وقد مثلت هذه الحقيقة لروبر فحاول ان يتجاهلها وان يتعامى عنها فما استطاع . ورأى خير ما يفعله ان

يذهب الى مارغو ويطلعها على النبأ العظيم ، فطرق بابها ؛ وهي لما ابصرته في عبوسه سرت قشعريرة القلق فيها ، فصاحت : ما بك يا روبر ؟ ...

وكانت تستعد للومه على تخلفــه امس عن زيارتها، ولكنها وقد لمست فيه هذا الانقلاب ساورتها الحيرة وودت ان تسمع من فم الشاب ما يعيد اليها روعها

فكررت السؤال قائلة : ما بك يا روبر ؟ ...

فقال بلهجة الذليل المجرم : مارغو؛ عفوك عني ! ...

وسجد امامها ، وهوى برأسه على قدميها يبللها بدموعه ، وكان يقول : اني لا استحق هذا الملاك الطاهر الكريم ، اجل اني لا استحقه !...

فتعجبت مارغو من مرآه وقالت : روبر ، مابك ؛ لماذا البكاء ؛ هل من مصيبة انقضت عليك ، هل دعيت الى فرنسا ؟ ...

قال : لا هذا ولا ذاك ، فالامر اعظم مما تتوقعين !

– اعظم مما أتوقع ؟ ... وهل من مصيبة اعظم من هجرك لي يا روبر ؟ ...

فهز برأسه وقال : نعم ، هنالك اعظم من الهجر !

فاجفلت وقالت : واي مصيبة اعظم ؟

قال : المصيبة العظمى يا مارغو هي انني تزوجت سواكِ !

فصاحت : أتمزح ؟

قال : لا، وحق حبك لي !

فارتجفت يداها ورجلاها وتلعثمت فما استطاعت نطقاً ، وتابع روبر فقال : لعن الله ساعة عرفت فيها صديقتك جانيت !

فتمتمت قائلة : واي شأن لجانيت في الامر ؟

قال بمرارة : اني تزوجتها !

قالت : هذا محال ، ان جانيت لا تخونني ولا تغدر بي !

– انت تتوهمين ذلك فيها ، اما هي فقد خانتك وغدرت بك واستنبطت حيلة جهنمية ارغمتني بها على ان اتزوجها ؛ وقد فعلت وانا لا ادري اني ربطت نفسي بقيود الزواج !

واخذ يروي لمارغو ما اتفق له في ليلة صوفر وهو ينتفض حقداً وغضباً . فقص عليها كيف خدعته جانيت والوسائل السافلة التي لجأت اليها لاصطياده واستسلامــه

لمشيئتها بعدما سقته الخمر واضاعت رشده، ثم هبوطـه بيروت في الليل والاحتفال بعقد الزواج وفراره الي مستودع السيارات حيث نام طويلاً واستفاق وهو يجهل ما اتفق له

وكانت مـارغو تسمع وهي تضطرب جزعاً . فلم تكن لتصدق ان جـانيت الشديدة الولاء والاخلاص لها تسلبها اعز الناس عليها . لم تصدق ان جانيت صديقتها الوفيـة تتسفل الى ما لا تسفل اليه نفس في الوجود

ولكن الغدر وقع ومن المحال تقويمه ؛ والمصيبة نزلت وليس من سبيل لدرئها . ومارغو ذات ادراك ومنطق = مع خلو المنطق في اقوال النساء واعمالهن = فلم تنتحب امام روبر ولا مزقت ثيابها وحلت شعرها ونادت بالويل والثبور . لا ، انها لم تفعل شيئاً من هذا بل اكتفت بان تنظر الى روبر وتقول : ان حبي لك لا يزال هو هو . وساحفظه في صدري الى الابـد . واذا انت تزوجت جانيت فلن ألومـك . فهي صديقتي ورفيقتي وجديرة بـكل اكرام ومقام فاهنئك بها وارجو لـكما التوفيق والهناء !

فـدهش روبر لـكلماتها الرصينة الرزينـة . وكان ينتظر منها ان تولول وتثور. ولـكن مارغو استطاعت ان تضحك في ابان مصيبتها ، فقد ارادت ان تظهر لروبر ان في وسعها التغلب على عواطفها في احرج المواقف وانكاها

قال : ان مصابي ليزداد هولاً عندما اراك تبتسمين للفاجعة !

فقالت : لا اريد ان اسمع منك كلمات التشاؤم ، ان جانيت تسعدك مثلي وهي خير من يليق بك ، فلها من ذكائها وادبها ما يوفر لك الراحة والرغد !

واخذت تخفف عنه اوجاعه . وكانت تحس بانه يتألم . وهي نفسها ألم تـكن تتألم مثله ، ألم تجتهد في امساك قلبهـا عن الانفراط ، ألم يترجرج الدمع مراراً في عينيهـا فتأبى عليه الانحدار ؟

لقد شعـ ت بان كل ما فيها يتألم ويبكي ، وبان مستقبلها نُحِر نحراً ، وبان حياتهـا امست عنواناً للتعس والشقاء ؛ ومع هذا شاءت ان تظهر بمظهر الابطال ، فابتسمت وبثت القوة والنشـاط في قلب روبر وصورت له جـانيت آية من آيات الـكمال ؛ وابتسامتها امام احلامها الذاوية ورباطة جأشها ازاء المصاب الاليم ابلغ من احرّ دمعـة والجفن نحيب ، ولـكن أيحتمل ان لا تبكي مارغو ؟ . . .

لا ؛ لقد بـكت، وبـكت دماً ، على انها لم تستسلم للبـكـاء الا بعدما ودعهـا

روبر وفي نفسه نشاط أحيته فيه وقوة قدتها من صدرها لتهبها لذلك الذي احبت وما زالت تحب رغم انه افلت من يديهـا في ساعة من ساعات الجنون وانتزعته منهـا صديقة كانت تحسبها مارغو مثالاً مجسماً للوفاء فاذا هي عنوان السفالة والخيانـة والغدر !

— ٧ —

هذا حكم القدر ! ...

وقد طأطأ روبر رأسه امام هـذا الحكم، ورأى ان السكوت اولى من التذمر والشكوى

واذا شكا هل له مما وقع فيه منفذ للخلاص ؟ ..

فصبر على المكروه، واجتهد في ان ينسى اساءة جانيت اليه، وعزم ان يعيش واياها في صفاء واطمئنان كأنه الى جانب من يحبها قلبه وتهواه

واحسنت جانيت معاملته، واظهرت له من الحب والاخلاص ما كاد ينسيه هفوتها، ولم يطل عليها الحين حتى شعرت بالجنين ينتفض في احشائها

فهي ستصبح اماً . وقد شاقها ان ترزق طفلاً يوثق عرى الحب بينها وبين روبر ويضيء حياتها بالرغد والمسرات

وجاءتها امها تقول : خاطبت اباك في امرك يا جانيت ورأينـا معاً ان تكون ولادتك عندنا !

فقالت : وهل يرضى روبر بان نقيم عندكم ؟

— يجب ان يرضى . هذه مشيئة ابيك . فمن ترينه يهتم بك ويسعفك وانت هنا لا تعرفين احداً من الجيران ؟ ...

واهل جانيت من الاغنياء، فلا يضيرهم ان ينفقوا على ابنتهم وزوجهـا ولا يحرجهم وجودها بينهم تسرح وتمرح وتعيش ناعمة البال خالية الهم

وكانوا يحبون جانيت حباً شديداً . وهي لما تزوجت بتلك الحيلة الغريبة لم يغضبوا عليها وقد عرفوا حبها للضابط وسهرها الليالي الطوال لاستنباط خطة تستولي بها عليه

وشاورت جانيت زوجها في امر انتقالها الى دار ابيها فقال : ذلك اليك !

وبعد ايام قلائل كانت في دار ابيها . وهي آثرت الاقامة بين ذويها على الاقامة في منزلها ليقينها بانها في دار ابيها ستستريح

وجلست والدتها يوماً تتحدث الى روبر وتسأله عن اهله وذويه فقال : لقد ماتا وانا في سنتي الاولى من العمر !

= ألا تعرف عنهما شيئاً ؟ . . .

= لا ؛ فاني اجهل حتى اسمهما ، والاسم الذي احمله ليس اسم البيت الذي خرجت منه بل اسم البيت الذي ربيت فيه

= واين ربيت ؟ . . .

= ربيت في دار سيدة مثرية كنت احسبها امي ؛ الا انها يوم اشرفت على الموت دعتني اليها وافضت لي بالسر ، فقالت لي اني لست ابنها ولكنها رأتني فاشفقت عليّ واعطتني اسمها ولقبها وانها شاءت ان تعلن لي الحقيقة وهي في ساعتها الاخيرة

= ألم تقل لك شيئاً عن امك وابيك ؟ . . .

– لقد ودت ان تصرح لي بشيء عن اصلي على اني لم افهم شيئاً مما كانت تريد ان تقوله لي ، فقد اومأت بيدها تشير الى مكان بعيد وسلمتني صورة قالت لي عنها انها صورتي يوم كنت لا ازال ابن يومين !

وقام روبر الى حقيبته وجاء بصورة قديمة العهد تمثل طفلاً صغيراً وقال : من غرائب الاتفاق انهم كتبوا على الصورة كلمة «بيروت» فكأنهم عرفوا ان الاقدار ستقذفني بعد خمس وعشرين سنة الى هذه الديار !

وقبل ان يعرض الصورة على انظار والدة جانيت قالت له : وما هو اسم السيدة التي حضنتك ؟

قال : السيدة « ماري ده بومارشه » وهي من اكرم عيال فرنسا وانبلها ، وكلما تذكرتها لا املك دموعي اسفاً على الفضل والورع والتقى !

ونادته جانيت فاعطى الصورة لوالدتها واسرع اليها ينظر ما بها ، وحدقت الام ملياً الى تلك الصورة وفرائصها ترتعد . فان صورة ذلك الطفل اعادت اليها سراً غامضاً من اسرار ماضيها ؛ فقالت : عسى ان لاتتحقق الظنون ! . . .

وما هو هذا السر الغامض من اسرار حياتها ؟ . . . ان والدة جانيت وهي في صباها احبت شاباً كان يهيم بجارة لها ، ولم تجد من وسيلة للعدول بالشاب عن حب تلك الجارة غير الاستسلام اليه في ساعة من ساعات غفلته فلا يدري الى اين تصير به نتيجتها . وظلت توسوس في صدر الشاب الى ان وافاها في موعد مضروب ، وهناك نضب من

جبينها الحياء . وكان القدر المحتوم . فحبلت من ذلك الحب الاثيم وولدت طفلاً لم يشأ ابوه الاعتراف بـه ولا رضي بان يتزوج الام ؛ فما كان منها الا ان لفت الطفـل بالاقمطـة الحريرية وحملته في ليلة ظلماء الى باب دار الايتام واودعته هناك مخافـة الفضيحـة وهي تذرف الدمع السخين على افتراقه عنها الى الابد

وتدخل المصلحون فاصلحوا بينها وبين الشاب سالب طهارتهـا ، فتزوجها برضى الفتاة التي كان يحبها ؛ ولما جاء يسأل عن ابنه في دار الايتام اجابوه ان سيدة مثرية حملته الى فرنسا لتربيته وتهذيبه ؛ وشاء ان يكتب لتلك السيدة ولكن الام منعته بقولها : دعنا من الفضيحة ! ...

ودارت الايام دورتها واذا بهما يرزقان طفلة ، واذا بتلك الطفلة تكبر وتنمو وتبلغ الثانية والعشرين ، وما كان منها وهي في ذلـك العمر الا ان تشبهت بامها فاغتصبت خطيب جارتها وصديقتها مارغو بحيلة شيطانية، ولكن الجرة سلمت يوم فعلت الام ما فعلت اما مع الابنة فلم تسلم ، فان الفتاة تزوجت اخاها ! ...

وهذا مما جعل امها تجن جنونها ، فقامت الى عنوان السيدة التي قيل عنها لزوجهـا انها تعهدت امر الطفل فاذا الحقيقة تزداد ثبوتاً ويقينـاً ، فصاحت الام كمن حلت به مصيبة فجائية وسمعت ابنتها الصراخ فجاءتها تقول : ماذا جرى ؟ ...

فاجابت الام على الفور : يا للفضيحة ، انك تزوجت اخاك يا جانيت ! ------

ولم تترك لابنتها مجال الاخذ والرد بل اخذت تقص عليها الحكاية من اولهـا ، فاحست جانيت بهول الفاجعة ونظرت الى امها نظرة لا تخلو من الاحتقار وقالت : ما انظع جنايتك عليَّ يا امي ! ...

فناحت الام : عفوك يا ابنتي ! ...

ولكن جانيت لم تشأ ان تسمع من امها كلمات الاسترحام والتماس العفو ؛ فدخلت غرفتها وكتبت لصديقتها مارغو تقول : « شاء القدر ان ينتقم لك مني ، فالسماء نفسها غضبت عليَّ لاغتصابي روبر منك . ليهنأ به قلبك . فاني اتركه وديعة بين يديك وانا على ثقة بانك ستعرفين قدر هذه الوديعة الغالية . قولي له اني قضيت نحبي في سبيل راحته وهنائه ، وانت يا مارغو الوداع ، الوداع الى الابد ، وعفوك عني ! ... »

وارتدت ثيابها وقامت الى صندوق البريد تلقي فيه الرسالة ؛ ومشت ، ولكن الى اين ؟ ... الى الروشه ؛ الى صخرة الانتحار تغسل فضيحتها بدمها . وابت ان يعيش

بعدها الجنين المتمايل في احشائها وهو ثمرة العار، فتدحرجت من شاهق الصخور وغابت بين طيات الامواج تدفن سرها وعارها ، وقد انتشلوها بعد ايام جثة هامدة وتعجب الناس وحاروا في ما دعاها الى الانتحار ؛ وروبر زوجها كان في طليعة الحائرين، وهو لما اطلع على كتاب جانيت لمارغو اخذ في البكاء ، فقد اسف حقاً على تلك المنكودة، على ان سر انتحارها غاب عنه ، وهو لايزال الى الان يجهل السر الدفين ، وسيجهله الى الابد ، فان امه لم تملك من الجرأة ما ساعدها على الاعتراف بالحقيقة ، فاكتفت بان تقول له : انك ابننا بعد جانيت ؛ فستبقى بيننا نحنو عليك حنو الاباء على الابناء !

فاطاع؛ ورأت ان تزوجه مارغو وان تكتب له ما ملكت يداها، ولم يطل عليها الاجل، فماتت وهي تبكي جريمتها وتجتهد في اخفاء سرها الهائل حتى عن زوجها ، ولقد جهل ذلك الزوج الحقيقة طول حياته ، ولما مات استولى روبر على ثروته وهو لا يعلم انها ثروة ابيه، فظل يعتقد انه فرنسي الاصل، وما انتهت خدمته العسكرية حتى هاجر الى فرنسا ترافقه مارغو ؛ ولا يزال مقيماً هناك في خير ورغد ، وانه ليذكر احياناً جانيت ويترحم عليها ، وقد تساءل طويلاً عن السر الذي دفنته معها في احشاء اليم ولم يدر ان جناية الاباء قتلت الابناء، وان جانيت اخته، وانه ذلك اللقيط الذي حبلت به امه في ساعة شيطانية فكافأها يوم شبَّ وترعرع بالخزي والعار ! . . .

تمت

# كم من قريب نأى عني فاوجعني

| | |
|---|---|
| ولّى الشباب وجازتني فتوَّته | وهدَّم السقم بعد السقم اركاني |
| وقد وقفتُ على الستين اسألها | أسوَّفت ام اعدّت حرَّ اكفاني |
| شاهدت مصرع اترابي فبشرني | بضجعة عندها روحي وريحاني |
| كم من قريب نأى عني فاوجعني | وكم عزيز مضى قبلي فابكاني |
| من كان يسأل عن قومي فانهم | ولوا سراعاً وخلوا ذلك الواني |
| اني ملات وقوفي كل آونـة | ابكي وانظم احزاناً باحزان |
| اذا تصفحتَ ديواني لتقرأني | وجدتَ شعر المراثي نصف ديواني |

حافظ ابراهيم

العدد الخامس والسبعون السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

# في ظل الهلال

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١٦ حزيران سنة ١٩٢٩

# في ظل الهلال

ازدان ملعب «الحرية» في الاستانة بالاعلام العثمانية القانية، وبرزت جدرانه باوراق صفراء وحمراء وخضراء كتب عليها : « في هذا النهار مبارزة كبرى بين المصارعين البطلين ارطغرل افندي وصلاح الدين بك »

واقبلت الجماهير على هذه الاعلانات تقرأها بدهش وسرور ، ودلت ملامح القوم على انهم يشتاقون حضور هذه الحفلة النادرة المثيل

والبطلان الراغبان في المصارعة من اشهر المصارعين الاتراك واقواهم عضداً . فالصحف كتبت عنهما كثيراً واشادت باسمهما وودت ان يقفا جنباً الى جنب لتطلق على الفائز منهما لقب « بطل المصارعة في تركيا »

وقرأ الناس ما كتبته الصحف وما اذاعته فلم يتعجبوا لدن طالعوا الاعلانات القائلة ان المصارعين القديرين سيتلاقيان ؛ بل دفعهم اعجابهم بالرجلين الى مشاهدة المعركة الفاصلة التي ترجح فيها كفة احدهما على الآخر

وملعب الحرية في الاستانة من اكبر الملاعب الوطنية وارقاها واوسعها مدى . فهو لا يضيق بثلاثة آلاف من النفوس يحتشدون فيه . لذلك اختاره المصارعان البطلان وآثراه على كل ملعب آخر

وكانت الجماهير تميل عفواً الى صلاح الدين بك ، لا لكونه اقوى من خصمه « ارطغرل واعظم شأناً ، بل لانه اكثر لطفاً وبشاشة ، فمن يتحدث اليه يجد فيه اللطف المتناهي والادب الجم بينما « ارطغرل» متعجرف ، شديد الاعجاب بنفسه ؛ ابداً عابس الوجه ، ولم يكن ليزيد على صلاح الدين بك في سوى جمال وجهه وتناسق اعضائه ، فكان من تلك الاجسام التي يشتاق صانع التماثيل ان يقدّ الصخر على مثالها وتركيبها

وموعد الحفلة الساعة الخامسة بعد الظهر . فاخذ ابناء الاستانة يتسابقون الى شراء المقاعد كأنهم يتسابقون الى اكلة طيبة شهية . ولما اعلن صاحب الملعب ان سائر

الاوراق نفدت غضب المئات من الافراد الذين لم يتفق لهم ان فازوا بشراء مقعد واحد. فصاحوا : اننا لنرضى بالبقاء وقوفاً ، فكم تريد عن كل فرد يقف في ارض الملعب ؟

قال : ليرة تركية !

فدفعوها له غير مبالين . قال : ان الملعب لا يتسع لاكثر من ثلاثمائة نفس تريد الوقوف !

وكان الطلاب خمسماية ، فحاروا كيف يتزاحمون ليفوزوا باماكنهم ، وبعد جذب ودفع وخصام اغلق صاحب النادي بابه وهو يقول : الاماكن كلها بيعت

فغضب الجمع الذي لم يخدمه الحظ في شراء المقاعد وكاد يهجم على باب الملعب يحطمه ؛ واحس صاحب النادي بالغضب يجول في الصدور فعاد يقول بلطف وابتسام : اين تريدون ايها الاخوان ان تقيموا والنادي امسى يضيق بالذين سبقوكم الى شراء مقاعدهم ؟ ...

ورأوا انه على صواب في ما يقول فخمدت حدتهم واخذ بعضهم يصيح : من يبيع مقعده بنصف ليرة ذهبية ، بثلاثة ارباع الليرة ؛ بليرة كاملة ! ...

فمن غره الثمن باع ، ومن طمع في المزيد غالى في الطلب ، وما دنا موعد المصارعة حتى غص النادي بالجموع على رحبه ، فلم يكن للمرء ان يتحرك والناس بعضهم فوق بعض كالبنيان المرصوص

وتعالى الهتاف لصلاح الدين بك . وراهن معظم الحضور بان صلاح الدين سيفوز . ولما ظهر المصارع امام هذا الحشد العظيم بلغ التصفيق والهتاف عنان السماء كأن القوم يريدون ان يظفر صلاح الدين بك بخصمه بالرغم من كل حائل

فاومأ لهم صلاح الدين يشكر لهم عطفهم عليه وهم لا يكلون في الهتاف له ولا يملون ، فكانوا يرون في الرجل بطل المصارعة الاكبر ويغضبون على كل من يخالفهم في الرأي ويميل الى اظهار مواهب « ارطغرل » المصارع الاخر المتعجرف الممقوت

ولما بدا « ارطغرل » في حلقة المصارعة قابلوه بالصفير والاستهزاء والاهانة . فاغضبوه واحرجوه ، على ان سعة صدره ساعدته على احتمال كل اهانة ، فكان يبتسم للصاخبين الناقمين ابتسامة غير المكترث ولا المبالي

وزاد الشعب في اغضابه ، فظلت ابتسامة الازدراء تجول على شفتي الشاب ؛ فنادوه : يا جبان ، يا ضعيف ، يا احمق ! ...

فاجابهم بضحكة ازدراء طويلة غير انها ضاعت بين صخب القوم وضوضائهم

وجلست فتاة في الصف الاول تسمع الشتائم ترسل جزافاً للشاب ولا تدري لها سبباً . فان ارطغرل بدا لها جميلاً قوياً جباراً فتساءلت كيف يقاومون من يتحلى بهذه الصفات . قالت : أيكون هذا قاتلاً سفاكاً ليلقى من الاحتقار ما يلقى وهو معتصم بصمته وسكوته . أيكون من رعاع القوم لا شأن له ولا مقام ام انه اعظم من كل هؤلاء الصاخبين فما اكترث لهم ولا اعارهم اهتماماً ؟ ...

ونادته : ارطغرل افندي !...

فلم يسمع . فالضجيج المتصاعد من الملعب سد عليه اذنيه . فاعادت النداء فسمع صوتاً خفيفاً . فنادته للمرة الثالثة فالتفت اليها غير مكترث لا يحسب لها حساباً ،

قالت : ألا تسمعني ؟...

فاجاب بغطرسته المعهودة : وماذا تريدين مني ؟

قالت : اني انتصر لك بالرغم من هؤلاء الناقمين !

فقال باستهزاء : شكراً !...

قالت : ولماذا الاستخفاف بعاطفتي ؟ اني من انصارك ، وسانتظرك بعد المعركة واطلعك على حقيقة امري !

ولمس الاخلاص في كلماتها فتأثر لعاطفتها الصادقة وقال : عسى ان يكون انتصارك لي ذا نفع ، بيد اني لا اجتمع بك الا اذا تم لي النصر !

قالت : ان النصر حليفك فلا تيأس !

وبدأت المعركة . وحبس الناس على انفاسهم في الصدور . وكانت العيون تسدد النظرات الى حلقة المصارعة . فهناك قوتان تتصارعان وتحاول كل منهما الفوز بالاخرى، بل هناك مستبلان وسمعتان وحظان يتطاحنان والويل للمغلوب منهما !...

— ٢ —

تجتاز تركيا اول عهدها بالاحتلال الاجنبي

فالحرب الكبرى انتهت بفوز الحلفاء واندحار المانيا ومن ناصرها من الدول والرجال واشرأبت الاعناق الى الدردنيل والبوسفور والاستانة فسارت اليها اساطيل الحلفاء ترسو في مياهها وتحتلها احتلال الظافر المنصور

وقبض رجال الحلفاء على شؤون تركيا باسرها ، فعاملوها معاملتهم للعبيد الارقاء

وتصرفوا على هواهم باحكامها ومقدراتها ، ولم يتركوا لها من السلطة غير جزء ضئيل يكاد يكون دون الاستشارة

فاستاء فريق من هذا الضغط والجور وارتاح له فريق آخر . وشعرت حكومة السلطان محمد السادس بالتلاشي يدب دبيبه فيها ، فاستسلمت لمشيئة الحلفاء يقضون وينهون بامرهم في سائر شؤونها

ولم يكن الشعب التركي بعد ما فتكت به الحرب الكبرى فتكاتها الذريعة ليكره الحلفاء او ليرغب في اقصائهم عنه . لا . فان ما تاق اليه معظم الاتراك وهم يتخبطون بين اشداق الموت الى جانب المانيا ان يتحطم كابوس الحرب ويتدحرج عن اكتافهم ولو اضحت بلادهم لقمة يزدردها دعاة الاستعمار

فالحرب الكبرى ارهقت تركيا وافقدتها زهرة شبيبتها وذهبت بمواردها وثروتها ومقامها واذاقتها الهول حتى امسى جنودها يشتهون اللقمة وهم يحملون السلاح ولا يصلون اليها

لذلك شاقهم ان تنفرج الازمة وان ينفضوا عنهم غبار الذل والجوع والموت غير حافلين بمصير بلادهم سواء نالت استقلالها او استعبدها رجال الاستعمار ، فهم راموا النجاة بانفسهم من البلية ولقد نجوا

واطربتهم تلك النجاة . واستقبلوا جيوش الحلفاء على السعة والرحب . ولعنوا الاتحاديين الذين جروهم الى المجزرة البشرية لمآرب لهم في النفس . ومالوا الى اللهو والطرب وشاءوا ان يتناسوا ما عانوه من عذاب وألم في خلال سنوات الحرب النهاشة السابحة في الدم الخاطفة الارواح

وكانت المصارعة بين ارطغرل وصلاح الدين من نتائج الميل الى اللهو الذي شغف به الاتراك بعد الحرب الكبرى . فالمصارعان خدما كجنديين في جبهة القتال . وبعدهما صلاح الدين ترقى الى رتبة الضباط بينا ارطغرل ظل جندياً بسيطاً

وبدأت المصارعة الهائلة بين الخصمين . فكانا يتلاكمان بعزم يفل الحديد ويتلقى كل منهما ضربة خصمه بثبات عجيب . وكلما لكم صلاح الدين بك خصمه لكمة سمع لها صدى استحسان بين الجمهور ، فكل من احتشد هنالك ود قهر ارطغرل وسحقه تحت مواطىء الخيبة والذل

ولكن الفتاة التي خاطبت الشاب في حلقة المصارعة والجماهير تبدي امتعاضها منه

لم تكن من هذا الرأي . فلقد رجت – وربما كانت وحيدة في ما رجت – ان يفوز ارطغرل ويحمل لقب بطل المصارعة في تركيا

ولكن نكد الطالع فجعها بامنيتها ، فهوى ارطغرل الى الارض تحت ضربة عنيفة من ضربات صلاح الدين ، واخـذ الحكم يعد العشرة والجماهير تصفق لصلاح الدين وتهتف له ، على ان الحكم ما بلغ التسعـة حتى انتصب ارطغرل فجـأة وانقض كالصاعقة على خصمه يعاجله بلكمة على فكيه اطارت اسنانه وضعضعت قواه فسقط الى حضيض الحلقة بين استياء الجموع وغيظها ، وعدّ الحكم العشرة وصلاح الدين ما برح مطروحاً في الساحة يئن من الالم ، فكان الفوز حليف ارطغرل ، ومع كل هذا الفوز لم يصفق له احد غير تلك الفتاة الغريبة التي خاطبته في بدء المصارعة وهي تجهله من ذي قبل كما يجهلها

وربح ارطغرل الرهان ؛ ولم ينس وهو في اوج شهرته الفتاة الغريبة ؛ فاسرع اليها يقول : أتكونين في انتظاري ؟

قالت : نعم

فقال : وماذا تريدين مني ؟

قالت : اريد ان اهنئك بفوزك الكبير وبلقبك الجديد العالي !

– وبعد هذا كله اتريدين شيئاً آخر ؟

وكان لا يزال على غطرسته وجفائه ، فقالت له : أتعرف من انا ؟

قال : ليس لي هذا الشرف العظيم !

قالت : انا « بلانش » الراقصة اليونانية !

وكان قد سمع بهذا الاسم ، ومن لا يعرف « بلانش » في الاستانة ، على انه تجاهل ان يعرفها وقال : من سوء حظي اني لم اسمع قبل الان باسم حضرة الآنسة !

فغاظها ان تقف امام من يجهلها ، بل غاظها ان يكون في الاستانة رجل يجهلهـا

فقالت له : أتريد ان تعرف جيداً من انا ؟ . . .

فضحك وقال : ولماذا لا اريد ؟

فصبرت على قحته وامسكت بيده وقالت : تعال ! . . .

فلم يعاندها وسار واياها الى حيث تقوده . وكان على ثقـة بنفسه فقال : اذا تعمدت الايقاع بي فلي من قوتي ما يرد عني كل اذى وان هي دعتني لزيارة منزلها لمجرد

الزيارة فاي خطر اخشاه ؟

وكانت عربة « بلانش » تنتظرها على باب الملعب ، فصعدت اليها ودعت ارطغرل للجلوس الى جنبها وقالت للسائق : عد بي الى المنزل ! . . .

و «بلانش» ذائعة الصيت . فهي معشوقة الامراء والوزراء . يفاخر بحبها كبار العشاق . وفي ادعاء وصالها من العز والتباهي ما لا يملكه ذو سلطان . فيكفي ان ان يقول قائل انه ممن جادت عليهم بوصالها ليرفعه سامعوه الى اعلى مقام في مملكة العشق والصبابة

وللعشق والصبابة مملكة يسطع فيها العرش والتاج والصولجان ، و«بلانش» ممن تربعوا في ذلك العرش وملكوا سعيداً وعلى رأسهم تاج الغرام وفي ايديهم صولجانه !

وكانت فائقة في جمالها ، فيخيل لمن يملكها ولو لساعات قلائل انه ملك الجنة . ففي محاسنها من الروعة والسحر ما تسجد امامه قلوب الهائمين والمحبين خاشعة مستسلمة

و«بلانش» يونانية الاصل . على انها ولدت في الاستانة . ومن هي امها ، ومن هو ابوها ؟ واين ولدت ؟ . . . ذلك مما تجهله بلانش كل الجهل . فقد شعرت بالوجود وهي لا تعرف شيئاً من حنان الام وعطف الاب

ووقعت في يد رجل يوناني . فما كان منه الا ان استغل جمالها واستثمره لاشباع اطماعه . واستفاقت الفتاة في اسواق الدعارة فلم تجد بداً من المضي في ذلك الطريق الى ان جمعت من المال ما انشأت به منزلاً فخماً اقامت فيه تستقبل كبار عشاقها من رجال القلم والسيف

* * *

هذه هي «بلانش» اليونانية . ولقد تمتعت في الاستانة باسم طويل عريض . اجل ، انه اسم غير شريف ولكنه معروف ، وارطغرل في قوله انه لم يسمع بذلك الاسم كذب كذباً فاضحاً ، الا ان غطرسته هكذا شاءت ، فانكر ان يكون يعرف الراقصة الخلابة

ومن الراهن انه لم يجهل ما تريد منه وقد دعته للاجتماع بها في منزلها . واول ما خطر له انها احبته مما زاد في غطرسته وتشامخه . و«بلانش» وان ابصرت حولها المئات من العشاق لم تكن لتشعر بميل الى احد منهم . فكانت تواصلهم ثم تنساهم ، وفتشت طويلاً عمن تهبه فؤادها وحبه فلم تجد حولها احداً

وهل ضاع حق «بلانش» في الحب والجوى ؟ . . أليس من حقها المطلق ان تميل الى فتى تضع بين يديه احلامها وسعاداتها ؟ . . . فهي لا تحب كل اولئك العشاق الحائمين حولها . هي لا تستلذ وصال اولئك الذين يشترون جسدها بالمال . فان قلبها ازاءهم كالحجر الاصم لا يشعر بلهفة ولا بشوق ، و« بلانش » تريد ان تشعر باللهفة والشوق ، فابصرت في طريقها المصارع « ارطغرل » وقالت مذ ابصرته : هـذا الذي يهواه فؤادي ! . . .

وصبرت على تشامخه ودلاله . ولما دخلت به منزلها خلعت عنها ثيابها وارتدت قميص النوم ونظرت الى الشاب تقول : اخلع عنك ثيابك ، لماذا لا تخلعها ، فان عندي قميصاً للنوم يليق بك !

فقال وهو ما برح يتجاهل : ولماذا اخلعها ؟

فغضبت وقالت : ألا ترى انك سمج الذوق ؟

قال : اريد ان اعلم لماذا جئت بي الى هذا المكان ؟

فرأت ان تصرح له بكل شيء وقالت : لاني احبك، لاني وجدت فيك الحبيب المعبود ، لان قلبي مال اليك ! . . .

ولم تترك له مجالاً للكلام فطوقت عنقه بيديها وهوت واياه على مقعد طويل رقّاص، وراحت ترقه القبلات كأنها العاشق وهو المعشوق، وراق الشاب هذا الاضطجاع اللذيذ فامعن في نهب دقائقه المعدودة وتاه و«بلانش» تاهت مثله بين التأوه والتنهدات! . .

— ٣ —

نجت تركيا من حرب طاحنة لتقع في حرب طاحنة

فان بعض رجالها رأوا في استسلامهم للحلفاء مذلةً وعاراً ، بل هم رأوا في ذلك الاستسلام اضمحلال تركيا الى الابد . فالحلفاء سيحتلون منها الاستانة والمضايق والبلاد العربية ، واليونان يقتطعون ازمير ومن المحتمل ان يتوغلوا في الاناضول ويقبضوا على ناصية الامور فيه

ومثل هذا المصير الاسود لا يطيقه شعب قضى في الحكم اربعماية عام . فثارت النخوة في الصدور وبدأ الاتحاديون يبثون روح الوطنية من وراء الستار الى ان بدت الحركة الوطنية في انقره وعلى رأسها مصطفى كمال

وكان اليونان قد نزلوا ازمير بامر من مجلس الحلفاء الاعلى . ولما قامت دعائم

معاهدة «سيفر» اجمعت الكلمة على ان تكون ازمير وضواحيها بلداً مستقلاً تحت سلطة الدولة العثمانية وان تنوب الحكومة اليونانية عن تركيا في ممارسة هذه السلطة. اي انهم حاولوا ان يجعلوا من ازمير ما جعلوه من مصر يوم عهدوا بشؤونها الى انكلترا مع بقائها تحت سلطة الباب العالي في الاستانة

وفطن دهاة الاتراك لهذه الحيلة فما اعجبتهم ولا ارتاحوا لها. ومما اوجبته عليهم معاهدة «سيفر» ايضاً ان يقضوا القضاء التام على الحركة الكمالية في الاناضول ؛ وهذا الرأي زاد في خوفهم واضطرابهم فعزموا على المقاومة وآثروا ان يموتوا كراماً على ان يعيشوا في ظل الضغط والاستعباد

وانشطرت تركيا الى حكومتين ، حكومة الاستانة وحكومة انقره. اما حكومة الاستانة فلم تملك من القوة ما يساعدها على رفض معاهدة «سيفر» بينما حكومة انقره رفضتها رفضاً باتاً واعلنت عداءها لكل من يرغمها على احترام تلك المعاهدة الجائرة

ولقد رفضت حكومة انقره معاهدة «سيفر» وهي تعلم ان جيشاً يونانياً لجباً يهددها ويوشك ان يزحف في كل دقيقة عليها. وشكت امرها للحلفاء. وطلبت منهم انصافاً ، وكان الخلاف قد دب الى صفوف اولئك الحلفاء. فايدها فريق منهم وعاكسها فريق

والمؤيدون هم رجال الجيش الفرنسي ، والمعاكسون ساسة الانكليز. فالسلطة الانكليزية كانت تطمع في الاستانة وفي مضايق الدردنيل والبوسفور ، ومن المحال ان تبلغ مأربها هذا وفي الوجود حكومة تركية ذات شأن

وابى الفرنسيون على انكلترا استئثارها بالاستانة وبالمضايق فنشطوا باتراك انقره لمقا[illegible]ة اليونان ، وهكذا خدم الحظ حكومة انقره فاستمرت في انكارها معاهدة «سي[illegible]ر» رغم كل تهديد

وجاء موت الاسكندر ملك اليونان يزيد في قوة الاتراك ، وعقب هذا الموت سقوط الداهية اليوناني «فنزيلوس» وعودة الملك قسطنطين المغضوب عليه الى العرش في اثينا ، فتضعضع موقف الجيش اليوناني بعض التضعضع ، غير ان ضباط هذا الجيش وقادته شاءوا ان لا يعيروا الانقلاب السياسي في بلادهم شأناً كبيراً ، فظلوا على رباطة جأشهم وثباتهم ، ولما احسوا بان حكومة انقرة تأبى الا انهيار معاهدة

«سيفر» نادوا بالهجوم العام

* * *

لانت ملامس «ارطغرل» بعد ما ذاق طعم الحب الى جانب « بلانش » الراقصة الفتانة . فاسى اكثر لطفاً وادباً في محادثة الفتاة ، واخذ يشعر بانه ليس خاسراً اذا احبها ومال اليها

وامسكت به «بلانش» يوماً وقادته الى صندوقها الحديدي تفتحه وهي تقول : أرأيت اكداس الذهب في هذا الصندوق يا ارطغرل ، أرأيت كل ما يحتويه منزلي من فاخر الرياش، أرأيت جمالي وجسمي؛ فهي كلها الك ان تكن تحبني وتعاهدني على الوفاء!

ولم تكن «بلانش» بالمتوسطة الحال ؛ فان ثروتها لطائلة جداً ، والجواهر التي تتلألأ في حلاها هي وحدها ثروة كبرى. وانعم ارطغرل النظر فيما تعرضه عليه، ورأى انه لن يكون مغبون الصفقة اذا اجاب الفتاة الى حبها . فهي جميلة بل متناهية في الجمال ؛ وغنية فائقة الغنى ، وهائمة به حتى الجنون ، فلماذا لا يحبها ؟ . . .

اجل ، ان ثمة عيباً كبيراً فيها اذ تجود بجسدها على كل من يؤدي السعر المحدود، بيد انه في وسع الشاب ان ينهاها عن تلك المعاصي ! . . .

فقال ارطغرل : اني احبك يا بلانش واعاهدك على الوفاء. ان تعاهديني عليه ؛ ولكن هل يسعك ان تعدلي عن حياة الطيش التي طال انغماسك فيها ? . . .

قالت : ليس ذالك بالامر الصعب يا ارطغرل !

— أتعاهدينني على قطع كل صلة بعشاقك الكثيرين !

— بلا ريب

— واذ لم تفعلي !

— الك ان تهجرني !

فقال بحدة : بل اقتلك واطحن عظامك ! . . .

قالت : واني لراضية !

وألقت رأسها على صدره فقبلها في جبينها وقال : هذه قبلة الطهر والاخلاص انفحك بها ، واذكري ابداً العهد الذي قطعته على نفسك . . . اياك والنسيان ! . . .

فتمتمت قائلة : ساكون بعد اليوم انقى من الزنبق امامك واطهر من قلب الوليد!

وكان يستدل من لهجتها وحركاتها على انها تقول حقاً وصدقاً ، وانها عدات تماماً

عن التهتك والخلاعة والفحشاء ! ...

– ٤ –

ساء رفاق صلاح الدين بك ان يحالف النصر في حلقة المصارعة عدوهم اللدود ارطغرل

فنادوا باعادة المصارعة بين البطلين وعرضوا الامر على ارطغرل فاستصوبه وقال انه يلبي هذا النداء بكل رضى وقبول

وتنظمت صفوف الذين يؤيدون صلاح الدين وعلقوا الآمال الكبار على فوزه في هذه المعركة . وفي الحين المعلوم وقف الخصمان في حلقة المصارعة يتنازعان الظفر . فكان ارطغرل ينقض على خصمه كالنسر الجائع يكاد يفترسه وصلاح الدين يتقي ضرباته بعزم الى ان تلاشى وسقط في الحلقة فاقد القوى

فطرب ارطغرل ، وارتفعت اصوات في خارج النادي تصيح : « الى الاناضول ! الى نجدة مصطفى كمال ! ... » فاصغى ارطغرل الى هذه الاصوات المتدفقة بالحماسة والمحرضة على انقاذ الوطن من براثن اعدائه ولم يشعر الا بضربة تهوي على رأسه ترميه فوراً الا الارض وتفقده صوابه ، فان صلاح الدين نهض من كبوته وعاجله بتلك الضربة القاضية ، فعد الحكم العشرة ولم ينهض ارطغرل فعلا الهتاف في الملعب لصلاح الدين الفائز وجاءت اليه الوفود تهنئه افواجاً افواجاً وهتافها له يملأ الملعب ويتجاوب في الشارع صداه

واستفاق ارطغرل ، ومثلت الحقيقة لعينيه ، فثارثائره ووقف في حلقة المصارعة ينادي : صلاح الدين ، صلاح الدين ، انك لغادر جبان !

وجن جنونه لانهزامه ، ووثب الى صلاح الدين بين تلك الجموع المتراصة ، ففتح له ممراً بسرعة غريبة وامسك صلاح الدين بعنقه ورماه الى الارض واخذ يرفسه برجليه ويقول له : أتغدرني ايها اللئيم ؟ ...

وكان اشبه بالبركان الهائج ، فجاءوا يفرقون بينه وبين صلاح الدين فما استطاعوا ، فكل من اقترب منه نسفه بضربة واحدة حتى حار الجميع في امره وخافوا بطشه ، وكانت «بلانش» هناك فاقبلت عليه تطوقه بذراعيها وتقول : اصفح عنه يا ارطغرل ! اصفح عنه اكراماً لي ! ...

فعز عليه ان يخيب رجاءها او ان يؤذيها فقال : ليكن ما تشائين يا بلانش ! ...

وعفا عن صلاح الدين ؛ ولولا (بلانش) لسلب منه الروح ! . . .

* * *

تمادى الاتراك في انكار معاهدة (سيفر)، ومع كل ما بذله الحلفاء من مجهود لاقناعهم بقبولها ؛ ومع كل المساعي لتخفيف وطأة تلك المعاهدة عنهم ظلت حكومة انقره تجيب انها لا تقبل من المعاهدة حرفاً واحداً

وتساهل اليونان في ما تخولهم اياه معاهدة «سيفر» من الحقوق ؛ ولما يئسوا من النتيجة وبدا لهم ان الاتراك لا يلينون ابوا الا ان يسحقوا الكماليين

وكانوا قد احتلوا قسماً كبيراً من الاناضول ، وفي ٢٣ اذار ١٩٢١ مشت قواتهم من «بروسه» تبغي احتلال «اسكي شهر»

و«اسكي شهر» معقل حصين جداً عقد عليه الاتراك الآمال ، فقالوا عنه انه لا يؤخذ وان اليونان سيرتدون دونه خاسرين

واقامت الجيوش التركية في «اسكي شهر» تستعد لدرء الهجوم اليوناني . واخذ مصطفى كمال يذيع النداء تلو النداء في جيوشه ويبث فيها روح الثبات والغيرة على الاوطان

فمشت القوات اليونانية لا تجد امامها مقاومة تذكر . فالاتراك خافوا شرها فانزووا في حصونهم يقاومونها غير مهاجمين . وفي اليوم الاول تقدم الجيش اليوناني الزاحف على (اسكي شهر) عشرين كيلو متراً . فاجتاز نهر (غالوس) واحتل الخط التركي الاول

ولم يكن نصيب الاتراك غير الانحدار في كل جبهة حربية . فلا يبدو الجيش اليوناني في جبهة من الجهات حتى يمهد الجيش التركي الى الانهزام

واشتبك في اليوم الثاني الجيشان بعضهما ببعض . فكان الفوز لليونان . وتقهقر الاتراك من خط «ناظف باشا — كوبرى حصار» فلحقت بهم القوات اليونانية وطاردتهم مطاردة عنيفة تسنى لها بعدها احتلال خط آخر . وفي اليوم الثالث استقر اليونان في خط (بازارجيك — يكى كوى)

فهال الاتراك هذا الزحف المستديم وخافوا العاقبة السيئة فارسلوا يستجيرون باخوانهم في الاستانة وفي كل قطر . وكان المحرضون على التطوع والتجنيد يصيحون : (دافعوا عن ارواحكم ايها الاتراك ، انكم في خطر ! . . .)

ولم تكن الاستانة عمياء عن النكبة التي تهدد انقره والحركة الكمالية فيها، فان ولاة الامور في الاستانة ادركوا الخطر غير انهم نظروا اليه بارتياح شديد ، فهم من اعداء الحركة الكمالية واشد خصومها ويودون ان تتقوض دعائمها خصوصاً وقد جابهتهم بالعصيان ثم بالعدوان زاعمة انها السلطة الوحيدة التي يحق لها ان تتكلم باسم تركيا

ولكن اذا غضب ولاة الامور في الاستانة على حكومة انقره واضطهدوها فان بين سكان الاستانة فئة كبرى ترى ان حكومة انقره هي وحدها الحكومة الوطنية المعتصمة باستقلالها وانها وحدها تستطيع تحقيق اماني الوطنيين ، وهذه الفئة لبت نداء الواجب لدن اذاع مصطفى كمال نداءه الى التجنيد وعزمت على حمل السلاح تحت لواء الكماليين

وجاءت بلانش ذات ليلة الى ارطغرل تقول : ألم تسمع ؟

قال : ماذا ؟

فقالت : نداء مصطفى كمال الى الاتراك المخلصين !

— وما يعنيك من مصطفى كمال والاتراك وانت يونانية خالصة !

— يعنيني اني انبهك الى واجبك !

فضحك ضحكته المعتادة الطافحة بالازدراء وقال : وما هو واجبي ، أهو ان اقاتل ابناء قومك ؟ . . .

قالت : ولماذا لا تقاتلهم ان يكن في الامر انقاذ بلادك من كيد المستعمرين ؟

— اراك تريدين الخلاص مني بهذا التحريض على القتال بل اراك ترغبين في موتي برصاص ابناء قومك اليونانيين ليخلو لك الجو دوني، فهل عكرت عليك الماء يا سيدتي، هل ملتني ، هل ضجرت مني فطاب لك موتي ???

نظرت اليه باحتقار وقالت : اهذا هو مبلغ ثقتك بي ؟ . . . حقاً انك لشرير !

فقال : اني قضيت ثلاث سنوات من عمري تحت القنابل والرصاص فشبعت واتخمت وامسيت لا اطمع في المزيد !

— أتتنكب عن نجدة وطنك ؟

— لينجده سواي ؛ اما انا فحسبي منه ما لقيت !

فامتعضت من جوابه، ولم تكن لتنتظر منه هذا الاعراض عن نجدة وطنه المهدد

بالخطر ، فصاحت به : ارطغرل لم اعهد بك الجبن والتواني ، ان وطنك يدعوك فلماذا تصم اذنيك عن سماعه ، انا يونانية الاصل ولكني أريد ان تعلم انت التركي اني اشد غيرة منك على بلادك !

فصعقته بكلماتها هذه وجعلته يشعر بانه حقير ذليل ، وتابعت فقالت : اجل ، اريد انا اليونانية ان ألقي عليك درساً في اغاثة الوطن المنكوب . فمنذ نهار غد ساقصد الى جمعية الهلال الاحمر انضوي تحت لوائها لمساعدة الجرحى البائسين . وقد تتعجب من هذا الاندفاع الغريب مني . وقد تقول اني يونانية فكيف انتصر للاتراك على ابناء قومي ؟ ألا فاعلم اني ابصرت النور في تركيا وربيت في تركيا واحببتك انت الرجل التركي فامسى من واجبي ان اخدم بلداً ترعرعت تحت سمائه وان اغيثه في بلواه وان افديه بدمي اذا احتاج الى هذا الدم ، اما انت . . . اما انت . . .

فصاح : وانا ماذا ؟ . . .

— انت جبان !

فغلى الدم في عروقه ؟ وغاظه ان تهينه امرأة وتعيره بالذل والخنوع ، وكاد يرفع عليها قبضة يده ، ولكنه ملك نفسه وايقن انها على صواب في ما تقول وانه من العار عليه ان ينكص عن انقاذ وطنه من الكارثة التي تهدده ، فقال وقد خفض ابصاره : هل تنوين الرحيل غداً الى الاناضول يا بلانش ؟

فقالت : اجل ، فلا بد من وجودي في صفوف المحاربين اواسيهم واسكب البلسم على جراحهم !

فقال : دعيني ارافقك الى هناك !

ففتحت له ذراعيها وقد سرها منه هذا الانقلاب في الرأي ، فاسند رأسه الى صدرها واخذ يقول : انك لعلى صواب يابلانش ؟ الوطن اعز من الروح . . . نعم ، اعز من الروح . . .

فسرها ان يترك كلامها اثراً في نفسه وراحت تفيض عليه قبلاتها وهي تناديه باعذب ألفاظ الحب والهيام : حبيبي ، حياتي ، نعيمي ! . . .

— ٥ —

لم يصعب على بلانش وارطغرل اجتياز البوسفور الى اسيا الصغرى رغم كل الحوائل التي اقامتها حكومة السلطان وحيد الدين ،

والتحقا فوراً بالجيش التركي . وكان الكماليون في حاجة ماسة الى النجدات . فلا تكاد تصل اليهم فئات المتطوعين حتى يجهزوها بالسلاح ويوفدوها الى ساحة القتال ولم يجتهدوا كثيراً في تدريب الجند على حمل السلاح . فكل الذين يحاربون تحت اللواء الكمالي من افراد الجند القدماء الذين سبق لهم ان خاضوا المعارك في الحرب الكبرى ، وهؤلاء متمرسون بالروح العسكري لا يحتاجون الى تعليم وتدريب

وكان من نصيب ارطغرل ان ضموه الى فرقة يتولى الامر فيها خصمه صلاح الدين بك . فان صلاح الدين وهو من الضباط في الجيش العثماني عاد الى مثل وظيفته في جيش الكماليين بل الى اعلى من وظيفته ، فرفعوه الى رتبة «يوزباشي» وعهدوا اليه بقيادة فرقة كاملة

وعزّ على ارطغرل ان يخضع لاوامر خصمه فغضب واستاء . وحاول مراراً ان يذل صلاح الدين بك ويحتقره على مرأى من الجنود ومسمع ، ولكن بلا جدوى ، فلم يفصلوه عن فرقة صلاح الدين الذي ابدى كل عدم اكتراث لغضب ارطغرل وامتعاضه

وكان اليونان قد طوقوا «اسكي شهر» وحاصروها ؛ فرأى الكماليون ان يبذلوا كل مجهود لانقاذ تلك المدينة من اجتياح اليونانيين ، فهي مفتاح انقره اذا قبض عليه العدو فكأنما قد خضد شوكة الكماليين وانتزع منهم اكبر امل بالنصر

فحشد الكماليون قواتهم واوفدوها الى «اسكي شهر» الفيلق تلو الفيلق ، وكانت فرقة صلاح الدين بين هذه الفيالق المتسابقة لرد اذى اليونانيين عن المدينة المطوقة بالاخطار

وما برح اليونانيون يتقدمون بخطوات واسعة . فقد ثملوا بخمرة الانتصار . والفوز كان حليفهم في كل مكان اجتازوه . فما هم ان يتمادوا في هجومهم حتى يتقهقر امامهم الاتراك وتوالي جيوش الكماليين الانهزام . وحسبوا لدخول «اسكي شهر» حساباً كبيراً . فقيل لهم ان الاتراك حشدوا فيها حامية قوية وان الاستيلاء عليها من المحال

فما كان من القائد اليوناني الا ان ضرب نطاق الحصار . فامست المدينة تحت رحمته . ولكن الاتراك لم ييأسوا ، فظلوا في خنادقهم يستعدون للقاء الموت بعزيمة صادقة وقلب كبير

وتدافع الفريقان يتنازعان النصر . فغرقت «اسكي شهر» بين النار والدخان . وسدد اليونانيون قواهم الى ابواب المدينة ليدخلوها . فاستطاعوا ذلك ولكن بعد

جيد كانهم العدد الكبير من الارواح . وظلت حامية المدينـة تعاند وتغالب بعزم المستميت . فقد ابى القائد التركي الاستسلام الا وهو جثة هامدة

ومثله قال الجند . فلقـد استكبروا ان ينهزموا وان يلقوا بين ايدي الجيش اليوناني مفاتيح المدينة وهم احياء . وصبوا نيرانهم على الجحافل اليونانية كالسيل المنهمر لا تنقطع خيوطه

وارطغرل ، ارطغرل المصارع العنيد ، خاف الموت في تلك الساعـة الحرجة . فكانت اعضاؤه ترتجف من الذعر وهو يسمع انفجار القنابل ويرى اخوانه يتساقطون حوله صرعى

وهو نفسه لم يدر لماذا يرتجف . فقد شهد معارك عديدة ولم يملكه الخوف . فلماذا يرتجف الان . أيكون حب «بلانش» قد حبب اليه الحياة ؟ ... ولكن (بلانش) هنا ، هنا في ساحة القتال تسعف الجرحى ، فكيف تكون وهي امرأة ضعيفة اشجع منه ، بل كيف يخاف وهو التركي القحان يدافع عن وطنه ويردعنه كيد اعدائه وهي الفتاة اليونانية ما خافت ولا جبنت ولا توانت مع ان من مصلحتها ان يفوز ابناء قومهـا ويقهر الاتراك ؟ ...

ولم يخرجه عن هذه الافكار غير قنبلة سقطت الى جنبه وانفجرت انفجاراً هائلاً سدّ اذنيه ، فشعر بالموقف الاليم ونظر الى يديه ورجليه يتثبت منها أذهبت بها القنبلة ام لا تزال سليمة من الأذى ، ومن حسن حظه ان القنبلة عفت عنه واطارت شظاياها رأس رفيق له يقيم الى جنبه وحطمت صدره فبرزت منه العظام مجبولة بالدم والتراب ، فاقشعر جسم ارطغرل من هذا المنظر واحس بروح الانتقام يجري في عروقه ، فخرج من الخندق وبندقيته في يده وهجم على صفوف اليونانيين بالسلاح الأبيض يطعن منهم من يقع تحت قبضته

وكان هائلاً في اندفاعه . وبدا له ان اليونانيين يكادون يستولون على خـط النار التركي فاخذ يقذف عليهم نيران المدافع الرشاشة الى ان صدهم وابعدهم مسافة طويلة . وبلغت الجرأة من احد الجنود اليونانيين ان شهر مسدسه وهجم على قائد الفرقة صلاح الدين بك يحاول قتله في مقر قيادته فشعر به ارطغرل ووثب اليه يطعنه بحربته طعنة خرّ على اثرها الجندي اليوناني قتيلاً

وهدأت حالة القتال بعض الهدوء . على ان رصاص العدو ما برح يصب على الحامية

من مكان عال . وفتك هذا الرصاص بعـدد لا يستهان به من الارواح . وبحث الضباط الاتراك عن ذلك المكان الخفي المعتصم فيه اليونان فلم يعرفوه . وارسل ارطغرل عينيه في جو « اسكي شهر » فاذا الرصاص يصب عليه وعلى رفاقه من اعلى مأذنة في قلب المدينة

فاسرع الى قائده صلاح الدين بك يقول له : ألا تبصر من اين يطلقون علينـا النار ، من اعلى هذه المأذنة ، انظر ، انظر !...

وقبل ان يعطي صلاح الدين الامر بالهجوم على المأذنة كان ارطغرل قد طار اليها. فصعد سلالمها اللولبية وبيده بندقيتـه وفي رأسها الحربة القاطرة دماً . ولم يشعر بـه الجنود اليونانيون الخمسة المقيمون في اعلى المأذنة الا وقد وصل اليهم كالنمر المفترس واخذ يطعنهم في صدورهم وهو ينادي رفاقه لينجدوه . وخاف الجنود اليونانيون ان تكون قوة كبرى من الاتراك تقتحم المأذنة لقتلهم فذعروا ونادوا بالاستسلام ولكن حربـة ارطغرل كانت قد نفذت الى قلوب ثلاثة منهم وخاف الرابع فوثب من اعلى المأذنة الى الارض فتحطمت ضلوعه وتكسرت رجلاه

وكانت القيادة اليونانية شديدة الاهتمام بالمدفعين الرشاشين اللذين نصبتهما في المأذنة، فلما ايقنت ان صوتهما قد خفت تأكد لها ان الاتراك هاجموهما وزادها تأكيداً وثبـة الجندي اليوناني من اعلى المأذنة الى الحضيض ، فما كان منها الا ان قذفت احدى قنابلها على المأذنة فزعزعتها ؛ واتبعت القنبلة الاولى بالقنبلة الثانية والثالثة فتهدمت المأذنـة وارطغرل في داخلها يحس بان الموت قد طواه في اكفانه

واشتد لظى المعركة . وعاد الجيشـان الى التطاحن بقوة وعنف . وتطايرت القنابل تنقض من الجانبين على الجانبين . وتوالت النجدات على الاتراك واعلنوا الهجوم العام . وخرجوا من خنادقهم الى مجابهة اليونانيين . وساروا شوطاً بعيـداً والسعد يناصرهم . واجلوا اليونان عن القسم الاكبر من المدينة . وخيم الليل واستراح المدفع. وعمد كل من الجيشين الى دفن القتلى واسعاف الجرحى

وجاءوا من المأذنة المتهدمة بست جثث . عرفوا منها جثة جندي تركي . وجس الطبيب نبض ذلك الجندي فاذا الروح لا يزال سارياً فيه ، فقال : احملوه الى المستشفى !

وفي المستشفى كانت (بلانش) ، فلما ابصرت الجريح ارتجفت . فانها عرفت فيـه عشيقها ارطغرل . فضربت رأسها وصاحت : لقد جنيت عليه بنفسي !

واسرعت الى الطبيب تتوسل اليه كي يبادر الى انقاذ الجريح . فهز الطبيب برأسه وقال : من المحال ان يشفى !

فقالت : لا تنتطع لي كل امل ، هذا حبيبي !

وكانوا قد اكبروا في مستشفى الجيش تضحية تلك اليونانية في سبيل دولة تحارب وطنها ، وحسبوها في بادئ الامر جاسوسة عليهم لليونانيين ولكنهم لما تثبتوا حالها اكرموها واحلوها منهم مكاناً رفيعاً . وهي لما توسلت الى الطبيب كي يعطف على حبيبها لم يشأ ان يخيبها فاقبل على الجريح ينظر في جراحه البليغة وفي اعضائه المحطمة

وماذا بقي من ذلك الجسد الجبار الذي كان يتمتع به ارطغرل ؟ ... لم يبق غير عظم مكسور ولحم ممزق وجسد مشوه غاص في الدم ، فوقف الطبيب امام هذا المشهد المؤثر يهز رأسه ويقول : ليس من امل بشفائه ، ليس من امل !

فسجدت بلانش امام قدميه وقالت : عالجه مهما يكن امره !

فاجابها الى ما تريد واخذ يغسل من التراب والدم ذلك الجسد الصائر الى الموت ويسد جراحه ، ولكن الجرح البليغ البادي في صدر الشاب لم تنجع فيه حيلة ، فكان الدم يتدفق منه بغزارة وارطغرل تضمحل قواه دقيقة عن دقيقة . فالتفت الطبيب الى بلانش وقال : بعد نصف ساعة سيموت !

فصاحت : وكيف يموت ؟

قال : ان جرحه لبليغ والدم ينزف منه بشدة لا امل بعدها بشفائه !

= أليس من امل على الاطلاق ؟...

= بلى ، هناك امل واحد ولكنه صعب التحقيق !

= وما هو ؟

= ان الجريح في حاجة الى من يضحي بشيء من دمه في سبيله !

فقالت وقد سري عنها : هذا دمي ، خذه ، انقله اليه ، انت لو طلبت حياتي لاجله لوهبتها فداه !

فنظر الطبيب اليها نظرة من يرتاب في اقوالها ، فصاحت : أيخامرك ريب في صدقي ؟... ان حياتي له فخذها مني اليه ، انا التي دفعته الى احضان الموت وانا التي يجب عليها انقاذه من براثن الموت . ان حياتي لي وانا اريد بها انقاذ حياته ، فهذه روحي امنحه اياها ، وهذه حياتي ، وهذا دمي !

وبعد ، فماذا جرى لبلانش وارطغرل ؟ . . .

ظلت الفتاة اياماً طريحة الفراش الى ان ملكت قواها ؛ اما ارطغرل فعانى من الآلام اقساها قبل ان يسترد عافيته ونشاطه

بيد انه لم يسترد العافية والنشاط بتمامها ، فان يديه ورجليه اصيبت بالشلل ، فكان لا يستطيع ان يحرك يداً ولا رجلاً

فساءته هذه العلة وبذلت بلانش كل ما لديها من مال اجرة للاطباء وثمناً للادوية ولم تصل الى نتيجة

وكانت تتولى بنفسها خدمة الشاب وهي تضرع الى الله ان يشفيه الى ان قطعت كل امل من هذا القبيل

وصبرت على بلواها وكانت تقول : انا الجانية عليه ! . . .

واقامت في انقره تعوله وتعتني بصحته وراحته ؛ ولما قيل ان الجيش التركي الظافر سيدخل انقره بعد ان طرد اليونانيين من الاناضول طلب ارطغرل من بلانش ان تحمله الى مكان يطل على الساحة العامة ليشاهد الجيش المنصور

فامتثلت لرغبته ، وبدا الجيش الكمالي يرفع العلم العثماني ذا النجمة والهلال وتدق امامه الطبول وينفخ في الابواق ؛ فتأثر ارطغرل بهذا المشهد الحي ورأى الاتراك باجمعهم من نساء ورجال واطفال يحيون العلم فتمنى هو ايضاً ان يحييه ، فاخذ يجهد نفسه في تحريك يديه والانتصاب على قدميه ؛ وما كادت بلانش تميل لحظة بانظارها عنه حتى ابصرته واقفاً مثله في ابان عافيته ونشاطه يحيي العلم كما كان يحييه وهو تحت السلاح ، فصاحت : الحمد لله ، الحمد لله ! . . .

فلم يلتفت ارطغرل اليها الا بعد ان توارى الجيش عن عينيه ؛ فقال لها اذ ذاك : هذه اعجوبة العلم العثماني ، لا اراني الله الموت الا في ظل الهلال ! . . .

وقالت بلانش : ان من يخدم اوطانه يا ارطغرل ليس بخاسر في الحالين ! . . .

وشاع امر ارطغرل في انقره فدعاه اليه مصطفى كمال وقلده وسام ( الدفاع ) قائلاً له : ان الوطن التركي ليفتخر بالابطال امثالك ، فقد بلغني عنك ما ابديته من البسالة ، وباسم الوطن المفدى اشكرك واحييك ! .

تمت

العدد السادس والسبعون — السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في هذا العدد اربع روايات تامة

الرواية الاولى

## الملك المخطوف

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

الادارة : بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا : ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج : نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢٩

# مغارة العظام

— بقلم حضرة انطون بك الجميّل —

— مساء الخير يا اخوان !

— اهلاً بسليم ، اسعد الله مساك !

— كل عام وانتم بخير !

— وانت بألف خير ، يا مرحباً بك ، تفضل !

وكان الداخل فتى في مقتبل الشباب ، تبدو على وجهه سمات السذاجة والقناعة ؛ يلتفع بعباءة على زيّ القرويين اللبنانيين ، ويتلثم بكوفية ترد عنه هجمات البرد وتكسب هيئته شيئاً من الشجاعة والاقدام

وعند دخوله انتصب الجميع واقفين ووضع كلٌّ يده اليمنى على صدره حسب العادة اجابةً للتحية ، فجلس سليم القرفصاء في حلقة الاخوان والاصحاب وهو يردد :

— تفضلوا ربنا يحفظكم !

وكان قد جاء لقضاء السهرة مع زمرة من عشرائه ، وكانت الليلة ليلة رأس السنة . وقد جرت العادة في مثل هذه الفرصة ان يجتمعوا فيتداولوا الاحاديث المتنوعة والاخبار والنوادر ؛ وكثيراً ما خالط اصواتهم رنة الاقداح وطيبت ارواحهم بنت الراح

فلما اجتمع شملهم في تلك السهرة خاضوا كل المواضيع فتكلموا عن العام الجديد والاحوال الحاضرة وعن المزروعات وبشائر الموسم وعن العادات والتقاليد

فادى بهم الحديث بالطبع الى ذكر الايام الغابرة والاسف عليها والحنين اليها فقال العم ابو حبيب وكان اكبر الجميع سناً :

— لا يذهب يومٌ ويأتي مثله . سقى الله ايام اجدادنا فانها كانت ايام خير ومروءة وشهامة !

وهكذا اخذوا يثنون على العصور الماضية وطفق كلٌّ يسرد ما رواه له ابوه او

جده عن امور شتى ونوادر متنوعة وخصوصاً عما يتعلق بالبسالة والبأس وقوة الجنان

هذا وسليم صامت لا ينطق بحلوة ولا مرة . على انه كان يتأفف في قلبه من الحط من شأن رجال اليوم واقدامهم

فاعترضهم اخيراً قائلاً :

— بارك الله في همم الرجال . لا تظنوا ان النخوة قد تلاشت او ان الشجاعة قد فقدت من صدورنا . فما ايامنا الا ايام من تقدمنا . وفي كل عصر رجال لا يهابون الموت اذا تمثل لهم وآخرون يخشون ظلهم اذا انعكس في ضوء القمر !

فاشتد حينذاك الجدال وادى الى التحزب للماضي والانتصار للحاضر . وجاء في معرض الكلام ذكر «مغارة العظام» وخوف الناس من المرور بجانبها فقال احد الحاضرين لسليم :

— اذا كنت يا صاحبي كما تدعي لا تقل شجاعة عن ابائك واجدادك هل لك ان تقصد مغارة العظام في مثل هذه الساعة فتدق فيها وتداً ؟

فقال سليم ببعض البساطة الدالة على ثبات جنانه : ادقُّ وتداً وآتيكم بجمجمة!

فوقع كلامه على الحاضرين موقع الدهش لان المكان المذكور كان قفراً قد انتصبت فيه صخور جرداء فلا نبات ولا حياة

وكان في منعطف ذلك الموضع مغارة واسعة مخيفة رهيبة فيها من امد مديد عظام وجماجم كثيرة اكسبتها اسم «مغارة العظام»

واذا اضطر احد القرويين للمرور من هناك نهاراً يسير وجلاً مذعوراً ويهول دون ان يحول نظره الى تلك المغارة المشؤومة وهو يكثر من اسم الله العظيم مستعيذاً به من شر الابالسة والجن

اما في الليل فما كنت تجد من يتجرأ على المرور من هناك ولو وهبته سائر املاك القرية لان السكان كانوا يزعمون ان ارواح الموتى تطوف ليلاً في ذلك المكان فياويل من يراها او تراه

ولذلك احدث جواب سليم دهشة في الحاضرين ، فنسبوا كلامه في بداية الامر الى المزاح او الادعاء . ولكنه اتبع القول بالفعل وقام للحال فاتفع بعباءته وتلثم بكوفيته وقال : على الله الاتكال !

وخرج والجميع في حيرة من امره

— ٢ —

في بيت منفرد عن بيوت القرية فتاة يتيمة اسمها سلمى تعيش وحدها مع جدتها العجوز وتكتسب قوتها بعرق جبينها من غزل القطن وتسليك الحرير

وكانت الفضائل قد زينت روحها كما ان الطبيعة قد زانتها بالجمال واللطف المقرونين بالشجاعة وليس ذلك بالشيء النادر بين القرويات

وخطبها شاب يتيم مثلها ومكمل الصفات مثلها ؛ هو صاحبنا سليم الذي عرفناه في مطلع هذه الرواية ، فاقسمت له ان تحفظ عهده وتصون وده ؛ وعاهدها على مثل ذلك ، فكان الحب بينهما متبادلاً

وكان ابراهيم عبدالله احد الشبان المعروفين بسوء الاخلاق ولؤم الطباع قد فتن بهوى سلمى واخذ يزاحم سليماً في حبها

ولكنها لم تكن تلتفت اليه . وكثيراً ما حاول ان يستميلها تارة بالوعد وطوراً بالوعيد فلم تكن الا لتزيد منه نفوراً

وقد علم خطيبها سليم بواقع الامر فلم يكن ليكترث له لانه كان واثقاً بقدرته وبفضله على ابراهيم ومكانته من قلب خطيبته لا سيا وهو يعرف في خصمه الوهن والجبن فكان يعرض عنه ازدراء وشفقة

وجاء سليم في اول تلك السهرة — ليلة رأس السنة — فزار خطيبته وقدم لها ولجدتها الهدايا البسيطة في ذاتها الا انها عظيمة بما قارنها من عواطف حبه

واتفق ان دعيت الجدة ليلتئذ الى بيت كانت صاحبته مشرفة على الولادة فلبت الدعوة عملاً بالواجب المرعية حرمته بين القرويين واذ ذاك لم يسع الشاب الا الرحيل ادباً ولياقة فسار قاصداً حلقة الاصحاب فكان من امره معهم ما كان

وبقيت سلمى وحدها تفكر بخطيبها ؛ واذا الباب قد فتح فجأة ودخل ابراهيم عبدالله كالذئب الخاطف

فهو كان يرقب فرصة يخلو له فيها الجو ، فطال انتظاره حتى عيل صبره وكاد يقطع الامل لو لم تسعفه الاقدار في تلك الليلة

ولما دخل صاح بالفتاة : والآن ? . . .

وهجم عليها ، ففرت من وجهه ولجأت الى زاوية البيت ، فتبعها ، ولما ضاق بها المكان ولم تجد لنفسها مناصاً رجعت اليه لتدفعه ، فوقع نظرها على خنجر في وسطه ؛

فانتشلته منه باسرع من لمع البرق وصاحت به : اليك عني والا قتلتك ! . . .
و كان التهيج والغضب قد اخذا منه مأخذهما حتى كاد يفقد رشده ، فهجم عليها، ولكنها قابلته بطعنة خرقت احشاءه فوقع على الارض صريعاً يتخبط بدمه ولم يلبث ان فاضت روحه الخبيثة

وحينئذٍ اضطربت الفتاة واستولى عليها الذعر من هول هذا المشهد ونظرت الى السماء نظرة الخائف المستغفر ولسان حالها يقول : يا إلهي انت الشاهد على غدره ؟لم يكن لي وسيلة اخرى لصيانة شرفي . اني بريئة يا إلهي !

ولكن اذا كانت بريئة في عين الله فكيف يعلم البشر براءتها وكيف يصدقون كلامها ؟

وماذا عسى ان يكون من امرها وكيف العمل للخروج من هذا المأزق الحرج ؟
لم تجد الفتاة سبيلاً للخلاص الا في مواراة الجثة وكتمان الامر خشية الفضيحة والهوان ، ولكن ما الحيلة ومن يكون نصيرها وسليم غائب وجدتها بعيدة عنهـا ، وكيف الوصول اليهما دون ان تتنبه الظنون ؟

دارت كل هذه الامور في رأس الفتاة واستولت الحمى على دماغها المضطرب فلم تر الا ان تستجمع قواها وتتكل على شجاعتها فتقوم وحدها بستر امرها ، فعمدت الى الجثة ووضعتها في كيس وحملتها على ظهرها وقد ضاعف الرعب قواهـا وسارت قاصدة مغارة العظام تواري الجثة فيها

— ٣ —

وصلت الى المغارة وقد نهكها التعب . فتقدمت وهي ترتعد خوفاً ورعباً
وكان لاقدامها وقع مروّع يرنّ في اذنيها كصوت قضاء رهيب
وقد حجبت الغيوم المتلبدة في كبد السماء وجه القمر الساري فساد تلك الاطلال ظلام مدلهم ترتعش من هوله الابدان

تقدمت الفتاة وهي تعثر تارة بجمجمة وتارة ببعض العظام المتراكمة فيزداد اضطرابها ورعبها ، ولما وصلت الى الداخل اخذت تعمل على مواراة الجثة تحت كومة من العظام، وبينا هي في عملها اذ طرق مسامعها وقع اقدام على باب المغارة

فانتفضت مذعورة وقد اخذتها القشعريرة وحولت نظرها الى الخارج فتراءى لها خيال قائم امامها يتقدم ببطء وهدوء

ورأت نفسها وحدها في هذا المكان المخيف ولا مجير ولا معين فقالت : آه لو كنت هنا يا سليم ورأيت في اي حال اصبحت تلك التي قادها حبك والاحتفاظ بعهدك الى هذا المكان في مثل هذه الساعة !

ثم ما ابثت ان عاد اليهـا الجلد بعد ان استعانت بالله فعمدت الى العظام والجماجم المحيطة بها واخذت تقلبها بعضها على بعض فاحدثت قرقعة مخيفة رددتها جدران المغارة وتواتر بها رجع الصدى

وكانت سلمى ترمي من وراء ذلك الى اخافة الطارق في مثل هـذه الساعة ، فلم يخطئ ظنها لان الطارق وقف هنيهة كمن داخله الخوف

لكنه عاد فاخذ يتقدم شيئاً فشيئاً وسلمى واجفة على انها زادت في قرقعة العظام

* * *

ولم يكن الداخل غير سليم

فانه جاء قاصداً مغارة العظام ليأتي بالجمجمة التي راهن رفاقه عليها

وهو لما وصل وقف عند الباب وسرح بصره في الداخل ، فلم ير شيئاً من اشتداد الظلام

فتقدم قليلاً فسمع تلك القرقعة في المغارة . واول حركة بدت منه الرجوع الى الوراء ، لكنه نفى عن مخيلته ما تصوره حلماً وتقدم وهو يظن ان اذنيه اسمعتاه شيئاً وهمياً

ولكن زادت الضجة . : . لا مجال للريب ان في المغارة احداً، أمن عداد الاحياء هو ام من عالم الاموات ؟

تقدم بضع خطوات والقرقعة تزيد كأن الابالس حلفت ان تقلق راحة هذا المكان .

ولكن لا بد لسليم من ان يأخذ جمجمة ويقوم بوعده ولو خرج الشيطان بنفسه ليحول دون مبتغاه

فما زال يتقدم . وحينذاك انجلى القمر قليلا فتراءى للشاب منظر هائل

جثة منتصبة امامه تتقدم نحوه ووراءها يلوح خيال لم يتميزه

ثم انبعث من وراء الجثة صوت يلقي الرعب في القلوب يصيح : يا من لا يرهب الاحياء ارتعد امام الاموات !

فاوجس سليم خيفة مما رأى وسمع وكاد يطير فؤاده روعاً لكنه ما برح يتقدم كمن تجره قوة جذابة

فما شعر الا وقد سقط عليه شيء بارد ثقيل ولم يكن ذلك غير الجثة فصاح : تباركت يا الله !

واستل خنجره فاجابه صوت ضعيف : استرني اياً كنت يسترك المولى !

وكان القمر قد سطع بكل جلاء فاضاء المغارة ومن فيها ، فعرفت سلمى الخيال الداخل عليها وعرف سليم الشبح المنتصب امامه ؛ ففتح ذراعيه وهتف :

— أأنت هنا يا سلمى ؟

— حفظاً لعهدك يا سليم !

واشارت الى جثة مزاحمه المطروحة على قدميه بين العظام والجماجم ففهم كل شيء ودق الوتد وحمل جمجمة عاد بها فوراً الى اصحابه وقاد سلمى الى منزلها فروت له هنالك ما اتفق لها فاغتبط بعاطفتها الصادقة الشريفة ولم يطل عليهما الحين حتى تزوجا

وظل قاتل ابراهيم عبدالله مجهولاً فحارت القرية بكاملها بامر هذه الجريمة ولكن انى لهم ان يدروا كيف وقع القتل ولماذا وقع ومن هو ذاك الذي قتل وطرح الجثة في مقبرة العظام !



تمت

# في العدد القادم

نبدأ بنشر الرواية المتسلسلة المدهشة :

## فرخة النسر

مؤلفها «ارثور برنيد» وهو من اساتذة الفن الروائي في فرنسا بل العالم

هذه المجلة تشهد بانها لم تنشر الى الآن رواية متسلسلة تعادل الرواية المنتظرة في حوادثها وغرائبها ولذتها

العدد السابع والسبعون		السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## خليلة جمال باشا

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة – تجاه الكبوشية – باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٩

# خليلة جمال باشا

منذ ليال ثلاث والثلوج تطوي في اكفانها البيض مدينة باريس فلم تنقطع لحظة واحدة عن السقوط

والباريسيون اعتادوا نقمة الطبيعة واحقادها فلم يكترثوا لها ، ولكنهم في هذه المرة وقد دهمهم الزمهرير تألموا ولجأوا الى الخمرة يدفعون عنهم بحرارتها البرد القارص الاليم

واحتشد منهم في « النادي الذهبي » خلق كثير . فالنادي اشتهر بخموره ، والخمور بضاعة رائجة جداً في عاصمة الفرنسيين

والذين يرتادون النادي ابصروا منذ ايام ضابطاً يجلس بينهم ويصحبه احياناً نفر من الضباط كلهم غير فرنسيين ، فالثياب التي يرتدونها كانت تدل على انهم اما روس او اتراك

وكانت صحف باريس تكثر في تلك الايام التحدث عن الصداقة الفرنسية التركية . وتستند في احاديثها الى خطاب ألقاه في فرنسا القائد التركي احمد جمال باشا . وقد اطلقت على ذلك القائد لقب «احد زعماء تركيا الثلاثة» وهي تريد بالاثنين الآخرين طلعت وانور ، وقالت ان جمال باشا اذا نادى بالصداقة الفرنسية التركية فان لكلامه وزناً وقيمة غالية

والصحف الفرنسية تذهب في احيان كثيرة مذاهب المبالغة والغلو . فتترنح اعطافها وتثمل عفواً . فالوهم يستولي في لحظة عليها وعلى الوهم تبني العلالي والقصور

ومن انعم النظر في الضابط الذي يرتاد ورفاقه « النادي الذهبي » وجد شبهاً عظيماً بينه وبين الرسم الذي نشرته الصحف الفرنسية لجمال باشا . وقد تعب جداً بعض الشبان الباريسيين في معرفة ذلك الضابط اهو جمال باشا بعينه ام سواه فلم يصلوا الى نتيجة ، فالضابط ما كان يخاطب رفاقه وهو في النادي بسوى اللغة الفرنسية

وكانت اوروبا باسرها تخشى يومئذ الخطر الالماني وانفجار مطامع غليوم . فاذا

بئت صحف فرنسا على خطاب جمال باشا الآمال والاحلام فليس ثمة ما يدعو الى العجب؛ فالفرنسيون كانوا ايضاً يستعدون لدرء الخطر الالماني اذا ما هددهم وراحوا يخطبون ود سائر الدول الاوروبية لتكون الى جانبهم اذا اشتبكوا والمانيا في المعارك والقتال

ومما اعتاده اولئك الضباط الغرباء ان ينادوا راقصة من راقصات النادي الذهبي. فكلما حسوا هناك الخمرة اقبلت الراقصة تصب لهم الكؤوس وتجلس الى قربهم تشرب من كؤوسهم وتسقيهم

وقد شغفت بقائدهم ، قائدهم الرجل الربع القامة ؛ الابيض البشرة ؛ الناري النظرات . شغفت به وانتظرت ان يقول لها : « احبك ! . . . » ولكن هذه الكلمة لم تخرج من فم الرجل الصلب العود الحديدي الارادة ، فلقد شاء ان تكون الراقصة اول من يتلفظ باقوال الحب

قالت : أيكون لي الشرف بان اعرف حضرة القائد ؟

فقال : واي حاجة بك لمعرفتي ؟

— هل تخاف ان تصرح باسمك ؟

— لا ، ولكن هل من فائدة في التصريح ؟

فايقنت بانه يداعبها وقالت : اتريد ان اقول لك من انت !

— بكل ارتياح ورضى !

— انت من بلاد الف ليلة وليلة !

— واي بلاد هي هذه ؟

— هي بلاد الشرق الطافحة بالخرافات والاوهام !

— وبلادكم أليس من خرافات فيها ؟

— بلى ؛ ولكنها اقتبستها منكم !

— أتروقك الحياة في الشرق ؟

— ولماذا لا ؛ اني أسمع كثيراً عنها واشتاق رؤيتها خصوصاً وهي مهبط الانبياء والرسل وموئل السحر والساحرين !

فابتسم الضابط وقال لها : وماذا يكون نصيبي منك اذا حملتك الى الشرق ؟

— نصيبك مني اني اجود عليك بما عندي !

— وبماذا تجودين ؟

– بالقلب والقالب !

فشمل الضحك حلقة الضباط بكاملها ، فالراقصة كانت خفيفة الروح فضلاً عن جمالها الفتان ؛ وقال الضابط الكبير الرتبة : ماذا تعرفين عن الاتراك ؟

قالت : اعرف انهم يحبون النساء وان التي تقع بين ايديهم تلقى من نعيم الدنيا كل ساحر جذاب ، فتقيم في القصور وتقضي لياليها على مقاعد الدمقس والحرير ، واذا اغتسلت تغتسل في حوض من المرمر تنشب فيه فوارات الماء الرسيل ويقف حولها الجواري ينشدن لها اعذب الاناشيد وألطفها ويضمخنها بالطيب ويحملنها على اكتافهن الى سريرها حيث ينتظرها مولاها !...

وصفق الضباط لهذا الوصف الشائق وقالوا للراقصة : يخيل الينا انك طفت ارجاء الشرق واقمت في كنف احد كبار زعمائه !

فقالت : لا ؛ ولكني قرأت روايات الف ليلة وليلة ومؤلفات (بيار لوتي) فاعجبت بما فيها من المدهشات وما برحت اتخيلها وبنفسي حنين الى ربوع الشرق وخمائله وقفاره ونخيله !...

وكانت توالي احاديثها عن الشرق كأن الشرق معشوقها ، وقالت للضابط الكبير الرتبة : وانت من اي بقعة من هذا الشرق الخلاب ؟

قال : من تركيا

– أأنت تركي ؟

– نعم ، وكل هؤلاء الرفاق اتراك مثلي !

– ولكن صحف باريس تكتب المقالات الشائقة عنكم وتقول انكم لنا خير اصدقاء.

– وهذا صحيح !

– بل هي تثني الثناء الجم على قائد تركي كبير نزل اخيراً فرنسا يدعى جم ... جيال ... لا ادري ماذا !

فقهقه الضباط ضاحكين وقال احدهم : لعلك تريدين ان تقولي جمال باشا !

فقالت : اجل ، هذا ما اردت . وقد ترك رسمه في قلبي اجمل اثر . فهو ذو عزم وصلابة وهيبه ووقار ، فلا يكاد يبصره المرء الا ويشعر اما بخوف منه او بميل اليه

– وبماذا شعرت لما بدا لك رسمه ؟

— نحن النساء نميل الى من نخافه ونخشاه !

— اذن لقد احببت جمال باشا ؟

— نعم احببته ووددت ان اطوف الشرق وهو الى قربي !

فاشار الضباط باجمعهم الى رفيقهم العالي الرتبة بينهم وقالوا بصوت واحد : اليك به!

قالت : أهو جمال باشا ؟ . . .

— انه لهو !

ونظر اليها جمال قائلاً : أيطيب لك ان تهجري النادي في سبيل رحلة الى الشرق؟

قالت : ولماذا لا اهجره ، اني احب هذا الشرق الطافح بالاسرار ؛ احب منه غرائبه واديانه ، وسماءه وسكانه !

فارتفعت الكؤوس تحيي الراقصة وهتف الضباط : هذا نخبك يا كوليت !

و«كوليت» هو اسم تلك الراقصة الهائمة بالشرق . فقضى الضباط الاتراك تلك الليلة في سمر وحديث عذب عن الشرق والشرقيين و«كوليت» تستزيدهم من هذه الروائع الى ان استولى عليهم النعاس فودعوا وانصرفوا

وفي مساء اليوم التالي جاء ياور جمال باشا الى الراقصة يقول : مولاي الباشا ينتظرك في سيارته على باب النادي !

فاسرعت تحيي القائد التركي ، فدعاها للجلوس الى جنبه وقال : بودي ان اطوف ارجاء باريس قبل رحيلي عنها ألا تودين ان تكوني في رفقتي ؟

قالت : هذا شرف لي !

ولما ابتعدت السيارة عن الشوارع الحافلة بالناس ألقى جمال باشا يده على كتف كوليت وقال : أتصممين النية على زيارة الشرق ؟

فقالت : بلا ريب !

— واذا دعوتك الى تلك الزيارة فهل تقبلين دعوتي ؟

فنظرت اليه كأنها لم تصدق ما تسمع ؛ فقال : اجيبي ، هل تقبلين دعوتي ؟ . . .

فقالت وقد فاضت عيناها بالطرب : بكل شكر ورضى !

قال : اذن فاستعدي ، اننا سنرحل عن باريس بعد ثلاثة ايام !

وقبل ان تجيب كانت يده قد عبثت بنهديها وألقى رأسها على صدره واخذ يقبل خديها وعينيها وشفتيها ، فبادلته قبلاته بمثلها كأنما هي تعشقه من زمن طويل !

– ٢ –

– هل تدرين يا «كوليت» لماذا دعوتك الى جولة في انحاء الشرق ؟

– لا يا حضرة الباشا !

– اني دعوتك اليها لان روئيتك تلذ لي !

فابتسمت ، قال : وهل يخفاك اني احبك ؟

و«كوليت» تعوّدت مثل هذه الكلمات فامست لا تعيرها اهتماماً كبيراً ولا تشعر بقوتها ، فان عاطفة الحب تحجرت في صدرها واضحت لا ترى في الوجود غير العيش الرغيد والمال الوفير

فقال جمال باشا : أَلا ترتاحين لحبي يا كوليت ؟ ...

فاجابت : اني بين يدي صاحب الدولة فليفعل بي ما يشاء.

قال : هل يرضيك ان تكوني معشوقتي ؟

فقالت بكل هدوء وعدم اكتراث : وكيف لا يرضيني ان اكون لك ؟ ...

فعانقها طويلاً وقال : غداً صباحاً سنبحر الى الاستانة ! ...

***

الاستانة ! ... يا لها من كلمة طنانة في اذن الاوروبيين . فهي في اعتقادهم مدينة الغرائب بمآذنها الناطحة السحاب وعمائم مشايخها وجلابيب علمائها وطرابيش الموظفين فيها . بل هي مدينة الدسائس والمكايد والمظالم والاستبداد

فلا يذكرونها الا ويذكرون معها طغيان السلاطين واستئثارهم بارواح الرعايا؛ فكانوا اذا بدا لهم ان يقضوا على ولاية بكاملها فعلوا غير مترددين وكأنهم لم يفعلوا شيئاً

وكيف يذكرون الاستانة ولا يبدو لهم شبح البوسفور، حوض الجماجم، حيث فاضت عشرات الالوف من الارواح البريئة ؟ ...

ثم من يذكر البوسفور ولا ترتسم في مخيلته دهاليز قصر يلدز وسراديبه وجواريه وخصيانه والسلطان الاحمر عبد الحميد وما أتاه من المنكرات ؟

... الى تلك المدينة الغارقة في الاسرار قصدت كوليت. وكان جمال باشا يحدثها عما في الاستانة من الروائع . فافاض في تاريخ قصر يلدز . وروى من غرائب عبد الحميد ما زاد الراقصة الفرنسية شوقاً الى روئية ذلك القصر الطافح بالمتناقضات . فبينا ولاة الامور يبسمون في اعاليه ويطربون اذا بالضحايا تذوق في دهاليزه الاضطهاد القاسي الاليم

وسرد جمال باشا للراقصة تاريخ النهضة التركية وقيامها على سواعد فتيان الاتراك الذين ساروا تحت قيادة شوكت ونيازي وانور وخلعوا عبد الحميد ، وجاء على طموح انور الى ارفع المناصب في الدولة وقال : ان شوكت ونيازي قتــلا واتسع المجال لانور باشا فقبض على ناصية الحكم واصبح في تركيا سيداً مطاعاً وجئت ومعي طلعت باشا نعضده فامست شؤون الدولة التركية باسرها بين ايدينا !

فصاحت كوليت : اذن انت قطب من اقطاب تركيا ؟

قال : وسترين اني ساكون قطب الاقطاب فيها ، فان انور مع جرأته وشجاعته لا يملك دهائي ، وطلعت مع كل انتصاره لانور عليّ لا يعاندني اذا وثق بان الامر تم لي وخضع الجيش لسلطتي !

ورأى ان لا يتمادى في اظهار ما يكنه قلبه امام امرأة قد تفضي غداً بكل هذه الاسرار فتؤذيه فعاد يقول : ولكننا نحن الثلاثة على اتفاق تام وما يريده الواحد منا يؤيده الآخر فيهٔ ! . . .

ودخلا الاستانة ، فاعجبت كوليت بالاستقبال الشائق الذي أقيم لجمال باشــا ودهشت مما رأت في عاصمة السلاطين من الزخرف والبهــاء والعظمة والفن . فلم تقع عيناها على سوى مشاهد ناطقة بما ابقاه السلف من آثار مجده ونشاطه . فالاستانة تاريخ حيّ للعصور الرومانية القديمة وللعهد التركي الطويل . فلكل شارع من شوارعهــا بل لكل قصر من قصورها حكاية غريبة الفصول ارتبطت بالتاريخ بعرى متينة

ودخل جمال على معشوقته ذات ليلة وقال : هل جاءكِ النبأ المفجع يا كوليت ؟ فانتفضت ، قال : ان المانيا شهرت الحرب على فرنسا !

— ماذا تقول ؟

— اقول ان فرنسا ستخوض حرباً طاحنة يخشى عليها فيها !

— وانتم الى جانب من تكونون ؟

— الى جانب فرنسا ؛ ألم تطالعي خطابي في ابناء قومك ؟

— وهل يوافقونك على هذا الرأي ؟

— اني اعتقد ذلك خصوصاً وقد استدانت حكومتنا مبلغاً طائلاً من الحكومة الفرنسية لسد العجز في بيت مال الدولة !

— وانور ؛ أتراه يرضي بان يغضب المانيا واصدقاؤه باجمعهم من الالمان ؟

فتلعثم جمال، فهو كان يخشى جداً ان يعانده انور فلا يوافق على الانضمام الى الحلفاء ولا يرضى حتى بالعزلة لا ينتصر لفريق على فريق

فان انور كان مستأثراً بشؤون الحكم في السلطنة العثمانية ، فـاذا رام امراً ناله ولو عاكسه فيه الجميع . وهذا مما اثار حقد جمال عليه ، ولكن جمالاً ما كان ليجرؤ على التظاهر بهذا الحقد وانور اعظم منه مقاماً ونفوذاً واكثر انصاراً

وقد شعر جمال بان انور يريد الانتصار لالمانيا ، وجاءت قضية الطرادين الالمانيين « غوبن » و « برسلو » تزيد هذا الاعتقاد رسوخاً وتأييداً . فالطرادان وقد فاجأهما اسطول الحلفاء في البحر المتوسط ركنـا الى الفرار واستنجدا بالاتراك الذين فتحوا لهما ابواب الدردنيل؛ ولدى تشديد الحلفاء في طلبها اجاب الباب العالي انه اشترى الطرادين من المانيا بماله الخاص

حينذاك لم يبق من ريب في ان دولة السلاطين تبغي محالفة المانيـا . فالحلفاء ادركوا ذلك كما ادركه جمال باشا . وماذا يستطيع جمال ان يفعل . لقد حفظ الحقد في قلبه . واستدل انور على ميول جمـال فاقصاه الى البلاد العربية ، ولكن بعد ان نال منه الموافقة التامة على خوض الحرب الى جانب المانيا والنمسا

— ٣ —

— الرجال لا يخلفون الوعود يا دولة الباشا !

— وماذا تريدين ان افعل يا كوليت ، هل تعتقدين اني اقوى على محاربة امـة باسرها ؟

— لقد وعدت بلادي فرنسا بالانضمام اليها في الملم العصيب وهـا اني اراك تعبث بوعدك كأن لا قيمة لكلامك عندك !

فتمالك جمال باشا وغاظه ان تهينه امرأة ، وهو لو سمع هـذه الكلمات من فم غير ذلك [illegible]م المعبود لمزقه بيديه؛ ولكنه يحب كوليت واعتاد ان يسمع منها المداعبة والمجون فلم يشأ ان ينفجر غضبه عليها بل اكتفى بان يقول: كوليت ،ما لنا وللسياسة، اني احبك لا لكونك فرنسية بل لاني أشعر بميل اليك ، وارى ان نبقى عـلى هذا الحب فلا تقصفة يد السياسة الجائرة !

قالت : وهل تعتقد اني ارضى بان اكون عشيقة لعدو بلادي ؟

— واي عيب في ذلك وليس للحب دين ولا وطن ؟

— ألا ترى ثمة ميباً يا صاحب الدولة ؟

فاقترب منها وقال : انا لست السلطنة العثمانية . فاذا وعدت ابنساء قومك باز اسير واياهم لمقاتلة المانيا فلا يفيد هذا انه يجب عليَّ معاندة الارادة العليـا التي امرت وطلبت مني ان اطيع . ان في هذه السلطنة رجالاً محنكين يا كوليت فاذا ابدوا رأياً وصدقوه فلا يصدقونه عفواً بل يدرسونه ويمحصونه الى ان يقفوا على ظواهره وخفاياه. ولو لم يكونوا على ثقة بان دخول تركيا في الحرب الى جانب المانيا ذو نفع عميم للبلاد العثمانية بكاملها لاحجموا عن المجازفة بالاوطان . اجل ، اني ممن يخالفون هذا الرأي؛ فالحلفاء هم الفائزون على ما يلوح لي في هذه الحرب ، ولكن رأيي لم يجد انصـاراً ، فالسواد الاعظم ممن تقع عليهم تبعة الامور ارتأوا ان نضع يدنا بيد المانيا لان المانيا في اعتقادهم ستفوز !

وكان بود كوليت ان تتكلم الا ان جمال باشا قطع عليها كل مجال للكلام وقال لها : كفى ، لا تعودي بي الى البحث السياسي ، ان تركيا ستناصر المانيا فلماذا اضاعـة الوقت بلا جدوى ؟

— وهل ترتاح لهذه النتيجة ؟

— سواء ارتحت لها او امتعضت منها فليس لي الا ان اطيع امر القيادة العليا . وقد ابلغوني امس ان من واجبي امتلاك ناصية الحكم في البلاد العربية وساسافر اليهـا بعد ايام !

— اذن سنهجر الاستانة ؟

— نعم سنهجرها ونقيم في مدينة دمشق !

فاستاءت «كوليت» وخافت ان ينتقم منها الاتراك وهي الفرنسية الاصل ، بل خافت ان يقدمهـا جمال ضحية على مذبح جحوده ونكرانه الجميل ، فيقول للذين يتهمونه بانه يميل للفرنسيين : أتريدون دليلاً على كرهي لهم ونفوري منهم؟.. اليكم بخليلتي الفرنسية اقتلوها على مرأى مني ومن المحال ان اتأثر !

وخشيت ان يصيبها من جمال باشا اكثر من هذا فقـالت في نفسها : أليس من المحتمل ان يقتلني لينجو من تهمة حبه لفرنسا ؟ . . .

وباتت على نار ، ومع كل ما ابداه لها جمال باشـا من الود والمجاملة والعطف لم يهدأ روعها . فقد خافت . ولما ركبت السيارة الى آسيا الصغرى كانت ترتجف .

وحاولت ان تستجير بسفارة فرنسا ولكن دار السفارة اقفلت وابحر السفير ، ثم هي لا تستطيع ان تخرج من دار جمال باشا ، فقد اوجب عليها ان ترتدي الملاءة وان تعتصم بالحجاب ، وليس من السهل عليها وقد امست في زي مسلمة ومن نساء القائد التركي ان تخرج من داره في اي ساعة شاءت وثمة من يحصي عليها الانفاس !

وماذا عهدوا الى جمال باشا في البلاد العربيـــة ؟ ... لقد عهدوا اليه بالنيل من العرب وكسر شوكتهم واذلالهم وقتـــل العنصر الحي فيهم . فكانوا يخافون في الاستانة ان تنشب ثورة هائلة في القطر العربي العثماني فتشلّ حركات الجيش التركي وتساعد الاعداء على ارهاق تركيا

وولاة الامر في الاستانة لو لم يكونوا على يقين بان جمال باشا من ذوي المقدرة والنفوذ ، بل لو لم يثقوا بانه سفاح سفاك بطاش لاوفدوا سواه لمثل هذه المهمة الشاقة . الا انهم كانوا يعرفون ان جمالاً عديم الشفقة والرحمة ، فلا قيمة عنده للدم المسفوك ولا للارواح، عدا انهم كانوا يخافونه فعهدوا اليهبهذا القطر الصعب المراس ليذلل منه العقبات ويتلهى به عن سياسة الباب العالي الكثيرة الاضطراب

واعتقد جمال وهو ينزل سوريا انه في بلد يشتعل بغضاً وكرهاً للاتراك . فاستعان باحكام الضغط والشدة ولو قيل له ان ابنه يميل الى الخلفاء لنفــاه الى اقاصي الاناضول

فان عهد جمال باشا في البلاد العربية عهد استبداد مطلق . فالوشاية كانت تكفي لقطع عنق اخلص المخلصين للدولة العثمانية . ولم ينزل جمال باشا البلد السوري كأنه في ولاية من الولايات العثمانية بل نزله كالفاتح الغازي كأنما هو في بلاد العدو . واول ما عمد اليه انه بحث في دور اعتماد الحلفاء عن الوثائق الكامنة فيها، ومن خانه الحظ وكتب اسمه ولو اتفاقاً في تلك الوثائق كان جزاؤه السجن او النفي او اعواد الصليب

ومن زعم ان جمالاً لم يكن مخلصاً للدولة العثمانية لدى نزوله البلد السوري فقد اخطأ ، فان ذلك السفاح كان في البدء شديد التعصب للقضية التركية والعنصر التركي ؛ شديد الكره للعرب ولكل ما هو عربي حتى انه حكم بالموت على أُناس كانوا له من اعز الاصدقاء واوفى الخـــلان ؛ ولم يحجم عن قتل من أولوا له الولائم واقاموا له المظاهرات ونثروا عليه ماء الورد والعطور؛ ومن هؤلاء : الشهيد عبدالكريم الخليل والشهيد يوسف الهاني

ان جمالاً كان للدولة العثمانية ساعداً قوياً في البلاد العربية ولم يتبرم منها ويفكر

بالانقلاب عليها الا في عهده الاخير ، فالمطامع كانت قد لعبت برأسه، والقادة الالمان احرجوه، ولمعان الصولجان والتاج بهر عينيه !...

— ٤ —

لقد طربت جداً كوليت معشوقة جمال باشا لدى وصولها الى دمشق المدينة التاريخية الملأى بعظمة معاوية وسؤدد الامويين

فهي مع خوفها من بطش جمال باشا ما برحت تطوف في كل مساء شوارع دمشق وازقتها ومبانيها التاريخية وحدائقها التي يغذيها نهر بردى بكل ما فيه من قوة وحياة

والدمشقيون كانوا يبصرونها في سيارتها تشق اسواقهم ولكن هل دروا انها فرنسية الاصل !..

لقد ابصروها تميس تحت الحجاب واعجبوا بقامتها وحركاتها ووثباتها بيد انهم لم يعتقدوا مطلقاً ان تحت ذلك الحجاب فتاة فرنسية هي معشوقة الباشا لا امرأته

اجل ، لقد ذاع ان جمال باشا تزوج امرأة فرنسية ، ولغط الناس بهذه الاشاعة ، والصواب ان الفرنسية معشوقته وهي هذه الراقصة كوليت

وكوليت زارت بيروت فادهشها ما فيها من حضارة ونهضة ؛ على انها كانت اكثر شوقاً للبيئة الشرقية منها للمظاهر الاوروبية، وبيروت اخذت تفقد شيئاً فشيئاً طابعها الشرقي

وارتاحت للحياة القروية في لبنان وجاءت تصطاف في صوفر، وهناك تعرفت بشاب لبناني من آل خوري احست ببعض الميل اليه

وهل تحب معشوقة جمال باشا غير جمال باشا ؟ ... ان كوليت ما كانت لتفكر بخيانة جمال ولا بالاستخفاف بحبه لولا ما رأته منه . فان اجمل نساء سوريا اقبلن عليه يعرضن انفسهن، ولم يكن جمال باشا عفيف النفس الى درجة قصوى ليردع نفسه عن هواه ، فمال حيث مال به الغرام ونقلوا لكوليت اخباره فاستاءت وحقدت عليه ووطدت النية على خيانته

والخيانة لدى كوليت من اهون الامور وابسطها . فقد تعوّدت ان تهب جسدها للطالبين ، فهل يصعب عليها وقد احست بانها اهينت في عاطفتها ان تأتي بعاشق جديد لتنكي عشيقها الاكبر ؟ ...

وكانت تلمس في احاديث ياور الباشا ونظراته الهيام الشديد ؛ فقالت : لماذا لا

استفيد من مبادلته الحب وانتقم من جمال شر انتقام ؟ ...

وراحت تساير الياور ادهم بك ، على انها وهي تسايره كان ذلك الشاب اللبناني من ال خوري الذي عرفته في صوفر يخطر لها ابداً في البال، فاخذت تقول : ساجعل من هذا الياور مطية الاجتماع بالشاب اللبناني !

ونادته : ادهم بك !

فاقبل بقامته الطويلة وعينيه الزرقاوين ووجهه الناصع البياض الجميل وقال : بماذا تأمر سيدتي ؟

وكان يعلم انها معشوقة الباشا جاء بهـا من باريس . فقالت : ألا يطيب لك ان نقوم بنزهة في انحاء صوفر ؟ ...

فلم يكن لينتظر هذا اللطف منها ، ولم يسمعها من ذي قبل تتحدث اليه بسوى لهجة الامر ، وهو لم يتذمر من لهجة الامر وقد عرف مقامه وشأنه حق المعرفة ، ولكن اطربه ان تخاطبه معشوقة سيده بهذا العطف المتناهي وقال : الامر امر سيدتي !

وكان يقول في نفسه : أتراها شعرت بحبي ؟ ...

واسفرت تخشع امام جمالها ، وابتسمت له فكاد يسجد عند قدميهـا، فلقد سلبت منه القلب والنهى ؛ ولما ايقنت انه امسى عبداً لها امسكت بذراعه وقالت : ادهم بك ، لي اليك حديث !

فاختلج من شدة اغتباطه وحبوره وقال : كلي اذان يا سيدتي !

قالت : سافضي به اليك في خلال نزهتنا !

وكانت السيارة قد وقفت امام الباب فركبتها كوليت وجلس اليـاور الى قرب السائق اجتازا صوفر الى ضهر البيدر ومن هناك الى نبع الصفا

... أرأيت الارض تفور باللجين ؟ .. أرأيت اسماطاً من الفضـة تتدفق ابداً من احشاء الصخور ؟ ... ذلك هو نبع الصفا المترنم على ممر الدهور بانشودته الخالدة بلا تعب ولا كلال ، وكم من الالسنة اخرسها وسيخرسها الموت ونبع الصفـا لا يبرح هو هو ذلك البلبل الغريد ، منذ بدء العصور حتى منتهاها !

وفي حديقة تكتنفها الاشجار الظليلة من حدائق نبع الصفا جلست كوليت ودعت الياور ادهم بك اليها ، فما تجرأ على الجلوس ، فشدت به وقالت : اجلس ! ...

فجلس على بعد خطوة منهـا وهو معقود اللسان مضطرب الفؤاد ، فقالت : ألا

تعجبك الصراحة يا ادهم ؟ ...

وكان يجيد اللغة الفرنسية ، فقال : اذا تباهيتم انتم جماعة الفرنسيين بانكم تعشقون الصراحة فاعلمي يا سيدتي باني اعبدها ، فهي ديني ويقيني !

— أتعبدها دون ما سواها ؟ ...

— واعبد معها ربي ! ...

— وغير ربك ألا تعبد احداً ؟ ...

فقال على الفور : بلى ، اني اعبدك ! ...

واحمر وجهه ، وخفض ابصاره ، وخاف ان يكون نصيبه الاهانة والشكوى الى جمال باشا وهنالك نار الجحيم . بيد انه اعلن ما يجول في قلبه وخاطره وضميره . فهو يحب كوليت ولم يكذب في قوله لها انه يعبدها . وكان يود منذ عهد بعيد ان يكاشفها حبه ولو انتقم منه جمال باشا افظع انتقام ، الا ان الفرصة لم تسنح له ، والان وقد سنحت تلك الفرصة فلماذا لا يغتنمها ويجهر بذلك الحب الدفين بين طيات الضلوع ؟ ...

ومن حسن حظه ان جواب كوليت له لم يكن غير ضحكة طويلة عريضة ، فقالت : أتحبني يا ادهم بك ؟ ...

فاجاب وانظاره ما برحت مسددة الى الارض : من كل قلبي وجوارحي يا سيدتي !

— واذا اجبتك الى هذا الحب اتطيعني في كل ما ابغيه منك ؟ ...

فنهض من مكانه وقال : اقسم بالله وانبيائه يا سيدتي انك اذا اجبتني الى حبي كنت لك العبد الاسير ! ...

فقالت : لا يخفاك اني فرنسية الاصل ، واني تركت في وطني اقرباء وانسباء لا اعلم من امرهم شيئاً ، وقيل لي ان احد المصطافين في صوفر يستطيع ان يجيئني باخبارهم بواسطة دار الاعتماد الاميركية في بيروت ، فرجائي اليك ان تأتيني به في هذا الليل او غداً لاسلمه كتاباً الى اهلي يبقى امره سراً بيننا نحن الثلاثة . ولا احسبك تجهل ان جمال باشا اذا اطلع على امر الكتاب مثّل بي وبك شر تمثيل !

— ومن هو هذا المصطاف ؟ ...

— سألت عنه وصيفتي فاخبرتني انه من آل الخوري في لبنان !

وكان ادهم بك يعرف الشاب حق المعرفة فابتسم ؛ فقالت له كوليت : ولماذا

الابتسام يا ادهم ؟

قال : لا تخدعيني يا سيدتي ، ان الصلة التي ترغبين في توثيق عراها بينك وبين الشاب ترمي الى غير الرسالة والاهل والاصدقاء !

– والى اي هدف آخر ترمي ؟

– الى اجتماع حب وغرام يا سيدتي !

فلم تغضب ولم تتأثر بل قالت : ألا تريد ان اجيبك الى حبك ؟ ...

فقال : نعم !

قالت : هذه شروطي عليك أترضى بها ؟ ...

وكان يذوب شوقاً اليها فقال : اني لراض بكل ما تطلبينه مني ولكني لا اطيق ان يشاطرني رجل آخر حبك !

قالت : اذا شئت ان تنال بغيتك قمت بما اطلبه منك والا ...

– والا ماذا ؟ ...

– لننس كل ما دار بيننا من الاحاديث !

فاطرق هنيهة ثم قال : اخبريني ، اتحبين ذلك الشاب ؟

– أحبه ، ولماذا الانكار ؟ ...

– ألا يروقك ان تكوني بكليتك لي ؟

فنهضت من مكانها غاضبة ؛ فتوسل اليها ادهم بك ان تخفف من حدتها وقال : ساعمل بما يرضيك ! ...

فجلست ، وتجرأ الياور ان يطوق خصرها فلم تمانع ، وقبلها في شفتيها فلم تقل شيئاً ، فان مثل هذا الموقف لا يزعجها ولا يثير عواطفها ، فقد قضت حياتها تتنقل من مثله الى امثاله الى ان ارتوت من الضم والعناق والتقبيل وبث الاشواق وامست لا تستلذ الحياة الا في جانب من يحبه فؤادها ، ولقد احبت جمال باشا فخانها ، فابت ان تنام على الخيانة الا بخيانة مثلها ؛ وشاقها ذلك الشاب المصطاف في صوفر ، ووعدت ياور الباشا بالوصال اذا جاءها به ، وياور الباشا يبيع سيده وشرف ألف سيد كسيده بقبلة واحدة من كوايت ، فلماذا لا يرضى بان يتمتع بها ولو لساعة من الزمن في سبيل خدمة من الخدمات مهما يكن من عارها فهو لا يرى كبير امر فيها ؟ ...

— ٥ —

كيف تعرفت «كوليت» بالشاب اللبناني المصطاف في صوفر ؟ ...

فالشاب على ما بدا منه يعرف حق المعرفة ان «كوليت» فرنسية الاصل فارسل يقول لها انه يود الاجتماع بها لشؤون مهمة ذات صلة مكينة بمصلحة فرنسا

وطلبت «كوليت» ان تراه ولو من بعيد ، فوقف على الطريق ينتظر مرورها فشاقها حسنه وجماله وراحت تسعى للقائه بكل مستطاع

وخافت غضب الباشا فاستنجدت بياوره ؛ وكان من امر الياور انه لبي نداءها ووعدها بان يأتيها بالشاب وان يكن في عمله هذا من الغضاضة ما فيه

وكوليت وان باحت للياور ولم تخشَ بحبها للشاب ابت ان تقول له ان وراء هذا الحب مفاوضة بشؤون تهم وطنها فرنسا . فالحب قد يغفرونه لها اما المفاوضة بامور سياسية ينتظر الحلفاء منها الفائدة فذلك مما لا يعفو عنه جمال باشا ، فان نصيب كوليت منه القتل !

وفي مرات كثيرة وقفت الراقصة الباريسية تعاتب الباشا على موقفه من الحلفاء فكان يجيبها باستخفاف وازدراء وغطرسة الى ان غضب عليها ذات يوم فقال لها : كوليت ، اني امنع عنك التدخل في السياسة ، فانت هنا للحب الاثيم لا لسواه فاذا اعجبك ذلك مني فابقي حيث انت والا فاذهبي عني ! ...

فاحتدمت غيظاً الاهانة واخذت تبكي ولكن جمالاً لم يحفل ببكائها فخرج من امامها لا يسأل عنها ولا يمسح دموعها

وجاء انغماسه في الشهوات يميل بها عنه . فامست تكرهه . على انها خافت ان تجاهر بهذا الكره او ان تتظاهر به وجمال هو السيد المطلق في حياتها وروحها ، فاذا قتلها فليس هناك من يطالب بدمها المهدور

فعمدت الى الحيلة ، واستقبلت الفتى اللبناني من آل الخوري في اليوم الثاني من وعدها للياور ادهم بك بانها تنيله بغيته منها . ولقد استقبلته في غرفة مظلمة من غرف قصر الباشا . وبلغت الجرأة بالشاب انه اسرع الى المكان في الموعد المضروب لا يبالي بما قد يطرأ عليه من المكروه

ودخل الغرفة المظلمة ، ولم يطل الحين حتى اقبلت كوليت ، فنهض يحييها ، فمدت له يدها تصافحه ورفعت النقاب عن وجهها وقالت له : تكلم !

فقال : هل يسمعنا احد ؟

– لا ، كن مطمئناً !

– اظن ان سيدتي فرنسية الاصل

– هو ما تقول !

– واظن ان مصلحة فرنسا تهمها !

– فوق كل مصلحة !

– اذن يسرني ان اقول لسيدتي اني رسول الاميرال «فوريه» اليها

– الاميرال «فوريه» قائد المدرعة «انفانسيبل» ؟

– اجل يا سيدتي وقد تولى اليوم قيادة اسطول البحر المتوسط !

– ولكنه عشيق قديم لي !

= وباسم هذا العشق القديم اوفدني اليك وهو يطلب منك ان لا تنسي بلادك وانت في حضن الباشا وهذه رسالته لك !

وناولها الرسالة، فقرأتها بصوت تلتقط الاذان نبراته ، وقد جاء فيها : « عزيزتي كوليت = انا اليوم قائد الاسطول الفرنسي في البحر المتوسط ، وقد بلغني انك تتمتعين لدى جمال باشا بنفوذ كبير ، ويقيني بانك تحسنين الاستفادة من هذا النفوذ وتخدمين به وطنك . ان فرنسا لفي حاجة اليك في موقفها الحاضر ، فاخبريني بحركات الجيش التركي . فقد جاءني انه يستعد لغزو مصر ، أصحيح ما يقولون ؟ . . . »

طالعت كوليت الكتاب وهي طروب . فقد سرها ان يقول لها قائد اسطول البحر المتوسط ان وطنها فرنسا في حاجة اليها . فقالت لمخاطبها : وماذا قال لك حضرة الاميرال ؟

== قال لي ان كوليت لا تخيب رجاءنا ، فاذا اتصل بها اننا نرقب اخبار الجيش التركي منها وافتنا بلا تردد بها !

فاطرقت هنيهة وقالت : ان حضرة الاميرال لعلى صواب ، فاعتمدوني في هذه المهمة !

وامسكت بيد الشاب وقالت : ولكن مهمتك انت لا تزال ناقصة ، فلقد جئتني تطلب مني خدمة وطني وهذا واجب عليَّ ، ولكنك نسيت قلبي ، فهل تحسب اني ارحب بك كل هذا الترحيب لولا شغفي بك وشوقي اليك !

وتناست انها في قصر جمال باشا ، وان العيون ترصدها من كل جانب ، وانها تجازف في هذه الدقيقة بحياتها وحياة الشاب

فوثبت اليه وطوقت عنقه بذراعيها وهوت بقامتها عليه واخذت تقبله حيث يتفق لشفتيها ان تقعا ؛ في عنقه وجبينه وثغره وانفه ، و كانت تقول له : اني احبك ؛ اني احبك ، ولو جئت تطلب مني حياتي لوهبتها لك ، فـلا ادري كيف احببتك ، فقد شعرت بانك تملك قلبي وعواطفي وبان في حبك سعادتي ... تعال الى قلبي ... انه يخفق بحبك ... تعال ! ...

و كانت اشبه بالمجانين . فحارت كيف تعانقه وتقبله وترتمي عليه ، فقال لها : ألا تخشين الجواسيس ؟ ...

قالت : اني لا اخشى احداً !

وظلت به الى ان شفت ما بها من حرقة الجوى، ولما ودعها قال : لا تنسي، اننا نريد الخطة الحربية الاخيرة التي وضعها جمال باشا ، وموعدنا الاخير بها بعد ثلاثة ايام !

قالت : لا تخف ، ستبر بوعدك ، ولكن انى الوصول الى الاميرال ؟

فقال : هذا سر لا ابوح به !

— أتكتمه عني ؟ ...

فرأى بعد تفكير طويل ان يروي لها الحقيقة ، وهمس في اذنها قائلاً : ان زورقاً ينتظرني في الليل عند مصب نهر ابراهيم ويحملني الى مدرعة الاميرال !

— ٦ —

الهجوم على ممر السويس لم يكن ابن يومه

فان جمال باشا لم يقدم عليه من تلقـاء نفسه ،فالخطة كانت موضوعة حتى قبل ان تنزل تركيا الى ميدان الحرب الكبرى

وانور في طليعة من ابدوا هذا الرأي . فعقد مؤتمراً حربياً دعا اليـه بعض قادة الجيش والضباط الالمان وبحثوا في الامر ملياً ، فوافقوا باجمعهم على ان الرأي جامع للصواب ؛ ولم يعارضهم فيه غير القائد الالماني «ليمان فون سندرس» الذي انكر على الجيش التركي ان يستطيع دخول مصر وامامه صحراء التيه القاحلة المقفرة

وصحراء التيه لا حياة فيها . فلا ماء ولا احياء . ان هي الا سهول تلو سهول من الرمال يضطر من يجتازها الى قضاء سبعة ايام من سير حثيث

وليس بالسهل على الجندي التركي ان يحمل سلاحه وزاده ويجتاز تلك الصحراء لمقاتلة قوم ينتظرونه وهم في راحة ونعيم ، لم ينهك التعب قواهم ولا تألموا في خلال سبعة ايام طوال يقضونها على الرمال المحرقة حيث لا ماء الا ما تحمله الابل والنوق ، وهيهات ان يجودوا عليهم منه الا بمقدار

ولكن القيادة التركية العليا لم تحسب لمعارضة القائد ليمان فون سندرس حساباً ؛ فاصرت على رأيها وايدتها القيادة الالمانية في هذا الرأي ، وعهدوا الى جمال باشا بقيادة الحملة ، وطلبوا من الكولونل الالماني «فون كريس» ان يتولى تنظيم خطة الهجوم

وماذا فعلوا ؛ بل ماذا لم يفعلوا لتجهيز الحملة التي اعدوها للهجوم على مصر ، فوضعوا ايديهم على كل ما في سوريا ولبنان من إبل ونوق وخيل وبغال ، واقتلعوا قضبان الخطوط الحديدية واشجار الصنوبر لينشئوا خطاً حديدياً يمتد من القدس الى صحراء التيه فينقل به الجيش مؤنه وذخائره واعتدته ورجاله

وجاءوا بالخطباء يثيرون الحماسة في صدور افراد الحملة بما يلقونه من قصائد رنانة وخطب رائعة : « هيا الى مصر فان ترابها ذهب ... » واستولوا على المراكب والزوارق من مرفأ بيروت . فكانوا ينقلونها في القطار الى دمشق ومن دمشق الى ممر السويس

وكان رجال الحملة خمسة وعشرين الف رجل بعضهم من العرب والفريق الاكبر من الاتراك . فلم يكن لجمال باشا وللضباط الالمان ثقة بالجندي العربي ولذلك اجتهدوا على قدر المستطاع في الاستغناء عنه

وجرت كل هذه التدابير والحلفاء يجهلون امرها والانكليز نائمون على حرير . فلم يعتقدوا مطلقاً ان الاتراك يهاجمونهم من ممر السويس وهناك صحراء التيه التي لا امل لجيش كالجيش التركي باجتيازها وهو فقير الحال متضعضع القوى

ونام جمال باشا في القدس يذيع اوامره . وسار الجيش التركي شوطاً بعيداً في الصحراء . ولما لاح له ممر السويس كان الفرح الاكبر

ولم تكن كوليت بعيدة عن هذه الاسرار . فان جمال باشا قبل ان يرسلها الى صوفر اخبرها بامر الحملة وقال لها انه سيعود اليها مكللاً بالنصر والظفر

ولما خاطبها الشاب اللبناني في امر الخطة الحربية التي نظمها جمال باشا كان في وسعها ان تأتيه فوراً بها ، ولكنها شاءت ان تفكر أيليق بها ان تخون جمالاً في سبيل وطنها وقومها ام ان واجب الامانة له يدعوها الى حفظ السر ؟...

قالت : ولكن وطني يدعوني وجمال يخونني فلماذا اتصامم عن نداء الوطن واخلص للغ[illegible]

ونادت الياور ادهم بك قائلة له : ادهم ، سأكون لك بكليتي ، بقلبي وعواط[illegible] وحياتي ، وانكر لاجلك ذلك الشاب اللبناني واتزوجك اذا شئت ، ولكن أأنال منك الوعد بان تطيعني طاعة عمياء ؟ فقال : اني على ما تريده سيدتي !

قالت : هل تقوى على الوصول الى الخطة الحربية التي نظمها جمال لمهاجمة ممر السويس ؟

— الوصول الي الخطة بسيط ، ولكن ما شأن سيدتي بها ؟

فاسرعت اليه تقبله وتبسم له وتقول : ادهم ، يجب ان ابرح واياك هذه البلاد المنكودة الطالع الى بلاد الحرية والمجد ، الى وطني فرنسا ، وسترى اننا نعيش هناك في رغد وطمأنينة ، انا الى قربك وانت الى قربي !

— واي شأن للخطة الحربية في هذا ، بل من اين لنا الفرار الى فرنسا والحصار البحري يضرب نطاقه علينا ؟

فنظرت اليه تقول : الصراحة هي شعاري الابدي يا ادهم ، فاذا انا طلبت منك الخطة الحربية فذلك لان هناك من وعدني بان يمهد لي سبل الفرار اذا جئته بها

— ومن هو هذا ، أهو الشاب اللبناني الذي تحبين ؟

— لا — من هو اذاً ؟ ...

— أتعاهدني على انك لا تبوح باسمه ؟ ...

— لك مني اليمين الغموس ! ...

— هو صاحبنا الذي اشرت اليه ؛ وقد اخبرني ان زورقاً ينتظره عند مصب نهر ابراهيم ، فاذا جئناه بالخطة الحربية مهد لنا سبيل الفرار ، أفلا تستطيع ان تجيئه بها ليخلو لنا الجو ؟

ففكر ادهم بك طويلا بمطلب كوليت منه ، فكيف يخون وطنه وبلاده في سبيل امرأة وهو الذي لم يلطخ تاريخه العسكري بلطخة سوء . وادركت كوليت ما يجول في خاطره فجلست في حضنه وهي ترقه القبلات وتهمس في اذنه اعذب كلمات الحب وتتوسل اليه بحق حبهما ان يجيبها الى مبتغاها فتتم لهما الحياة الهنيئة الرغيدة . فاطرق ادهم بك امام هذا الالحاح ولم يسعه الا القول بذل وانكسار كمن اقدم على ارتكاب جريمة : اني لك على ما تشتهين يا كوليت ! ...

— ٧ —

اشتهرت الشواطئ البحرية القريبة من نهر ابراهيم بتهريب الاسلحة والتبغ وكل

مادة ممنوعة . وكان بعض اللبنانيين يفرون منها في اثناء الحرب الى مصر او قبرص او ارواد وكانت بعض سفن الحلفاء ترسل ليلاً الى تلك الشواطئ نفراً من رجالها ليطلعوا على الحالة السياسية في سوريا ولبنان ، فاوجد هؤلاء لهم صلات وثيقة بفريق من اللبنانيين راحوا ينقلون اليهم كل ما يسمعون ويعرفون

ومع كل الحيطة التي اتخذها الجند ما كانوا ليستطيعوا معرفة تلك التدابير السرية .

وفي احدى الليالي المظلمة وقفت عربة في نهر ابراهيم وخرج منها ثلاثة افراد : رجلان وامرأة . فالرجلان ارتديا الثوب الافرنجي وبدا من المرأة انها احدى قرويات الجبل

وتوارى الثلاثة بين الصخور . واستلقوا على رمال الشاطئ . واخذوا يحدقون الى اعماق البحار كأنهم يرقبون مجيء احد اليهم . ولاح لهم نور بعيد فقال احد الرجلين : ها هم .. لقد جاءوا !...

ثم انطفأ النور وجلس الثلاثة يحبسون انفاسهم ويتلفتون يمنة ويسرة مخافة ان يبصرهم احد . وسمعوا زفير المجاذيف تشق الماء ورأوا رجلاً في ثوب البحريين الفرنسين يطأ اليابسة ويقول لهم : أأنتم على استعداد ؟...

فاومأوا بالايجاب ، فاخذ يمسك بيد كل منهم ويحمله الى الزورق ولما انتهى من عمله قال : « هيا بنا ! ... » وضرب بالمجاذيف سطح الماء فراح الزورق يتهادى على الامواج ، واذا طلق ناري ينفجر في ذلك الليل ، ثم طلقان آخران ، وتوالى اطلاق الرصاص فلم ينقطع ازيزه ، وسمعت اصوات ألم واستغاثة من الزورق ؛ فماذا جرى ، ومن اطلق النار ومن اصيب بالرصاص ؟ ...

لقد شعر الجند بالزورق يقترب من اليابسة فوقفوا على مسافة بعيدة يرقبون ما سيكون من امره . ولما ابصروا اشباحاً تروح وتجيء على الشاطئ رغبوا في ان يفاجئوهم ويلقوا عليهم القبض وهم احياء ، ولكنهم ما وصلوا الى الشاطئ حتى كان الزورق قد ابتعد يحمل تلك الاشباح ، فلم يبق امام الجند سوى اطلاق النار ، وقد فعلوا ، ولكن من الذي اصابه الرصاص ؟.. ان الزورق ما برح يسير سيره بالرغم من الرصاص المتساقط عليه . واصوات الاستغاثة والانين خفتت ولم يقلق سكون الليل غير تلك الطلقات النارية الممزقة منه الاحشاء.

ومن هم الذين يقلهم الزورق ؟... هم ادهم بك ياور جمال باشا والشاب اللبناني من آل خوري والراقصة كوليت . وقد اتفقوا على الفرار معاً في الاجل المعلوم ، واقبلوا

على نهر ابراهيم في مركبة قديمة العهد لا تلفت الانظار ، وتزيوا بغير ازيائهم ؛ فنزعت كوليت الملاءة والحجاب وارتدت ثياب قروية لبنانية وخلع ادهم بك ثوبه العسكري واكتفى بثوب افرنجي بسيط

وكان قد جاء بخطة الهجوم على ممر السويس وسلمها للشاب اللبناني . ولما ركبوا الزورق اطمأنوا وارتاحوا ، ولكن القدر الخائن ابى ان يتمتعوا بالطمأنينة والراحة ، فما اجتاز بهم الزورق بعض المسافة حتى فاجأهم الرصاص، واول رصاصة اصابت ادهم بك في صدره فشهق شهقة واحدة واسلم الروح، ونفذت الرصاصة الثانيـــة من كتف كوليت فصاحت وولولت وجاءتها رصاصة اخرى اطارت دماغها فسقطت لا حياة فيها. وكان البحري الفرنسي والشاب اللبناني قد استلقيا في ارض الزورق وايديهما على المجاذيف فلم يصبهما اذى وبلغا بسلام السفينة الحربية التي تنتظرهما ، ووثب الشاب اللبناني الى الاميرال يسلمه خطة الهجوم على مصر ويروي ما اتفق له في طريقه ، فتألم الاميرال ولكن ألمه زال لدى امتلاكه الخطة الحربية ، فامر بان تقام للجثتين على ظهر الباخرة حفلة وداع موثرة ونادى الربان ان يتجه بالسفينة الى ممر السويس

وعند الصباح كانت السفينة الحربية تطل على الممر ؛ وكان هناك فريق من الجند الانكليزي يلعبون بكرة القدم . وكان اليوم الثالث من شهر شباط ١٩١٥ وهو موعـــد هجوم الاتراك على مصر . واخذ الجيش التركي يقيم جسراً على الممر ليجتاز الضفة الاسيوية الى الضفة المصرية ، فانتظرت المدرعة الفرنسية حتى انتهى الاتراك من بناء الجسر وما هم ان بدأوا يعبرونه حتى صوبت اليهم مدافعها فهدمت الجسر وروعت الرعب في نفس الجيش التركي ، واستفاقت الحامية الانكليزية فاطلقت نيرانها ، وحاول الاتراك المقاومة فاذا بقوات كبيرة من الجيوش الهندية والسودانية و... س مدرعات حربية تصليهم النار الحامية فتقهقروا ، ولولا سرقة الخطة الحربيـــة لدخلوا مصر ، فالانكليز لم يحصنوها ولم يحسبوا حساباً لمهاجمتها ؛ وقد فقد الاتراك سبعة آلاف جندي بين اسير وجريح وقتيل ، ومع هذه الخسارة الكبرى عاد جمال الى القدس ينادي بانتصار الجيش التركي ؛ على انه كان واثقـــاً بانه يكذب على نفسه وعلى الناس ، ولما سأل في دمشق عن كوليت وقيل له انها فرت مع ياوره ادهم بك لم يهتم بالامر كثيراً ، فان خسارتـــه في ممر السويس قضت على مستقبله العسكري فامسى ناقماً على الحياة يائساً شريراً !..

تمت

العدد التاسع والسبعون السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## الاسد الباكي

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة – تجاه الكبوشية – باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١٤ تموز سنة ١٩٢٩

# الاسد الباكى

﴿ بقلم الامير نسيب شهاب ﴾

جلس صفوت باشا داهية مصر ووزير محمد علي باشا الى منضدة جميلة يقلب بين يديه، وهو مقطب الجبين عابس الوجه ، تقارير سياسية رفعها اليه معتمدوه في تركيا ، ثم قام عن المنضدة غاضباً واخذ يروح ويجيء في عرض ديوانه وهو شديد التفكير واذا بخادمه الخاص يدخل عليه ويعلن قدوم معتمد مصر في تركيا ، فتعجب الباشا وتساءل عما دعا معتمده لمغادرة الاستانة دون علم سابق وادرك حالاً ان في الامر حادثاً جللاً لذا أمر بادخال المعتمد على الفور ، ولما مثل هذا بين يديه طلب منه صفوت باشا ايضاح الاسباب التي اوجبت عليه براح مقر وظيفته بلا استئذان ؟ فقال :

— لم يهنأ للاتراك عيش منذ احتلال جلالة الخديوي محمد علي باشا الاراضي السورية واللبنانية ، فهم يفكرون باسترجاعها . ويذكر معالي الوزير الخطير ان السلطان محمود الثاني مات غماً غداة بلغه نبأ انتصار مولاي ابراهيم باشا على جيشه . وقد جاءني ان الاتراك يستعدون الان لمهاجمة القطر السوري !

— ماذا تقول ؟ . . . ألم يعرف الاتراك حتى الان مكانة جيشهم من قواتنا ؟ أتناسوا معارك دمشق وحمص وحلب وكيليكيا وكوتاهيه وبروسه اذ وصل جيشنا على قيد خطوتين من الاستانة والنصر يخفق بين طيات علمه الظافر ؟ أتناسوا فرار جيشهم في كل معركة اصطدمنا فيها ؟ . . .

— كلا يا مولاي، لم ينسوا شيئاً من ذلك ، واذا كانوا يريدون الحرب فكل قصدهم ان يمحوا العار الذي لحق بهم في تلك المعارك التاريخية . وهم يعلمون ضعفهم ازاء قواتنا . ولكنهم يستندون في هذه المرة الى قوات دول اخرى . . .

— الى اي قوات يستندون ؟ ومن هي الدول التي ترغب في مناصبتنا العداء ونحن على صلة حسنة بدول اوروبا جمعاء ؟

— انهم يستندون الى مساعدة انكلترا يا مولاي !

— آه، انكلترا؛ دائماً انكلترا، لا يحدث فتنة في العالم الا ويجب علينا ان نرى اصبع انكلترا فيها ؟ .. ولكن انكلترا لا تساعد تركيا الا لمنفعة خاصة . فما هي المنفعة التي تتوخاها من مساعدتها لها ؟... أتروم الاستيلاء على مضيقي الدردنيل والبوسفور لقاء خدمتها هذه ؟... ثم اي اساءة بدت منا نحو انكلترا لتساعد عدوتنا علينا ؟

— لم يحن الوقت يا مولاي لتستولي انكلترا على المضايق ، فهي تريد الان طرد الجيش الروسي الرابض في سواحل الاناضول على مقربة من البوسفور ولا يخفاك ان روسيا تأبى الجلاء عن تلك السواحل كلما طاب لجلالة محمد علي باشا البقاء في سوريا يهدد الاستانة

— ولكن في وسعنا ان نزيل كل خوف من قلب روسيا بان نعلن اننا لن نتخطى حدودنا الحاضرة في سوريا !

— هب استطاع ذلك مولاي فكيف يستطيع ارضاء انكلترا وهي تخشى ان تنادي غداً بامبراطورة عربية تصبح خطراً على الهند

— انكلترا ... الهند ! ... دائماً حول هاتين الكلمتين تدور السياسة العالمية. ولكن الدولة المصرية لا تفكر مطلقاً بالاستيلاء على الهند

— صحيح، غير ان لي رأياً جئت ابديه لمولاي !

— وما هو ؟

— هو ان نخالف الامير بشير الكبير امير لبنان ونتبث في الجبال اللبنانية وهي معاقل حصينة لا تقوى تركيا ولا انكلترا ولا اعظم دولة في الكون على اخراجنا منها ، على ان الضربة القاضية هي في ان انكلترا ترمي الى اسر الامير الشهابي والحبس عليه في جزيرة مالطه

— و كيف ذلك ؟

— لا يخفى على مولاي ان بين الامير بشير الكبير واولاد الامير يوسف امير الجبل سابقاً عداوة كبرى، فرأى الامير استرضاءهم بان عهد اليهم بالولاية على جبيل وضواحيها. وكانوا قاصرين في السن والرأي على عكس مستشارهم جرجس باز اذ كان خادمهم قولاً وسيدهم فعلاً ، لا يصدرون امراً الا باذنه ولا يلبسون ثوباً الا بعد موافقته، ولا يتقلدون سلاحاً الا بعد مصادقته ، ولم يكن لهم بوجوده لا أمر ولا نهي وما كانوا

ليملكوا خاتماً يختمون به ما يكتب باسمهم من رقاع الديوان ؛ فالخاتم كان بيد جرجس باز فيكتب ما يشاء ويختم ما يشاء ويأمر بما يشاء وهم غافلون وفي ملذاتهم غارقون . حتى ان أوامر عديدة صدرت باسمائهم لم يكن لهم علم بها . وكان غير مسؤول في ما يعمله فالمسؤولوهم . وجرجس باز حاذق ، ذكي ، كريم اليد ، حديثه يأخذ بمجامع القلوب ويميل الناس اليه . وكان له أخ يدعى عبد الاحد يقرب منــه في هذه الصفات ولكنه لم يكن ليجاريه في الدهاء . فعظمت منزلتهما ومال اليهما كثير من رجال البلاد فاستطالا في القول والعمل على اكابر القوم واحتقرا سراً وعلناً الشيخ بشير نكد حتى والامير بشير الكبير نفسه ، فاضمر هذان لهما الشر والسوء

— اوجز في ما تقول !

— فاتفق الامير بشير واعيان البلاد على قتل جرجس باز واخيه عبد الاحد تخلصاً من تمردهما وقضاء على الخطة السياسية التي كانا يحوكانها في الخفاء . فذهب الامير حسن اخو الامير بشير الكبير والشيخ علي تلحوق وزعماء اليزبكية الى جبيل ودخلوا على عبد الاحد واحاطوا بمنزله ، فالقى بنفسه من النافذة ؛ فادركوه وقتلوه شر قتلة . ودعا الامير بشير الكبير في اليوم نفسه جرجس باز ولما مثل هذا بين يديه خرج الامير من ديوانه ودخله انصار الشيخ علي جنبلاط واليزبكية فخنقوا جرجس باز ، وكان ذلك في ٥ ايار للعام ١٨٠٧

« وكان لجرجس باز والد يحمل اسم عساف خرج اتفاقاً في ذاك النهــار الى الصيد والقنص ، فلما قتل عمه عبد الاحد وأبوه جرجس باز أرسل اليه بعض انصاره يعلمونه بالامر ويلحون عليه بعدم الرجوع الى جبيل ؛ ففعل وتوارى عن العيان ؛ وجاء بعض اعوانه الى منزله فدخلوا سرداباً سرياً حملوا منه الى الشاب ثروة ابيــه وعمه وكانت ذات شأن

— ولكن رجال الامير بشير قتلوا عسافاً بعد ايام قليلة

— كلا يا مولاي انهم لم يقتلوه ، بل قتلوا رجلاً يشبهه واعتقدوا انه هو

— واي علاقة لعساف بن جرجس باز بسعي انكلترا السياسي واتفاقها وتركيا على اخراجنا من سوريا ؟

— لقد سافر عساف خفية الى جزيرة رودس وعاش هناك متكتماً الا ان الانكليز عرفوا مقرة وكانوا يعتقدون هم ايضاً بموته ، فاتفقوا والصدر الاعظم على ارســال

باخرة تقل الشاب الى جهات جبيل حيث لابيه ولعمه اعوان عديدون فتمدهم انكلترا بالمال الكثير والاسلحة والذخائر ليوقدوا نار الثورة في شمالي لبنان واوساطه ويقيموه على الامير بشير الكبير ، وفي الوقت نفسه تندلع السنة الثورة في حوران وراشيا يقوم بها الدروز كما فعلوا سابقاً فيضطر مولاي ابراهيم باشا الى تفريق جيشه اخماداً لنيرانها واذ ذاك يزحف الجيش التركي على سوريا وترسل انكلترا اسطولها الى الشواطئ السورية واللبنانية لمساعدة الثوار ...

— كفى ... كفى ... اذهب فاسترح هذه الليلة وتهيأ في الغد لمقابلة مولاي الخديوي لتسرد على مسامعه كل ما رويته لي ! ...

— ٢ —

ما كاد معتمد الدولة المصرية يتوارى عن الانظار حتى استلقى صفوت باشا على مقعد مخملي مقطب الجبين يضرب اخماساً لاسداس

وقد ادرك الخطر الذي يهدد دولته ، وهو ان تجاهل امام مخاطبه معرفة بعض الامور فذلك لشدة دهائه ، فلم يكن ليجهل وهو من كبار دهاقنة السياسة ما كان الاتراك والانكليز يحوكونه في الخفاء للايقاع بمولاه ، على انه كان يجهل وجود عساف بن جرجس باز في قيد الحياة وهو يظنه في عالم الاموات ، وكان يجهل ايضاً الحركة العدائية التي ستحدث في شمالي لبنان واواسطه لدى قدوم عساف باز لمحاربة الامير بشير لا سيما اذا لعب المال دوره وفي الميدان انكلترا الغنية السخية المجازفة بالاموال الطائلة لبلوغ مأربها ، ومن اين للدولة المصرية ان تجاريها في المضمار وهي ما كادت تنفض عنها غبار الحروب

أضف الى كل ذلك الثورات التي تروم انكلترا وتركيا أثارتها في جبل الدروز وفي حوران وفي جهات حاصبيا وراشيا وحقد الدروز في لبنان وسوريا على حكومة ابراهيم باشا واضطرار الدولة المصرية الى محاربة انكلترا وتركيا في آن واحد ؛ هذا اذا لم تنجح انكلترا في حمل دول اوروبية اخرى على خوض القتال الى جانبها

مرت هذه الافكار في خاطر صفوت باشا مر السحاب ، وكان الرجل من ارباب الحزم فلم يلبث ان دعا اليه خادمه الخاص وما كاد يتوسط الديوان حتى قال له بشيء من الشدة : ادع لي حالاً الجلاد مسعود ...

ولم يطل انتظار صفوت باشا حتى دخل عليه رجل طويل القامة، عريض المنكبين،

مفتول الساعدين ؛ كبير الشاربين ، تدل هيئته على القوة والبطش وسفك الدم ، فحيا تحية عسكرية ووقف ينتظر اوامر رئيسه ، فحدق اليه صفوت باشا ملياً وقال له : هل انت مخلص لجلالة الخديوي ؟

— كل الاخلاص يا سيدي وخدماتي الماضية تشهد بصحة قولي

— اريد منك باسم جلالته ان تذهب في هذا المساء الى الاسكندرية حيث تنتظرك بارجة حربية ، وخذ معك من شئت من الاعوان واركب تلك البارجة واذهب فوراً الى رودس فتجد على مسافة عشرين كيلو متراً منها قصراً جميلاً قائماً على رابية عالية يسكنه رجل يدعى عساف بك فجئني به حياً او ميتاً ؛ فهو رجل سياسي كبير من بيت شريف يتوارى عن الانظار فراراً من القصاص العادل . واليك بهذا الغلاف تجد فيه اوامري، واليك بهذا الكيس وفيه من المال ما يكفي رفاقك ويكفيك!

— سيرى مني مولاي ما يسره

وسار الجلاد مسعود والشرر يتطاير من عينيه . وما كاد يصل الى الاسكندرية مع رفاقه حتى ركبوا زورقاً حملهم الى البارجة المصرية الراسية في تلك المياه ، وقدم مسعود اوراقه للربان فلما قرأها انحنى امام الجلاد واعلمه انه مستعد للقيام بكل ما يأمره به . وبعد نصف ساعة كانت تلك الباخرة تمخر عباب اليم بسرعة زائدة الى جزيرة رودس ومسعود على ظهرها يفتل شاربيه وينظر الى الافق تواقاً للنزول في تلك الجزيرة ليحمل منها ابن جرجس باز الى مولاه

— ٣ —

في ليلة من ليالي شهر ايار المقمرة اتجهت من الاستانة سفينة حربية ترفع العلم التركي قاصدة الى جزيرة رودس وعلى ظهرها بعثة سياسية يرئسها محافظ الاستانة ويرافقه كاتم اسرار السفارة الانكليزية وبعض الاعوان

وكان في الاستانة شاب عربي من دمشق ذهب اليها ليتلقى العلوم في معاهدها العالية لكنه ما عتم ان سلك طريق الضلال اذ قاده رفقاؤه الاتراك الى المعاصي . فانغمس فيها حتى فقد آخر فلس كان يملكه . واستدان ولكنه لم يجد اخيراً من يدينه بعد ان اشتهر امره . فضاقت به الدنيا وعول على الرجوع الى بلاده ولكنه لم يكن يملك نفقات السفر . وبعد الجهد تمكن ان يجد له مكاناً في تلك السفينة بصفة خادم يقدم للركاب الطعام بمرتب زهيد

وحان وقت الطعام فلم يجلس الى المائدة غير نفر قليل لانها وقد اصيب بعض الركاب بدوار البحر فتخلفوا في مخادعهم وآثروا السكوت في اسرتهم على الجلوس الى المائدة

وأخذ ربان السفينة ومحافظ الاستانة وكاتم اسرار السفارة الانكليزية ورئيس كهنة رودس يتحدثون . وكان الحديث ذا شجون فتطرقوا في ابحاثهم الى جزيرة رودس والى القصر القديم القائم على مقربة من المرفأ وما يدور حوله من الاشاعات الغريبة . فقال الربان وهو يجهل المهمة التي انتدب لها ضيوفه :

— يروون احاديث جمة عن القصر وساكنيه . وقد زرت مراراً عديدة جزيرة رودس وسمعت فريقاً من سكانها يتكلمون عن ذاك القصر ويقولون ان امرأة جميلة تسكنه ؛ وانها فريدة في الجمال ولها ثروة طائلة وتملك من الجواهر والحلى ما لا يحصى، وانها تزوجت ثلاثة رجال الواحد تلو الآخر وقضى كل واحد منهم بعد مدة وجيزة دون ان يعرف الناس كيف مات ، فقد ظل الامر سراً من الاسرار الغامضة. وتلك المرأة تسعى جهدها — كما قيل لي — للحصول على الزوج الرابع ولا تتمكن الوصول الى الغاية التي تنشدها ، فقد خاف منها طلاب الزواج واحجموا عن الاقتران بها خيفة ان ينالهم ما نال ازواجها من قبل ، عدا ان لها ثلاثة عشاق يترددون كل ليلة قصرها ويفوزون بوصالها

فقاطعه محافظ الاستانة وقال له : وهل تعرف اسماء عشاقها ؟

— يقال ان الاول من قرصان البحر والثاني صياد والثالث قاطع طريق . واشهرهم الصياد لان تلك المرأة تحبه حباً جماً ولا تطيق البعاد عنه

فتبادل اذ ذاك محافظ الاستانة وكاتم اسرار السفارة الانكليزية النظرات ؛ اما الكاهن فلم ينبس ببنت شفة بل لزم الصمت طيلة تلك المدة وقد ارتسمت على وجهه دلائل الحزن والكآبة

وأثرت هذه الكلمات بالشاب «فريد الطواه» الدمشقي خادم السفينة وطرب لحديث الربان عن جمال تلك الحسناء غادة رودس وما لديها من الثروة ورغبتها في الزواج فعقد النية على ترك السفينة لدى وصولها الى الجزيرة والذهاب الى ذاك القصر واستمالة ربته مهما كلفه الامر والاقتران بها ولو ادى زواجه الى مفارقة الحياة

والسوري مطبوع على حب المجازفة والعلم فاما ان يسعد في مجازفته او ان يشقى .

وماذا يهم فريد من الشقاء وقد الفه منذ زمن طويل بينا هو اذا سعد ادرك غاية ما يتمناه وتصبو اليه نفسه

وما كاد القوم ينصرفون الى مخادعهم حتى وقف فريد امام مخدع رئيس كهنة رودس وقرعه بعنف . فدهش الاب «ريبي» لرؤية الخادم ، ولحظ فريد الطوا ما يجول في دماغ الاب من الحيرة فطلب اليه ان يصغي له ليطلعه على امور مهمة لها علاقة وطيدة بالقصر ، فلما سمع الاب ريبي ان هنالك سراً عن قصر الجزيرة دعا فريداً الى مخدعه واقفل بابه بكل حذر وقال للخادم : انني شديد الاصغاء تكلم !

— هل تقيم منذ زمن طويل في رودس يا سيدي الاب ؟

— منذ تسع سنوات يا بني !

— وهل تعرف القصر القائم في هذه الجزيرة ؟

— كنت ازوره احياناً !

— أصحيح ما يقولون ان غادة جميلة تقيم فيه ؟

— هذا ما نسمعه !

— وهل عند تلك السيدة اموال جمة ملأت بها صناديقها ؟

— ربما بالغوا في القول يا ولدي ولكنها غنية على كل حال

— اصحيح انها فقدت ازواجها الثلاثة الواحد تلو الاخر ؟

— تلك هي الاشاعات التي تروج

— وهل ترغب في الزواج من رجل رابع ؟

— قد سمعت ذلك ، ولكن ما يدفعك الى القاء هذه الاسئلة ؟

قال : سمعت الحديث الذي دار بينكم فيما يتعلق بالقصر وصاحبته فعزمت على ان اكون زوجها الرابع . فاما سعادة انهي بها حياتي واما شقاء ابقى به على ما انا عليه . وفي الحالين لست بخاسر

فامتقع وجه الاب ريبي وحدج فريداً بعينيه ثم تكلف الابتسامة وقال : انصحك يا ولدي ان لا تعمد الى المغامرة بنفسك لان المغامرة ليست بمحمودة العواقب بل اشير عليك ان تعود الى مسقط رأسك في دمشق

= ولكني لا املك درهماً

= ان احجم عن اعطائك ما تحتاج اليه من الدراهم ، فان ساعدك الحظ بعثت اليَّ

بها والا فارجو منك ان تقبلها هدية مني اليك

= اشكرك يا سيدي الاب على كرم اخلاقك ولكنني صممت النية على الاقتران بغادة قصر رودس فقد فتنني جمالها ومالها

= ولكن الوصول الى قصر غادة رودس ليس بالسهل يا بني، فهناك احد قرصان البحر والصياد وقاطع الطريق لا يتركونك تصل اليها حياً وهم لا يرغبون في ان يصل اليها رجل سواهم · فانهم يغارون عليها كل الغيرة لذا اكرر نصيحتي اليك بان تعدل عن رأيك هذا وان لا تزج نفسك في هذا المأزق المحفوف بالاخطار فتندم ولات ساعة مندم

= اني استلذ اقتحام الاخطار يا ابتي مهما اعترضني من الصعاب ، ولذلك ساقصد غادة القصر ولي من جرأتي وشبابي، ما يساعدني على مجابهة المنايا

فرأى الاب ريمي ان عناد ذلك الدمشقي بالغ منتهاه فتركه وشأنه وما هي الا بضعة ايام حتى وصلت السفينة الى جزيرة رودس

وكانت قد سبقتها ببضع ساعات بارجة مصرية فلم يبد لها احد اهتماماً وحسب الجميع انها تتجه الى الاستانة وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً في ذهن المحافظ لما سمع حاكم الجزيرة يقول ان ربان البارجة المصرية صرح له بان في نيته الوصول الى الاستانة في اقرب وقت مستطاع

– ٤ –

توطدت دعائم قصر رودس على رابية عالية محاطة من جميع جهاتها بالغابات والاشجار الباسقة

وقامت في وسط القصر حديقة جميلة جمعت سائر الازهار والرياحين · وجلست على مقعد هناك غادة جميلة ، ممشوقة القوام ، بارزة النهدين ، يتدلى شعرها على كتفها بغنج ودلال ، الا ان سحابة من الهم كانت تمر مر السحاب على جبينها الناصع البياض فيبدو للناظر اليها انها تكتم سراً خطيراً من اسرار حياتها

ومن كان يجلس بجانبها ؟

لقد جلس شاب طويل القامة تدل ملامحه على الذكاء والنبل وشرف المحتد يرتدي ثوب صياد

فهو ولا مشاحة الصياد الشهير احد عشاقها الثلاثة

وكانت غادة رودس تنظر اليه نظر المستهام وتطوقه احياناً بذراعيها وتمسح بمنديلهـا العرق المتصاب من جبهته . ثم قالت : ان في وجهك خبراً يا عساف هلا تطلعني عليه ؟

قال : بينما كنت جالساً في خيمتي مع عبيدي اذا بشاب رث الثياب منهوك القوى يقع امامنا مغشياً عليه من شدة الجوع والعطش . فبادرت حالاً اليه وانعشته حتى اذا ملك قوته وعاد اليه نشاطه فتح عينيه وشكرني على صنيعي . وقد عجبت لوصوله الينا مع انـه مضى ثلاث سنوات ولم يطأ مخاوق ارض الغـابة . فبادرته بالسؤال عن سبب مجيئه فاجابني انه دمشقي الاصل وقد اخنى عليه الدهر وسمع وهو في السفينة التي وصلت اخيراً الى ميناء رودس ركابها يتحدثون عنك وعن جمالك فرغب في الاقتران بك فجاء مشياً على الاقدام وقد جعل هذا القصر قبلته

= أيريد الزواج بي انا ؟

= نعم ، بك انت !

= انه لمجنون !

= ولماذا تنعتينه بالجنون . ألم تنتشر الاخبار والاشاعات عنك بانك جميلة وغنية وبانك تزوجت من ثلاثة رجال الواحد تلو الاخر فتوا وما برحت ترغبين في الرابع ؟

— اني فعلت ذلك من اجلك ومن اجل سلامتك ايها الحبيب

= صحيح . ولكن تلك الاشاعات قادت هذا الطفيلي اليك !

= رباه خذ بيدي !

— انت تعلمين اننا اخترنا حياة الانفراد حباً لسلامتنا ولذلك أرى من اللازم ان تقابليه وان تعديه بالزواج

= هذا لن يكون !

= ان هذا الطفيلي فقير الحال لا يطمع في الا ليملاء جوفه وجيوبه ، فلنحسن موقفنا منه فاربما يكتفي ببعض دريهمات ... وها انا ذاهب لاخبره انك على استعداد لمقابلته ، فتصرفي يا « نهى » بحكمة وتعقل لان أقل هفوة نرتكبها تكشف سرنا وتؤدي بنا الى الوبال

— ليكن ما تريد ، انني اضحي بكل غال ونفيس في سبيل راحتك وهنائك

وترك الصياد غادة قصر رودس تضرب اخماساً لاسداس ودخل على فريد وقال له :

ان غادة القصر على اتم الاستعداد لمقابلتك

فما سمع فريد جواب الصياد حتى طار من الفرح ، ولكنه استدرك وقال :

= اني ممزق الثياب ، يعلوني الغبار ، واخاف ان لا تنظر الي حضرة السيدة نظرة ارتياح اذا رأتني على هذه الحالة فاعود بخفي حنين لذا التمس منك ان تسمح لي بدخول الحمام لانظف ما علق بجسمي من الاوساخ وان تهبني بذلة جميلة ارتديها فتزيد في منظري حسناً وجمالاً

= لك ما تريد

ودعا الصياد الخادمة مريم فهرولت هذه مسرعة تلبي النداء . فقال لها : خذي الشاب الى الحمام واعطيه بعدئذ ما يلزمه من الثياب ثم اعدي له العشاء حتى اذا ما خرج من الحمام ملأ جوفه

فقادت الخادمة الشاب فريد الطوا الي القصر وعادت بعد ساعة من الزمن تقول لسيدها ان فريداً على استعداد لمقابلة سيدتها فقاده الصياد اليها وقفل راجعاً

ولا تسل عن حالة فريد لما وجد نفسه امام تلك الغادة الجميلة التي لم تكن تتجاوز العقد الثالث من العمر ، فارتج عليه الكلام على انه استجمع قواه وقال :

= ان جمالك الفريد يا سيدتي قادني من ظهر السفينة الى هذا القصر الجميل لاقدم لك قلباً خفق لك قبل ان يعرفك فهل تعطفين عليه ؟

قالت : لم افهم ما تريد ، فافصح !

= يقولون يا سيدتي انك ترغبين في الحصول على زوج رابع فهل هذا صحيح ؟

= نعم

= جئتك ملتمساً ان اكون ذلك الزوج الرابع الذي تبحثين عنه ...

= اني ابحث منذ سنة عن زوج رابع فلم اوفق اليه فكيف ارفض شاباً جميلاً نظيرك يجود بنفسه ليقدم لي تلك السعادة التي اتوق اليها

= وكم تعتقدين انني اقضي معك من السنين اذا حصلت على شرف الاقتران بك ؟

= لا اعلم ولكنني لا اعتقد انك تتجاوز السنة ؟

= لا اتجاوز السنة ؟ ... وعلى اي شيء تبنين اعتقادك هذا ؟

= لقد مكث زوجي الاول معي سنتين والثاني سنة وتسعة اشهر والثالث سنة وثلاثة اشهر . لذا اكرر كلامي اليك انني لا اعتقد انك تتجاوز السنة

= ان هـــذا لفظيع ا ٠٠٠ على انني رضيت ولو مكثت الى قربك شهراً ٠٠ بل اسبوعاً ٠٠٠

ثم عاد فقال : ولكنهم يقولون ان لك ثلاثة عشاق ٠ وهم الصياد ، واحد رجال البحر وقاطع ، الطريق ٠ فهل صدقوا في ما قالوا ؟

= نعم

= وهل تحبين الثلاثة حباً واحداً

= بلا ريب

= وهل يبيتون في القصر ويجتمعون بك في كل يوم ؟

= اجل

= وهل يبقون الى قربك اذا تم زواجنا ؟

= ولماذا لا يبقون ٠٠ فان زواجنا لا يحول دون مودتي لهم

= هذا مما لا استطيعه ٠٠٠ اني عدلت يا سيدتي عن فكرة الزواج ، وجل مـــا اريده منك ان تسمحي لي بان اقضي ليلتي في هذا القصر ثم اغادره صباحاً

= يا لضياع احلامي ، لا اكاد اقبض عـــلى الزوج الرابع حتى يفلت من يدي ، فاي مصاعب ستعترضني لدن افتش عن الزوج الخامس

= اتفكرين منذ الان في الحصول على الزوج الخامس يا سيدتي وانت لم تحصلي على الزوج الرابع ، حقاً انك لمخيفة ؛ فاني اوثر البقاء هنيهـــة في هذه الحديقة على دخول قصرك ، لاني اخاف !

= لك ما تريد

قالت هذا وتركت فريداً في حيرة كبرى ودخلت القصر باقدام متثاقلة ومكثت في الاروقة تنظر عن كثب الى حركات الطفيلي الدمشقي !

وكان فريد قد استلقى على مقعد في الحديقة منهوك القوى ، وبينا كان غارقاً في احلامه اذا بساعدين قويين يقبضان على ذراعيه ويوثقانه ويكبلانه بالحديد ، واذا برجل طويل القامة ؛ عريض المنكبين ، مفتول الشاربين ينتصب امامه ويقول له بلهجة جافة : باسم جلالة محمد علي باشا خديوي مصر القي القبض عليك يا حضرة عساف بك نجل الشيخ جرجس باز ٠٠٠

فنظر اليه فريد مبهوتاً لهذه المفاجأة الغريبة وقال له وقد بلغ التعجب منه مبلغه :

عساف بك نجل الشيخ جرجس باز ؟ ؟ . . . أأنا عساف بـك ؟ . . . انا بك ؟ . . .
انني افتش عمن يعطيني لقب افندي ولا أجده

= كفاك تمويهاً يا سيدي ، ان ثيابك اللبنانية التي ترتديها لا يرتديها اهالي رودس بل اللبنانيون العريقون في الحسب والنسب ، انك نجوت من القتل لما هجم الامير حسن اخو الامير بشير الكبير على عمك عبد الاحد باز في جبيل ولجأت الى هذه الجزيرة ، وقد اكتشفت امرك الدولة الانكليزية فاتفقت والدولة التركية على اعادتك الى لبنان وتقليدك زعامة الاحزاب اللبنانية الناقمة على الامير بشير الكبير وعلى مولاي ابراهيم باشا ، ولكنهم سيخفقون في مسعاهم اذ لمولاي محمد علي أعين لا تنام بل تنظر كل ما يجري من المؤامرات في لوندره والاستانة

فمرت سحابة كثيفة على عيني فريد الطوا فتذكر حوادث مقتل جرجس باز واخيه عبد الاحد وادرك بفرط ذكائه ان غادة قصر رودس لم تكن الا امرأة شرعية لعساف بك وقد اشاعت ما اشاعت من الاخبار عن ازواجها الثلاثة وموتهم اقصاء للناس عن ارتياد القصر حفظاً لحياة زوجها الذي يقيم معها ، فاكبر شهامتها وعول على خلاصها وخلاص زوجها بتضحيته بنفسه ، ولذا التفت الى الرجل المصري الذي لم يكن في الحقيقة الا الجلاد مسعود وقال له :

= رضيت بان ارافقكم الى القاهرة على ان تحلوا وثاقي !

= أتعدوني بشرفكم يا سيدي بان لا تحاولوا الفرار وان تتبعوني الى البارجة الراسية في مرفأ رودس ؟

= اقسم لك بشرفي اني سافعل !

فبادر الجلاد مسعود الى حل وثاق فريد الطوا وهو يحسبه عساف بن جرجس باز وقال له : هلم بنا يا سيدي فالبارجة في انتظارنا !

= ألا تمهلني قليلاً ريثما اجمع ثيابي واودع قرينتي وولدي

= لا بأس ! . . . لا بأس !

وكانت « نهى » غادة رودس في رواق القصر تراقب مـا حل بالفتى الدمشقي ، فاكبرت تضحيته وحبه لها وبادرت اليه تزعم انها الخادمة مريم لتقف على اسرار تلك المفاجأة ولتودع ذلك الشاب الذي اعتزم انقاذ زوجها من مخالب الاسر

ولما وقفت امامه قال لها كأنه يخاطب الخادمة مريم : قولي لسيدتك انني ذاهب

اسيراً الى القاهرة منعاً للاضطرابات التي ستقوم بها تركيا وانكلترا في لبنان، فاعطني ثيابي وبعض المال واسرعي قبل فوت الفرصة لان تركيا وانكلترا مرسلة بعثة سياسية تدعوني الى اضرام الثورة في لبنان لشل حركات ابراهيم باشا المصري

وقد خاطبها بكل هذا الوضوح ليطلعها على خفايا المؤامرة بكاملها وكي تخبر زوجها ابن جرجس باز بما عزمت الدول عليه في شأنه

وبينما كان الجلاد مسعود يستعد للرحيل اذا بمحافظ الاستانة وكاتم اسرار السفارة الانكليزية يصرخان في وجهه ويشيران الى رجالهما كي ينقضوا عليه ويكبلوه بالحديد

فلما رأى مسعود ذلك كاد يطير صوابه فانقض على عساف بك المزعوم انقضاض الصاعقة وطعنه بخنجر في صدره فرماه الى الارض يتخبط في دمه واراد الاجهاز عليه بضربة اخرى فلم يستطع اذ كان رجال الاتراك قد كبلوه بالسلاسل والقيود، ولما اتصل الخبر بالبحريين المصريين فروا الى السفينة ليقلعوا بها قبل ان ينكشف امرهم

ووصل في الوقت نفسه الاب ريمي رئيس كهنة رودس وقد جاء لينذر عساف بك وقرينته بالخطر الذي يهددهما، فابصر محافظ الاستانة وكاتم اسرار السفارة الانكليزية صاعدين مع فئة من رجالهما الى القصر. ولما لاح له فريد الطوا مضرجاً بدمه انكب عليه يضمد له جراحه فايقن ان لا خطر على حياته اذ اصاب الخنجر جنبه

واستطاع فريد ان يسرد ما حدث على مسامع الاب «ريمي» وقال انه سيذهب الى الاستانة ليفسح بعمله هذا طريق النجاة امام عساف بك وامرأته. فسر الاب ريمي جد السرور من عمل الفتى السوري واثنى عليه ثناء عاطراً واتفق واياه على خطة العمل ثم جاء به الى محافظ الاستانة فنهض هذا وابلغه رسالة الصدر الاعظم فاجابه الفتى السوري شاكراً وملبياً نداء سلطانه وبلاده لطرد الامير بشير الكبير وابراهيم باشا من لبنان وسوريا، وطلب منه المحافظ ان يعرفه بقرينته؛ فاجابه الى طلبه ودعا الخادمة مريم لتقودهما الى الغرفة التي جلست فيها سيدتها

— ٥ —

خرجت نهى — غادة قصر رودس — من الحديقة بعد ان قامت حق القيام بدور الخادمة مريم

واسرعت الى زوجها عساف بك الحقيقي وارتمت على عنقه خائرة القوى واجهشت بالبكاء. واخذت تقبله والدموع تتناثر كاللآلئ من مآقيها، فهدأ زوجها روعها وسألها

عما ألم بها فمسحت دمعها وقالت : لقد كشف امرنا ايها الحبيب فدخل قصرنا رسول الخديوي محمد علي باشا والقى القبض على الفتى السوري فريد اعتقاداً منه انه انت ورغب في جرّه بالقوة الى القاهرة لان تركيا وانكلترا علمتا بوجودك هنا وعولتا على استخدامك في ايقاد الثورة في جبيل وشمالي لبنان ضد الامير بشير الكبير وابراهيم باشا لطردهما من سوريا ولبنان فوقف محمد علي باشا على تلك الدسيسة وارسل احد رجاله مع قوة صغيرة لحملك الى القاهرة حياً او ميتاً ولكن بعثة تركية دخلت القصر وهجمت على رسول محمد علي باشا فتخلص منها وهجم على الفتى السوري وهو يحسبه انت فطعنه في صدره ومن حسن الحظ اصابه في جنبه وليس من خطر عليه

= واين فريد الان ؟

= اعتقد انه في طريقه الى المرفأ ، فالبعثة التركية حسبته انت ايضاً وستحمله الى الاستانة لترسل به من هناك الى لبنان

= يا له من شهم كريم ! ولكني سانقذه ، فلا ارضى لابن بردى ان يكون اكثر شهامة من ابن لبنان

— رفقاً بي يا عساف ، اني اكاد اموت جزعاً وخوفاً ، لا ادعك تذهب ، لا . . .

ولكنه افلت من يدها ودخل احدى غرف القصر ثم عاد متنكراً بلباس قاطع طريق وقد تبدلت ملامحه تماماً واكبّ على قرينته يقبلها ويودعها وهي تضمه الى صدرها ففتح باب الغرفة فجأة ودخل منه الفتى السوري الجريح والى ورائه محافظ الاستانة ، وهو لما ابصر غادة رودس بين ذراعي قاطع الطريق — وكان لا يعرفه انه عساف بك — استشاط غضباً وصعب عليه ان يرى تلك المرأة التي احبها من كل جوارحه تخون زوجها الشرعي ، فتمثلت امامه خيانتها واستفظع تضحيته في سبيلها وهي الخائنة التي لا ترعى لزوجها [illegible] فثار ثائر الغيرة في صدره وكاد يفقد صوابه واعتزم الاقتصاص منها فانهال عليها بقو[illegible]ص الكلام وطلب من محافظ الاستانة ان ينتظره في غرفة قريبة فتح له بابها وقاده اليها الى ان ينهي امره مع زوجته

ثم رجع الى حيث كانت غادة رودس وهو يشتمها . وكانت المسكينة ترتجف امامه من رأسها الى اخمص قدميها ولا تجرؤ على الافضاء بالحقيقة اليه خيفة ان يغدر بزوجها

وكان عساف بك المرتدي ثياب قاطع الطريق ينتفض كعصفور بلله القطر لدى

ساءه الاهانات تترى على قرينته البريئـة ، فلم يتمالك نفسه واعتزم ان يضع حداً لتلك الاهانات التي لحقه القسم الاكبر منها فقال لفريد :

= رويدك ايها الشاب ، انك تظهر شهامة كبيرة ، فتضحي بنفسك لاجل عساف بك ثم تطر هذه المرأة وابل الاهانات لخيانتها زوجها ، فاعلم انني هو ذاك الزوج ، انا عساف بك الذي تريد انقاذه !

= كلا ؛ ان عساف بك ليس بقاطع طريق

= بلهو هوبعينه؛ فالصياد واحدقرصانالبحروقاطع الطريق ليسوا في الحقيقة الا عساف بك الواقف امامك الان . ولم تكن « نهى » الملقبة بغادة رودس يوماً من الايام أرملة عن زوج ولا عن ثلاثة ازواج ، انما حب التكتم دعاني الى التنكر تارة بثياب الصياد وطوراً بلباس قرصان البحر واخرى بلباس قاطع طريق وان اذيع عن غادة رودس انها ارملة عن ثلاثة ازواج مات الواحد تلو الاخر بطرق مختلفة غريبة ؛ وكلذلك لنبعد الناس عنا . اما الان وقد عرفت الحقيقةفتصرف بما يوحيه اليك وجدانك الحي وشهامتك العربية ، واعلم انني لم اتنكر الان في زي قاطع طريق الا لاسبقكم الى الغابة اذ بلغني انكم سرتم جميعاً في طريق المرفأ لتبحروا منه الى الاستانة وهناك اعترف للقوم بالحقيقة وبانك تريد التضحية بنفسك في سبيلي واني انا عساف بك الحقيقي !

فما كاد فريد يسمع ذلك الاقرار حتى تجلت الحقيقـة لعينيه فسجد على الارض يستغفر عساف بك وزوجته مما ألحق بهما من الاهانات وتدفق دمعـه ووعدهما بانه سيبذل كل ما عنده من مقدرة ودهاء لخلاصهما

فتقدمت غادة رودس منه ورفعته عن الارض وناولتـه عقداً مرصعاً بالاحجار الكريمة على سبيل الذكرى وقلده عساف بك الذخيرة التي كان وهبه اياها والده يوم كان صغيراً ثم نادى الخادمة مريم لتدعو اليه الاب ربيي الذي كان لم يبرح القصر ، فصدعت بامره ولما دخل الاب اوقفه عساف بك على جلية الخبر وطلب منه ان يبيع القصر واراضيه ويدفع قيمتها الى فريد مكافأة له على اخلاصه واقترب من الشاب السوري وقال له :

= انني ارفض كل الرفض ان تضحي بنفسك فدى عني ، واشكرك كثيراً لشهامتك العربية كما انني لا ارغب ايضاً في الرجوع الى جبيل ايقاداً لنار الفتنة ، فقد

كفى ما سفك من الدماء في لبنان لتحقيق مطامع الاجانب ، فسادعو اليّ محافظ الاستانة واطلعه على حقيقة الامر وليقض الله بعدئذ امراً كان مفعولاً

ثم تقدم خطوة الى الامام وصرخ طالباً محافظ الاستانة

ولكن فريداً وقد شعر بحرج الموقف رسم خطته وانطلق الى محافظ الاستانة وابتدره قائلاً :

= دعوتك يا سعادة المحافظ لتساعدني على نفسي اذ كادت هذه المرأة العاهرة الخائنة الامانة الزوجية تتغلب عليّ بدهائها . فقررت معاقبتها بان انفيها مع عشيقها هذا الوغد الزنيم الى احدى جزر الارخبيل حيث يتلقيان هناك اوامري الاخيرة الصارمة واحرمها بهذه الواسطة ان تكون بجانبي على عرش امارة لبنان ، فمر جنودك بان يحملوها الى السفينة !

فتقدم عساف بك يقول : ولكن هذا الرجل كاذب ، فهو ليس عساف بك ابن جرجس باز بل احد فتيان دمشق ، اما عساف بك الحقيقي فهو انا ، انا وحدي ! ...

فضحك فريد الطوا ملء شدقيه وقال : دعنا من الهذيان ايها اللص ، فان ثيابك تدل على انك من ارباب اللصوصية الماهرين !

= لا تنخدعوا ايها السادة انا هو عساف بك !

= فما كان من فريد الطوا الا ان اومأ للجند كي يمنعوا عساف بك الحقيقي عن الكلام وقال لهم : اسكتوه ، اسكتوه ، فهو احمق ! ...

فاسكت الجند ابن جرجس باز بالرغم منه وما شاءوا ان يسمعوا له كلمة احتجاج على الاطلاق وقادوه وامرأته غادة رودس الى السفينة الراسية في شواطئ الجزيرة ، وساروا وفريد يرافقهم بحجة انه هو ابن جرجس باز ؛ وكل اعتقاده ان الانكليز والاتراك يريدون بعساف بك وبزوجة عساف بك شراً فطاب له ان يضحي بنفسه لانقاذ تلك التي احبها وما برح يحبها ويحترمها لسعيها المتواصل لرفع الاذى عن زوجها كيفما وجدت الى ذلك سبيلاً

— ٦ —

اتجهت مطامع محمد علي الى احتلال سوريا وضمها الى مصر

وفتش محمد علي عمن يحالفه في سوريا ولبنان فلم يجد امامه غير الامير الشهابي الكبير

وفي السنة ١٨٣١ اغتنم محمد علي الفرصة التي عرضت له وجهز جيشاً ضخماً ارسله

لفتح البلاد السورية واللبنانية تحت امرة ولده ابراهيم باشا

وكان الاتفاق قد تم بين سيد مصر والامير بشير على ان ينجد الثاني القوات المصرية ويناصرها على جيش الدولة

ولم يخلف الامير بشير الوعد ، فما دخلت قوات ابراهيم باشا البلاد اللبنانية حتى هب اللبنانيون يحاربون جند الدولة، وكانت لهم يد تذكر فتشكر في انتصارات ابراهيم باشا

وشاءت الدولة العثمانية ان تقهر الامير بشيراً فلم يتم ذلك لها ، فلجأت الى انكلترا فاقبلت انكلترا لمساعدتها واعلنت على محمد علي وابنه ابراهيم والامير بشير حرباً شعواء واستعانت للقضاء عليهم بكل حيلة

ومن هذه الحيل انها راحت تفتش عن ابن جرجس باز عدو الامير بشير اللدود . وخيل لرجالها انهم عثروا على عساف باز وانهم يحملونه في البارجة الى الاستانة . وجلسوا كثيراً الى الشاب يحادثونه ويكرمونه ويخطبون وده ويزينون له المستقبل البسام بانه سيكون اميراً على جبل لبنان فيحل محل الامير بشير

ولكن الذي حسبوه عساف باز لم يكن غير فريد الطوا بلحمه وشحمه . وكان فريد يعتقد بان الدولة وانكلترا ستسيئان معاملة ابن جرجس باز اما وقد رأى من رجالها هذا العطف واللطف فايقن بانه اخطأ في اعتقاده

وتساءل عما يجب عليه ان يفعل . أيتنعم هو بسؤدد وعز من حق ابن جرجس باز ان يتنعم وحده بها ويدع ذلك المسكين وامرأته عرضة للجور والاضطهاد؟

لقد فكر ابن الطوا في الامر كثيراً وبعد بحث ودرس جاء الى المحافظ التركي يقول : اني عفوت عن امرأتي وارجو من حضرة صاحب السعادة ان يأمر بفك قيودها وباخلاء سبيلها كي تكون الى قربي !

فابتسم المحافظ التركي ابتسامة الازدراء كأنه يضحك من ذلك الرجل الذي خانته امرأته وابى الا ان يغفر لها حتى بعد وقوفه على خيانتها ورؤيته اياها في حالة الفحش والاثم ، ولكن فريداً لم يحفل بابتسامة المحافظ بل قال له : اجل، اني اريدها !

وكانوا في حاجة الى فريد الطوا وهم يحسبونه ابن جرجس باز فرأوا ان يجيبوه فوراً الى ملتمسه ، ودخل المحافظ بنفسه على «نهى» -- غادة قصر رودس -- وقال لها باسماً : ان زوجك يريدك ايتها السيدة !

فارتعدت فرائص نهى وخافت ان يكون فريد الطوا ذا نية سيئة كما خافت ان ينفضح امرها وامر زوجها اذا اقرت بان من يدعي انه قرينها ليس غير رجل دجال يحمل اسم عساف باز بهتاناً وزوراً ، الا انها ملكت نفسها وقالت : ولكن زوجي انكرني يا سيدي زاعماً اني خنته ورفض كل الرفض ان يبصر لي وجهاً !

قال : انه انكرك بالامس اما اليوم فقد غفر لك !

— ارحمني يا سيدي ودعني وشأني !

— وما العمل وزوجك يضطرم شوقاً اليك !

— دعني منه اني لا احبه ولا اطيق رؤيته !

فضاق المحافظ ذرعاً ونادى فريد الطوا قائلاً له : ان زوجتك لا تقنعني يا عساف بك فتعال اجتهد في اقناعها بالعودة اليك !

وكان فريد ينتظر مثل هذه الفرصة؛ فاسرع الى نهى والى عساف باز الحقيقي يقول لهما : عفوكما عني ايها الكريمان ، ليس في نية الاتراك والانكليز الاساءة اليكما بل هم يرجون لكما الهناء والتمتع بعزكما الغابر ، هم يرجون ان يحملوكما متوجين بتاج الامارة الى البلاد اللبنانية وهذا ما اشتهيه لكما من العظمة والجاه !

فقال عساف باز : واذا شعروا بتواطئنا عليهم فماذا يحل بنا ؟

فاجاب الطوا : ان يشعروا بشيء من هذا فساخلع ثيابي عليك وارتدي ثيابك وابيت في السجن بينما تخرج انت وامرأتك منه فتقول هي انها رضيت بالرجوع اليك وتقول انت انك غفرت لها !

فارتاح عساف باز للحيلة ونظر الى فريد الطوا قائلاً له : يا لك من داهية . ان الحيلة التي استنبطتها لجميلة جداً ولكن ماذا يصيبك وقد امسيت في السجن ؟

قال : لا خوف عليَّ ، ساعرف كيف انجو منه !

وخلع ثيابه ، ودعا عساف باز الى خلع ثيابه ، وارتدى كل منهما ثياب الاخر ، وتعانقا والدموع تنهمر على الخدود ، والشفاه لا تنبس بسوى كلمة « الى اللقاء » ، بلى ، لقد قالت نهى لفريد الطوا : ساعدنا الله على مكافأتك يا فريد ! . . .

— ٧ —

من حسن حظ الاتراك والانكليز ان ابراهيم باشا المصري لم يحسن معاملة السوريين واللبنانيين

فاستبد بهم ، وارهقهم بجوره ؛ وقسا عليهم ، حتى انهم امسوا يترحمون على العهد التركي مع كل ما يشينه من مظالم ومساوئ

وكان اللبنانيون ينتظرون من الدولة المصرية ان ترأف بهم وتحسن اليهم ولكنهم وقد خاب فألهم انقلبوا على الحملة المصرية وراحوا ينظمون المؤامرات عليها ويحرضون اخوانهم على محاربتها

وزاد في نفورهم ان ابراهيم باشا تعمد نزع السلاح منهم ؛ وهو امر يستنكره اللبناني جد الاستنكار ؛ فقاوموه مقاومة شديدة وابوا ان ينزعوا اسلحتهم وكان الفوز لهم في ما ارادوا فان ابراهيم باشا عجز عن تجريدهم من السلاح

كل هذه العوامل جاءت تساعد انكلترا وتركيا . وقد عرفت انكلترا كيف تستغل هذا النفور فقام مندوبها في سوريا المستر «ريتشارد وود» يعاهد اللبنانيين على ان حكومته تضمن لهم اعتراف اوربا بامتيازاتهم كاملة اذا هم ساعدوا على طرد المصريين

فطرب اللبنانيون، دروزهم ومسيحيوهم، لهذه الوعود واضرموا نار الثورة في البلاد وهبوا يحاربون المصريين كما حاربوا الاتراك من قبل

وامام هذا الغليان لم يكن لعساف بن جرجس باز الا ان يظهر لينضم اليه اللبنانيون ويقاتلون تحت لوائه كلاً من الامير بشير الكبير وابراهيم باشا المصري ، والدولتان تركيا وانكلترا كانتا على يقين بان عثورهما على عساف باز سيقضي القضاء المبرم على كل عز وكل سؤدد للامير بشير في لبنان

وكانت الفرصة سانحة ، ولما وصل عساف باز الى الاستانة احسنوا استقباله وقابله الصدر الاعظم بوجه بشوش قائلاً له : ان الدولة التركية ترى فيك نصيراً شديد البأس والاخلاص !

واتحفوه بالهدايا ووعدوه بالالقاب والاموال والامارة ، وقالوا له : ان يكن لك الان من حاجة تود قضاءها فهاتها !

قال : لا اريد منكم الا ان تعفوا عن سجين البارحة الذي خيل اليّ انه يعتدي على امرأتي ولكن الحقيقة اتضحت لي بانه لم يكن ثمة شيء من هذا !

فقال الصدر الاعظم : عفونا لك عنه ، وماذا تريد بعد ؟

– ارجو ان يرافقني ذلك السجين في رحلتي وان يكون كاتم اسراري !

– وهذا اجزناه لك ايضاً يا عساف بك ، فهل تريد شيئاً آخر ؟

— اريد رضى الدولة العلية عني !

— هذا ما نمحضك اياه بكل طيبة خاطر ، والان الى العمل !

واجتمع الصدر الاعظم بابن جرجس باز اجتماعاً طويلاً اتفقا في اثنائه على ان يسافر الشاب بطريق البر الى لبنان وهناك يتولى زعامة الاحزاب الغاضبة على الامير بشير وعلى ابراهيم باشا المصري وينتقم لجده وابيه من قاتلهما وللبنانيين من المستبد بهم الجائر عليهم

وسارت القافلة في الطريق ؛ وكان فريد الطوا شديد الطرب لبقائه الى جانب « نهى » المرأة التي احبها والتي احترم امانتها الزوجية ؛ ولم يقل فرح ابن جرجس باز وزوجته عن سرور فريد الطوا لانقاذهما اياه من السجن ولوجوده معهما ينفي بحديثه العذب مشقات الطريق

— ٨ —

تفاقمت الحال في البلد اللبناني

فان ابراهيم باشا المصري لم يجد امامه غير الامير بشير ، والامير عجز عن كسب عطف اللبنانيين على القوات المصرية النازلة في ارضهم

. فاللبنانيون امسوا لا يطيقون ظل ابراهيم باشا بعد ما رأوه فيه من الضغط والارهاق وراحوا يشهرون عليه الحرب العوان

وشعر محمد علي ، سيد مصر ، بالموقف العظيم الخطر لا سيما بعد ما افلت ابن جرجس باز من ايدي رجاله ، فقال : سيعود ابني ابراهيم مهزوماً من القطر السوري !

وهذا الانهزام كان يقلق على محمد علي باشا راحته وهناءه لا سيما وفي الامر عظمته وجاهه ؛ فان اخفق فقد الشيء الكثير من ابهته ونفوذه

فتملكه غضب شديد ولما يئس من النتيجة حاول ابادة الثائرين اللبنانين على بكرة ابيهم قبل مغادرة جيوشه لبنان ، فترتد قواته على الجموع اللبنانية الثائرة وتفنيها ، على ان قيصل النمسا وقف على نيات سيد مصر فجاء اليه يبلغه انه يفقد عطف اوربا باجمعها اذا اقدم على هذا المنكر

ونكبت جيوش ابراهيم باشا نكبات عظيمة على اثر الثورة اللبنانية واضطرت للانسحاب من سوريا شيئاً فشيئاً وهي حائرة مترددة بين اليأس والآمل

اما الامير بشير فبات امام هذه الحوادث في موقف دقيق حرج . فكان من

الصعب عليه ان ينكث عهوده لمحمد علي خديوي مصر ويحالف تركيا وانكلترا ومن الصعب عليه ايضاً ان يمسي مغضوباً عليه من ابناء قومه اللبنانيين لمحالفته ابراهيم باشا عليهم

وكان يعتقد ان فرنسا لا تتخلى عنه ولا تسمح بضياع استقلال لبنان ولكن فرنسا تجاهلت في الدقيقة الاخيرة ما يجري من الامور

وفي ١٤ آب ١٨٤٠ رست العمارة الانكليزية النمسوية في بيروت تحت قيادة الاميرال الانكليزي « شارل نابيير» لاقلاق راحة ابراهيم باشا والامير بشير ، وتناول الاميرال كتاباً من مندوب الحكومة الانكليزية في بيروت يعاهده فيه بالمحافظة على استقلاله اذا هو تخلى عن محمد علي والد ابراهيم باشا

وتناول الامير ايضاً كتاباً من القائد العثماني سليم باشا يطلب منه فيه التسليم في خلال ثمانية ايام ويعده بابقائه والياً اذا سلم وتكون الولاية له ولذريته من بعده ، ولكن الامير بشيراً ابى التسليم ؛ فنظرت اليه الدولة العثمانية نظرها الى عدو وعزمت على قهره

* * *

سارت القافلة من الاستانة . وكان عساف باز يتأفف جداً من نتيجة هذه الرحلة. فقد حدثه قلبه ان شراً سيصيبه . وهم لو سألوه أيريد حقاً ان يقاتل الامير بشيراً لاجاب بالنفي . والمصاب الذي كان يخشاه نزل به ، فان امرأته « نهى » انتابها مرض شديد منعها عن مواصلة السير

واذابها الداء فباتت صفراء اللون ، منهوكة القوى ، نحيلة الجسم ، فاعلن عساف بك ان لا طاقة له على الذهاب الى لبنان وانه سيبقى على مقربة من زوجته يعالجها الى ان تشفى

ونقلها الى زعفران بول» الا انه لم يطل عليها الزمن حتى قضت نحبها فبكاها زوجها وندبها فريد الطوا وامتنعا عن براح «زعفران بول» وكنزهما الثمين فيه دفين التراب ، فعزما على الاقامة في تلك البلدة الى ان يوافيهما الاجل

ورأت الدولة العثمانية انها في غنى عن عساف بك فلم تحفل بامره كثيراً ، وكانت قد ملكت الموقف في سوريا ولبنان وارغمت الامير بشيراً على التخلي عن الامارة ، وعلى اثر ذلك نزل الامير الى بيروت فطلب منه عزت باشا قائد الجيش العثماني ان يختار

داراً لاقامته فيما عدا بلاد فرنسا وسوريا ومصر ، فاختار الامير جزيرة مالطه وسافر اليها وهو يندب احلامه الكبار

وفي سنة ١٨٤١ ارسل السلطان عبدالمجيد يطلب من الامير بشير ان يختار مكاناً لاقامته في البلاد العثمانية ما عدا سوريا فاختار الامير بلدة « زعفران بول » وكم كان دهش عساف باز شديداً لما علم ان الامير الشهابي يتزل بلدة « زعفران بول » اسيراً شريداً فقال : اني غفرت له تنكيلي بابي وعمي فساقابله واصفح عنه ! . . .

وساءه ان ينقلب دست الامارة بذلك النسر المهيب ، ومثل امام الامير بشير وهو يقول : أعرّف مولاي الامير بنفسي ؛ انا عساف بن جرجس باز . . .

فاضطرب الامير بشير وادار وجهه وهو يتمتم قائلاً : أيلحق بي هـذا الشبح الى قبري ؟

وتابع عساف باز فقال : انا اعلم ان رؤيتي تزعج مولاي ، ولكني ما جئته شامتاً ولا منتقماً بل صافحاً غافراً راضياً !

فتهلل وجه الامير بعد عبوسه وصاح بابن عدوه بالامس : تعال يا عساف ، تعال اضمك الى صدري ، لقد بدأت اشعر باني اخطأت ، فعفوك . . . عفوك عني ! . .

وانهال الدمع من عيني الامير ، وقد تعجب من حضر ديوانه ان يبصروا اسداً يبكي ، اما هو فما برح يردد بين دموعه : نعم لقد اخطأت فعفوك يا بنيّ عني ! . . .

وقضى الامير حيناً في « زعفران بول » ثم نقلوه الى الاستانة حيث قضى نحبه ، اما عساف باز وفريد الطوا فقد اقاما طول حياتهما في « زعفران بول » ولما قبض الموت روحيهما طلبا ان يدفنا الى قرب مثوى « نهى » المرأة التي احباها والتي دلت على امانة زوجية عديمة المثيل .



تمت

# الى القراء والمشتركين

تعلن ادارة ( الف ليلة وليلة ) لقرائها ومشتركيها انها تشتري منهم الاعداد التالية اذا شاءوا بيعها وهي العدد : ٩ و١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و٥٨

العدد الثالث والثمانون — السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## الروائي

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١١ آب سنة ١٩٢٩

# الروائي

﴿ بقلم الشاعر المعروف الياس ابي شبكه ﴾

رواية اليوم ذات طراز لم يألفه قراء «الف ليلة وليلة» ، فسيرون فيها من دقة الوصف والملاحظات ما لم يتعوده الفريق الاكبر من كتابنا حتى اليوم. ولذلك نحن ندعوهم لمطالعتها ، فهي من غرائب الفن الروائي الكثير الرواج في اوربا ، ونعلن لهم ان كاتبها لو انصف لجعل عنوان روايته «الشاعر» لا «الروائي» لان غرابة الاخلاق هي في الشعراء اكثر منها في الروائيين ، ومهما يكن فالرواية فصل لذيذ ظريف توضح حياة ارباب الاقلام بكل جلاء ، وها نحن نزفها الى قرائنا الكرام ليتمتعوا بروائعها ما طاب لهم الاستمتاع :

---

كان شفيق العضيمي جالساً الى زاوية منضدة يفكر ويحلم ، وهو فتى في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، حنطي اللون ، حاد النظرات ، تبدو على محياه امارات العذوبة والطهر

فدخلت عليه الخادمة مرتا وبيدها غطاء ابيض وضعته على المنضدة ثم التفتت اليه وسألته قائلة : الا تقول لي يا سيدي ما معنى كلمة «ضالّ» ؟

فلم يعرها شفيق اهتماماً كبيراً ، فاستطردت قائلة : « لقد سمعت عمك هذا الصباح يقول للسيد نبيه إن صهري ضالّ

فالتفت اليها شفيق بانتباه وسألها : وماذا اجاب السيد نبيه ؟

قالت : أجاب : «اني لم اكن اجرؤ ان اقول لك ذلك يا سيدي جابر ولكن رأيي كرأيك » ثم انتقلا الى حديث آخر . . . أكلمة ثناء هذه كلمة ضالّ ؟

— يظهر انها اهانة يا مرتا !

— عفواً يا سيدي ، ربما لم اسمع جيداً ٠٠٠

ثم قالت في نفسها : «حريٌ بمن لم يتعلم ان يبقى صامتاً» وخرجت وما هي الآ هنيهة حتى دخلت على شفيق العضيمي امرأته الحسناء ، وهي في نحو العشرين من عمرها ، جميلة من غير تصنع ، لا تفارق السخرية شفتيها ، فلما وقع نظرها عليه طفا على وجهها خيال مقت شديد وقالت له : ماذا تصنع هنا ؟ ٠٠ هل ساعدت والدي بتنزيل المكانس ؟ هل اعددت الفواتير ؟ هل قيدت الطلبيـــات ؟ هل رتبت المخزن ؟

فلم يعبأ بما قالت وترك ابتسامة عذبة تسيل على فمه وقال لها : كيف حالك ؟

فزاد غضبها ومقتها وقالت له : أتعلم من اين انا آتية ؟

— وحقك لا اعلم !

— كنت أشتغل ، وفي الساعة الثانيـــة يجب ان اذهب الى المحطة اراقب شحن «فاكونة» سكر اتظن ان هذا يسليني ؟

— لم اظن ذلك يا صغيرتي

— وبينما انا اشتغل انت تستريح ؟

فبسط لها شفيق اوراقاً كانت امامه وقال لها : انظري اني احترف جميع المهن يا امرأتي !

فابتسمت ابتسامة ازدراء وقالت له : من الذي يلعب دوراً جميلاً في هذه القضية؟

فاجابها : انا ٠٠٠ ما أهنأني انا! ٠٠٠ لقد مررت تحت رواق الزيزفون في ذهابك الى محل الشغل ، أليس كذلك ؟

— نعم ، مدة نصف ساعة ، تحت سماء محرقة !

فقال لها بحماس صبياني : أليس جميلا ذلك السقف من الاوراق ترشح خلاله الانوار المنخولة ؟ أليس جميلا الرقص ظلال الشجرات على الارض المفروشة بالاوراق ؟ انــه لجميل ولا ريب !

— اذن فما عليك الآ ان تذهب مكاني الى محل الشغل

فقال لها بعذوبة : لا ، سأتوقف في الطريق ، واتردد عن السير لدى ذلك المشهد البهيج ، فانسى مهمتي ٠٠٠ يوجد بين جذعي شجرتين هناك مقعد قديم من الحجر اعارته الاعشاب لوناً اخضر ٠٠٠ لا ريب انك تعرفينه ، هناك في طرف الممر !

-- وبعد ذلك ؟

-- لا استطيع هناك ان اتغلب على اللذة فاتمدد على ذلك المقعد الحجري تحت ظلال الشجرات الكثيفة واستسلم الى الاحلام ، ناسياً الوقت وكل شيء !

-- اذهب الى المحطة !

— الى المحطة ؟ . . بين قاكونات الشحن وخطوط القطارات ودوي الماكنات المزعج ؟ في حين اني اعبد السكون والبقاع الخضراء والهدوء الجبلي والطيور والسماء والاوراق !

— اشتغل في المكتب !

— أأشتغل بترتيب الدفاتر ونقل الفواتير وحسابات تافهة ؟ واستقبال زبائن لا يحدثونك الآ عن السردين والمكانس والسكر ؟ اين الفائدة من مثل هذا العمل ؟

- انه يجعلك غنياً ! — لا احب الفلوس !

= برهانك هذا لا يقنع المرأة ! — ولماذا ؟

= ألا تهتم بان تكون غنياً ؟ = ابداً يا امرأتي ، أف للنقود انه مجلبة الهم والأذى !

= ولكن من لا يكون غنياً لا يكون احداً !

= لقد عدلت منذ زمن طويل ان اكون احداً ، لا سيما في مهنة العطارين

= أو تظن انك ستصرف حياتك في البطالة والكسل والاحلام ؟

= اني أعبد الاحلام !

ثم جنح عنها وأخذ يكتب ، اما هي فتمزقت غيظاً وقالت له : أريد ان اقول لك انك تستحق ان اخدعك

فهز برأسه وقال : لا شأن للاستحقاق بهذه القضية !

= اني بحاجة الى من يهتم بي اكثر مما تهتم انت ، فانا امرأة قبل كل شيء ! . . . سأخدعك يا شفيق فكن على حذر ! سأخدعك ولو كلفني ذلك شكوكاً ووساوس

= حسناً ، ولكن لا تتلفظي بذلك الان ، لانه لم يقع شيء بعد

= ستحمل عار خيانتي وخداعي ! . . .

= عنك وعن اقربائك . . . وقد أصاب بلطمة في قلبي ، بلطمة صغيرة ، من يعلم !

= او ترضى بذلك ؟ اتجرؤ ؟ = اتحمله كرجل . . .

= ولمَ تزوجت ؟

= الظروف ! . . . الرغبة في ان اعيش عيشة هادئة . . . اوهام ! . . . لم اكن اعلم كيف يكون الزواج ، كنت اعزب !

= الطلاق افضل يا صاحبي ، فهو لم يؤخذ امرأة حتى اليوم !

= وبعد الطلاق ؟ تعاد الكرة . . . هي القصة الدائمة . . اصبري وكل شيء يتم

= متى ؟ !

فبدت على وجه شفيق دلائل الانزعاج وقال لها : ستتركينني اشتغل يا صغيرتي ، أليس كذلك ؟ لو تعلمين اين انا !

ثم اخذ يتمشى في الغرفة ذهاباً واياباً ويداه في جيبه ، فقالت له : اين انت ؟ . . فاجابها من غير تكلف : على ظهر مركب ! = منذ كم ؟

= منذ بضعة ايام ! = من اين قادم ؟ = من نيويورك

= والى اين ذاهب ؟ = هذا سر !

= ماذا تصنع على هذا المركب ؟

= جالس في القاعة الكبرى أشرب الخمرة وأتصفح معميات الوجوه التي تحيط بي . أرى الى يميني انكليزية شقراء شفافة علقت عيناها الزرقاوان بعبد عظيم الجثة لا يتأثر . . . وامامي رجل مسن متكمش ، وورائي . . .

فقاطعته ساخطة بقولها : « اسكت ! »

ثم همت بالخروج فاوقفها بقوله : الى اين ذاهبة ؟

= سكر فمك ! = أوحش انا ؟

= نعم ، وحش قبيح ! . . . انت خواجه لا تنفع !

= اذن فانت لا تفهمينني . . . تعالي يا ملكة ، اقتربي مني بلطف ورقة . . .

= ماذا تريد مني ؟ -- كان عمرك ست عشرة سنة . . . اتذكرين ؟

= وبعد ذلك ؟ = وكان عمري عشرين ! = طيب ، وبعد ذلك

= ولم يكن نظرانا يحملان سراً يخفيه احدهما عن الاخر ، وكنت قصيدة من الشعر ، وكانت عيوننا تتموج ساعة ترى الحياة تنتعش في قلبينا . . .

= ولم تقول لي ذلك ؟ = وهل انتهت ؟ = ماذا ؟

= روايتنا ؟ = اية رواية ؟ = ألا ترين ؟

= لا ارى شيئاً ! . .

– أتريدين ان اقرأ لك الصفحة الجميلة التي كتبتها الان ؟

– لا ، لا اريد ، أحلق شاربك ومشط شعرك !

– ألا تحبينني ؟ – اريد ساوكاً غير هذا !

– ابشعُ انا ؟ – اكسب دراهم ! – ثم تحبينني ؟

– بالطبع ... واهجر قلمك – لا يمكن ذلك يا صغيرتي ، الا تعلمين انه ضروري لي كانفاسي؟ – كفاك تخلط – اقسم لك – إذن فاتركني

قالت ذلك وابتعدت عنه، أما هو فشخص الى الجهة التي هربت منها امرأته واخذ يناجيها بقوله : آه !.. لو شئت ان تعطفي عليَّ وتاوي اليَّ لاستثمرت حبك واخرجت منه آيات !.. انك ترين من السخافة ان تكون الحيـاة جميلة ، دائماً جميلة ! ... ثم تتركيني واحلامي وجهاً لوجه ! حسناً .. سأخرج آيات خالدة بدونك ،وسأخرجها وحدي ... انه لبؤس سعيد !.. سيكون عمرك ست عشرة سنة، وسيكون عمري عشرين ، وسأضع في فمك الكلمات التي اريدها . اجل ، سـاخترعك على صورة احلامي وستكونين جميلة جذابة ، دائماً جميلة جذابة ! ...

ثم عاد الى اوراقه يكتب روايته ، واذا بوالدة امرأته تدخل عليه غاضبـة فما تكاد تبصره حتى ترفع ذراعيها الى السماء صارخة : يا للبؤس. الا ان شفيق لم يتحرك وبقي مستمراً في الكتابة ... فدنت منه قائلة له : انت هنا في مثل هذه الساعة ، في سنك ، بينما الجميع في العمل، هذا في مخزنه ، ذاك في حقله ، وذياك في المطبخ . هي الساعة الثانية عشرة يا شفيق

فرفع شفيق رأسه وتمتم قائلاً : نصف الليل !

فد شت ماري والدة امرأته من كلامه هذا وسألته مستفهمة : نصف الليل ؟

– نصف الليل عندي انا والظهر عندك . ارى اخريات لهيب الناحيـة خلال الضباب في الابعاد

فقالت له بحزن : اية ناحية ؟ – اوروبا

– واين انا ؟ – انت غير موجودة

= كيف غير موجودة ؟ = غير موجودة ! = ولماذا ؟

= لاني شطبت عليك ... حذفتك من مخيلتي

= لقد اعطيتك ابنتي = نعم ايتها الخالقة المبدعة

= واولاي لما وجدت ابنتي — يا للخراب !

— لقد ربيتها بنفسي — وهذا ما يدعوني الى ان اغفر لها اشياء كثيرة

— انها تشبهني — او تسعين جهدك لكي تبغضيني بها ؟

فهزت ماري راسها وهي تجلس على المقعد ثم قالت له برصانة : تعال نتكلم كلاماً معقولاً . اتريد ؟

فتمدد شفيق على مقعده وقال لها بفرح : هاتي ما عندك يا ام ملكة ، يا ملكة الامهات

فقالت : عمرك خمس وعشرون سنة وتعيش معنا . . .

— هل من جديد ؟

— وكلنا نريد هناءك وسعادتك ، ولهذا نسألك ان تقلع عن سلوكك المشبوه . . . وان تشتغل . . .

فقاطعها شفيق متهكماً : او تسمين هذا كلاماً معقولاً ؟ . . .

— لماذا تصر على عنادك فلا ترضى ان تعيش من ثمرة اتعابك كما نعيش نحن ؟ . . اتصدق انـه من الذكاء والفطنة ان تصرف وقتك في تأليف الروايات حين تكون قادراً على الاشتراك معنا في اعلاء شأن محل تجاري كبير كمحلنا هذا ؟ امعقول هـذا السلوك الذي تسلكه ؟ لا ، انه غير معقول لان جميع الذين اكلمهم يقولون لي : هذا غير معقول !

= يعجبني برهانك هذا فأكملي حديثك المعقول فوراءه فائدة . .

= ستكون مجتهداً أليس كذلك

= اردت ان تقولي لي كلاماً معقولاً ، ولكن اجليه الى وقت آخر فلقد انتقلت الان . . = ألم تبق هنا ؟

= ولا انت ايضاً . اني اتمشى على جسر المركب واستنشق هواء البحر بملء رئتي !

ثم اخذ شفيق يدفع امرأة عمه الى الهرب بمثل قوله : لو قدر لك ان تعرفي مـا سيحدث بعد هنيهة في غرفة القبطان لهرولت هاربة مذعورة ، نحن عـلى وشك ان نشاهد جريمة وسرقة مخيفتين ، فاهربي ، اهربي !

في تلك الاونة كان جابر ، والد ملكة ، واقفاً على عتبة الباب المؤدي الى المخزن ويداه وراء ظهره وعيناه تقدحان شرراً . الا ان شفيق وماري لم يرياه وبقيا مستمرين

في الجدال . قالت ماري : لو سمعك جابر لوضعك خارج الباب

فضحك شفيق واجابها : دعي جابر مع المكانس

فامتعضت وصرخت في وجهه : انه رجل جريء ، لطيف الذوق

— وبطل مقدام ! — ويعرف كيف يكسب الدرهم

فقهقه شفيق ضاحكاً وقال لها : مسكين جابر ! عندما يكون هنا أثب دفعة واحدة الى جليد القطب الشمالي ، فانا مدين له بمناظر جميلة؛ لا سيما برحلة تائهة على ثلوج سيبيريا — وعندما لا يكون هنا ؟ — اسرُّ به جداً جداً . .

وبدت من شفيق التفاتة الى الباب فرأى جابر واقفاً على العتبة وعيناه تقدحان شرراً فاضطرب باديْ ذي بدء ولكنه كتم اضطرابه وحياه قائلاً : كيف حالك يا عمي

فدمدم جابر بغيظ شديد وقال له : عندي كلمتان اقولها لك يا هذا !

— قل ما تشاء يا عمي . . .

- إسمع ولا تعترض . . . في الثانية عشرة من عمري كنت اشتغل عند الناس فاكسب خبزي ، وذات يوم بعد ان صرفت الليل في كوخ حقير افقت من نومي قبل الصباح وقد ايقظت قبعتي الممزقة روح العمل في نفسي . . . كنت خجولاً كاللص يوم ذاك . . . ولكنني لم البث ان غيرت سلوكي واخذت اجتهد حتى وصلت الى ما انا عليه . . . أتظن ان من الهينات الحصول على محل يبيع في الجملة ؟ وانه من اللائق ان يهدم هذا المحل بعد ان بني حجراً على حجر ؟ أسمعت؟ . . هو الشرف يتكلم! . .

= كلام معقول . . . جميل جداً !

= وان اطماعي تذهب الى بعيد . . . فاذا فنيت انا يبقى عملي بعدي !

= حسن جداً = ومن يحل محلي ؟ = لست اعلم . . لست انا ، طبعاً

= اذن فمن ؟ الجيران ، الناس ، لا احد . ويحذف اسمي عن الباب ايضاً ؟

= ماذا تريد ان اصنع ؟ = تتعلم المهنة، تتعود ان تشتري وتبيع . . .

= هذا لا يمكن ان يكون = اصغ اليَّ ، تعال نطلب عشرين «زينة مكانس او فاكونة سكر . . . = غير ممكن ! . . لا اقدر . . .

- اذن يا صديقي ، من العبث ان نتكلم بعد . فلنقف هنا . يجب عليك ان تهيئ صررك وتقلع من هنا . . . حالاً . . . وتسكن حيث تريد . لقد عرف الجميع اني لا اشجع بفلوسي صهراً لا نتيجة منه ولا مغزى له . هذا واضح !

وفيما هو يتكلم دخل عارف وهو صديق شفيق ، مكشر الوجه ، طويل الشعر ، قذر الثياب يحمل تحت ابطه مخطوطات كبيرة الحجم ، فلم يكد يقع عليه نظر جابر حتى انصرف غضبان وهو يقول : وهذا ايضاً مجنون ابله قذر شاعر !

الا ان عارف لم يعبأ به وتقدم الى شفيق قائلاً له : مررت من الجنينة فأولمت لنفسي وليمة من المشمش . كنت اود ان اعطيك علماً ؛ ولكني عندما اقبض الفاوس ارجع اليك ثمن ما اخذت !

ثم ضحك ضحكة طويلة واستطرد قائلاً : سنسافر الى الاندلس ، الى مصر ، الى بغداد واعيرك ما تحتاج ، ليس ذلك لان الفاوس في حد نفسها شيء مهم ؛ ولكنها تساعد على الترف والبذخ « والفانتيزي »

ثم بسط له مخطوطته الصغيرة وقال له رافعاً حاجبيه : لقد صحبت الك معي مخطوطة صغيرة . سيكون جميلاً ذلك اليوم الذي تنطلق فيه القنبلة

والتفت الى المنضدة فوقع نظره على صحن من االوز فاخذ يأكل من غير اكتراث وما هي الا بضع ثوان حتى نظر الى شفيق نظرة تهكم وقال له : كنت تقول لي دائماً انك سعيد ، ولكن هذا غير صحيح ، فالقد سمعت عمك يقول لك يجب ان تهيء صررك . فلماذا تخفي عني الحقيقة ؟ كنت دائماً اشك في انك سعيد وكثيراً ما رسمت لك هذه الخطة وهي ان نذهب الى مصر فنعمل حركة هناك . نؤسس مجلة . نفتح مسرحاً او دكاناً

فقال له شفيق : امعك فلوس ؟

فضحك عارف ضحكة سخرية وقال له : لست فناناً انت . الفلوس! يا للسخافة !

— ولكن عندي امرأتي . فجلس عارف الى صحن اللوز وأخذ يأكل وهو يقول : يا للسخافة ! أللمرأة شأن في حياة الفنان . انظر اليّ انا ، كان باستطاعتي ان اتزوج ، وكنت اقدر ان اتخذ لي عشيقة واغيرها ثم اتخذ غيرها وأغيرها واستبدل بها عشيقة اخرى ! ولكني لم اجرب . لا ينبغي ان يكون الانسان عبد الشهوة . امرأتك ؟ . . اتركها في خطتها وتعال . تعال الى الحياة . أيحتاج الى امرأة من يستطيع ان يخلق الجمال بنفسه وان يخلقه كل يوم وكل ساعة يريد؟

ثم سكت فترة من الوقت وعاد فقال له : أتحبها ؟

فاجابه شفيق : أليست جميلة تطفح شباباً وعذوبة !

فعبس عارف وقال له : يقال انها فرفارة !

وصمت هنيهة ثم سأله قائلاً : اتريد ان نتكلم عن اشياء اخرى . انك تفطر قلبي! أمعك تقرضني خمس ليرات . اني انتظر حوالة كان من الواجب ان استلمها مبدئياً

فأعطاه شفيق ورقة بخمس ليرات فوضعها في جيبه من غير اكتراث واستطرد قائلا . قد اكون ازعجتك باستقراضها منك . ولكن الديون غربلتني . لا اعلم متى ارجعها اليك

وبعد هنيهة سأله عارف قائلاً . أتدعوني الى الغداء

فهز شفيق رأسه واجابه . غير ممكن اليوم — ولماذا

— ألم تر كيف استقبلك عمي

— لا بأس ! سأبقى صامتاً ، ان من يجلس الى المائدة ينبغي له ان يلازم الصمت ، خصوصاً من لا يدفع . اعرف ان اعيش . فعندما ادعى الى الطعام لا افتش عن حكايات اقصها — ربما طردوك خارج الباب

— لا بأس، فلنجرب . اني احب الجفاء !

— ٢ —

في تلك الاونة كان جابر في المحل يخاطب امرأته في شأن طلاق ملكة من شفيق، قال جابر . اتعرفين اين هو الان . انه مع ذلك المجنون عارف ذلك الشاعر المعتوه ؛ ذلك الجائع المفزور ، انظري الى اين وصل العلم! قلت في نفسي انه عالم يكتب جيداً ويتكلم جيداً وسيكون مجيداً في مخاطبة الزبائن . انا الذراعان وهو المخ . ولكن ما لبثت ان تأكدت ان المخ لا يصلح لشيء في هذه الايام

فهزت ماري راسها باسف وقالت له : هذا معتقدي انا ايضاً

فرفع جابر حاجبيه الكثيفين وقال لها : هي المرة الاولى التي تفكرين فيها بحكمة . اذن فليس امامنا الا فكرة الطلاق ، فهو يتمشى مع روح العصر وعاداته ... ماذا تريدين فملكة لا تزال شابة وتحتاج الفتاة في عمرها الى تغيير الهواء

ونادى ملكة . فجاءت وامارات الحزن بادية عليها . وبعد حديث طويل دار حول فكرة الطلاق سألها والدها قائلا : وكيف يتصرف شفيق معك ؟

فقالت : بشكل ممقوت ! فقالت لها امها : اوضحي ولا تخافي فنحن في البيت . فقالت ملكة : انه يهملني زاعماً انه يمقت تظاهرات الحب السافلة وان الاحلام والتأملات توحي اليه غبطة اعجز عن ان اوحيها اليه انا ... وفي المساء ينام ككلب الصيد ؛ ركبتاه ملتويتان بعضهما على بعض ، وقبل ان يرقد يدفعني عنه برجله او بزنده؛

لاسيما اذا تحركت، زاعماً ان السرير او ثلاثة ارباعه انما هي محرابه او قدس اقداسه..

فدمدم جابر قائلا : هكذا يفعل الخصي . وبعد ذلك ؟

واحياناً ينهض في الليل ، فيخطو مئة خطوة في الغرفة ، يغمس رأسه في الماء يتمتم بكلمات لا افهمها ، يكتب ، يقرأ ، يفتح النافذة ، ينشد قصائد ، يصفر ، يغني ؛ يحلم — استغرب كيف تتحملين قانوناً كهذا ! وهل قرأت منتوجاته ؟

— لا أفهمها ! = وهل هناك فائدة مالية من وراء كل هذا ؟

— ولا قرش ! وهذا ما يدعوه الفن . - ألا يكتنز دراهم ؟

= بل يأكل بائنتي ! فهز جابر رأسه وقال : وعندما اموت يأكل ثروتي

فقالت ملكة : طبع رواية في العام الماضي فلم يبع منها شيئاً ، وارسل رواية اخرى الى مصر للمباراة . وكثيراً ما سمعته يقول انه لا فرق لديه بين ان يربح دراهم او لا، فهو فنان قبل كل شيء ، اذا فهو خالي الغرض من كل ما يصنع .

وفي الساعة الثانية عشرة جلس الجميع الى المائدة واقبل شفيق من غرفته وجلس الى الزاوية ثم فتح كتاباً واخذ يقرأ ؛ فساءت هذه الحركة جابر فضرب بيده على المائدة وقال : ماذا ؟ أتراني اقرأ على المائدة انا ؟ اين تعلمت هذه الحركات ، اعلم اننا في بيت محترم هنا وانني اكسب الخبز الذي آكله . واني تعودت ان يصغى اليّ عندما اتكلم . أفهمت ... ان يكون لنا ابنة، نربيها ونحضنها ثم نعطيها الى صهر لا ينفع . هذا لا يطاق . لقد اقسمت على اتعاسنا جميعاً . فهل تطول معك هذه المسخرة .

ثم نهض من مكانه غاضباً فاستولى على الكتاب ورماه الى الارض وعاد الى مكانه فخوراً بعمله وهو يقول : لا احب الخصام ولكن اريد ان أحترم .

اما شفيق فالتقط الكتاب بهدوء تام واستعد الى الخروج واذا بالخادمة مرتا تدخل وبيدها برقية تسلمها اليه ؛ فاستغرب جابر وتمتم قائلا : لقد بدأ يستلم برقيات

ولما فض شفيق البرقية اشرق وجهه بنور امل بهي وهتف بنزوة من نزوات الفرح قائلاً : لقد انتهى كل شيء ! .. روايتي ! .. اتذكرون روايتي التي قرأتها لكم مساء عيد الملاد ؟ .. الا تذكرون ؟ الا تذكرين يا ملكة ؟ لقد نالت الفوز الاعظم مع جائزة كبيرة . لنا البشرى . عشرون الف فرنك دفعة واحدة . يا للفوز ! ..

— ٣ —

وفاز شفيق العضيمي فوزاً مبيناً ، فان روايته الاخيرة نالت الاستحسان العام

وخصصتها جمعية الاداب بالجائزة الكبرى البالغة عشرين الف فرنك

وفي صبيحة اليوم التالي كان جابر « عم شفيق » جالساً الى منضدة عليها جرائد عديدة يتفحصها بتدقيق وقد ظهرت على وجهه امارات الاستغراب والدهشـــة ، واذا بالخادمة مرتا تدخل عليه وتسلمه بطاقة وتقول : على البـــاب العشرات من المنتظرين يرجون مقابلة السيد شفيق . فقال لها جابر : وهل اخبرت بذلك صهري ؟ فقالت : اجابني من وراء الباب انه لا يقابل احداً

وقرع الجرس بشدة،فقال جابر للخادمة : ادخلي صاحب البطاقة . وماهي الاهنيهة حتى دخل شيخ عليه مسحة جذابة فحيى جابر تحية لطيفة تنم عن ادب وتهذيب وافرين فنهض جابر للسلام عليه واحنى رأسه قائلاً : شرفتني بزيارتك يا سيدي الرئيس

فبدرت على وجه الرئيس دلائل الريبة من هيئة جابر فاستطرد قائلاً : قل لي ياسيدي أأستطيع ان اقابل السيد شفيق العضيمي مجد الامة ، الاستاذ الفذ ! الاديب الكبير

فهز جابر برأسه وقال له : انه منحرف المزاج قليلاً !

وبعد فترة قال الشيخ لجابر : انه ولا شك لم يسترح بعد من تأثراته الحديثة العهد . فأخذ جابر رزمة من الرسائل وبعد ان وزنها بيده قال : انظر ، تأمل ! فقال له الرئيس وما هذا الا البداية فالحاضر اكبر ضمان للمستقبل ؛ ثم انه مع كثير من المواهب وقليل من الشعور يصل الانسان الى اوج رفيع ! فرفع جابر حاجبيه واخذ جريدة كانت امامه وسأل الرئيس قائلاً : ارايت رسمه في الجريدة ؟ — نعم ؛ في جرائد عديدة

— واية فائدة مالية من وراء ذلك ؟ — وهل من حاجة لان نقول يا سيدي اننا اعلى من الدراهم في هذا الموقف

فاستغرب جابر كلام الشيخ فقال له : اذن فهو عال جداً !

— في مستوى السحاب والنجوم !

فأشكل على جابر، ولكنه اراد ان يحجب جهله فأخذ يقول : اعترف . لاانكر نعم . نعم . صحيح . . .

فقال له الرئيس : ان صهرك عظيم فكن سعيداً ، ولكن يجب عليك ان تساعده . فدمدم جابر بصوت خافت وقال له : سنرى ، سنحاول . فمد الرئيس يده لجابر كمن يريد ان يتخلص من الاخر وقال له : الى اللقاء يا سيدي . وخرج وهو يقول له : ابلغ السيد شفيق وزوجته انني بانتظارهما غداً لتناول الغداء معاً !

وما ان خرج الرئيس من عند جابر حتى دخلت عليه امرأته ماري وسألته عمن كان عنده فأجابها : الرئيس ، وقد جاء ليرى شفيق . فقالت له : واحسرتاه ! فرفع جابر حاجبيه وقال لها : لا ينبغي لك ان تقولي واحسرتاه بل « برافو » . ثم اعطاها الجريدة واستطرد قائلاً . ارايت الجريدة ؟ خذي واقرأي في الصفحة الاولى عن اليمين ! فاشاحت ماري بوجهها عن الصحيفة قائلة : لا احب السياسة . فألح عليها زوجها بان تقرأ ؛ وما ان نزلت عند الحاحه حتى نظرت اليه نظرة استغراب وقالت متسائلة : ويعطونه عشرين الف فرنك ؟ = اجل، نادي ملكة لنطلعها على الخبر !

وما هي الا فترة من الوقت حتى اقبلت ملكة عابسة الوجه يائسة فسألها والدها : اين زوجك؟ فقالت : أظنه في غرفته، ولقد حاول هذا الصباح ان يقرأ لي شعراً

= جميل هذا . وماذا قلت له ؟ = قلت له لا اريد ان اسمع

= أليس لك قلب ؟ = اكثر مما يجب = كثيراً ما يجهل الانسان قلبه الحقيقي يا ابنتي ! = ماذا تعني بذلك ؟ = اتعرفين زوجك ؟

= ماذا تقول ؟ = اشك في انك تعرفينه

= لقد مضى خمس سنوات على زواجنا = ومضى اربعون على زواجنا نحن وامك لا تزال تجهلني — ماذا جرى اليوم . ما هذا الانقلاب . اراك تعتبر شفيقاً اليوم مع اني اصبحت امقته لكثرة ما سمعتك تلعنه

= لا ينبغي ان يُصغى الى الاهل في كل حين

= ولكنك كثيراً ما لمتني على انه لا يكسب دراهم

= وهل الدراهم تسبب السعادة = سمعتك مئة مرة تقول ذلك

= وهل هذا برهان كاف لتصدقي . خذي الجريدة وطالعي ما يكتبونه عن شفيق!

اخذ جابر الجريدة بيده وجعل يقرأ : « شفيق العضيمي يربح جائزة الاداب العربية الكبرى وقيمتها عشرون الف فرنك مع وسام ذهبي » . فدهشت ملكة دهشاً عظيماً وقالت : اواثق انت من ان ذلك صحيح ؟ فقال لها والدها رافعاً حاجبيه : جريدة الاهرام ! . . هنا رصانة تامة لا شك فيها !

= اذن فالبرقية كانت صحيحة !

وفي حين كان الثلاثة يتناقشون دخل شفيق عالي الجبين ، فخور الطلعة الا انه عابس الوجه فحاد جابر من طريقه وخفضت ماري ناظريها بخجل اما هو فاخذ يعد

معداته من غير ان يفوه بكلمة . وفي تلك الاونة سمع دوي القطار فاتجه جابر الى النافذة واغلقها وهو يقول متأففاً : « يا لها من قطار ملعونة ، يا للجحيم ! . . » وتقدمت من شفيق امرأته ملكة وقالت له ضاربة على كتفه بيدها الناعمة : اتذهب ؟ فقال لها عابساً : أجل ذاهب ! — الى اين ؟

= الى حيث تقودني احلامي ، الى المحطة اولاً ! = وبعد ذلك ؟

= اذهب مع الصدف . تحت السماء فهي لا تردُّ احداً !

فقالت له ملكة بصوت مختنق : وحدك ؟ فاجابها : لا يكون الانسان وحده عندما لا يكون احدٌ معه . فتقدم منه جابر وقال له متصفحاً وجهه : النتيجة انك ذاهب ! ولكن ألهذه الدرجة اصبحنا نزعجك ؟ وكان شفيق قد هيأ جميع معداته فأخذ حقيبته بيده واحنى رأسه امام الجميع قائلاً بأدب وافر : اننا نفترق اصدقاء . سيداتي سادتي . . . فقاطعه جابر بقوله : سيداتي سادتي الان ؟ افهمني يا شفيق ، لست رجلا شريراً انا ، الا اني ربيت في وسط عقيم ، هذا كل ما في الامر . لم استطع يوما ان اتعلم شيئاً ولم يكن عندي ذاكرة بالرغم من اني حاولت كثيراً ان استفيد من غير فائدة ، ثمّ ان العالم ليسوا جميعاً اصحاب مواهب ، فانا ابن نفسي ، لقد خرجت من لا شيء ! وتعلم جيداً ان المكانس والسردين والقناني ليست قواعد للعلم . لا تعتقد الان ان نجاحك هو الذي يجعلني اتكلم بهذه اللهجة ، بل هي الحقيقة الواضحة

وفي حين كان جابر يتكلم دخلت الخادمة مرتا وقالت له : يوجد زبون يطلب سيدي للتكلم معه عن طابية مهمة . فقال لها جابر بصوت اجش : قولي له ينتظر فانا مشغول ! — انه مستعجل — فليذهب !

عندئذ قال شفيق : اريد ان ابقى وحدي مع امرأتي لأودعها . فخرج جابر وماري من الغرفة . الا ان جابر لم يشأ ان يحتجب قبل ان ينبه شفيق الى واجبه فقال له : تروَّ في الامر جيداً ولا تعاند ! ولكن كدت انسى ، ينتظرك الرئيس الشيخ غداً لتناول الغداء عنده . ولما اختلى شفيق بزوجته قال لها : ما هذه الرواية المضحكة؟ فمسحت ملكة دمعة على خدها وقالت له . دعني ابكي ! فقال لها : اهو سفري الذي يهزك ؟ فقالت بصوت تراوده الحسرات . لا ، ليس سفرك ! — أذن ماذا ؟

— نعم هو سفرك ولكني لا اريد ان اعترف الك بذلك! — اتضحكين مني ؟

— نعم ! — صحيح ؟ لا ، هي محبة الذات التي تجعلني اقول

نعم · الحقيقة لا ! والان ، ألم تعدل عن الذهاب ؟ = لا ، لم اعدل !

فتململت ملكة وقالت له · اضربني اذاً ؟ فاستغرب شفيق طلبها هذا فقال لها · ولماذا ؟ = لكي ابكي ! = وبعد ذالك ؟ = تشفق عليّ !

= وهكذا ؟ = تخف وطأة المي ! · · · = هذا برهان مدهش !

— تذكر ! — ماذا ؟ — كل شيء ! — مثلاً ؟

— خطبتنا · · الاشعار التي رفعتها اليّ ! · · زواجنا الغرامي ! — يا للانقلاب !

اما ملكة فلم تقو عند ذلك من كتم ما جال في نفسها فانطرحت عليه وهي تقول له : لا اريد ان تذهب يجب ان تبقى وتغفر لنا كل شيء · · قل لي انك باق · قل لي ذالك ! · · فتفطر قلب شفيق واخذها بين ذراعيه وجعل يقبلها وهو يقول لها : اني احبك يا ملكة ! احبك يا ملكة ! فطارت ملكة فرحاً واسرعت الى الباب فنادت والدها وقالت له : ابي · · · شفيق لا يذهب ! فنادى جابر بدوره ماري وقال لها : ماري ، شفيق لا يذهب ! ونادت ماري بدورها الخادمة وقالت لها : مرتا ، شفيق لا يذهب ! اما مرتا فلم تكترث لها واجابتها : سيدتي لمن تريدين ان اقول ذالك ؟

وكوميضة البرق دخل الجميع الى الغرفة فاحاطوا بشفيق ينظرون اليه بفخر واعجاب وبعد ان عانقته ماري وعانقه جابر وهمت مرتا الخادمة بان تحذو حذوهما رفع جابر صوته الاجش المبطن بعذوبة متكلفة وقال له : قل لي يا عزيزي شفيق ، اني افكر في مشروع يتراءى لي كثير الفائدة · سنمهد لك مكاناً في خيمة الحديقة التي هي مستودع للمكانس حالياً · فصادق الجميع باشارة راس على اقتراح جابر الذي استطرد قائلاً : وسنوثثه بأثاث جميل وتعتزل فيه عن العالم ساعة تريد · اليس كذلك؟ فقالت ماري مصادقة : وكلنا نسهر عليك · فصادقت ملكة على كلام امها وقالت له : وانا اسهر عليك · اما جابر فضرب بيده على كتف شفيق وقال له · اعترف يا صهري بانك رجل عظيم ! عند هذا دخل عليهم عارف كنسمة هواء شديدة وهتف صارخاً : يا لها من ثورة ! لقد ظنوني اياه فحملوني هاتفين ، صارخين ، هازجين ! حتى كادوا ينزعون ثيابي عن جسمي · فتأثر جابر من هذا المشهد وقال : يا له شعباً نشيطاً · واستطرد عارف قائلاً : وعند ما قلت لهم انهم مخطئون ضربوني · فهز جابر راسه وقال له : جميل جداً · · · ستتغدى عندنا لقاء ذالك

وفي تلك الاونة سمع من الخارج هتاف الشعب واصوات تنادي : ليحي شفيق

العضيمي ! ليحي العضيمي !

— ٤ —

ذات صباح افاق شفيق العضيمي من نومه مبكراً وجلس الى منضدتـه يكتب حسب عادته كل يوم ، واذا بالخادمة مرتا تدخل عليه بقدم خفيفة خشية ان تقطع عليه مجرى افكاره، وبقيت واقفة بالقرب منه لا تبدي حركة الى ان رفع نظره اليها وابتسم قائلا : صباح الخير يا مرتا . اما هي فأحنت رأسهـا بخشوع واجلال وقالت له : أليس سيدي بحاجة الى شيء ، فنجان شاي ، دمعة خمر ؟ فقال لها : لست بحاجة الى شيء يا مرتا فشكراً لك . فقالت : أيريد سيدي ان افتح النافذة — لا ، حسن هكذا . هل غيرت الازهار ؟ — لقد امرتني سيدتي بان اغيرها كل يوم

وانتبه شفيق الى ان الخادمة تستعمل طرقاً من التأدب في حديثها لم تكن تستعملها من قبل فسألها قائلاً : لماذا تخاطبينني بضمير الغائب ؟ فقالت : اللياقة تقضي ياسيدي!

— وقبل اليوم ؟ — لم يكن الامر كذلك ، فسيدي اليوم احد الناس !

— وانت كذلك احد الناس ! — أشبيهان نحن ؟ — بدون ريب !

— أحب من سيدي ان لا يلح كثيراً في التحدث معي — ولم ذلك ؟

— لان سيدي جابر نهاني عن ازعاجك بالكلام وقال لي إلزمي مقامك فلم اجب ، ولقد تراءى لي ذلك من العدل

ودخلت ملكة مرتدية حله جذابة ، ولم يكد نظرها يقع على مرتا حتى قطبت حاجبيها وقالت لها بقساوة : اخرجي ، اخرجي ! لقد قلت لك اكثر من مرة لا تلبثي كثيراً هنا ! ولما خرجت الخادمة التفتت الى شفيق وقالت : ان هذه الابنة مشتملة على جميع الوان الجسارة ! فقال لها شفيق : أية جسارة؟ فاجابته بصلابة : لست قاضياً انت فاشتغل . عندك موهبة فاستثمرها ، ولا تهتم بغير سواك . . . ثم غيرت لهجتها وسألته قائلة كيف حالك هنا ، ارجو ان تكون مسروراً . . . فاجابها : لا بأس ، سوى ان هذا الأثاث يبدو بمظهر فخم وفيه تكلف

وكأنها لم تشأ ان تستمر في هذا الحديث فانتقلت منه الى اخر وقالت لشفيق : لماذا لم تجيء تفاجئني الليلة الماضية ؟ فأجابها : خشيت ان ازعجك

— لقد انتظرتك ، وكان من واجبك ان تجيء ذلك . اما اذا كنا ننام في غرفتين ملاصقتين فلكي يحب كل منا الاخر حباً شديداً . لقد كتبت في احدى رواياتك انه

لا ينبغي للزوجين ان يناما متلاصقين اذا شاءا ان تبقى اللذة على ما هي . أصحيح ذلك؟ فأجابها . لا اذكر ! فقالت : تذكرّ ذلك الفصل الجميل الذي رسمت فيه احدى الزوجات وقد فوجئت في الليل بزوج مقنع ... خافت وذعرت فاستنجدت ، لخدعها ، وظنت ان امامها زوجاً غير زوجها فاحبته واحبها كأنهما لم يحب احد منهما الاخر قبل الان ... هذا جميل !

فرفع شفيق حاجبيه وسألها قائلاً : أرواية هذه ؟ فقالت : أريد ان تكون حياتنا رواية. — ولكن لا يصح ان نحيا حياة مقنعة ! — بلى ، نتصور اشباحاً غير منتظرة ، فتلعب معي مشاهد حب ، وتخاطبني كأنك تخاطب امرأة سرية ترغب من صميم قلبك ان تمتلكها . ألم تكتب في روايتك الجديدة : أحبوا بعضكم بعضاً كأنكم لم تحبوا بعضكم بعضاً قبل ذلك ؟ ولكي نحب بعضنا بعضاً أستحيل انا الى امرأة تلائم اهواءك فتارة أضع شعوراً طويلة ، وطوراً أنزعها فيصبح شعري قصيراً واحياناً أستحيل الى امرأة شقراء ، وانت مـاذا ترغب ان تعمل ؟ كيف تصنع لتغير نفسك ؟ — لا اصنع شيئاً = لست روائياً انت

فاخذ شفيق يشعر بأنها بدأت تزعجه فقال لها : يجوز ، اتريدين ان تخرجي يا صغيرتي ؟ اما هي فلم تكترث لكلامه وقالت له : اريد ان اكون بطلة روايتك المقبلة . وقبل ان تترك له سبيلاً للكلام نظرت الى ردائها واستطردت قائلة : كيف ترى ردائي ؟ ان التي صنعته لي خياطة ماهرة . ثمنه باهظ جداً ولكنه (شيك) . لقد قلت لها لتصنع لي اثنين او ثلاثة مثله . الست سعيداً عندما تفكر انك ستشتغل كثيراً لاكون جميلة جداً ودائماً جميلة ؟ . الا تلتذ وتفرح عندما تشعر بتعب من اجلي ؟ كان الذي هو الذي يدفع في الماضي ، اما الان فستكون انت ... اتفهم ؟ ..

حاول شفيق ان يجيبها الاّ انها لم تترك له سبيلاً لفتح فمه فقالت له : عندي فكرة جميلة، وهي ان نذهب فنصرف ثلاثة اشهر في باريس، كلانا يجيد اللغة الفرنسية ننزل في احد الفنادق الكبرى كالتي تجيد وصفها في كتبك ، نصرف الليالي في الرقص والاحتفالات ولا ننام الاّ عند الفجر . قد يراودني الناس على نفسي فيدب بك الحسد فتكتب رواية مفجعة . وهكذا الى النهاية . متى نذهب ؟

فتأفف شفيق وقال : في الحال ، ولكن سأذهب وحدي ! — ولماذا يا عزيزي ؟

— لاحصل على الراحة . دعيني في راحتي . روحي من هنا . تحلحلي من هنا !

ثم استلقى على مقعد طويل واخذ كتاباً واسترسل في القراءة ، اما هي فضحكت ضحكة جذابة وقالت له : انك كثير الدلع يا عزيزي . هذا نوع من انواع الحب ، اليس كذلك ؟ ولم تكد تلفظ كلمتها الاخيرة حتى دخل عارف بلباس انيق وقد مشط شعره وحمل بيده عصاً مزخرفة ؛ فلما وقع نظره على ملكة حياها تحية ارستوقراطية ، فحيّته بمثلها وقالت له : كيف حال صديقنا العزيز ؟ كيف شغلك فاجابها : اشغال كثيرة ! فسألته قائلة : اتريد فنجان شاي ؟ فضحك ضحكة عقبها بهزة رأس وقال : انك تدلعينني كثيراً . لا، اشكرك ! وكيف حال ادبينا الكبير ؟ — حسن . قال : يالها ولائم تقام لنا . تصوري ان لي شهرتي انا ايضاً ، اذ ان الناس يحتفلون بصديق الاديب الكبير ورفيقه . احدثهم عن شفيق العضيمي وعن نوادره فيطربون ، ولقد طلب اليّ ان احرر في مجلة فوعدت هذه المجلة بحديث عن ادبينا الكبير .

قال ذلك واخرج من جيبه دفتراً صغيراً وتهيأ ليأخذ رؤوس اقلام فقالت له ملكة : ألست بحاجة اليّ ؟ فأجابها برزانة : لا يا سيدتي ! فالى المساء . لم انس انني مدعوّ الى الغداء . تحياتي الى الجميع ولما خرجت ملكة بعد ان عانقت زوجها الذي لم يتحرك جلس عارف الى المنضدة امام شفيق وقال : اذن فسنبدأ بالتحدث عن الاسلوب ، لقد وعدت المجلة بالتكلم عن قائمة مشاريعكم التي ستقوم بها في الخمس السنوات المقبلة . ما هو اسم المؤلف الاول ؟ فاستشاط شفيق غيظاً ومزق بحدة المخطوطة التي امامه وقال : هذا هو ! اما عارف فدهش من تصرف شفيق وقال له : اتريد بهذه الحركة ان تقول لي انك تنفي كل ما عملته في الماضي وتستعد الى القيام باعمال جديدة ؟ .. سخيف جداً ! .. ادوّن !

فزاد غيظ شفيق فضرب الارض برجله وقال : اسمع يا هذا ، هل اقسمت على اتلافي انت ايضاً ، اتريد ان تثقل كاهلي ؟

فهز عارف راسه بأسف وقال له : انت بحاجة الى الراحة يا شفيق !

— تريد ان تقول اني مريض ؟ — نعم، هذه حمى النبوغ ! — لا تسمعني هذه الكلمة ! لست نابغة انا ، بل رجل عادي — اؤكد لك يا شفيق انك تعب منهوك!

فاجابه شفيق بغضب : تعب منهوك ، ولكنك مضحك مهتوك .

فاستاء عارف من هذا التصريح فقال لشفيق : لست صديقي انت . لا يجوز

للصديق ان يقول لصديقه انه مضحك مهتوك ولو اعتقد ذلك . — اهكذا تفهم الصداقة ، لو لم اكن صديقك لما قلت لك ذلك بصراحة . فان هيئتك تدعو الى الاسف الشديد اذ لا يكترث بك سواي في الحياة . انك لا تحب احداً ولا احد يحبك ! وانك بالرغم عنك ، ومن شدة بؤسك ، وحاجتك الى التمسك بشيء ما تخاطب الطبيعة بشعر مضطرم متأجج ، ركيك . هيّا ، هيّا ، اشرب خمرة ، تأمل، احلم ، تخيل ، ولكن لا تكتب ايها التعس ، لا تكتب ابداً اترك كل هذا ولا تقترف الهفوة التي اقترفتها انا جهلاً .

عندما سمع عارف كلمة «خمرة» من فم شفيق تحلّب ريقه فطلب زجاجة من العرق فجيء بها اليه وشرع يكرع القدح تلو القدح الى ان بلغت سورة الخمر من دماغه مبلغاً كبيراً فقال لشفيق : « اما النساء فلا اكرههن كثيراً . لا اكرههن ابداً ويتفق لي احياناً ان اشتهي احداهن اشتهاء عظيماً ، والبرهان على ذلك انني كلما مثلت بحضرة امرأتك لا اتلفظ بكلمة لانك تكون معنا . او لاني لا اجرؤ ؟ او لانها تدفعني عنها . والخلاصة انني لا اجيء الى هنا الا لاجلها . وعندما اغادرها انظم لها قصيدة في الطريق . صار عندي مئة من هذه المقاطع الشعرية . سأريك اياها غداً . ان امرأتك اعجوبة مدهشة يا صديقي ! انها لمهنة رائجة امرأة كهذه ! ومن يحترف حرفة النظر اليها يثر اثراء عظيما ! لدي رسمها ؟ سرقته منك ! دعه لي ، اتريد ؟ اني لا املك شيئاً غيره . لقد شربت كثيراً حتى قلت لك ذلك ، ولكني رصين

فنظر اليه شفيق نظرة استغراب وأسف وقال له : «كان يجب عليك ان تتزوج يا صاح!» — اعرف جيداً ! لو استطعت ان اهمس في اذنك هذه الفكرة لما تأخرت ! ولكني كنت اشتهي من صميم قلبي ان تحتجب انت عن العالم فاتزوج امرأتك وكنت اقول : غداً يذهب او يموت . الا تصدق . على اني احبك جداً . . . ولكن . . . دعها لك ، فاني اتخلى لك عنها . ولكن حذار ان يسرقوها منك ! لقد استطعت ان اتحملك وحدك غير اني لن اتحمل غيرك !

ثم كرع عارف قدحاً اخر كرعة واحدة واستطرد قائلاً : اريد ان اساوم على بركة ، الا تعرفها ؟ هي ابنة المرأة التي اسكن عندها . جميلة لا بأس بها . وتملك حطاماً . لا اقول انها توازي ملكة ولكنها على قافيتها : ملكه ، بركه !

— إذن فلا تتردد ! — ولكني احتاج الى . . . الى . . . تسيير الامور

كما يجب ان تسير . هدايا . سخافات !

فقال له شفيق وقد حزر مرغوبه : الا تقدر ان تستقرضني مالاً ؟

فضحك عارف وهز اصبعه قائلاً : لقد حزرت «برافو» - خمسماية ؟

— نعم ، بالف يمشي الحال . ساجد الباقي في غير مكان

فاعطاه شفيق ورقة مالية بالف فرنك سوري فوضعها عارف في جيبه مسروراً وقال له وهو يهم بالخروج : اتفقنا الان ان لا اكتب كلما بقي معي شيء من هذه النقود ، ومتى نضبت سنرى . اما انت فاكتب لانك مشيت على طول !

وما هي الا فترة من الوقت حتى دخل جابر وماري يحملان صندوقاً كبيراً ، وما ان وضعاه في زاوية الغرفة حتى اخذت ماري تطرقه طرقات قوية لتنزع منه المسامير . فقال لها شفيق : اتريدين ان اساعدك ؟ فالتفت اليه جابر وقال له : اكتب ولا تعترضنا . اشتغل ! فاستلقى شفيق على مقعده والقى راسه بين يديه ؛ فتقدم منه عمه جابر وسأله قائلاً : اتشعر بتعب ؟ ثم التفت الى ماري وقال لها : اشتغلي يا ماري ولا تهتمي بنا . وعاد الى شفيق قائلاً : اراك تستلقي على ظهرك . لمَ لا تكتب ؟ اشارط ان بك الماً في المخ . فان صدغيك مضغوط عليهما كأنهما بين كلابتين! لقد اخذت راي القاموس في ذلك فاتضح لي ان ما بك انما هو الم يطرأ عادة على اصحاب القلم . سأريك المقطع الذي يقول ذلك . فلا تهتم . ليس في العالم نبوغ لا يطرأ عليه اختلال في الموازنة . فالعضو الذي يتعب هو دائماً العضو الذي يتألم ! . . في الماضي كنت اتألم من رجلي ، اما انت فتتألم من دماغك ، هذا شيء طبيعي . لقد حدثت عنك الطبيب هذا الصباح فوافقني كل الموافقة على استنتاجي ، وقال انك عصبي . عصبي كبير ! . . فقال له شفيق بهدوء تام : اتريد ان تسكت ؟

فما كان من جابر الا ان تابع فقال : وبهذه المناسبة فان جريدة «الوطن» تطلب منك مراسلة يومية ؛ وقد اتفقت مع محررها على انك ستقدم له مئة سطر كل يوم

فزاد غضب شفيق وصرخ قائلاً : لقد اخطأت باتفاقك معه فافسخ الاتفاقية حالاً ! فأخذ جابر يهدئ روع شفيق بقوله : لا يجمل بك ان ترفض لان الجريدة ذات نفوذ عظيم ، فضلاً عن اني افكر في مراسلتها ، ولقد قيل لي اني اقدر ان اقوم باي عمل كان . لا تنس ان لي اطماعاً انا ايضاً . — هذا شأنك معها فلا دخل لي في الامر !

— كن عاقلاً يا صهري . — لن اقوم بهذا العمل . ان من يسمعك يظن ان في بطني آلة للطباعة .

واستطرد قائلاً في حدة غضبه : ستقول لمحرر هذه الجريدة اني ارفض. ستقول له اني غير جدير بان اقوم بمثل هذه المهمة. وغير قادر على ان اكتب شيئاً ، ولا اريد ان اكتب شيئاً ! وانه اذا جاء الى هنا اطرده طرداً ، واذا الحّ اكسر رأسه واهشم وجهه . اسمعت ؟ فدهش جابر من هذه الحـدة الغريبة وقال في نفسه : انهم لمرجل تغلي غلياناً هؤلاء العصبيون.

وتركه شفيق في دهشته وانحدر الى الغرفة المحاذية فابصر ملكة في الزاوية وقد ظهرت عليهـا دلائل الحرد ، فاقترب منها بهدوء وعلى ثغره ابتسامة عذبـة روائة وقال لها : وانت يا امرأتي ؟ مستاءة ؟ الا تحبينني . ماذا تريدين مني. فاجابته مقطبة الحاجبين : اريد ان تهتم بي . — أتريدين السعادة؟ — نعم . — كسائر الناس؟ — بل اكثر من جميع الناس . — وتريدين ان تظلي دائماً جميلة وشابة ؟ — هذا ما اريد. — وان يكون زوجك عاشقاً ؟ — نعم . — ومغوياً ؟

فدهشت ملكة من سؤاله وسألته قائلة : ماذا تعني؟ فاستطرد قائلاً : وان يستولي عليك بنظراته ؟ = لماذا ؟ — وان يكون السيد ؟ فارتعدت ملكة من هيئته فقالت له : ما بك ؟ فأكمل قائلا: وان يستدرج النساء الى حبـه ؟ — أتهزأ؟ — انك لشديدة الضعف يا صغيرتي . ولكن ستكون حياتك طبقاً لأحلامك.

ثم نظر اليها نظرة ملئها العاطفة والتأنيب واستطرد قائـلاً : واذا عرفت ان احدثك. وان الاطفك. وان اعانقك. فأدنت ملكة شفتيها من زوجها فعانقها بحرارة مخلصة وقال لها: اذهبي، ضعي معطفك يا امرأتي فهذا المساء عيد و. نخرج كلانا

فخرجت ملكة مؤتمرة أمر شفيق ولما توارت عن نظره انحدر الى المكتبـة فأخذ كتاباً ، وبعد ان لاطف جلدته بيده فتحه وجلس يقرأ ، واذا بالباب يقرع قرعاً خفيفاً واطل منه جابر وعلى محياه امارات الخجل وقال لشفيق بصوت خافت كأنه يخشى ان يقطع عليه مجرى افكاره : كنت اودّ ان استأذنك بمقابلة صغيرة . فقـال له شفيق وعيناه مثبتتان في الكتاب : لا استطيع في هذه الساعة ! فقـال له جابر : ومتى تستطيع ؟ — غداً ! ولكن لا تنس ان تغلق الباب وراءك !

فانحنى جابر باحترام امام صهره وخرج على رؤوس اصابعه ، امـا شفيق فاستمر مستغرقاً في احلامـه . وهكذا بعد ان ذاقوا طعم الدراهم اخذوا يحترمون نبوغ شفيق العظيمي ويتحامون اغضابه ، كأن المال هو عندهم النبوغ الاكبر ، وكأن النابغ بلا مال مجنون من المجانين ، وما اكثر هؤلاء «المجانين» تحت هذه السماء ! . . .

تمت

العدد الرابع والثانون | السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## ابن الامير بشير

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١٨ آب سنة ١٩٢٩

# ابن الامير بشير

ضاق قصر بيت الدين برب اربابه

فالامير الشهابي الكبير بدا في تلك الليلة حائراً قلقاً لا يستقر على حال

وماذا دهاه ؟ . . . اي ملمة تكشر له عن انيابها الداميات ؟ . . .

لقد كان الامير شديد التكتم في اسراره . فلا يبوح بها لاخلص الناس له واعزهم عليه ؛ ولئن كانت حالة نفسه تتجلى في ملامحه فيعرف منها رجاله أفي سرور هو ام في غضب فانهم كانوا يجهلون جهلًا تاماً لماذا يطرب الامير ولماذا يغضب ، وكل ما يعرفونه انه غاضب او راض ، ولا يكادون يتوسمون فيه النفور والكمد حتى تتوارى جموعهم من امامه ذعراً واضطراباً

فالناس كانوا يخافون ذلك الامير الجبار ، الجبار في قامته ، وفي لحيته ، وفي شاربيه وحاجبيه وعينيه وانفه وصوته ؛ فهو جبار في جبار ، ولو فتشوا عمن ينعتونه بالجبار لكان الشهابي ذلك الضال المنشود

ووقف الامير في احدى شرفات قصره يطل منها على الوادي الخصيب المنبسط امام ناظريه ، الحافل باشجار التوت من رأسه الى قدمه . على ان الامير لم يكن ليبالي في تلك الساعة أأخصب التوت ام اجدب ، فكان في شغل شاغل عن مثل هذه الشؤون ، ومن سمعه يصعّد الزفرة تلو الزفرة من صدر جائش ضيق ادرك ان ثمة امراً خطيراً

فما الذي ينغص على الامير صفو عيشه ؟ . . . بل ما الذي يؤلمه وهو السعيد في هاتيك الجبال ، وهو رب العز والجاه وصاحب الامر والنهي والكلمة الفاصلة الاخيرة ؟

وطال ذهول الامير . فكان لايرى ولا يرى . واقبل الليل وهو لا يزال في قلقه . وتجرأ خادمه وقال : جلس الجميع الى المائدة وهم في انتظار مولاي !

فلم يسمع الامير ، واعاد الخادم كلامه ، فالتفت اليه الشهابي كمن استفاق من حلمه وقال : ليس لي شهية للطعام ، قل لهم ان يأكلوا ! . . .

فوقعت هذه الكلمات كالصاعقة على رجال الامير وانسبائه واخذوا يتهامسون فيما بينهم قائلين : ماذا يكون وراء الاكمة ؟ ...

وانى لهم ان يدروا بما وراء الاكمة من مهم وخطير ، فالامير لم يقل لهم شيئاً ولا هم يحسنون الضرب بالرمل ليتكهنوا بما هناك من الاحاجي والاسرار ؟

وترامى الامير على سريره لا يخلع عنه ثيابه ، ونادى خادمه يقول : ابلغ الشاعر بطرس كرامه اني لا استطيع مقابلة الضيوف!

ونام ولم ينم . فكان يطبق عينيه ثم يفتحهما وهو يتقلب على السرير كأنه على نار واخيراً تكلم ، لقد تكلم يخاطب نفسه بنفسه . قال : والله لا ادري ما افعل . فان عبدالله باشا والي صيدا يستنجد بي لرد هجمات الجيش المصري ، وابراهيم باشا قائد الجيش المصري يناديني للانتصار له على عبدالله باشا . فاذا اغضبنا هذا دهمتنا البلية ، واذا اغضبنا ذاك دهمتنا البلية ايضاً فلا حول ولا ...

وعاد فقال : الاثنان من اصدقائي . فالى ايهما انضم ؟... فان خالفت ابراهيم باشا انتقمت مني الدولة العثمانية شر انتقام ، وان ناصرت عبدالله باشا عيرني محمد علي باني ناكر الجميل . فلقد احسن الي واكرمني يوم تركت دياره وخاطب الاستانة في امري ونال منها العفو عني ، فكيف أصم اذني عن سماع ندائه وهو في حاجة الى خدماتي والى استيفاء ما له عليَّ من جميل !

وصاح : لمن انتصر منهما ياترى؟ . أانتصر لعبدالله باشا والي صيدا واظهر للدولة العثمانية اني لها من المخلصين ام اظاهر ابراهيم باشا على رجالها فيعلم محمد علي ، ابوه ، ان الامير بشيراً يقابل الاحسان بالاحسان والمعروف بالمعروف !

وحار في امره ؟ وعجز عن الجزم في الموقف المترجرج ، فان ابراهيم باشا استنجد به منذ عهد طويل وهو يتحامى الجواب ان سلباً او ايجاباً ، وعبدالله باشا استجار به ايضاً فلم يلق الجواب

وكان الامير ينظر ملياً في حالة الرجلين . فهو مع رغبته في وفاء جميل محمد علي لم ينس ان توطيد امارته هو الهدف الاسمى لديه . فان ذهبت تلك الامارة من يده فاي شأن يكون شأنه واي نفوذ يبقى له في قومه وذويه

قال : ان ابراهيم باشا يملك جيشاً جراراً احتل به معظم البلاد العربية وتقهقر امامه الجيش العثماني ، وهو يحاصر الان عكا مقر عبدالله باشا !

واعتمد المنطق فقال : وهل يقوى ابراهيم باشا على ما تراجع دونه بونابرت قائد الفرنسيين؟

وفكر طويلاً الى ان قال : ولكن ابراهيم باشا اذا لم يقبض اليوم على مفاتيح عكا فسيقبض عليها غداً ، فان رجاله بلغت صيدا وان يطول بها الزمن فتحتل لبنان ، واي مصير يكون مصيري اذا لم اتظاهر بموالاة ابن محمد علي ؟ فالافضل لي ان اناصره واعضده واسرع الى نجدته والا ضاعت الامارة من يدي !..

ووطد الامير النية على هذا الرأي ، فتراءى له ان محمد علي سيمسي آجلاً اوعاجلاً سيد البلاد السورية واللبنانية المطلق ، وان الدولة العثمانية ستلقى التقهقر والخذلان ، فقال : يجب ان اناصر الجيش المصري !

وقضى ليلته وهو يحسب للامر الف حساب ، وكيفما نظر في القضية كان يزداد يقيناً بان كفة محمد علي هي الراجحة ؛ فقال : ليس لنا غير محمد علي !...

وعند الصباح نادى رجاله وقال لهم : غداً سنمشي الى عكا ، فاستعدوا !...

— ٢ —

سرى الخبر في بيت الدين ودير القمر والشوف ان الامير الشهابي سيهب لنجدة ابراهيم باشا

وكانوا قد سئموا في تلك الانحاء خطة الدولة العثمانية وسياستها العوجاء فارتاحوا لانضمام الامير بشير الى القائد المصري وراحوا يستعدون لمهاجمة عكا

وامتلأ قصر بيت الدين بالفرسان يحتشدون في ميدانه الواسع ويهتفون للامير بشير واقبلت الوفود على الشهابي تعلن خضوعها لمشيئته ، وارتفعت الاهازيج فسادت هاتيك الجبال ، وضاقت بيت الدين بالخلق الكثير المحتشد فيها ، وما اطل الامير بشير على هذه الجموع المدججة بالسلاح ؛ المهددة الفضاء برماحها المتلوية كالافاعي في ايدي افرادها الصيد المغاوير ، الشاهرة سيوفها المحدودبة المصقولة ، ما اطل الامير بشير على هذه الجموع المتماوجة كالبحر الزاخر حتى علا الهتاف : ليحي الامير بشير !...

وصاح المنشد بصوته الرخيم : لعيون عيونك يا امير !...

وردد الفرسان بعده : « لعيون عيونك !.. » ولمعت السيوف اليمانية ، واهتزت الرماح ، وبلغت الحماسة مبلغها الاقصى ، وغلى دم التضحية في العروق ، وود القوم لو ان العدو امامهم لينهشوه نهشاً ، ونظر الامير الى هذه الجموع الهاتفة باسمه فاشرق وجهه وقال برصانته ووقاره : بارك الله فيكم ايها الاعزاء !

وامتطى جواده ومشى في طليعة الفرسان ، واحاط به الامراء الشهابيون بثيابهم المزركشة وسيوفهم البراقة ؛ ومشى بعدهم الفرسان هازجين : نحن رجالك كلنا!..

واجتازوا دير القمر واهازيجهم تبلغ القبة الزرقاء والنساء ينثرن عليهم العطور ويزغردن لهم وينشطن بهم الاستبسال ، وما دخلوا قرية من القرى حتى هبت بنسائها وشيوخها واطفالها لاستقبالهم والدعاء لهم بالتوفيق ، بينما يسرع رجالها وشبانها الى الامير يلتمسون منه قبولهم في جيشه ، حتى اذا ما بلغ الشهابي ابواب صيدا كان رجاله يعدون بالالوف

وازدادت هذه القوات المتحمسة بشاب طويل القامة، جميل الوجه ، ازرق العينين ، يشتعل اقداماً واخلاصاً ، فكان على ظهر جواده كأنما يرقص رقصاً لشدة اغتباطه بخوض معامع القتال

وفي كل هذا المسير لم يفارق الشاب جنب الامير الشهابي . وكان الامير يكثر من الابتسام له والتحدث اليه . ومن لا يبتسم للشجاعة والجمال وخفة الروح وقد اقترنت بعضها ببعض ?...

ورجال الامير انفسهم كانوا يحيون الفارس الجميل ويهتفون له . فقد فتنهم ببسالته ورقة اخلاقه ورشاقته ، فكانوا يعترفون بانه ابرعهم في ركوب الخيل وبانه اجمل فارس في رجال الامير

ومن هو الفارس ?... لقد اوهموه انه ابن الامير بشير ، ومعظم رجال الامير كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد ؛ على ان الفارس لم يكن للشهابي ابناً ، انهو الا ابن اميرة شهابية تزوجت احد مماليك مصر في ايام عزهم وملكهم ، ولما كاد لهم محمد علي واوقع بهم استطاعت الاميرة الشهابية ان تفر بابنها الى لبنان وتقيم في حمى الامير بشير متوسلة اليه ان يرحمها ويرحم ابنها وينكر ان الطفل من سليلة المماليك لئلا يفتك به محمد علي بعدما فتك بابائه واجداده ، فاشفق عليها الامير وقال لها : لا تجزعي ؛ ساتبنى الطفل واعترف امام الناس بانه ابني !..

وشب الطفل في قصر الامير وهو يعتقد انه في كنف ابيه ، فكان ينادي الامير بشيراً : « يا ابي !.. » والشهابي يناديه : « يا بنيّ !... » والكل يقولون: هذا ابن الامير !...

ونشأ الفتى على حب المغامرات وركوب الخيل والفروسية الى ان امسى في طليعة

رجال الامير عزماً وبسالة واقداماً ؛ فكان الفارس المغوار والبطل المقدام ؛ ويوم اذاع الامير في رجاله انه سينضم الى ابراهيم باشا المصري لمحاصرة عكا جاءه ذلك الفتى يقول : اريد ان اكون في ركابك يا ابي !..

فعانقه الامير وقال له : لا تزال رطب العود يابنيّ !

فاجاب : ولكن في صدري قلباً يطفح بقوة الشباب ، والى جنبي حسام ادحرج به الرؤوس عن الاجساد بلا جهد ولا كد ولا عياء !

وانتضى سيفه امام الشهابي وصاح : هذا الحديد تشهره يد من حديد ، فان ابن الامير بشير لسيد بطل منذ ابصرت عيناه النور ، أفتريد ان يقولوا عنك : خشي على ابنه من فتكات المنون فابقاه في القصر ؟...

— اخاف عليك يا بنيّ !

— وممَّ تخاف ؟... بل لماذا تخاف ؟... ان يكن ثمة من خوف فالاجدر بابي ان يخاف على نفسه !

فابتسم الامير وهو يقول : وهل تستطيع ان تأتي عملاً يذكر عندما تتناثر الرؤوس وينادون : « يا الرجال !... »

فصاح : ان ابن الامير بشير سيثبت للملأ ان الدم الذي يجول في عروقه هو دم الامير بشير ، واذا اسقط في يدي وجلبت لك العار فهذا سيفي لك ان تحز به عنقي !..

فتأثر الامير لهذه الحماسة المتناهية وضم الفتى الى صدره وهو يقول له : اذهب وكن فخر ابيك !..

وقال في نفسه : ليته ابني !...

وعكف الفتى على يد الامير يلثمها قائلاً : هذه اجمل ساعة في حياتي !..

وخرج وهو يهتز من نشوة الطرب وذهب الى امه يطلعها على ما كان ؛ فبكت وقالت : اتتركني وحدي ؟

فقال لها : بل يجب ان تطربي ، ان ابنك اضحى في مصاف الرجال !...

— ٣ —

شاء محمد علي ان يحتل البلاد السورية مهما كلفه الامر

وقد خيل اليه ان عبدالله باشا والي صيدا والامير بشير شهاب سينتصران له على

الدولة العثمانية

ولم يعتقد محمد علي مثل هذا الاعتقاد الا بعد احسانه الى الرجلين . فان عبدالله باشا ثار في اوائل ١٨٢٢ على الدولة العثمانية وايده الامير بشير في ثورته ، فجاءت اوامر الاستانة بعزلهما، ففر الامير بشير الى مصر وابى عبدالله باشا الخضوع لامر الباب العالي، فحرضت عليه حكومة الاستانة كلاً من والي حلب ووالي الشام

وزحف الواليان على عبدالله باشا ، وتحصن هذا في مدينة عكا يقيناً منه بان اسوار المدينة ترد عنها هجمات العدو

فتدخل محمد علي لدى الباب العالي وطلب العفو عن عبدالله باشا والامير الشهابي ؛ وكان الباب العالي يخشى عصيان محمد علي وخروجه على الدولة العثمانية فاجابه الى ما اراد وعفا عن عبدالله باشا والامير بشير . وتشبث محمد علي بان لا بد من عودتهما الى منصبهما فعملت الاستانة بمشيئته ، وظل عبدالله باشا في منصبه في عكا = وكانت يومذاك قاعدةً لولاية صيدا = وعاد الامير بشير الى قصر بيت الدين يتولى شؤون الامارة في لبنان

ورأى محمد علي ان يستثمر فضله على الرجلين ؛ فطلب منهما مساعدته على جيوش الدولة العثمانية وتمهيد السبل امامه لاحتلال سوريا ولبنان ، فرفض عبدالله باشا ووعد الامير بشير بالمساعدة ؛ فما كان من محمد علي ازاء رفض عبدالله باشا الا ان جهز حملة عليه تحت قيادة نجله ابراهيم وكان ذلك في ٢ تشرين الثاني ١٨٣١

وتقدمت الحملة من البر والبحر ، واجتمعت قواتها في حيفا ، واقبل على ابراهيم باشا زعماء القدس ونابلس وطبريا يعلنون خضوعهم لاستيائهم من اعمال عبدالله باشا والي صيدا

وبدا لابراهيم باشا ان يكتب الى الامير بشير يدعوه لنجدته ، فتردد الامير خصوصاً وقد تلقى مثل هذه الدعوة من عبدالله باشا ايضاً ، فحار في امره ، وطاب له ان يكون في عزلة عن كل ما يجري ، فساء موقفه ابراهيم باشا وكتب الى والده محمد علي يخبره بما كان من موقف الامير بشير، فغضب محمد علي على الامير وارسل اليه يقول انه يذيقه اشد الاهوال اذا تنكب عن نجدة الجيش المصري

فما كان من الامير الا ان جمع رجاله ومشى لنصرة ابراهيم باشا فاستقبله ابن محمد علي بالاكرام والترحاب وانزله منه منزلة عالية

على إن الارتباك ما برح ينتاب الامير بشيراً ، فان لعبدالله باشا والي صيدا فضلاً عمياً عليه ايضاً ، فقد انقذه من عدوء اللدود الشيخ بشير جنبلاط مرتين متواليتـين ، ففي المرة الاولى اسرع بقواته لقهر الزعيم الجنبلاطي الثائر على الامير بشير ، وفي المرة الاخيرة فتك به ليخلو الجو في لبنان للشهابي دون ما سواه من الزعماء.

فكيف يحارب الامير بشير من طوقه بهذا الجميل ؟..

ذلك مما فكر به الاميرطويلاً ، وانتهى به التفكير الى القول : ان عبدالله باشا ما كان ليقتل الشيخ بشير جنبلاط اولا ايعاز محمد علي ، اذاً فالواجب يدعوني لنصرة من هو صاحب الفضل الاعمّ !

وهذا ما دفع الامير بشيراً لمعاضدة ابن محمد علي، غير ان هناك دافعاً آخر وهـو خوف الشهابي من تهديد سيد مصر له ، وليس سيد مصر من يهدد ويكتفي !..

وبدأ حصار قلعة عكا حيث اعتصم عبدالله باشا . فاستبسلت حاميتها في الدفاع عنها . وسدد اليها ابراهيم باشا مدافعه من البر والبحر . فقابلته بالمثل . وطوقها من جهاتها الاربع . وبالغ في تشديد الحصار . ودعا عبدالله باشا للاستسلام ، فرفض . فاطلق عليه نيران مدافعه ستة ايام متوالية

وكان يتفقد بنفسه خطوط النار . واستطاع ان يفتح له ثغرة في اسوار المدينة . ومن هذه الثغرة دخل بجنوده مدينة عكا . ولكن عبدالله باشا كان قد نصب الاشراك للقوات المصرية ، فما هي ان دخلت المدينة حتى تطايرت بها الارض المحشوة بالبارود ، فسقط من المصريين لا اقل من مئتي قتيل وساد بينهم الذعر والاضطراب ، ففروا لا يلوون على شيء. ووقع منهم بعض الاسرى في ايدي رجال عبدالله باشا

وجعفر ابن الامير بشير كان ممن وقعوا في الاسر . جعفر الفارس الجميـل الذي تبناه الشهابي . جعفر حفيد المماليك الذي يجهل اصله والذي يعتقد انه ابن الامير بشير . فقد وقع في اسر عبدالله باشا وهو يهجم على ابواب القلعة يريد اقتحامها . فكان ينقض كالصاعقة على رجال عبدالله باشا ويعمل في رقابهم السيف فتتناثر رؤوسهم الواحد تلو الاخر . وخافوه، فتقهقروا امامه. فلحق بهم وهو على ظهر جواده الادهم يصيح بهم : الويل لكم ايها الجبناء !..

وسمع الانفجار فلم يحسب له حساباً ، وظل في هجومه لا يلتفت الى ورائه ، فقد اراد ان يكون اول من يدخل القلعة ، وما درى ان اخوانه تقهقروا وخرجوا الى ما

وراء الاسوار

وطوقه رجال عبدالله باشا ،واكرهوه على الاستسلام ؛ فابى ؛ فسددوا رماحهم الى صدره ووثب منهم فارسان فقبضا عليه وقاداه الى عبدالله باشا

وكان عبدالله باشا شديد النقمة على الامير بشير، فلما ابصر الشاب عرف من ملابسه انه احد امراء الشهابيين فلم ينهض للسلام عليه ولا رحب به بل سدد اليه نظرات تنضح بالغضب والحقد وصاح به : ألست من انسباء الامير الخائن ؟...

وعبدالله باشا ربع القامة كثيف اللحية تتقد في صدره عزيمة الشباب ؛ وقد اشتهر بجدته ونزقه

فلما سمعه الامير جعفر ينعت له اباه بالخيانة ثار ثائره وقال : انا ابن الامير بشير لا نسيبه ؛ وارى ان الباشا في نعته ابي بالخيانة قد خرج عن الصواب !

فقال عبدالله باشا : ان اباك لخائن ايها الفتى ، فلقد خان الدولة العثمانية التي اولته الامارة وخانني انا صاحب الايادي البيضاء عليه ، فهل ينكر ابوك اني حاربت لاجله الشيخ بشير جنبلاط واذللته وسجنته في قلعتي هذه ثم قتلته ؟... فاي ثأر لي عند آل جنبلاط اولا عطفي على ابيك ؟...

فتمالك جعفر وقال : او لم يكن لوالدي عذر مقبول لابى ان يشهر عليك سلاحاً !

— واي عذر له غير الخيانة ؟...

— ارجو من دولة الباشا ان يعود عن كلامه ، فان الامير بشيراً لا يخون !

— خائن والف خائن !...

— كذب وبهتان يادولة الباشا ؛ فالامير بشير ارفع من ان تلتصق به هذه التهمة الشائنة !...

فلم يملك عبدالله باشا نفسه امام هذا الجواب القاسي ، فنهض عن مقعده وصاح بالامير جعفر : اسكت ايها الوقح ، الا تدري في حضرة من تتكلم ؟...

وكان يرتجف من الغضب؛ فنادى رجاله قائلاً : اوثقوا هذا الاحمق الغر وزجوه في اعماق السجون !

فعارض الامير جعفر وقال : ان الامراء لا يسجنون كاللصوص !

فقال عبدالله باشا : اني لا اعرفكم من الامراء بل من الخائنين !

فكاد جعفر يهجم على عبدالله باشا يلطمه لو لم يقبض عليه رجال الباشا ويقودوه

الى السجن !

- ٤ -

اقام الامير جعفر في السجن حزيناً كئيباً

فقد عزّ عليه ان يكون السجن مأواه بعد نعيم القصور

ولم يكن ليبصر طول نهاره وليله غير وجه الحارس يتقلد سيفه ويروح ويجيء في دهليز تكاد لا تنفذ اليه اشعة النور

و كان قصف المدافع يصل الى اذنيه فيسأل الحارس عما لديه من انباء القتال والحارس لا يجيبه

فحار في امره ، وقبض على حفنة من الذهب كانت في جيبه وعرضها على انظار الحارس فلم يكترث هذا لها كأنه يملك مال الدنيا

فاكبر الامير جعفر شهامة الرجل وقال له : اتريد ان تقول لي من انت ايها الشهم الكريم ؟

قال : حارس في قلعة مولاي الباشا !

فقال جعفر : ذلك ما لا اجهله ، وكل ما يهمني ان اعرف من انت !

— وماذا تريد مني ؟ كلانا غريب ههنا !

— ألست من ابناء هذه الولاية ؟

— لا ، اني جركسي الاصل وقد خدمت في الجيش العثماني تحت قيادة محمد علي ، بيد اني ما شعرت بانتفاضه على الدولة العثمانية حتى ملت عنه الى عبدالله باشا !

— يبدو لي انك ابن بيت كريم ، فهل اكون مخطئاً في ظني ؟

فهز الحارس برأسه وقال : لو انصف عبدالله باشا لجعلني ضابطاً من كبار ضباطه، فلقد اديت له من الخدمات اصدقها واجلها وهو لا يسمعني كلمة شكر وثناء . اما ابن من انا فما لنا وللرجوع الى الماضي !

— بل يجب ان اعلم من انت !

فتردد الحارس قليلاً عن الكلام ثم قال : ألم تسمع بالزعيم ضاهر اغا الجركسي ؟

— ضاهر اغا الجركسي ؟ . . .

= نعم، ضاهر اغا صديق الامير بشير !

= صديق ابي ؟ . . .

- أو تكون انت ابن الامير ؟

— وهل تجهل من انا ؟

— اجل ، فقد قالوا لي عنك انك احد رجال ابراهيم باشا المصري !

— لقد شاءوا تضليلك ؛ انا ابن الامير الشهابي !

— اذاً نحن صديقان !

= ومن تكون انت ؟

= انا ابن ضاهر اغا صديق ابيك !

وتناسى الحارس مهمته واسرع الى باب السجن يصافح الامير جعفر ويقول : سلام على اخي الحبيب !...

وكان صادقاً في عاطفته، فهو لا يزال يذكر ان للامير فضلاً على ابيه، فانقذه من غضب والي دمشق الطامع في قتله ، وانزله في قصر بيت الدين ضيفاً عزيزاً مكرماً الى ان جاءه بالعفو من والي دمشق

وروى الحارس للامير جعفر ما اتفق لابيه في حمى الامير بشير وقال : ان فضل ابيك على والدي لهو فضل يغمرني كما يغمر ابي ، ومن الواجب علي ان اهتم بوفائه !

فطرب الامير جعفر لهذا الاتفاق غير المنتظر ، وسأل الحارس قائلاً : وما اسم اخي ؟

قال : عزيز أغا !

— انعم واكرم . هل يدري عزيز اغا ما هو موقف الجيشين المتحاربين ؟

قال : ان عبدالله باشا كاد ييأس من النتيجة . ولكن الرجل عظيم الدهاء . فبينما هو ييأس اذا بك تراه في زهو وارتياح . فهو اشبه بالسنبلة تأتيها العاصفة فتلويها ولكن لا تقصفها . وهب كان على يقين بان ابراهيم باشا هو الفائز فمن المحال ان يستسلم اليه !

— وما هو موقفه الان ؟

— ان رجال ابراهيم باشا عادوا فدخلوا اسوار المدينة غير اني اخشى عليهم من مكيدة تذهب بهم وهم لا يدرون ، وعبد الله باشا عليم خبير بهذه المكايد الخفية الهائلة !.

— اني اسمع مدافع البحر تصب على هذه القلعة !

— هو ما تقول ، ولكن دخول القلعة امر صعب جداً !

— وهل ابقى طول حياتي في هذا السجن ؟

فاطرق عزيز اغا هنيهة ثم قال : أترغب في الخلاص السريع ؟

فاجاب : ولماذا لا ارغب فيه ان يكن ذلك في الامكان ؟

فلم ينبس عزيز اغا بكلمة ، وبدا عليه التفكير العميق ، فاخذ يروح ويجيء في الدهليز الطويل الممتد امام السجن وهو يقول في نفسه : أأنقذه وأفر واياه الى معسكر ابراهيم باشا ، ولكن ماذا ترى رفاقي يقولون عني، ألا ينعتونني بالخيانة ؟...

وكان يروعه ان يقال عنه انه خائن وهو الذي قضى في الجيش حياة شريفة نقية ، واخذ ينظر بامعان الى فضل الامير بشير على ابيه والى كلمات ابيه وهو يصعد انفاسه ، وقارن بينها وبين شذوذه عن الواجب الى ان انتهى به التفاضل للقول : يجب ان اعمل بوصية ابي !...

ولقد قال له ابوه وهو على سرير الموت : ان الامير بشيراً صاحب فضل عميم علينا يا بنيَّ، ولقد عجزت عن الوفاء في ابان حياتي ؛ فاياك وان تعجز عنه انت وامامك العمر الطويل !..

والآن وقد سنحت الفرصة للوفاء أترى عزيز اغا يفلتها من يديه ؟ ...

— ٥ —

قلق الأمير بشير لغياب ابنه جعفر

فبحث عنه ، فلم يجده . فارسل رجاله يفتشون ويبحثون فلم يقفوا للشاب على اثر

وخاف الامير ان يكون الفتى سقط في اثناء المعركة قتيلاً . ولكن لا . فقد ابصره بام عينه يجتاز الصفوف كالاسد الغضوب ومهنده في يمينه

فاين هو اذا ؟.. أأسره عبدالله باشا ؟

فوضع الامير جائزة سنية لمن يأتيه بابنه جعفر ، وكان يقول في نفسه : انه اعز عليَّ من ابنائي، فاذا وقع في الاسر او ذهب ضحية القتال فمن لي بان يكفكف دموع امه، بل من لي بان ينقذني من عويلها وبكائها واعناتها ؟...

وامتطى جواده وراح بنفسه يبحث عن الفتى في سائر خطوط القتال . وساءه ان لا يسمع عنه خبراً لا في صفوف المصريين ولا اللبنانيين . وقضى ليلته ساهراً مضطرباً، وتناقلت الالسن ان ابن الامير بشير مفقود وان من يعثر عليه له مكافأة ذات شأن !

والجنود المصرية كانت تهيم بالمال ، فقام اكثرها للتفتيش عن ابن الامير . .
ولكن بدون جدوى ! . . .

* * *

تألقت مصابيح الليل في الفضاء الاربد
وسكنت المدافع عن قذف احشائها الثائرة الحمراء
وغرقت ابراج مدينة عكا في سبات عميق ، فالجنود ادركهم التعب فناموا ؛ وظل الحراس مستيقظين يتناوبون السهر والاشراف على حركات العدو
والعدو نام ايضاً ، فان قوات ابراهيم باشا بذلت مجهوداً كبيراً لدخول مدينة عكا وتطويق برجها الاكبر . فملكها العياء ، واستسلمت للرقاد
ولم يستفق جيداً في ذلك الليل الهادي ، غير رجلين اثنين في دهاليز البرج ؛ احدهما عزيز اغا والآخر ابن الامير بشير
فقال عزيز اغا : أيكون حضرة الامير على استعداد ؟
— على استعداد لماذا ايها الاخ الغيور ؟
— على استعداد للهرب . فاني مهدت لك سبل الفرار وسأكون رفيقك فيه !
وعمد الي كيس فاخرج منه ثوب حارس من حراس عبدالله باشا وقال للامير جعفر : اليك بهذا الثوب فالبسه !
واعطاه سيفاً بسيطاً وهو يقول : تقلد هذا السيف واتبعني !
واجتازا الدهليز ، فهمس عزيز اغا في اذن الامير قائلاً : اذا سألوك من انت قل لهم انك من حراس السجون !
وصعدا الى البرج ، وفتشا منه عن باب يطل الى البحر حيث يربض الاسطول المصري ، ولما بلغا ما ينشدان اذا باحد الحراس يصيح : من المار ؟
فاجاب عزيز اغا : صديقان !
— كلمة السر ؟
— النصر او الموت !
= اذهبا بسلام !
فاتجها الى الشاطي ، يحاذران ان يشعر جنود عبد الله باشا بهما ، ورمى كل منهما بنفسه الى الماء وراحا يغالبان الامواج لادراك الاسطول المصري ، ولكن هل يعتقد

رجال الاسطول انهما من الانصار ولا يؤذونهما ؟ . . .

ذلك مما كان يفكر به الامير جعفر وعزيز اغا ؛ حتى ان عزيز اغا خشي ان يبصرهما رجال الاسطول ويباغتوهما باطلاق النار

واوشكا ان يقتربا من السفن الحربية . فرفع عزيز اغا منديلاً ابيض في يده واخذ يصيح : اغيثونا ! . . .

فاقبل البحريون المصريون لنجدته فقال : بل اذهبوا وانجدوا ابن الامير بشير ثم تعالوا وانقذوني ! . . .

فرفعوه الى ظهر السفينة لا يحفلون باقواله ، وبعد هنيهة كانوا يحملون اليه رفيقه ولم يصدقوا ان ابن الامير بشير يلتقي في ذلك الليل بنفسه في الماء الوصول اليهم . وضحكوا من عزيز اغا لما سمعوه يدعوهم لانقاذ الفتى الشهابي ، ولكنهم ما ابصروا الشاب حتى ايقنوا بانهم امام النبل المجسم

وجاء ربان السفينة يسأل عما جرى ، فاخبروه ، وزادوا فقالوا : ان احد الرجلين امير من الامراء الشهابيين !

فشاء الربان ان يستطلع امر هذين الضيفين ، فدعاهما اليه ، ولما مثلا امامه قال لعزيز اغا : من اين انتما قادمان ؟

فقال : من قلعة عبدالله باشا يامولاي !

— من قلعة عبدالله باشا ؟ . . . اذاً انتما من رجاله !

— لا ، بل نحن من اعدائه ، فان رفيقي كان في القلعة اسيراً وانا كنت حارس سجنه ، غير اني ما علمت انه ابن الامير الشهابي حتى رأيتني مدفوعاً لانقاذه بعاطفة عرفان الجميل

وروى عزيز اغا لربان السفينة ما كان من امر ابيه في قصر الامير ، واي عطف لقيه واي فضل للامير عليه ؛ وقال : ان عظام ابي ترقد الان بسلام ، فلقد نفذت وصيته بحروفها ! . . .

ولم يكن الربان في حاجة لالقاء الاسئلة على الامير جعفر ، فان ملامح الفتى كانت خير دليل على اصله الطيب الشريف ، وجل ما خاطبه به قوله : في وسع حضرة الامير ان يبيت ليلته عندنا وفي الصباح نرسل الى ابيه من يعلمه بوجود ابنه هنا !

وما طلع الصباح حتى كان زورق يتهادى فوق سطح الماء قاصداً حيفا . ولما اقترب

من الشواطي، وثب منه احد ضباط البحر يحمل بيده كتاباً لابراهيم باشا . والكتاب يقول انهم عثروا ليلاً على الامير جعفر ابن الاميربشير، فقد فرَّ من قلعة عكا حيث اسره عبدالله باشا واستنجد برجال الاسطول. وجاء في الكتاب ايضاً ان احد حرس القلعة فرَّ بصحبة الامير

فقال ابراهيم باشا للضابط حامل الكتاب : ليأتوني سريعاً بالرجلين !

ودعا اليه الاميربشيراً وعرض عليه الكتاب، فصاح الشهابي : ولدي .. حبيبي!.

وكان رجال البحر قد حملوا الامير جعفر وعزيز اغا الى ابراهيم باشا؛ فما ابصر الشهابي ابنه حتى مال اليه يعانقه ويقول : ولدي ... ولدي !...

فقال الامير جعفر : بل عانق هذا الشهم الباسل يا ابي !...

واشار الى عزيز اغا وسرد لابيه ولابراهيم باشا ما كان من موقف الحارس نحوه وما بذله من المساعي لانقاذه ، فمد الامير يده الى عزيز اغا قائلاً : اني لشاكر لك حسن صنيعك ؛ وثق باني لن انساه !

فقال عزيز اغا : ان فضلك اسبق يامولاي الامير !

وقص عليه حكاية ابيه ضاهر اغا الجركسي ، فقال الامير : أأنت ابن ضاهر اغا؟

قال : نعم يامولاي!

فألقى الامير يده على كتف عزيز اغا وقال : من شابه اباه فما اظلم يا بنيَّ ؛ فان اباك صديق لنا حميم وله الافضال الجمة علينا !

قال : بل الفضل فضلكم ياسيدي الامير !

وسأله ابراهيم باشا القائد المصري الاكبر عن حالة عبدالله باشا وما لديه من قوات وجيوش

فقال عزيز اغا : اطال الله عمر مولاي؛ جئتكم لوفاء جميل، ترزح تحته ذمة ابي لا للقيام بمهمة الجاسوس !

فألح عليه ابراهيم باشا في اطلاعه على الحالة في قلعة عكا ، فرفض عزيز اغا كل الرفض ، فاكبر فيه ابن محمد علي هذه الشهامة وقال : هكذا ، هكذا لتكن الرجال !...

وعلى الفور اعطى اوامره بان يتولى عزيز اغا رتبة ضابط في الجيش المصري جزاء لشهامته وعلو همته وعزة نفسه

- ٦ -

لم تكن الحملة التي جهزها محمد علي تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا لاحتلال سوريا ولبنان لتقل في عددها عن ثلاثين الفاً

وهذه الالوف حاصرت باجمعها اسوار عكا تشد ازرها المدافع العديدة وسبع عشرة سفينة بحرية

وقد اهتم محمد علي كل هذا الاهتمام بمحاصرة عكا ليقينه بانها مفتاح سوريا ولبنان بل مفتاح آسيا الصغرى

وعكا لا تؤخذ · وازدادت شهرة في مناعتها على اثر ارتداد بونابرت عنها ·وهذه الشهرة ، بل هذا الاعتقاد بانها منيعة صعبة المنال حمل عبدالله باشا على الاعتصام بهاهازئاً بمهاجميه ساخراً

فان عبدالله باشا تحصن مرتين متواليتين في قلعة عكا وهو يحارب الدولة العثمانية ويجاهر بعصيان اوامرها ، وفي المرتين المتواليتين كان الفوز حليفه ، فان الجيش العثماني اندحر امام القلعة في كل مرة حاول مهاجمتها

ولقد حسب عبدالله باشا ان نصيب المصريين في مناوأته وهو معتصم بالقلعة ان يقل عن نصيب العثمانيين ، فتبوء جموعهم بالخذلان وتدور عليهم الدائرة

وكانت له ثقة مطلقة باخلاص رجاله له · وقد ظهر هذا الاخلاص في الايام الاولى من الحصار · فان رجال عبدالله باشا كانوا يهاجمون القوات المصرية ويردونها خاسرة مقهورة

واطلقت السفن الحربية مدافعها على القلعة فاجابتها مدافع القلعة بالمثل واحدثت فيها المضار الجسيمة

فايقن ابراهيم باشا بان الاستيلاء على القلعة في يوم او يومين لهو الامر المحال ، ولذلك اوفد بعض قواته الى صور وصيدا وطرابلس يحتلونها ، واوفد الى القدس قوة لاحتلالها ايضاً ، وكل مقصده ان يطوق عبدالله باشا في حلقة لا مناص له عن الافلات منها

ولم يبق لديه بعد تحقيق هذه الخطة غير عشرين الف مقاتل ، فدفعهم الى الهجوم على القلعة والى المثابرة في اطلاق النار عليها الى ان تعلن خضوعها . وظلت المدافع المصرية تصب اياماً متوالية على القلعة وعبدالله باشا راسخ القدم فيها لا يعلن خضوعه ولا يطيق ان يتحدثوا اليه من هذا الخضوع

فهو كان ينتظر من الدولة العثمانية ان تنجده ؟ والدولة العثمانية فكرت بنجدته

وشاءت بادىء بدء ان تتمشى على سياسة اللين، فارسلت الى محمد علي تفاوضه بوجوب الكف عن محاربة عبدالله باشا وتقطع له عهداً بانها تقف موقف العدو من كل من يفكر باقلاقه، على ان محمد علي اخذ يماطل في تلك المفاوضات ويوفد النجدة تلو النجدة الى ابنه ابراهيم وينشط به لاحتلال عكا في العاجل القريب

وابدى في مفاوضته والدولة العثمانيــة صلابة دلت على انه يكره المفاوضات ، بل هو طلب من الدولة العثمانية ان يشمل حكمه ولايتي صيدا ودمشق ، فابت عليه حكومة الاستانة هذا الطلب وهددته بالقتل ، فلم يحفل بالتهديد وكتب لابنه ابراهيم باشا يقول : اياك والتقهقر ، كن بطلاً ! ...

وابراهيم باشا مهاب وقور ، يكفي ان يُلفظ اسمه ليتقهقر عدوه . فكان وجوده في المعركة ينزل الرعب في قلوب محاربيه

وقد دل في المعارك التي خاضها على انه ذلك القائد المحنك البطل . فهو لم يحارب عبدالله باشا فحسب بل حارب معه الدولة العثمانية التي قذفته بفيالقها من الشمال والشرق، ووقف بوجه هذه الفيالق يرديها بعضها اثر بعض . فبينا يكون بعكا اذا به في طرابلس او في بعلبك او في دير القمر بل في كل مكان يقتضي وجوده

وترك عبدالله باشا تحت رحمة الحصار ، ودعا الامير بشيراً للرجوع الى قصره في بيت الدين واكتفى منه بان يوفد فئة من رجاله الى طرابلس لمقاتلة القوات العثمانية فيها، فلبى الامير الشهابي نداءه وارسل ابنه الامير خليلاً على رأس الف فارس يقاتلون الحاكم التركي عثمان باشا اللبيب

وبلغ ابراهيم باشا وهو في بعلبك ان فريقاً من اللبنانيين ينظمون صفوفهم لايقاد نار الفتنة ومناصرة الدولة العثمانية، فقام ببعض قواته الى دير القمر وتهدد وتوعد واخذ الرهائن والاسرى واحرق ديار من حاول اثارة القلاقل والاضطراب

وأعجب شديد الاعجاب بالامير جعفر فقربه اليــه واصطحبه في غدواته وروحاته واجرى عليه خيراً سنياً

وقال له ذات يوم : قل لي يا جعفر ، ماذا تشتهي ؟

فقال : اطال الله عمر سيدي الباشا ماذا تراني اشتهي فوق ما نلت ؟ .

— أليس لك امنية تود قضاءها ؟

فحار الامير جعفر في ما يطلب ، وتراءى له ان يتحدث للباشا عن عزيز اغا فقال:

ليت سيدي صاحب الدولة يأمر صديقنا عزيز اغا بان يقضي بيننا بضعة ايام !

فضحك ابراهيم باشا وقال : أهذا كل ما ترجو ؟

قال : ان سيدي جعلني في غنى عن كل مطلب !

— أتكتفي مني بوجود عزيز اغا الى قربك ؟

— اجل يا صاحب الدولة !

— اذن سادعو عزيز اغا للبقاء هنا اياماً طويلة ، كن قرير العين يا جعفر !

وبعد زمن قليل كان عزيز اغا يتولى قيادة الجيش المصري النازل في دير القمر ، وكل ذلك اكراماً للامير جعفر الذي شاء ان يكون منقذه على مقربة منه لوفائه بعض فضله عليه

— ٧ —

وكان يوم السباق في ميدان قصر الامير

واصطفت الجياد العربية المطهمة تملأ الجو بصهيلها وتضرب الارض بجوافرها فيتطاير من تحتها الشرر وتتناثر الحصى

ووقف الامير بشير عند باب قصره ينظر الى الفرسان يجولون جولاتهم في المضمار كأنهم وميض البرق

واعتلى الامير جعفر متن جواده الادهم وصاح باخوانه الفرسان : نحن لها ! . . .

واطلق للجواد عنانه فجن جنونه ووثب من اعلى حائط الميدان الى حدائق القصر ، فهاج القوم وماجوا وصاحوا : الله ، الله ! . . .

وتراكضوا الى الامير الشاب ينقذونه فابصروه قد تدحرج عن ظهر جواده واسرعت اليه فتاة كانت تتنزه في الحدائق فاسندت رأسه على ركبتها ونادت بمن حولها : هاتوا لي قليلاً من الماء ! . . .

فجاءوها بما طلبت ، فغسلت وجه الامير وهي تقول : اسرعوا بالطبيب ! . . .

فالامير جعفر كان قد اصيب بجرح في خاصرته على اثر السقطة ؛ فاقبل الطبيب وحمل الشاب الى القصر ليعتني به ويداويه

ولم يهتم الامير جعفر مطلقاً بجرحه في خلال المدة التي قضاها طريح الفراش

فكان همه الاوحد التفكير بالفتاة التي اسرعت اليه لدى جنوح الجواد به الى خارج الميدان

وتساءل من تكون الفتاة. فلقد فتنته بمحاسنها وخيل اليه انامتلاكها يمتلك السعادة والهنـاء.

وكانت امه تلحظ عليه انه عرضة للتفكير العميق ، فتسأله ما به فـلا يجيب. والحت في معرفة ما يقلقه فقال : ألم تبصري تلك الفتاة التي هبت لانقاذي يوم سقط بي الجواد في حديقة القصر ؟

فابتسمت الام وقالت : بلى ؛ اني اعرفها !

— ومن هي ؟...

— ولماذا السؤال عنها ؟ — اريد ان اعرف من هي !

— هي ابنة الامير محمود القائم بشؤون بيت المال في دير القمر

فسكت الشاب على اثر هذا التصريح .وادركت امه ما يريد من سؤاله ،وكانت تعرف حق المعرفة ان الفتاة سامية الاخلاق تليق بابنها ؛ فقالت : اخبرني يا جعفر، أتريد الفتاة للزواج ؟...

فلم يجب ، قالت : اصدقني الخبر يا ولدي !

فقال : نعم اريدها ، فالطبيب ابلغني اني شفيت من جراحي وان في وسعي منذ الغد الذهاب انى اشاء، ولذلك اطلب منك ان ترافقيني في زيارتي لدار الامير محمود !

وفي صباح اليوم التالي كان جعفر وامه يقومان بتلك الزيارة ، فاستقبلها الامـير محمود بوجه باش ؛ واطربه ان يكون جعفر قد شفي من جراحه ، فقال جعفر : الفضل الاكبر لابنتك يا سيدي ، فلولا اسراعها الى معونتي لنضب دمي !

واقبلت ليلى ابنة الامير محمود تسلم على جعفر وامه وتبدي سرورها لشفائه ، فقال لها جعفر : لك علي الفضل العميم ايتها الآنسة ، فلولا غيرتك لكنت الان في عالم الاموات!

وفي اثناء الحديث كان جعفر يسدد نظراته الى الفتاة سراً ، وماان يصطدم النظران حتى يعتري الشاب والفتاة اضطراب شديد . فقد احس كل منهما بان رفيقه يحبه ويهواه وبان هذا الحب سينتهي الى الزواج

وكانت ام جعفر تتلفظ من حين الى آخر بكلمات ادركت ليلى معناها ولم يبق من ريب لديها في ان الشاب سيخطبها في اقرب وقت من ابيها ، فسرها ذلك واطربها وبدا لها انها نالت المنى

وبعد ايام قلائل دخلت ام جعفر دار الامير محمود تقول : اين حضرة الامير ،اني

اريد مقابلته على حدة !

واختلت به في قاعة الدار وبدأت الحديث بقولها : لي كلمة اريد ان ألقيها على مسمع ابن عمي ولا اظنه يردني خائبة !

فقال : كل ما نستطيعه نفعله لاجلك يا ام جعفر !

قالت : اريد ليلى لابني !

فنظراليها الامير محمود باسف وقال: يسوءني ان تكوني طلبت مني ما لااستطيع!

فدهشت ؛ بل غاظها ان تلقى مثل هذا الجواب ، وخيل اليها ان الامير محموداً يترفع عن تزويج ابنته امثال الامير جعفر وقالت بشيء من الغضب: وكيف لاتستطيع؟

— لاني وعدت بابنتي رجلاً آخر ؛ ولولا ذلك الوعد لكان جعفر افضل من نختاره لليلى !

وعبثاً حاولت ام جعفر ان تميل بالامير عن وعده ، فما كان ليميل ، وكان جوابه الاوحد : على الحر انجاز ما وعد به !

وحملت الام الى ابنها الخبر المؤلم ، فكاد صواب جعفر يطير ، واسرع من فوره الى منزل الامير محمود يستوضحه النبأ ، فقال له والد الفتاة : لي الشرف العظيم ان اعقد لك على ابنتي يا جعفر ، ولكنك وانت رجل هل ترى من الرجولة في شيء ان انكث بوعدي ؟ . . .

فقال جعفر : ومن هو ذاك الذي وعدته بليلى ؟

— هو عزيز اغا قائد الجيش المصري في دير القمر !

— عزيز اغا؟ . . ولكنه صديقي الحميم . . . لا بأس لتكن ليلى له ، فاني مدين له بالحياة ، وليس بالكثير فيه ان اضحي لاجله بقلبي ! . . .

وبينما الامير جعفر يفوه بكلماته هذه دخل عزيز اغا ، فلما ابصر صديقه جعفر اقبل عليه يعانقه ويقول : الحمدلله على شفائك . . . قل لي هل من حاجة لك عند الامير محمود ؟ . . .

فابتسم جعفر وقال : الحاجة التي تريدها سبقتنا اليها ايها الصديق ، فهنيئاً لك بها !

فصاح عزيز اغا : واي حاجة هي هذه لاتخلى لك عنها ؟

فروى الامير محمود لعزيز اغا كل ما جرى وقال : ولكن الامير جعفر ما درى باني وعدتك بليلى حتى بارك لك فيها !

فقال جعفر : وارجو ان يكون الاحتفال بالزواج بعد غد ، فانه لمن السرور الاكبر لي ان يتزوج احدى الشهابيات من هو اعزّ عليّ من اخي ! ...

واستعدوا لحفلة الزواج ، وانتشر الخبر بين الامراء الشهابيين فتوافدوا وبايديهم الهدايا الغالية النفيسة ، وجاء الامير جعفر بخاتم من الماس لا تقل قيمته عن خمسماية ليرة عثمانية يود ان يقدمه لعزيز اغا . وفي الساعة المعينة دخل عزيز اغا باسم الثغر فهتفوا له قائلين : جئت في الموعد !

وامسكوا بيده ليعقدوا له على الاميرة ليلى فضحك بملء شدقيه وقال : لا يليق بالاميرة غير الامير !

والتفت الى جعفر وهو يقول : لن اجملك اكثر مني اخلاصاً ؛ فها اني اقدم لك الاميرة ليلى عن قلب نقي سليم ، فلتهنأ بها ولتهنأ هي بك !

فقال جعفر : هذا محال !

فقال عزيز اغا : ولكني تزوجت نهار امس فتاة من دير القمر كي اسد عليك كل طريق فلا ترفض طلبي اذا تخليت لك عن ليلى !

فاكبر الحاضرون هذه التضحية وصاحوا : ليحي عزيز اغا ! ...

فقال عزيز اغا : وليحي الامير جعفر !

وامسك بالشاب والفتاة ووضع يد كل منهما بيد الاخر ، وقال : لنحتفل الان بعقد الزواج !

فلم يدر جعفر كيف يشكر صديقه لهذه التضحية الكبرى ، وكان يقول له : اصبحت عاجزاً عن مكافأتك ايها الخل العظيم الوفاء !...

وتم الاحتفال بعقد زواج جعفر على ليلى بين الزغردة والهتاف واطلاق النار، وكان العرس نادر المثيل ، وجاء في وسط هذه الافراح رسول يقول : «سقطت قلعة عكا» فتعالت الاصوات : «لنا البشرى ! ... لنا البشرى !...»

وكان الطرب مزدوجاً ، والابتهاج يفوق حد الوصف ! ...

تمت

العدد الثامن والثمانون
السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع
في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## فلسطين الشهيدة

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١٢ ايلول سنة ١٩٢٩

# فلسطين الشهيدة



وابن عصبة الامم منها ؟ اين ؟ ...

في عصبة الامم دول معدودة ، ولكن في فلسطين العالم باسره ! ...

واي جنس من اجناس الشعوب تطلبه في فلسطين ولا تجده ، واي دولة لا تملك ثمة الرعايا ، بل اي قبيلة او عشيرة ليس لها في فلسطين بطون وافخاذ ؟؟؟

وخصوصاً في القدس ، القدس الشريف ، اورشليم ؛ مدينة الانبياء والرسل ، مدينة القلانس والعمائم ، مدينة الجلابيب السود ، مدينة الاديان ؛ واي دين لا نصيب له فيها ، فهي برج بابل واعظم من برج بابل ، هي برج بابل في لغاتها وسكانها وازيائها وكهانها ومبانيها واديانها

وهذا هو الخليط ، بل ذلك هو البلد النغل ، فمن لاتين الى ارثوذكس الى موارنة الى سريان الى ارمن الى روم كاثوليك ؛ ومن سنيين الى شيعيين الى دروز الى اسماعيليين الى بهائيين ، ومن يهود الى تتر الى نور الى انكشاريين وبوذيين وعباد الشمس والنار

ولو اتحد هذا الشمل المتضعضع لهانت البلية ، ولكن انى لهم ان يتحدوا والكاهن والشيخ والحاخام — وهم من الشقاق الديني يعيشون — يأبون عليهم ان يتحدوا ، ولو ان كل هؤلاء بدين وطني واحد ونادوا بقومية واحدة لزال بعض الشر ، غير ان كلا منهم ينادي بقومية وبدولة وبوطن ، فالعربي ينادي بالوحدة العربية ؛ واليهودي بالمملكة الاسرائيلية ، والانكليزي يريد انكلترا ، والاميركي اميركا ، والبولوني بولونيا ، وهكذا دواليك ! ...

وجاءوهم بالوطن القومي الصهيوني ، بوعد بلفور ، فثارت القلاقل وتنامت الخطب ، وانه لمن النكبة النكباء ان يذل شعب ناصيته لفئة دونه عدداً وشأناً ، انه لمن اروع الكوارث وادهى الملمات ان ينقلب السيد الى مسود ، فيطأطيء الرأس لقوم كانوا بالامس يستظلون بظله ويرجون منه الحلم والعطف ورحابة الصدر

و كيف يتحكم مئة الف بستمائة الف ؟ ... ذلك مما لا يتفق لسوى الفاتحين ، والصهيونيون ما كانوا فاتحين في ارض الميعاد ، ان هم الا حفنة من الخلق نثرتها اكف السياسة الانكليزية في فلسطين وقالت لها : «انت صاحبة الامر والسلطان ! ...» فذابت تلك الحفنة بين المجموع العربي العجاج ولم يظهر اثر لها ، ولكن الانكليز ابوا الا ان يقيموا لها وزناً ويعهدوا اليها بشؤون البلاد فما افلحوا ، وقد يكونون هم الذين شاءوا ان لا يفلحوا ، فافضت سياستهم الى اضرام نار الفتن في بلد حكم عليه القدر بان يظل ابداً ملعباً للفتن والاضطرابات

ولقد ترددت هذه الافكار طويلاً في دماغ الشيخ اسماعيل الكوفي . فكان يسوق حماره وهو قاصد الى حقله يحرثه ويتساءل قائلاً : اي شريعة تجيز لذلك الصهيوني ان يتولى امري ويحكم عليّ وعلى عيالي وكان امهد قريب مضى يستجير بي ويستغيث ويرجو مني ان احميه وارد عنه صروف الحدثان ؟ ...

والشيخ اسماعيل الكوفي من اغنياء الفلاحين في القدس . ورث مزارعه الكبيرة عن ابيه ، وابوه ورثها عن جده ، وجده عن الجد الاكبر ؛ اي ان آل الكوفي مع كل غناهم وثروتهم لم يهجروا الحقل والمحراث ، فراحوا يشقون الارض منذ اقاموا في القدس على عهد صلاح الدين الايوبي ، واستمروا في شقها وحراثتها وهي تدر لهم الخيرات المتكاثرة عاماً عن عام

ولو شاء الشيخ اسماعيل الكوفي لكان من كبار زعماء السياسة في البلد الفلسطيني ، غير انه توفر على الارض والمحراث مكتفياً بهما

وللشيخ اسماعيل ثلاثة اولاد هم : سعد وسعيد وفتنه ، ولقد نشأ الثلاثة على تربية عالية ؛ فاتقنوا العلوم في مدارس الافرنج ؛ ورأي الوالد ان يدرس ولداه فن الزراعة ليهتما بحرثة ارضه ففعلا ، واما فتنه فلم تبرح المنزل منذ نالت شهادتها المدرسية، فاقامت الى قرب والديها تساعد امها في شؤون البيت وترافق صديقاتها الى نزهة في ضواحي بيت المقدس ، فسرّ بها ابوها لهدوئها ورجاحة عقلها وكان لدى رجوعه في كل مساء الى المنزل يدعوها اليه ويتلذذ بحديثها العذب اللطيف ، فيقول لها : والى اين ذهبت اليوم يا فتنه ، وماذا رأيت في المدينة وماذا شاقك منها ؟ ...

فاذا اظهرت له ميلها الى ثوب جديد او الى اكلة طيبة قام من فوره في صباح اليوم التالي يأتيها بما اشتهت ، وكثيراً ما تقول له امرأته : «اراك تؤثر فتنه على سعد وسعيد!»

فيجيبها : ان امام سعد وسعيد المستقبل الزاهر اما فتنه فقد يتزوجها من يجور عليها فلتتنعم عندنا ان يكن الشقاء نصيبها عند سوانا ! ...

وذات ليلة جاء الشيخ اسماعيل الكوفي غاضباً ناقماً،فاسرعت فتنه للقائه وهي تقول: ما بالك مقطب الجبين يا ابي ؟

فقال وهو في غيظ مقعد مقيم : ان هؤلاء الصهيونيين شتموني واهانوني وهددوني بالقتل اذا امتنعت عن بيعهم حقولي ومزارعي ، فهم يريدون ان يسلبوا مني تراث ابائي واجدادي والا قتلوني !

ولم يكن الشيخ اسماعيل الكوفي مبالغاً في ما قال ؛ فان نفراً من الصهيونيين عرضوا عليه الاموال الطائلة في سبيل شراء املاكه ومزارعه فابى ، فزادوا له المبلغ فاصر على الرفض ، فقاموا اخيراً يهددونه بالقتل اذا هو تشبث برفضه

وهذا التهديد اثار غضب الشيخ اسماعيل ، فهو منذ ابصر النور لم يسمع ولا رأى يهودياً يهدد مسلماً بالقتل ، فالمسلم سيد فلسطين منذ عهد ابن الخطاب ، وما كانت الحملات الصليبية لتقصيه عن تلك البقعة المقدسة مع كل ما اضرم الصليبيون من حروب وشنواء من غارات وربحوا من معارك وسفكوا من دماء

فقالت فتنه : وبماذا اجبتهم يا ابي ؟

قال :هددوني فهددتهم ؛ ولقد صحت بهم ان الذي جاء بهم من اطراف الكون الى هذا البلد المقدس لا يقوى على اغتصابي املاكي . واخذت ألعنهم وألعن ساعة عرفناهم فيها وألعن كل من ساعد على ابعاد الاتراك عنا ، فالصلاة والسلام على الحكم العثماني يا بنية ! ...

وكان ذلك الشيخ الوقور يبكي لشدة تأثره وامتعاضه ، وشاطرته ابنته آلامه فقالت : لا تجزع يا ابي ، فالحكومة لا تنام عن هؤلاء الكفار ! ...

فرمى الشيخ اسماعيل الكوفي عمامته عن رأسه وصاح : الحكومة ؟ ...ولكنها منهم وفيهم ، فهي التي تنشط بهم لاحراجنا ومناوأتنا ، وهي التي تدفعهم لشراء املاكنا ومزارعنا ، فكأنها امهم الحنون وكأنهم ابناؤها الابرار !

ورفع قبضة يده مهدداً وهو يقول : لا ، ان فلسطين لنا وستبقى لنا ، وحق عمر بن الخطاب، وحق صلاح الدين،ساحمل بنفسي السلاح لمقاتلة اولئك الدخلاء المتغطرسين وان اكن في الستين من عمري ، ساقاتلهم حتى الرمق الاخير ولو اضطررت الى ان

اضحيَ بسعد وسعيد وبك انت يا فتنه ، فمتى متى كان يجروء الغريب على الاستبداد بنا ، وهل نسي اليهود كم دافعنا عنهم واغثناهم ورددنا كل اذى عن رجالهم ونسائهم واطفالهم ؟ ... والله ، والنبي ، لاضرمنها عليهم حرباً ضروساً ! ..

وعادت الى ذلك الشيخ قواه ؛ وانتصبت قامته ، ولمع العزم في عينيه ، ونظرت اليه فتنه قائلة : خفف عنك يا ابي ! ...

فقد خافت ان يبلغ التأثر بذلك الشيخ مبلغه القصي فيرميه بداء أليم ، ولكن اسماعيل الكوفي لم يرتدع فظل ناقماً غاضباً يقطر منه الالم والنفور ، ولما استوى على مقعده ادار وجهه الى دار الاعتماد البريطانية القريبة من منزله وتمتم قائلاً : وانتم ايها الانكليز متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ؟ ...

— ٢ —

وتوافد الصهيونيون على فلسطين

فكل باخرة ترسو في الشواطىء الفلسطينية تحمل منهم المئات

فان استعادة ارض الميعاد اضحت لديهم عقيدة مقدسة يغذونها بالمال والارواح

وعبثاً اظهروا لهم المخاطر التي يستهدفون لها في نزولهم بارض جمعت شعائر اديان عديدة ، وعبثاً اوضحوا لهم عجزهم عن تأليف القوة الغالبة في بلد يزيد عليهم بعدد سكانه من مسلمين ومسيحيين ستة اضعاف؛ فما كانوا ليقنعوا ، فقد خيل اليهم ان في وسعهم وبمساعدة الحراب الانكليزية وبثرواتهم الطائلة ان يعيدوا عهد سليمان ويشيدوا هيكل اورشليم ويوطدوا اركان المملكة الاسرائيلية ؛ فاقبلت جموعهم من كل حدب وصوب نساء ورجالاً واطفالاً يبنون المساكن في ارض « ابائهم واجدادهم » ويشترون املاك الوطنيين بالثمن الباهظ ، وراحت البنات يزاحمن الشبان ويمشين في طليعتهم ينادينهم لبناء [illegible]كة اسرائيل . بل هن شمرن عن سواعدهن واشتغلن في البناء ولم يرحمن اناملهن اللدنة الخضيبة ولا بشرتهن الرقيقة البيضاء .

فان انشاء الوطن القومي الصهيوني كان لدى هؤلاء الاقوام عقيدة سامية راسخة، غير انهم وجدوا دون الوصول الى هدفهم اهوالاً ورأوا ان الوطنيين لا تغمز لهم قناة فالبلاد بلادهم ولا شأن للغرباء فيها

على ان هذا المنطق لم يفت في عضد دعاة الوطن الصهيوني ، فقاموا يحرجون الوطنيين ويهددونهم ، وكان الشيخ اسماعيل الكوفي من هؤلاء الذين شملهم التهذيد

فلم يحفل اسماعيل الكوفي بما سمع من الكلام القاسي وعاد في اليوم التالي على ظهر حماره الابيض الى حقوله ومزارعه لا يحسب حساباً لمهدديه ، غير انه ما بلغ تلك الحقول حتى هجم عليه نفر من الصهيونيين فلكموه وضربوه ومزقوا عباءته ورموا الى الارض بعمامته ونعتوه باقبح النعوت لا يحترمون شيخوخته ولا وقاره . فارغى وازبد وانقض على احد اولئك المعتدين يضربه بعصاه فادماه ؛ ولما ابصر الصهيونيون الدم يسيل من رفيقهم طرحوا اسماعيل الكوفي تحت اقدامهم وهشموا رأسه وتركوه جثة تكاد الروح تنسل منها

وبلغ الخبر مزارعيه فهاجوا وماجوا واقتفوا آثار الصهيونيين الا ان هؤلاء كانوا قد فروا وابصر المزارعون صهيونياً في طريقهم فضربوه واشبعوه لطماً وصفعاً ؛ وما انفكوا عنه الا وقد لفظ انفاسه

وانتشر خبر الحادثتين في القدس فغضب العرب ؛ وهدد الصهيونيون وعربدوا ؛ وانهالوا بالشتائم على المسلمين والمسيحيين . وطرق مسامع سعد وسعيد ولدي الشيخ اسماعيل الكوفي ان اباهما ذهب ضحية الصهيونيين فغلى الدم في عروقهما وهبا الى ابيهما يتثبتان مما حل به ، فاذا هو يتمتع بالحياة ولكن جراحه تقضي عليه بملازمة الفراش طويلاً

وكانت نار الخصام قد تأججت في القدس مع كل ما اتخذته الحكومة من حيطة . فمشى المسلمون والمسيحيون في مظاهرة طلبوا فيها من رجال الحكم البريطاني ان يؤمنوهم على ارواحهم . وكان يتولى يومذاك الاحكام السير « هربرت صموئيل » المندوب السامي البريطاني اليهودي ، فوعدهم خيراً ولكنه لم يفعل شيئاً . ولعب الرصاص الصهيوني في اجساد الوطنيين فالهبها ونشبت المعركة الكبرى . واشتبك الفريقان . والقى الصهيونيون القنابل والمفرقعات على جمهور الوطنيين . وساعدهم عليهم الجند البريطاني . وقذفت المدافع الرشاشة احشاوها المضطرمة تصبها على العرب المغاوير وهم كالسهم الحاد لا يلوى لهم عنان . فافهموا الصهيونيين والانكليز انهم رجال الموقف وانهم اصحاب القوة والحق معاً وانجلت المعركة عن فوزهم المبين

بيد ان هذه المعركة اذا هدأت في شوارع القدس فهي لم تهدأ في الاحياء المترامية الاطراف . فالصهيونيون توغلوا في الاحياء الاسلامية والمسيحية يسبون ويشتمون ويطلقون النار على النوافذ ويقلقون النساء والاطفال . ومنهم من بلغت به القحة ان اقتحم

المنازل ينقض على العذارى في اخدارهن . فلم يطق العرب صبراً وعـادوا الى الفتك باولئك الغرباء دعاة القلق والفوضى فاذاقوهم الهوان . وهجم اثنان من الصهيونيين على منزل الشيخ اسماعيل الكوفي فاصطدما بابناء الشيخ الثلاثة : بفتنه وسعد وسعيد . فالفتاة وقد عزّ عليها ان يعدو الصهيونيون على ابيها عزمت على ان تنتقم له . ولما هاجم الصهيونيان دار ابيها مشت في طليعة اخويها اصد ذينك الاثيمين . وكان سعيد قد اطلق النار على احدهما فارداه . وقبض سعد على الآخر يريد ان ينزع منه سلاحه فما كان من الصهيوني الا ان طعنه بحربته فسقط سعد يئن من جراحه . وطار صواب فتنه لما ابصرت ما حلّ باخيها فتناولت مسدسه واطلقت النار في رأس الصهيوني فمات لساعته . واسرعت تنادي الطبيب ليضمد جراح اخيها . الا ان الطبيب مـا بلغ منزل آل الكوفي حتى كانت انفاس الجريح تفيض

فان سعداً مات مطعوناً بحربة الصهيوني . فجزعت القدس لسقوطه قتيلاً بلا اثم ولا حرج . ومشت باجمعها وراء نعشه كأنها في مظاهرة قومية . وعانق الصليب الهلال . وتكاتف الكاهن والشيخ . وخافت الحكومة ان يقع ما لا تحمد عقباه فطوقت ذلك الموكب الغاضب برجالها . وعلى الضريح خطب الشيخ وحضّ على الاتحـاد . وخطب الكاهن وحضّ على الاتحـاد . فكان الضريح اشبه بالمسجد يقسمون عليه اليمين الغموس بالتعاضد والتكاتف والاخلاص

والنساء ايضاً مشين في الموكب . وكان افجع رثاء قيل على ضريح سعد الكوفي رثاء شقيقته فتنه . فالخنساء بكت على اخيها صخر . على انها بكت بكاء الابطال قالت : يا اهل فلسطين . ان شهيدكم خالد حيّ . وكل بغيته من استشهاده ان يراكم كالبناء المرصوص امام الرزية . فلقد سفك دمه في سبيل اتحادكم . ويود بعد الآن ان لا يقوم في فلسطين احزاب وان لايعترض نهضتها أديان . فكلنا ابناء حزب واحد ودين واحد هو دين الوطنية والاتحاد . فلنعزز موقفنا . ولنثابر على مطلبنـا العادل الحق . ولنثأر لارواح شهدائنا وضحايانا ! . . .

فسرت كلمات الفتاة في نفوس القوم كالدم في شرايين العليل وقد استعاد الحيـاة والنشاط ، وعادوا في مظاهرة كبيرة الى شوارع القدس وهم ينادون الى الجهاد

وعلا الهتاف من كل شفة ولسان : الله اكبر ! . . . الله اكبر ! . . .

وبهذه المظاهرة الفخمة ؛ وبهذا الموكب الملتهب وحدة ووطنية دفنوا قتـلاهم ،

فالصليب تلألأ في الجوامع · والهلال بزغ في الكنائس · والكاهن خطب في مسجد المسلمين · والشيخ ردد آيات الكتاب في معبد النصارى · وكان مشهد لم تقع عليه العين منذ عهد عمر بن الخطاب الخليفة العادل ، الحكيم ، المرهوب الجانب

وطاف الموكب احياء القدس وافراده يصيحون : ليسقط وعد بلفور ! ··

— ٣ —

تقلب الشيخ اسماعيل الكوفي على فراشه زمنا طويلاً

فان جراحه والرضوض التي اصيب بها لم يكن بالامر السهل شفاؤها

وجاء مصرع ابنه سعد فزاده ألماً ونحولاً · بيد انه كتم ذلك الالم امام سعيدوفتنه واكتفى بان يقول لدن اطلع على الفاجعة : انّا لله وانّا اليه راجعون ! ···

فاستسلم لمشيئة القدر ، وفي الاستسلام لمشيئة القدر بعض العزاء · على ان ولديه لو اطلعا على حقيقة نفسه لوجداه شديد الرغبة في الانتقام ، فما برح وهو طريح الفراش يفكر بوسيلة يثأر بها لفلذة كبده الممزقة بحراب الصهيونيين

وعاد يوم شفائه الى حقله يشرف عليه ويحرثه ، وارتابت فتنه ذات ليلة في امره فرصدت حركاته واذا بهـا تراه يشحذ مديته ويحشو مسدسه بالرصاص ويتوارى بين طيات الظلام · فلحقت به وهالها ما بدا لها منه · فكان يمشي الى حي الصهيونيين بقدم ثابتة وعزم وطيد · وطرق باب رجل بولوني من زعماء الصهيونية في فلسطين ففتحوا له وهو يهدد ويتوعد قائلا : اين هو زعيمكم ايها الارجاس ، فلن اغتاله اغتيـالاً كما فعلتم بولدي بل ساقتله وجهاً لوجه وألقي عليكم امثولة في الشهامة والرجولة ! ···

وكان خادم الزعيم قد فتح الباب ، وقد دهش لوجود رجل شاك السلاح امـام منزل سيده ، فقال له بلغة عربية محطمة : ماذا تريد يا مسيو ؟

فاخذ الشيخ اسماعيل الكوفي يشتم ويلعن ويهدد بمديته ومسدسه ، فذعر الخادم وكاد يصيح مستغيثاً ، ولكن فتنه اسرعت تقول له بالفرنسية : لا تخف · لا تخف · انه مجنون ! ···

فدهش اسماعيل الكوفي لرؤية ابنته وصاح بها غاضباً : ما جاء بك الى هنا ؟

قالت : خشيت عليك في هذا الليل فلحقت بك !

قال : كان الافضل لك ان لا تبرحي المنزل ، فماذا ترين يقولون عنك اذا ابصروك تسيرين في الشارع وحيدة وفي مثل هذه الساعة من الليل

فلم تجب ، ونادت سائق سيارة وقالت لوالدها : اصعد ! . . .

وكان الزعيم الصهيوني قد استفاق من رقاده وجاء يسأل عمن يقلقه في ذلك الليل . فتراءى للشيخ اسماعيل الكوفي ان يفتك به ، وحاول الافلات من ابنته فما استطاع . فان فتنه حملته الى السيارة وطلبت من السائق ان يسرع ؛ فاستاء منها ابوها وصاح : دعيني ، اني اريد ان انتقم لاخيك . دعيني قاتلك الله ! . . .

فلم تتلفظ بكلمة ؛ وسألها السائق عن اي طريق يسلكه فقالت : سر بنا الى مدافن الشهداء !

ومن لا يعرف مدافن الشهداء في القدس ؛ مدافن الذين سفكوا دمهم في سبيل انقاذ البلاد من نير الصهيونيين ؟ . . . فهم هناك ارماس فوق ارماس نقشت عليها آيات الوطنية الخالصة

وبلغت السيارة تلك المدافن والشيخ اسماعيل الكوفي لا يدري اين هو ؛ ونزلت الفتاة ودعته للنزول واشارت على السائق بالانتظار ، فقال لها ابوها : الى اين ؟ . . .

قالت : يجب ان نصلي على ضريح سعد !

وهي ما ذكرت امامه اسم سعد حتى جن جنونه ، فقال : ولكنك ابيت ان اثأر له فما بالك تقودينني الى ضريحه ؟

فاكتفت بان تقول : تعال ! . . .

وامسكت بيمينه ومشت واياه بين الاضرحة المكللة بالازهار ، وتكلمت فقالت : هذه مدافن الشهداء ! . . . انظر ، هنا يرقد الذين استشهدوا في الثورة الاخيرة . واذا قيض الله لفلسطين ان تخلع عنها استبداد الاجنبي فمن الواجب الاكبر علينا ان تذكر هؤلاء الذين اشتروا استقلالها بدمهم الزكي الطاهر ! . . .

وخيمت رهبة الليل فوق تلك الاشباح البيضاء الصامتة التي يتجلى الموت في كل ذرة منها ، فاستيقظ اسماعيل الكوفي من غفلته وسالت الدموع من عينيه ، فقد تذكر سعداً في شبابه اللامع الريان وبكي . وتذكر انهم دفنوا ذلك الغصن النضير بين احشاء الارض التي تطأها قدماه ، فقال لابنته : واين ضريح سعد يا بنية ؟ . . .

فقادته الى ضريح من الرخام يوحي الخشوع والوقار وقالت : هنا ! . . .

وغلبها دمعها فاستعصى عليها الكلام . واقترب اسماعيل الكوفي من حجارة الضريح يقرأ ما نقشوه عليها ، وتلا على مسمع فتنه ما نقشوا على قبر اخيها بصوت كله

غصص وقال : أرأيت انهم يقدرونه قدره . فقـد نعتوه بشهيد الوطنية ، بصريع الغدر ، وحسناً فعلوا ! ...

وجثا على قدميه وهو يقول : الله اكبر ! .. لا اله الا الله ! ... لا حول ولا قوة الا بالله ! ... انّا لله وانّا اليه راجعون ! ...

ونظر الى فتنه قائلاً : او تركتني انتقم له لكنت بكيته ونفسي مرتاحة ساكنة!

فقالت بكل هدوء : اذا مات سعد يجب ان يحيا سعيد ! ...

فلم يدرك لاول وهلة ما تقصد بهذا المقال، وحدق اليها يحاول ان يفهم منها ما تريد ، قالت : ان حادثتك الاولى فجعتنا بموت سعد فلا حاجة لنا بحادثة اخرى تفجعنا بموت سعيد !

ففهم هذه المرة ؛ وخيل اليه ان ابنته تتهمه بمصرع سعد فاطرق الى الارض وبلل الدمع لحيته واخذ يقول : صدقت يا بنية ، انا اصل البلاء ، لعن الله ساعة الويل ؛ ربي انقذنا من هؤلاء المذاكيد ! ...

واخذ يشهق ، فرفعته ابنته بين يديها قائلة : قم بنا ؛ لا تبعة عليك في مقتل سعد ، ولكن ما لنا ولفتنة جديدة نضرم نارها ، ان سعداً اذا قتل فتلك مشيئة الله فيه ، قم بنا الان ، تعال ! ...

واخذت بيده وعادت واياه الى السيارة وكل منهما يمسح دمعه، ونظر اسماعيل الكوفي الى السماء وقال يخاطب ربه : اياك نعبد واياك نستعين ؛ اهدنا الصراط المستقيم ! ...

— ٤ —

اشتعلت الثورة الفلسطينية الاولى في معظم انحاء فلسطين ؛ فشملت القدس وحيفا ويافا ، نثرت اشلاء الضحايا في كل بقعة و كل مكان

نادى الوطنيون بمبادىء واحدة وساد بينهم والوئام انقضت السنة ١٩٢٢ والسنة ١٩٢٣ وما يليها بهدوء وصفاء ووفاق ، فعقدوا المؤتمرات وطالبوا بالغاء وعد بلفور وبانشاء مجلس نيابي يتولى سن قوانين البلاد ويساعد على انهاضها ؛ بيد انه ما اقبل العام ١٩٢٥ حتى هبت على القوم ريح عاصفة بعثرتهم وقضت عليهم بتمزيق الشمل فذهب كل فريق في طريق حتى خيل للرائي ان اركان الاتحاد تقوضت وان النهضة الوطنية ماتت في البلد الفلسطيني ولن تقوم لها قائمة

وتعددت الاحزاب ، فمن متصلبين ومن معتدلين ومن متساهلين، وتناسي القوم ان

فلم تجب ؛ ونادت سائق سيارة وقالت لوالدها : اصعد ! ...

وكان الزعيم الصهيوني قد استفاق من رقاده وجاء يسأل عمن يقلقه في ذلك الليل . فتراءى للشيخ اسماعيل الكوفي ان يفتك به ، وحاول الافلات من ابنته فما استطاع . فان فتنه حملته الى السيارة وطلبت من السائق ان يسرع ؛ فاستاء منها ابوها وصاح : دعيني ، اني اريد ان انتقم لاخيك . دعيني قاتلك الله ! ...

فلم تتلفظ بكلمة ؛ وسألها السائق عن اي طريق يسلكه فقالت : سر بنا الى مدافن الشهداء !

ومن لا يعرف مدافن الشهداء في القدس ؛ مدافن الذين سفكوا دمهم في سبيل انقاذ البلاد من نير الصهيونيين ؟ ... فهم هناك ارماس فوق ارماس نقشت عليها آيات الوطنية الخالصة

وبلغت السيارة تلك المدافن والشيخ اسماعيل الكوفي لا يدري اين هو ؛ ونزلت الفتاة ودعته للنزول واشارت على السائق بالانتظار ، فقال لها ابوها : الى اين ؟ ...

قالت : يجب ان نصلي على ضريح سعد !

وهي ما ذكرت امامه اسم سعد حتى جن جنونه ، فقال : ولكنك ابيت ان اثأر له فما بالك تقودينني الى ضريحه ؟

فاكتفت بان تقول : تعال ! ...

وامسكت بيمينه ومشت واياه بين الاضرحة المكللة بالازهار ، وتكلمت فقالت : هذه مدافن الشهداء ! ... انظر ، هنا يرقد الذين استشهدوا في الثورة الاخيرة . واذا قيض الله لفلسطين ان تخلع عنها استبداد الاجنبي فمن الواجب الاكبر علينا ان تذكر هؤلاء الذين اشتروا استقلالها بدمهم الزكي الطاهر ! ...

خيمت رهبة الليل فوق تلك الاشباح البيضاء الصامتة التي يتجلى الموت في كل ذرة منها ، فاستيقظ اسماعيل الكوفي من غفلته وسالت الدموع من عينيه ، فقد تذكر سعداً في شبابه اللامع الريان وبكى . وتذكر انهم دفنوا ذلك الغصن النضير بين احشاء الارض التي تطأها قدماه ، فقال لابنته : واين ضريح سعد يا بنية ؟ ...

فقادته الى ضريح من الرخام يوحي الخشوع والوقار وقالت : هنا ! ...

وغلبها دمعها فاستعصى عليها الكلام . واقترب اسماعيل الكوفي من حجارة الضريح يقرأ ما نقشوه عليها ، وتلا على مسمع فتنه ما نقشوا على قبر اخيها بصوت كله

غصص وقال : أرأيت انهم يقدرونه قدره · فقـد نعتوه بشهيد الوطنية ، بصريع الغدر ، وحسناً فعلوا ! ···

وجثا على قدميه وهو يقول : الله اكبر ! ··· لا اله الا الله ! ··· لا حول ولا قوة الا بالله ! ··· انّا لله وانّا اليه راجعون ! ···

ونظر الى فتنه قائلاً : لو تركتني انتقم له لكنت بكيته ونفسي مرتاحة ساكنة!

فقالت بكل هدوء : اذا مات سعد يجب ان يحيا سعيد ! ···

فلم يدرك لاول وهلة ما تقصد بهذا المقال، وحدق اليها يحاول ان يفهم منها ما تريد ، قالت : ان حادثتك الاولى فجعتنا بموت سعد فلا حاجة لنا بحادثة اخرى تفجعنا بموت سعيد !

ففهم هذه المرة ؛ وخيل اليه ان ابنته تتهمه بمصرع سعد فاطرق الى الارض وبلل الدمع لحيته واخذ يقول : صدقت يا بنية ، انا اصل البلاء ، لعن الله ساعة الويل ؛ ربي انقذنا من هؤلاء المذاكيد ! ···

واخذ يشهق ، فرفعته ابنته بين يديها قائلة : قم بنا ؛ لا تبعة عليك في مقتل سعد، ولكن ما لنا ولفتنة جديدة نضرم نارها ، ان سعداً اذا قتل فتلك مشيئة الله فيه ؛ قم بنا الان ، تعال ! ···

واخذت بيده وعادت واياه الى السيارة وكل منهما يمسح دمعه، ونظر اسماعيل الكوفي الى السماء وقال يخاطب ربه : اياك نعبد واياك نستعين ؛ اهدنا الصراط المستقيم ! ···

– ٤ –

اشتعلت الثورة الفلسطينية الاولى في معظم انحاء فلسطين ؛ فشملت القدس وحيفا ويافا ونثرت اشلاء الضحايا في كل بقعة و كل مكان

ونادى الوطنيون بمبادىء واحدة وساد بينهم الوئام انقضت السنة ١٩٢٢ والسنة ١٩٢٣ وما يليها بهدوء وصفاء ووفاق ، فعقدوا المؤتمرات وطالبوا بالغـاء وعد بلفور وبانشاء مجلس نيابي يتولى سن قوانين البلاد ويساعد على انهاضها ؛ بيد انه مـا اقبل العام ١٩٢٥ حتى هبت عـلى القوم ريح عاصفة بعثرتهم وقضت عليهم بتمزيق الشمل فذهب كل فريق في طريق حتى خيل للرائي ان اركان الاتحـاد تقوضت وان النهضة الوطنية ماتت في البلد الفلسطيني ولن تقوم لها قائمة

وتعددت الاحزاب ، فمن متصلبين ومن معتدلين ومن متساهلين، وتناسي القومان

بينهم عدواً يتربص بهم الدوائر وان سكوتهم عن مطالبهم ينشط بذلك العدو للعبث بهم وبحقوقهم

ومضت سنتان وفلسطين هادئة ناعمة . على ان النار ما برحت تتأجج خلال الرماد . فالوطنيون مع تضاربهم في الرأي ما كانوا ليطيقوا نزول الصهيوني ديارهم واغتصابه ارضهم

ونظر الشيخ اسماعيل الكوفي الى شقاق الوطنيين بجزع وقلق ، فقال : أيذهب دم ابني بلا نتيجة محسوسة ؟ . . .

فما برح يذكر ابنه الشهيد ، وما برح يحج الى ضريحه حاملاً طاقات الازهار . فكان يرى في استشهاد ولده رمزاً من رموز الوطنية المجسمة ولهذا راعه ان يسود الشقاق الوطنيين وان لا يقدروا تضحية شهدائهم قدرها الحق

وكان يشكو الى فتنه جور الليالي . وجاءها في احد الايام يقول : أعلمت ماذا يريدون مني ؟ ان للامر صلة وثيقة بك

قالت : ومن اين لي ان اعلم ماذا يريدون ؟

فقال : جاء ابن عمك وسيم يخطبك مني !

فتوردت وجنتاها خجلاً ولم تنبس بكلمة ؛ قال : واجبته اني اترك لك الحرية المطلقة في قبوله او رفضه ، فما هو رأيك ؟

فلم تقل شيئاً وظلت مطرقة الى الارض ؛ فقال لها ابوها : وما رأيك في وسيم ألا ترينه يليق بك ؟ . . . انه شاب في مقتبل العمر يكاد يكون في سنك وله من جماله وعلمه ما يزيد به شفاعة لديك . وقد بدا لي من استقبالك له واحاديثك اليه انك لا تنفرين منه . فهل اكون صادقاً في ظني ؟ . . . غير اني لم اقيدك بقيد فتركت الامر لك على ما تريدين !

فما خرجت عن صمتها ، فقال الوالد الشيخ : ما بالك لا تجيبين ؟ . . .

قالت : اني اضع الامر بين يديك !

فقال : ولكني لست انا الذي سيتزوج بل انت . ولك ان تجيبي بما يوحيه اليك قلبك . هل توافقين وسيماً على ما طلب ؟

قالت : ان وسيماً ابن عمي فلماذا ارفضه وقد كان لنا على الشدائد عوناً !

فابتسم الشيخ اسماعيل الكوفي وقال : كنت انتظر منك مثل هذا الجواب يابنية .

ولم اكن لارتاب في انك ستكونين يوماً اوسيم . فقد عرفت ذلك من نظراتك اليه وتردده علينا واستقبالك اياه بلهفة وغيرته عليك . ولا بأس فقد كنا مثلكما في عهدنا الاول فليهنأ كل منكما بصاحبه وليوفقكما الله ! . . .

ونهض الى امرأته ينبئها بما كان ، فقالت الام : ان فتنه تحب وسيماً منذ الصغر . فقد خلق كل منهما للآخر . وكثيراً ما سمعتها تتحدث عنه وتدعوه لزيارتنـا وتطرب لدى رؤيته . ووسيم شاب ذو مستقبل باهر فما ضرّنا لو زوجناه فتنه وهو اهل لها ؟

وكل من في البيت ايد هذا الزواج ، ولقد ارتاحت له فتنه ارتياحاً شديداً . فهي تحب وسيماً منذ الصغر كما قالت عنها والدتها . وكانت تنتظر من ابيها ان يفاتحها بهذا الحديث ، ولذلك لم تتعجب لدن سمعت منه ما سمعت بل توردت وجنتاهـا خجلا والخجل لا بد منه لكل فتاة في مثل هذا الموقف الدقيق !

ولماذا تتعجب وقد خاطبها وسيم بامر الزواج وايدته فيه بل هي تنفست الصعداء لما رأت ابن عمها يوطد النية على الاقتران بها ، فقد كانت تخاف كل الخوف ان يعرض وسيم عنها بعد ما قيل لها انه يهيم بفتاة يهودية كاملة المحاسن باهرة الجمال ، فبكت فتنه لما طرق الخبر اذنيها وقالت : هل ارسلتهم الينا يا الله ليزاحمونا حتى على قلوب من نهوى؟

وعاتبت وسيماً عتاباً مراً على حبه لتلك اليهودية ، فانكر انيكون ثمة حب وقال : وكيف احب اثنتين ، أاحبك واحبها معاً ؟ . . . لقد كنت اجالسها لاتلذذ بها بعض الحين وامضي ، فهل تسمين هذا حباً ؟ . . .

وليؤكد لها انه صادق في حبه قال : أليس الزواج اعظم دليل على الحب ؟

قالت : بلى !

قال : غداً ترين اني ساخطبك من ابيك وامتنع حتى رؤية من تخشين على نفسك منها !

وفي اليوم التالي كان وسيم يخطب فتنه من عمه الشيخ اسماعيل الكوفي ، فقال له عمه : انت اعز الناس علينا يا وسيم ولكن امهلني ريثما اقف على رأي فتنه في مـا تطلبه مني !

فلم يجد الشاب بدأ من النزول على رغبة عمه . وكان من جواب فتنه ما كان . بل هي ما خلت لنفسها حتى قامت الى صورة وسيم التي لم تكن لتفارقها وامعنت فيها لثماً وتقبيلاً وهي تخاطبها قائلة : يا منتهى املي . يا نور حياتي . يا ركن مستقبلي ! . . .

وكانت ضحوكاً طروباً مثلها لو ملكت الدنيا !

— ٥ —

« اورشليم اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليك كم من مرة اردت ان اجمعك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها وانت لا تريدين ! ... »

باقوال المسيح خاطبت انكلترا ابناء فلسطين ؛ ولكنها لم تحمل في صدرها حب السلم كما حمله السيد المسيح . بل هي تآمرت على ذلك السلم فتظاهرت بانها من دعاته وجاءت باعظم عنصر مشاغب غريب تقيمه عبئاً لا يطاق على اكتاف العناصر الوطنية الخالصة

فلم يكن للوطنيين كلمة مسموعة ، ولا وقفوا لهم على رأي ، ولا حققوا لهم رغبة . فالمساعي المبذولة كانت ترمي لاقصاء الوطني عن ذلك البلد المقدس واحلال الصهيوني محله تأييداً لوعد بلفور

وذلك الصهيوني لم يشأ ان يكون رحب الصدر . فنزل فلسطين مهاجماً مقاتلاً ثائراً . جاءها يفاخر باغتصابه لها وبجبروته ويتحرش بالوطنيين في كل صباح ومساء كأنما هو يستحثهم على منازلته ومناوأته

هل من مقاتل ؟ ... هل من مناجز ؟ ...

هذا لسان حال الصهيونيين . وان فيه لضيماً . فكيف يصبر العربي على ذلك الضيم وهو من اباة الضيم ؟ ...

كان العربي في فلسطين يفاخر بقول الفرزدق : « ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... » فكيف يرضى اليوم لنفسه بان يسير وراء اولئك الذين كانوا له بالامس اتبع من ظله ؟ ...

وشمل روح الاستياء فلسطين باجمعها . وعقد الوطنيون الاجتماعات والاشمئزاز من اعمال الحكومة البريطانية يبدو في الاقوال والحركات . وكانوا يتعجبون كيف تقضي السياسة الغاشمة على شعب بكامله ولهذا الشعب الحق بالحياة ككل شعب على سطح الارض

والشيخ اسماعيل الكوفي الذي يجهل في ما مضى من عمره الطويل ما هي السياسة ومن هم السياسيون اخذ يشتغل بالسياسة ويدعو الى عقد الاجتماعات في داره ويحض على مقاومة المطامع الاجنبية . وفتنه ، فتنه نفسها ، الفتاة الجميلة الخلق والخلق ، الطاهرة القلب ، النقية الضمير ، ابت الا ان تنشىء جمعية نسائية وطنية من مسلمات ومسيحيات

الذود عن الوطن المنكوب

وكانت تخطب في رفيقاتها وتستحلفهن بارواح الشهداء ان يبذلن كل ما في المستطاع لانقاذ البلاد من الهوة المتدحرجة اليها . وكثيراً ما سمعوها تقول : اين الحق الذي تنشده انكلترا وهي تحاول قتل ستمائة الف وطني لاحياء مئة الف غريب ؟ ...

وشاق وسيم ان تتقد نار الوطنية في صدر ابنة عمه وخطيبته فراح يزيدها تشجيعاً وتنشيطاً ويقول لها : امتن بناء هو البناء الذي يقوم على سواعد الرجل والمرأة معاً !

وانقضت السنوات وانكلترا لا تستطيع النيل من صلابة الوطنيين . فاجتهدت كثيراً لتفريقهم ولكنها عجزت عن بلوغ امنيتها منهم . فكلما داوت جرحاً سال جرح الى ان تفاقم الخطب واصبح من المحال تلافيه

فالوطني ولو رضي عن الانتداب الانكليزي كان ينفر من ذلك الانتداب كلما رآه يساعد على الوطن القومي الصهيوني ، وهذا النفور كان عاماً ، فلم تختص به فئة دون فئة ، ولم يحمل لواءه فريق دون فريق

وباتت النار على وشك الاضطرام ؛ شرارة واحدة تثيرها وتندلع منها ألسنة اللهيب ، فالصهيوني زاد في صلفه ، والعربي زاد في حقده الى ان امسى الفريقان في موقف لا بد ان ينتهي عاجلاً او آجلاً الى الانفجار

ووقفت السلطة الانكليزية امام ذلك البركان وقفة الصنم ، فكانت تحس بان النار تشتعل في احشائه وانه سينفجر ويقذف الحمم فتميد فلسطين للويل ، كانت تحس بالخطر وهي لا تكلف نفسها الاهتمام بدرئه ، ولماذا التعب ؟ ... فخار يكسر فخاراً ....

## — ٦ —

نادى الشيخ اسماعيل الكوفي ولديه سعيداً وفتنه وابن اخيه وسيماً وخطب فيهم يقول :

— النار تنذر بالاشتعال يا ابنائي ، فالصهيونيون عادوا الى المطالبة بالبراق . فهم يزعمون ان ذلك الحائط المقدس ملكهم وانهم اصحاب الحق المطلق فيه وانه من بقايا هيكل اورشليم لا ينازعهم في امتلاكه منازع . ولقد قاموا بالمظاهرات مثلهم في العام الماضي . ورأيتموهم كيف مشوا في شوارع القدس ينادون : « حائط المبكى لنا ! ... » مع انه ليس لهم ، وكل حقهم فيه ان يبكوا امامه على مجد اسرائيل الذاوي .

وقد استاء منهم المسلمون والمسيحيون واعلنوا القيام بمظاهرة في نهار الغد يحتجون فيها على العمل الشائن والعدوان الفظيع ، واريد منكم ان تمشوا في المظاهرة ، وسأكون امامكم ارفع هذا العلم ! . . .

ونشر علماً كتب عليه : « البراق للمسلمين ، ليسقط وعد بلفور ! . . . »فاشرقت الوجوه لدن خفق العلم وصاح الثلاثة معاً : مرحى ، مرحى ! . . .

وقال وسيم : وما شأن فتنه في المظاهرة ؟

قال : ذلك اليك ، فان شئت ان تكون معنا دعوناها ، والا ابقيناها في المنزل لا تبرحه !

فقال : اذا اشتركت النساء في المظاهرة فلتكن ، والا فمن الافضل لها البقاء في خدرها ! . . .

وكان الصهيونيون قد قاموا في ذلك النهار - كما قال الشيخ الكرفي - بمظاهرة كبيرة طافوا فيها شوارع القدس واحياءها وهم يطالبون بحقهم في حائط المبكى . وظهر العداء في حركاتهم ونظراتهم وكلماتهم . فان عيونهم كانت تقع على العرب الوطنيين طافحة بشرر البغضاء والعدوان

ومشوا في احياء الوطنيين ولا من يصدهم ، واغلظوا المقال والسلطة لا تردعهم عن غيهم ، واحرجوا المسلمين والمسيحيين والقوة الحاكمة لا تفرق جموعهم النافخة في ابواق الفوضى والهياج

وساء العرب ان يكونوا عرضة للهوان ، فتنادوا الى مظاهرة يعارضون بها مظاهرة الصهيونيين ، فاحتشدت جموعهم في المسجد الاقصى ووقف خطباؤهم يحضونهم على الهدوء والسكينة ويطلبون منهم ان لا يخرجوا في مظاهرتهم على النظام ، وكانت الاصوات ترتفع في الحين بعد الحين : البراق لنا ! . . . ليسقط وعد بلفور ! . . .

واكتظت جنبات المسجد الفسيحة بالمؤمنين ، وخفقت الاعلام الخضراء والبيضاء ، وتماوجت العمائم واللحى والجلابيب ، ونبذت القلوب كل خلاف وكل حقد ونفور ، واتحدت النفوس وتراصت الصفوف ، وتعالت الاصوات : فلسطين للعرب الفلسطينيين!

وانتهت الصلاة فخرجوا من المسجد هاتفين : الله اكبر ! . . . الله اكبر ! . . .

واشترك في الهتاف الامام والشيخ والغني والصعلوك والزعيم وماسح الاحذية ، فالقدس كانت هنالك بمسلميها ومسيحييها من شيب وشبان واطفال ، وتهادت الرايات النبوية فوق ذلك الموكب

الهاتف باسم الله ، وامتلأت الشوارع وغصت الطرق ، واذا القنابل تتساقط على هذه الجموع المرصوصة البناء وتفتك بها فتكاً ذريعاً ، فالصهيونيون رقدرأوا الفرصة سانحة للبطش بالعرب العزل من كل سلاح اغتنموها

وتناثرت اشلاء قتلى العرب بين صفوف العرب فثار ثائرهم واستحالت مظاهرتهم الى معركة دموية ، فهجموا على الصهيونيين بخناجرهم يروون منهم الغليل ، وارتفع النداء : « يا للعرب . يا للعرب عليهم ! ... » فوثب ابطال الوطنيين على مناوئيهم وثبة الاشبال، ومن عجزوا عن ذبحه هشموه باظافرهم وامعنوا فيه الكماً وصفعاً ورفساً الى ان يخطفوا منه الروح

واتقدت نار الفتنة في القدس بكاملها فامست ملعباً للقتال . هنا صهيوني يهاجم وطنياً . وهناك وطني ينهال بالضرب على صهيوني

هنا رصاص الصهيونيين وقنابلهم تحصد الوطنيين وهناك وطنيون يلقون بانفسهم بين النار ويبطشون بخصومهم

هنا صهيوني يذبح امرأة ويعذبها ويشوه جسمها . وهنـاك عرب ينقذون النساء اليهوديات ويحملونهن الى منازلهم يدافعون عنهن من كل عدوان

والمعركة في بيت المقدس كانت اشبه بجزرة بشرية وجاءت السلطة بدباباتهـا وقواتها وما استطاعت اخماد النار . فالمعركة لم تنشب في سبيل البراق فحسب بل نشبت لان الكيل طفح . لان الصبر نفد . لان الحزازات غلت في الصدور ولم يبق بد من الانفجار

وكانت الخناجر تلعب في الاجساد والرصاص يخترق الاكباد والنساء يولولن ويستنجدن وينتحبن ويبكين ويصحن : ماذا نفعل باطفالنا ؟ ..

فالموقف لم يكن موقف شجار بالامكان تلافيه ، بل كان موقف قتال جابه فيه العدو عدوه ، فالعربي كان يهجم على الصهيوني بالفظاعة التي هجم بها الالماني على الفرنسي في الحرب الكبرى . والصهيوني اطلق النـار على العربي وبوده لو يفني العرب عن سطح الارض

واشتد اطلاق النار ، واقفلت منازل القدس ابوابها ونوافذها ، وهب العرب من القرى المجاورة للقدس ينجدون اخوانهم وينقضون كالصواعق على الصهيونيين . فرأت السلطة من «حسن السياسة» ان ترد العرب على اعقابهم وتترك للصهيونيين المجال رحيباً

للتقتيل والتشنيع والتقطيع . وطوقت مدينة القدس بقواتها ، ومنعت على كل عربي الدخول اليها ، واعلنت الاحكام العرفية . وارسلت بطياراتها تحلق فوق المدينة وضواحيها وامرتها بالقاء القنابل على كل حشد عربي

واسرع مزارعو الشيخ اسماعيل الكوفي الى منزل سيدهم يسألونه ماذا يجب عليهم ان يفعلوا لاجله ؟ فجمعهم في باحة الدار وخاطبهم بقوله : هل جئتم لتعملوا بمشيئتي وتطيعوني ؟

فاجابوا بصوت واحد : نعم . نعم ! ...

قال : بماذا توصيكم شيم العرب ؟

فاجاب احدهم : بان ننصر اخانا ظالماً او مظلوماً !

قال : اخطأتم ، انها توصيكم بالذود عن الجار ولو جار ! ...

فنظر كل منهم الى الاخر كأنهم يرتابون في ما سمعوا ، فقال الشيخ اسماعيل الكوفي : لقد اقسمتم لي يمين الطاعة ؛ واصبح لي الحق عليكم بان اطاع ؛ فباسمي بل باسم الانسانية ادعوكم لصون اليهود عن كل اذى : فكل من تقع يدكم عليه منهم ، سواء كان من النساء او الاطفال او الشيوخ ، احملوه الى داري وهو عندي في مأمن من الشر !

فصاح احدهم : ولكنهم قتلوا ابنك سعداً !

قال : وانا اغفر لهم !

قالوا : ولكنهم ضربوك !

قال : ازرع جميلاً ولو في غير موضعه !

فدهشوا وحاروا في ما يفعلون ، فقال : ها اني ارسل في طليعتكم ولدي سعيداً وابن خي وسيماً فاياكم اياكم وسفك الدم !

وقام من داره حمى للبائسين المظلومين المضطهدين ، وراح رجاله وفي مقدمتهم ابنه سعيد وابن اخيه وسيم يحملون الى داره الجرحى والمنكوبين من اليهود وهو يستقبلهم بكل بشاشة وكل ترحاب ويقول لهم : اهلا بالضيوف ! ... انتم ارباب المنزل ! ...

وبدأت فتنه تسكب على الجراح البلسم بحديثها اللطيف وبما فطرت عليه من الجود والسخاء ، فكانت تتنقل بين المنكوبين تعزي هذا وتبسم لذاك وتواسي الجرحى وتضمد منهم الجراح ، وما هي بضع ساعات حتى ضاق منزل الشيخ اسماعيل الكوفي باليهود التائهين الخائفين

وما برحت نار الفتنة متقدة في اسواق القدس . وما برح الصهيونيون يعيثون فساداً .
واتصلت اخبار القدس بسائر الانحاء الفلسطينية فتأججت نيران الاضطراب في كل
مكان . في حيفا ويافا ونابلس والخليل وصفد . فلم تبق زاوية في فلسطين الا هبت
العاصفة فيها . فالعرب ابوا ان يحنوا الرقاب للذل فقاموا الى سلاحهم يبطشون بالاستعمار
الصهيوني

واتقدت نار الحمية في قبائل البدو فهرعت الى فلسطين لا تخيفها قذائف الطيارات
ولا قنابل الجنود الانكليزية . ودبوا في البلد الفلسطيني دبيب النمل ، ولولا حراب
الانكليز لالتهموا الصهيونيين التهاماً

ودرى الوطنيون بان الشيخ اسماعيل الكوفي فتح ابوابه لليهود ، فغضبوا وجاءوا
اليه ينهونه عن ايواء العدو ، فقال : ولكن تعالوا وانظروا ! ...

وقادهم الى حيث لجأ اليهود في داره فاذا هناك اطفال ونساء وجرحى وشيوخ ،
فامسك الوطنيون عن الاحتجاج واكتفوا بان يقولوا : من يرحم يرحمه الله ! ...

— ٧ —

صبت القوات الانكليزية نيرانها على جموع العرب
فكانت تسدد اليهم مدافعها الرشاشة وفي نيتها ان تحصدهم حصداً
وهي لا تكاد تقبض على العربي وفي يده مدية حتى ترجه في السجون وتطلب
محاكمته في محكمة خاصة . اما الصهيوني فلا تمسه باذى ولو ابصرته يتقلد بندقية حربية
ويطلق نارها على الوطنيين

وهذا مما زاد في استياء العرب ، فعبثوا بكل مقاومة وانقضوا كالنسور على
الصهيونيين لا يشفقون ولا يرحمون ، وضاعت الطاسة ، فالفائز من يبطش بعدوه باي
وسيلة مستطاعة

وعمد الصهيونيون الى التشنيع بكل عربي سواء كان شيخاً او امرأة او طفلاً . فشق
الامر على العرب ونادى بعضهم بمعاملة الصهيونيين بالمثل ، وعادوا الى الشيخ اسماعيل
الكوفي يرغمونه على اخلاء سبيل اللاجئين اليه ، فتألم الشيخ اسماعيل وقال لهم : ألم
تعلموا انهم في حماي وانهم ان يخرجوا من هذا الحمى الا والمدينة بامان وسلام ؟

قالوا : ان دمهم حلال لنا !

فكشف اسماعيل الكوفي عن صدره وقال : وحق الرسول لن تسفكوا قطرة دم واحدة

من دمائهم الا بعد ان تطعنوا هذا الصدر بخناجركم ، فافعلوا وامشوا اليهم على جثتي اذا ابيتم الا ان تستبيحوا حماي ! ...

فاحترموا مشيئة ذلك الشيخ الواقف على عتبة السبعين وانصرفوا والغيظ بالغ منهم مبلغه الاقصى ؛ فلم يفهموا كيف يذود اسماعيل الكوفي عن فئة من الناس قتلت ابنه في ما مضى واستحلت دم بني قومه فاهرقته غير آسفة عليه

وتوالى اطلاق النار في الشوارع ، فان جماعة من الوطنيين اصطدمت بعصبة من الصهيونيين . فتساقط القتلى من الجانبين . ورأى العرب ان الهجوم اولى لهم فانصبوا على اعدائهم يطعنونهم بالخناجر والمدى . وابدى الصهيونيون شدة وتصلباً فثبتوا في المعمعة يردون الضربة بضربة مثلها . واستأسد العرب فهووا على خصومهم بكل طعنة نجلاء تخطف فوراً روح من تصيبه ، فافنوهم جميعاً ولم يبق غير صهيوني واحد نادى بالاستسلام فابى العرب ان يرحموه واستل احدهم خنجره يريد ان يذيقه حتفه فاعترضه سعيد ابن الشيخ اسماعيل الكوفي وصاح به : دعه ، دعه ، حرام علينا ان نقتل من يلتجىء الى عفونا ! ...

وبدا للصهيوني ان العرب شغلوا لحظة عنه فما كان منه الا ان بادرهم بنار مسدسه ، فاصاب سعيداً ابن الشيخ اسماعيل في ظهره واطلق ساقيه للريح ، وهوى سعيد ودمه يتدفق من جرحه ، وصاح : أهذا هو جزاء المعروف ايها اللئيم ؟ ...

ولحق العرب بالصهيوني القاتل ، فاذا به يدخل دار الشيخ اسماعيل الكوفي ، فقالوا : وقع الاثيم في الفخ ! ..

ونادوا وسيماً الواقف على باب الدار قائلين : اقبض عليه ؛ اقبض عليه ؛ هذا قاتل سعيد ! ...

اضطرب الصهيوني وكان مسدسه لا يزال محشواً برصاصة واحدة ، فاطلقها في صدر وسيم ودخل الدار يحتمي فيها ، واقبل الشيخ اسماعيل على ازيز الرصاص يسأل عما جرى ، فقالوا له : ان هذا الصهيوني قتل ابنك وابن اخيك وجاء يحتمي في دارك!

فصاح الشيخ اسماعيل : لا حول ولا ...

على انه ملك روعه وقال للعرب اللاحقين بالصهيوني : ان تقتلوه هنا ؛ فلقد لاذ بحماي ، واني لادافع عنه ولو قتل ابني وابن اخي ! ...

فتعجبوا من شهامته ، وصاح به بعضهم : هذا جنون لا شهامة ! ...

قال : لكم ان تقولوا ما شئتم اما ان اسلمكم اياه لتقتلوه فهذا محال ، انه في داري ، في حماي ، وسيظل معززاً مكرماً عندي الى ان يبرحني ، انه ضيفي والعرب يكرمون الضيف ! …

فتألموا لهذه الشيم العالية ، واوجمهم امتلاك النفس الكبيرة الشيخ اسماعيل الكوفي ، فالصهيوني قتل ابنه وابن اخيه وما هو ان لجأ الى حماه حتى استقبله على السعة والرحب ولسان حاله يقول :

… … … … وجارنا عزيزٌ وجار الاكثرين ذليلُ
اذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرام فعول

– ٨ –

حملوا الى دار اسماعيل الكوفي ولده وابن اخيه مخضبين بدمهما وكانت لا تزال فيهما بقية من الروح ، وما كادت تبصرهما فتنه ممددين على السرير حتى صاحت مولولة : يا ويلاه ! …

فجاء اليها ابوها يقول : لا تبكي ، هذا قضاء الله ، لا تبكي !

ونظر الى الخدم قائلاً : اسرعوا بالطبيب !

ولكن انى لفتنه الامتناع عن البكاء وهنا اخوها وخطيبها على فراش الموت ، فكانت تنتقل من سرير الى سرير والاضطراب ظاهر في عينيها وكلماتها وكل حركة تبدر منها ، ولما اقبل الطبيب حبست انفاسها الى ان تسمع منه الكلمة الفاصلة ، قال : كلاهما في خطر ، واذا مضى عليهما نصف الليل عاشا ، وساعودهما بعد قليل ! …

فاختلجت فتنه اختلاج الموت واصيبت بالاغماء ، فنقلوها الى سريرها وهي بين الموت والحياة ، وجلس اسماعيل الكوفي الى ابنه وابن اخيه الضائعين عن الصواب واخذ يناجي ربه بان لا يفجعه بهذين العزيزين

واستفاقت فتنه من غيبوبتها ولما تذكرت الفاجعة الكبرى راحت تتمتم كلمات يحسبها من يسمعها انها هذيان المحموم . وعمدت الى سكين تشحذه والانتقام متقد في صدرها وعينيها . وظلت الى ان جن الليل تشحذ المدية وهي تردد من حين الى آخر : يا لثارات العرب ! … اليوم يوم الانتقام ! …

وجالت في البيت جولة تأكدت بها اين يقيم قاتل اخيها وخطيبها ، وانسلت الى حجرته في ذلك الظلام وبيدها السكين . واقتربت من السرير فاذا الراقد فيه مغمض

العينين . فقالت : هذا هو ! ...

وشهرت مديتها تحاول ان تحز بها عنقه، ولكن النائم استفاق مذعوراً وامسك بيدها وقال بصوت اليائس الحزين : لا تقتليني يا ابنتي !

فصاحت وقد ملكها الذعر : ماذا ارى ؟ ... ابي ؟ ... ابي هنا ؟ ... وما الذي جاء بك الى هذا المكان ؟ ...

وسقطت المدية من يدها المرتجفة ، فقال الوالد : رأيتك تستعدين للانتقام فحللت محل صاحبنا كي لا يسفك دمه في داري وقد وعدته بالامان ، فاذا شئت ان تقتلي اباك فاقتليه !

قالت وهي تبرق وترعد من الغضب : واين الاثيم ، اين هو ؟

قال : اني دعوته لبراح المنزل تحت ستار الظلام وقلت له : « انت قاتل ابني وابن اخي ولكن شيم العرب تدعوني للعفو عنك ، فاذهب انك حر لوجه الله ! ... »

فكادت تتمزق من الغيظ وقالت : أهكذا تنتقم من قاتل ابنك وابن اخيك ؟

قال : العفو عند المقدرة من شيمة الكريم !

فصاحت : المجال مجال انتقام لا مجال حلم وكرم ؛ فكيف تطيق العفو عمن اباد ابناءك وروّى من دمائهم ظمأه ؟ ...

وتناولت المدية من الارض وقالت : وانا من بقي لي ؟ ... فقد مات سعد وهلك سعيد واستشهد وسيم ، فمن بقي لي ، من ؟؟؟

وشهرت المدية على نفسها تريد ان تغمدها في صدرها ، فصاح ابوها : فتنه ؛ لا تفعلي ، لا تفجعيني بك ! ...

وامسك بيدها ؛ وحاول نزع المدية منها فما استطاع ، فاخذ يتوسل اليها ويستعطفها كي لا تصر على الانتحار ، وبينا هما يتنازعان اذا الباب يفتح ويدخل منه الطبيب قائلاً : لقد زال الخطر عن سعيد يا ابا سعيد ، وانت يا فتنه لقد عادت الحياة الى وسيم !

فتنفس الشيخ وابنته الصعداء ؛ فالخطر زال تماماً عن سعيد ووسيم ؛ وسجد اسماعيل الكوفي على ركبتيه وتمتم قائلاً يناجي ربه : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ! ...

تمت

العدد التاسع والثمانون | السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## يوم الملك فيصل

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: بناية اياس الجديدة — تجاه الكبوشية — باب ادريس

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٢٢ ايلول سنة ١٩٢٩

# يوم الملك فيصل

= بقلم الامير نسيب شهاب =

تسكن محلة باب المصلى — احدى محلات الميدان في دمشق — عيال لبنانية هجرت منذ سنين عديدة قراها وتوطنت في دمشق واكثر هذه العيال من راشيا وحاصبيا والقرى النائية في وادي التيم

وألحّ سعيد الدوماني على والديه المقيمين في باب المصلى ان يسمحا له بالذهاب الى بيروت ليدرس علومه العالية في احدى كلياتها الكبرى استعداداً للمستقبل وكفاحاً في سبيل الشهرة . فنزل والده ابراهيم الدوماني، وهو من الموسرين، عند الحاح ولده وزوده بما يلزمه من الدراهم ؛ فاقام سعيد في محلة رأس بيروت ليكون على مقربة من الكلية الاميركية التي اعتزم انهاء دروسه فيها . وللكلية الاميركية شهرة كبيرة في لبنان وفي الداخلية بالنظر للرجال الذين تخرجوا منها واحرزوا تفوقاً عالياً في الرجولية والنشاط

وطابت للشاب مناظر رأس بيروت فحدثته نفسه بان يكون من طلاب القسم الخارجي ليتمتع بحرية لا يتمتع بها طلاب القسم الداخلي ؛ فاستأجر غرفة مفروشة تطل على البحر في منزل ملحم ساره وهو رجل تجاوز الاربعين من عمره اقترن منذ اربع سنوات بفتاة جميلة جداً في العقد الثاني من ربيع حياتها ولم يرزقها الله ولداً

وكان سعيد جميل الخلق ، طويل القامة ، متين العضلات ، بخلاف الزوج ملحم اذ كان نحيف الجسم ، قصير القامة ، لا مسحة للجمال عليه ، لكنه كان رضي الاخلاق شريف النفس ، نشيطاً في عمله ؛ يذهب بنفسه مرات عديدة الى دير الزور للمتاجرة بالغنم

وهو مع نشاطه وحسن اخلاقه كان بخيلاً جداً على نفسه وعلى امرأته ، والبخل لاسيما في المتزوجين عادة ذميمة تعود كثيراً على الرجال باسوأ النتائج خصوصاً اذا كانوا متقدمين في العمر ولهم نساء جميلات فتيات

وقد انتقدت شقيقات ملحم على اخيهن تأجيره غرفة من غرف منزله لشاب في مقتبل العمر ومغادرته احياناً المنزل لايلتفت الى الوراء في سبيل بعض دريهمات يكسبها من رحلاته وهو في غنى عنها ، ولكن البخل اعمى بصيرته فلم يشأ ان يرى ما يخبئه له الغد

وكانت يمامة زوجة ملحم طاهرة الذيل ، شريفة النفس ، مخلصة كل الاخلاص لزوجها . ولم تكن تعتقد هي ايضاً ان قوة في العالم تستطيع ان تحملها على خيانته ، لذلك كانت متكلة على فضيلتها وحسن اخلاقها

بيد انها لم تلبث مع توالي الايام ان شعرت بجاذب يدفعها الى سماع حديث الشاب المستأجر في دارها . فان تكلم اصغت اليه بكل جوارحها وشعرت بلذة في حديثه وظهر لها فرق عظيم بين معارفه ومعارف زوجها ، وزادها ميلاً اليه كرمه الحاتمي وبخل زوجها الشديد ؛ فلا يدخل الشاب البيت عند المساء الا وفي يده هدية يقدمها للزوجين

والتقى يوماً الناظران : نظر سعيد ونظر يمامة ، فشعر كل منهما بما في رفيقه من قوة تجذبه اليه ، وهام سعيد بحب يمامة وهو لا يجرؤ على مفاتحتها بحبه ؛ وقد تمثل فيها التقى والوقار . وهامت يمامة به ايضاً ولكن عفافها منعها من اظهار ما يختلج به فؤادها . ونشبت في قلبها معركة هائلة كان الطهر ينتصر فيها على الهيام والهيام على العفاف الى ان جاءها زوجها يوماً يقول ان تحضر له امتعته لاعتزامه القيام برحلة الى دير الزور للمتاجرة بالغنم وقد جاء موسمه

فادركت يمامة آفة بعاد زوجها عنها ونتيجة بقائها الى جانب الشاب سعيد ، وبذلت جهدها لكي تحول بين زوجها ورحيله عنها فما ازداد الزوج الا تصلباً ، فتركته يفعل ما يشاء وسلمت امرها لله

وزادت الوحدة في هيام سعيد بيمامة وقد انفسح لهما المجال ، فما عتم ان جذبها اليه وطبع على فمها قبلة اودعها كل ما في قلبه من الغرام ، فشعرت المرأة بحرارتها تسري في جميع اعضائها ؛ واردفها سعيد بقبلات على خديها الورديين وعينيها النجلاوين ؛ وعبث برمانتيها الجميلتين فاستسلمت اليه نفساً وجسداً

وقضيا على هذه الحالة طول مدة غياب الزوج حتى اذا ما انبأها برجوعه كان قد نفذ السهم واصبحت حاملاً

وكانت يمامة شديدة الحذر ، فاتفقت مع سعيد على ان يسلكا مسلك الحكمة اتقاء

يدعا الريبة تتسرب الى قلب الزوج المسكين فيفرق حالاً بينهما ، وعزما على اخماد نار الحب المتأججة في صدر كل منهما ، فلا يبدو من حركاتهما امام الزوج انئمة حباً او ميلاً او غراماً

واستخف سعيد بدروسه ، فجاءت نهاية السنة المدرسية وهو لا يعرف تقريباً شيئاً مما كان اساتذته يلقونه عليه من الدروس ، فرسب في صفه ، واضطر ان يرجع الى دمشق بناء على الحاح والديه اللذين استاءا كثيراً من عدم نجاحه على الرغم مما كانا يعرفان عنه من الاجتهاد قبل ذهابه الى بيروت ، لذا عولا على ارساله الى الاستانة ليدرس فيها فن المحاماة ، وكان لهما قريب فيها طلبا منه الاعتناء بولدهما

وقد وقع هذا النبأ وقوع الصاعقة على رأس سعيد ، فكتب الى ملحم ساره وقرينته يخبرهما بما عزم عليه والداه ، فلم يكترث ملحم كثيراً للامر ، اما عامة فكانت تهرع الى مخدعها وتقفل بابه وتستسلم الى البكاء والنحيب لفراق حبيبها ووالد الجنين الذي اخذ يختلج في احشائها

وفي منتصف شهر ايلول جاء سعيد الى بيروت ليسافر منها بحراً الى الاستانة ونزل ضيفاً على ملحم ساره وامرأته ، حيث تمكن ان يشفي غليله منها ، وودعها الى عروسة البوسفور واعداً اياها بالكتابة لها من وقت الى آخر

وقد وفى بوعده ، وكان يرسل اليها الهدية تلو الهدية ليتمكن من مراساتها وهي التي ستصبح بعد قليل اماً لولد هو ابوه

وكانت عامة تكتب له مرة كل اسبوع خفية عن زوجها ، وتودع الرسالة بنفسها في البريد وقد ضمنتها جميع ما في قلبها من الوله والوجد والهيام

— ٢ —

في صباح ذات يوم شعرت عامة بالمخاض

فهب زوجها يستدعي لها القابلة وجاءت شقيقاته وجاراته يقمن بخدمة بيته واسعاف امرأته

وقد اشرأبت الاعناق الترى ما ستلد عامه ، أغلام يحفظ اسم ابيه ام ابنة تمر مر السحاب في بيت والديها فلا تلبث ان تقترن بشاب تحمل اسمه وتلتحق به

وجاء ملحم بعد ساعات معدودة الى منزله فرأى السكون مخيماً عليه والوجوه عابسة كأن مصيبة نزلت على القوم ، ففهم ان امرأته ولدت بنتاً ، ففرح بالمولودة وقبل

امرأته بين عينيها وهنأها بخلاصها

وقد شاقه ان يرى مخلوقة من صلبه ، وهو او علم انها بنت زنى لما احجم عن قتلها وقتل امها ، وسترت عامة عينيها بيديها وادركت في تلك الساعة عظم خيانتها لزوجها وقارنت بين حبه لها واستسلامها لشهواتها ، فبدت لها خيانتها مجسمة ورغبت في الموت، ولكنها ما لبثت ان اقلعت عن فكرها حباً لابنتها ونوات منذ تلك الساعة على ان تقطع كل علاقة بعشيقها وان تقضي ما تبقى من حياتها في خدمة زوجها وابنتها علها تكفر عن ذنبها ويستجيب الله توبتها

ورغب ملحم ساره في اظهار فرحه بالمواودة الجديدة فاوعز الى شقيقاته انيطبخن ( المغلي ) اعلاناً لفرحه العظيم وسروره بابنته الصغيرة ، فابت عليه شقيقاته فكرته قائلات : ان ( المغلي ) للذكر لا للانثى !

فاصر ملحم ساره على ان يطبخوا المغلي لاجل ابنته الطفلة ،وقال : هي عندي اغلى من الصبي ، فان وجودها في منزلي يضيء حياتي ومستقبلي وينئي عني الاحزان !

وطبخوا المغلي للفتاة ، واقاموا لها معالم الافراح ،وضربوا الطبل ونفخوا في البوق، فان ملحم ساره رزق ابنة ، هي وحيدته ، هي رجاؤه في غده ، هي من لحمه ودمه، والمسكين او درى ان تلك الطفلة المسكينة وليدة الزنى لقتل نفسه ، وقتل الطفلة وقتل امرأته ، ولكن انى له ان يدري انها ليست من صلبه وهو عظيم الثقة بامرأته ، هو عظيم الثقة بها وهي خانته وهتكت ستره وعبثت بعهد الامانة له

وكان ملحم ساره يحمل الطفلة بين يديه ويناغيها ويقبلها ، فان تلك الكتلة الصغيرة من اللحم والدم كانت مطمح آماله ومنتهى سروره ، نقال ذات يوم لامرأته : أتعلمين يا عامه ماذا يجب علينا ان نفعل ؟

فقالت : ماذا ؟

قال : يجب ان نكتب اصديقنا سعيد الدوماني نخبره بان الله رزقنا طفلة !

قالت : ليكن ما تريد ؛ ان سعيداً صديقنا ويغار علينا فلنخبره بما انعم المولى علينا به !

ولم يلبث ملحم ساره ان اعلم صديقه سعيداً ان الله رزقه بنتاً ودعاها سعاد ؛ فادرك الشاب ان الطفلة لم تكن في الحقيقة الا ابنته وان حملت لقب ملحم ساره ، فارسل لها ولوالديها هدية نفيسة جداً ارفقها بكتاب جميل للغاية وقد شعر وهو يكتبه بان

قلبه خفق لاول مرة بالمحبة الابوية وطلب من الوالدين ان يهديا اليه صورة الطفلة ليتذكر بواسطتها = على زعمه = صداقة والديها له

وبرع سعيد في فن المحاماة واصبح من الشبان الذين يشار اليهم بالبنان لذا تسابق طلاب العرب الذين كانوا يتلقون علومهم العالية في الاستانة الى خطب وده وطلبوا اليه الانضمام الى النادي الادبي الذي انشأوه لحفظ كرامة ابناء العرب في عاصمة الاتراك والمطالبة بحقوقهم المهضومة

واذ كان سعيد عربياً قحاً ورأى من استبداد الاتراك بالعرب وسوء معاملتهم ما يقعد ويقيم ثار ثائره وانضم الى اخوانه يدافع عن ابناء قومه وكان عدد العرب في الدولة العثمانية لا يقل عن عشرة ملايين نسمة اي ان عددهم كان يوازي عدد الاتراك انفسهم ، ومع هذا لم يكن للعرب غير ١٩ نائباً في مجلس المبعوثان بينما كان للاتراك اضعاف اضعاف هذا العدد ، والارمن الذين كانوا لا يتجاوزون مليوني نسمة حصلوا على عشرين نائباً مع وزارة الخارجية ؛ وهذا مما زاد نقمة العرب على الاتراك ومما دفع سعيداً الى السير تحت لواء النادي العربي ولم يلبث ان اصبح في فترة وجيزة من اكبر اعضاء ذلك النادي على ان اشغاله ودروسه ما كانت لتنسيه الى حين حب يمامة وطفلتها البريئة

— ٣ —

البعد جفاء والقد صدق المثل

فان سعيداً بعد ان طار له في الاستانة صيت وذكر علق بحب فتاة عربية كانت تقطن منذ زمن طويل في عاصمة السلاطين واهمل رسائله الى يمامه وانقطعت اخبارها عنه ، ورزق غلاماً ذكراً اطلق عليه اسم « قحطان »

قد افرغ في قلب ذاك الغلام كل ما في قلبه من حب العرب والتغني بذكرهم المجيد

واستحكمت علاقات المودة بين سعيد ورفيق رزق سلوم صديق الاستاذ عبد الحميد افندي الزهراوي مبعوث حمص والرئيس الثاني لمجلس الاعيان ؛ فاعجب بمواقف الاستاذ الشريفة ومدافعته الشديدة عن حقوق العرب المهضومة ؛ وكثيراً ما كان يساعده في انشاء جريدة « الحضارة » دفاعاً عن حقوق العرب في وسط عاصمة الاتراك

وبينما كان سعيد ذات يوم يحضر احدى جلسات مجلس المبعوثان اذ احتدم الجدال

بين طلعت بك وزير الداخليـــة وشفيق بك المؤيد مبعوث الشام حول القضية السورية وكان شفيق بك يطالب باللامركزية ، فثار ثائر طلعت بك بالخطاب الذي القاه مبعوث دمشق وكال له قوارص الكلام فغضب شفيق بك وهجم عـــلى الوزير طلعت يريد صفعه ؛ وكاد يفعل لو لم يبادر رفقاؤه الى منعه ، وقد جال في قلبه الحقد عـــلى وزير الداخلية وعول ان على يثأر لنفسه منه في اول فرصة تسنح

وقد سنحت تلك الفرصة في اليوم التالي بينما كان شفيق بك المؤيد يصعد درجات السلالم الحجرية المؤدية الى مجلس المبعوثان ؛ فقد التقى بطلعت بك ينزل تلك السلالم ، ووقعت العين على العين فتمتم شفيق بك باللغة العربية ببعض كلمات عدها وزير الداخلية مهينة له فشتم شفيق بك المؤيد مما هيج حقد النسب العربي ، فتقدم من طلعت بك واطمه على وجهه لطمة دوت لها تلك الارجاء ، وهجم طلعت على شفيق بك فرفسه مبعوث دمشق برجله رفسة جعلته يتدحرج الى اسفل السلم

وقد احدث عمل شفيق بك المؤيد ضجة قوية جداً في الاستانة وخصوصاً في الاندية التركية الرسمية ؛ وحملت جرائد الاستانة حملة شعواء على عمل شفيق بك وعلى نواب العرب وقابلتها الجرائد العربية بمثلها مما زاد في الطين بلة • وعول عندئذ الاتراك على اماتة الروح العربية من البلاد والاقتصاص الشديد من النواب العرب لاسيما السوريين الذين كانوا لولب تلك الحركة المباركة ودماغ الولايات العربية المفكر

وسارت الايام تباعاً والاشهر سراعاً واذا بجو السياسة يتعكر في اوربا بعد مقتل الارشيدوق فرديناند وقرينته في عاصمة الهرسك

وانتهزت المانيا تلك الفرصة السانحة لايقاد نار الحرب العامة والسيطرة على اوربا وسياسة العالم • وقد شاق الامبراطور غليوم الثاني ان يملي ارادته على ملوك اوربا ورؤساء جمهورياتها كما كان يمليها عليهم الامبراطور نابليون الاول فدفع النمسا الى اشهار الحرب على الصرب • واندلعت اذ ذاك في اوربا السنة اللهيب ووقفت المانيا والنمسا من جهة وفرنسا وانكلترا وروسيا من جهة اخرى • ولم تلبث ان انحازت بلغاريا وتركيا الى المانيا والنمسا واعلنت الدولة العثمانية النفير العام • ولم يكن السلطان محمد رشاد الخامس يعلم شيئاً من ذالك

ومما يروون عنه انه امضى اعلان الحرب على الحلفـــاء في ساعة سكر شديد ولم يعلم انه في حرب الا بعد ثلاثة اشهر من توقيع اشهار الحرب مما يؤيد ان امور تركيا

كانت بيد جمعية الاتحاد والترقي وخصوصاً بين يدي طلعت بك وزير الداخلية وانور باشا وزير الحربية وجمال باشا وزير البحرية

وقد عول هؤلاء الثلاثة على الفتك بالعناصر التي كانت تناوئ سياسة الاتحاديين. فتكفل انور باشا بابادة رجالات الارمن، وجمال باشا بابادة رجالات العرب وقتل الروح الاستقلالية في بلاد ارمينيا وسوريا، واخذ طلعت بك على جمال باشا بقتل شفيق بك المؤيد والاستاذ عبد الحميد الزهراوي زعيمي الحركة العربية اذ ذاك

فقام انور باشا بما عاهد عليه اذ اجرى في ارمينيا مذبحة هائلة قضت على مليون ارمني وعلق جمال باشا المشانق في دمشق وبيروت فامات جوراً وظلماً الاستاذ عبد الحميد الزهراوي وشفيق بك المؤيد والمحمصاني والجزائري والشهابي والعريسي والخازن وكثيراً غيرهم، وقضى بالجوع على البلاد السورية واللبنانية لقتل روح المقاومة في بنيها الى ان بلغ عدد ضحايا الجوع في مدينة بيروت وحدها اربعين نفساً في اليوم

واحال طلعت بك اعضاء النادي الادبي الى الديوان الحربي العرفي المعقود في عاليه، فكان نصيبهم نصيب الزهراوي والمؤيد ورفاقهم، واوجب على الباقين الانخراط في السلك العسكري واحالهم الى انور باشا الذي ارسلهم الى جبهة قفقاسيا حيث لاقوا من المتاعب والاهوال ما قضى على فريق كبير منهم وفي طليعتهم الفتى الباسل سعيد الدوماني

اما ملحم سارة فقد ساءت اثناء الحرب احواله وفقد تجارته. وفتكت حمى التيفوس بابيه وتين فكان من جملة ضحاياها، واصبحت يتامة من بعده في ضيق عظيم فباعت حلاها وجواهرها وما تملك يداها حتى اذا لم يبق لديها شيء من ممتلكات الحياة ركبت القطار مع ابنتها سعاد الى دمشق علها تجد فيها ما يسد رمقها ورمق ابنتها ونزلت ضيفة على غبطة البطريرك غريغوريوس حداد بطريرك الطائفة الارثوذكسية مع المئات من اترابها. فاخذ البطريرك يستدين المال من هذا وذاك ليخفف عما يقدمه من الخبز والاطعمة لوعات البائسين والبائسات من بني قومه العرب بينما كان غيره من كبار القوم يحتكرون الغلال ويبيعونها بالاثمان الفاحشة

الا ان اعانة ذاك البطريرك الجليل لم تكن لتدرأ الفاقة السامة عن بني قومه، فكان عدد كبير منهم يموت في الطرق وعلى ابواب البطريركية الارثوذكسية؛ وعبثاً حاول المنسنيور الشالي الوكيل البطريركي للطائفة المارونية في دمشق مساعدة البطريرك الجليل في اعماله المبرورة فما استطاع الا اسعاف بعض الملتجئين اليه

ورأت يامة ان الموت يرصدها ويرصد ابنتها ، وتذكرت ما كانت عليه من سعة العيش وما اصبحت عليه من الفقر المدقع ، وسمعت يوماً الكاهن يعظ في الكنيسة وقد جعل موضوع خطابه ( بشر القاتل بالقتل والزاني بالفقر ولو بعد حين ) فغطت وجهها بيديها وذرفت دموع الندامة مدراراً ؛ وعلمت ان ما اصابها واصاب ابنتها لم يكن سوى نتيجة خيانتها لزوجها

وهالها ان ترى الموت يحاول اختطاف ابنتها فخرجت شاكية باكية وبذلت كل سعي لانقاذ ابنتها من اشراك الموت ، وبعد جهد عظيم وبعد شق النفس استطاعت ان تجد للفتاة مكاناً عند احدى العيال الدمشقية الشريفة ؛ فتخدم وتأكل خبزها وترتدي ما يجودون عليها به من الثياب القديمة

ورأت يامة انها هي ايضاً امست مهددة بالموت فعولت على السفر الى حوران حيث اخذ بنو الاطرش يفرقون الاطعمة على من كان يقصدهم من ذوي الفاقة ، وما زالت تسير وتقع هنا وهناك خائرة القوى الى ان وصلت الى جبل الدروز ودخلت في دار حسين بك الاطرش احد زعماء الجبل تشتغل فيه كخادمة ايضاً وهي تندب سوء حظها ولا تعلم عن ابنتها شيئاً لصعوبة المواصلات بين دمشق وحوران في ذاك الحين

— ٤ —

كانت المعارك التي اثارها جمال باشا على الحلفاء سلسلة انكسارات متوالية

وزحف الجيش الانكليزي بقيادة اللورد اللنبي على فلسطين فاستولى على مدنها الواحدة تلو الاخرى

اصدر الجنرال فوش القائد العام لجيوش الحلفاء امره للقائد اللنبي بالهجوم على القوات التركية في الساعة الثالثة بعد منتصف ليل ١٩ ايلول عام ١٩١٨ فقام « اللنبي » بما عهد اليه به قائد جيوش الحلفاء العام وصبت المدفعية الانكليزية ناراً جهنمية على سائر جبهات الحرب الفلسطينية ، واخترق الجيش الانكليزي في الساعة السابعة صباحاً جبهة الجيش التركي فانهزم الجيش العثماني السابع ، وكان يقوده مصطفى كمال ، ولجأ الى حوران

واستولى الانكليز على الناصرة وقبضوا على اركان حرب الجنرال فون سندرس باشا الالماني الذي لم يجد بداً من الفرار بنفسه

ورأى الجنرال فون سندرس باشا بعد ان فقد فلسطين ان يحتفظ بسوريا فحشد

فاول الجيش الرابع والسابع والثامن في رياق ليسد في وجه الحلفاء ولوج سهل البقاع ، وامتدت جبهة الحرب من صوفر الى الزبداني وعهد بقيادة تلك الجيوش الى مصطفى كمال . واخذ الضباط والجند من السوريين العرب يفرون من الجيش التركي

وعقد كبار قواد الاتراك والالمان والنمساويين مجلساً حربياً في دمشق وقرروا نسف جميع البنايات الاميرية الموجودة في المدينة بواسطة الديناميت . فلم يوافق القواد النمساويون على ذلك وتمكنوا بعد الجهد من اقناع جمال باشا وفون سندرس باشا بالعدول عن رأيهما ، واشاروا على من يتولى زمام المدينة من الوطنيين ان يعلنوا استقلال سوريا ، فرفعوا العلم العربي على دار الحكومة مساء يوم ٣٠ ايلول ١٩١٨ وترك الالمانيون والنمساويون والاتراك دمشق الى رياق ، ولكنهم احرقوا قبل خروجهم جميع المؤن والذخائر التي عجزوا عن نقلها من محطة القدم . واستدعى اصحاب الامر في دمشق الجيشين الانكليزي والعربي لاحتلال عاصمة الامويين

وكان في استطاعة الحلفاء دخول دمشق في ذلك اليوم الا ان الانكليز لغاية في النفس اخروا موعد الاستيلاء على المدينة الشرقية الكبرى وانتظروا الامير فيصلاً والجيش العربي اللذين كانا لا يزالان بين عمان ودرعا ليدخلا دمشق قبلهم عملاً بالاتفاق السري المعقود بين الحسين والانكليز ، وخلاصة ذلك الاتفاق ان من يدخل المدينة قبل الآخر تصبح المدينة له

وعرف الانكليز انهم لا يستطيعون امتلاك دمشق اذا احتلوها لانهم زحفوا على سوريا باسم فرنسا فارادوا ان يحتلها الامير فيصل لتكون فيما بعد ملكاً للعرب حلفاء انكلترا يومذاك فتقع فرنسا في مشكلة سياسية مع الحسين ملك الحجاز تنتهي بهما الى الجلاء عن البلد السوري

ودخل الامير فيصل والجيش العربي دمشق ، ثم الجيشان الانكليزي والافرنسي وكان ذلك في اول تشرين الاول ١٩١٨ ، فقابلهم السكان بالاهازيج ، وعلم الاتراك بدخول الحلفاء دمشق فنسفوا محطة رياق والذخائر الحربية الموجودة في المستودعات واسرعوا في الانهزام الى حمص فحماه فحلب ، وقد بلغ عدد الاسرى من الاتراك خمسة وسبعين الفاً

وقدمت في ١٢ تشرين الاول البوارج الافرنسية الى مرفأ بيروت بقيادة الكونتراميرال ( فارنه ) فحياهـا البيروتيون واللبنانيون بقرع اجراس الكنائس واقامة الزينات ،

وفي اليوم الثاني احتل الافرنسيون طرابلس ، وحشد الاتراك قواهم في شرقي — شمالي حلب ، ووصل الجيش العربي بقيادة الشريف ناصر بن علي ، فالتحم في معركة هائلة مع الاتراك الذين يقودهم مصطفى كمال باشا ، وكادت الدائرة تدور على الشريف ناصر لولم يبادر الجيش الانكليزي الذي لحق به الى مساعدته والانتصار عليهم ، ولكن مصطفى كمال باشا لم ينهزم انهزاماً تاماً بل اخذ يعد المعدات لخوض المعركة الكبرى فورد عليه امر من السلطان وحيدالدين بعقد الهدنة مع الحلفاء خصوصاً وقد دخل الجيش الافرنسي بقيادة الجنرال (فرانشه ديسبره) الاستانة بعدما اجبر بلغاريا على طرح سلاحها ، فاضطر مصطفى كمال باشا لعقد الهدنة في الاسبوع الاول من تشرين الثـاني ١٩١٨ وهكذا خسر الاتراك سوريا بعد ان ملكوها اربعمائة سنة اي منذ عام ١٥١٦ الى عام ١٩١٨

وشرع الملك فيصل ، وقد نزل في بيت فخري بك البارودي ، بتأسيس الحكومة العربية . وعين الانكليز امير اللواء علي رضا باشا الركابي حاكماً عسكرياً على سوريا الداخلية بالنظر لما اظهره من التفاني في حبهم . واتفقت انكلترا مع فرنسا على تقسيم سوريا الى مناطق ، فاطلقوا على مدن سوريا الاربع اسم المنطقة الشرقية ، وعينوا الامير فيصلاً اميراً موقتاً عليها ، واطلقوا على الشواطىء البحرية اسم المنطقة الغربية وعينوا الكولونيل «دي بياباب» الافرنسي حاكماً عليها

ثم اخذ الحلفاء والاتراك بتبادل الاسرى ، فرجع السوريون واللبنانيون الى بلادهم ولم يرجع سعيد الدوماني الى الاستانة ؛ فقلقت زوجته اشد القلق وسألت عنه القيادة الحربية فقيل لها انه قتل في احدى المعارك فحزنت عليه حزناً شديداً ومـا لبثت ان تركت مع والديها وولدها الشاب قحطان عاصمة الاتراك وجاءت الى دمشق حيث ترك لها زوجها بيتاً جميلاً وبعض الاملاك

وكان قحطان مشبعـاً بحب العرب نظير ابيه فانخرط في سلك الحكومة العربية واصبح نظير رفقائه المتحمسين من اكبر انصار الامير فيصل لكونه يمت بنسبه الى اشرف عائلة عربية عرفها التاريخ

— ٥ —

حبيب بك الله لطف من كبار المتمولين السوريين في مصر ، ويعدون ما يملكه بما لا يقل عن مليون ليرة ذهباً

وقدشاق حبيب باشا ان يضيف الى اسمه لقباً جميلاً ، فتمكن بواسطة ما بذله من الاموال والخدمات للملك حسين ان ينال لقب امير

وقد عقد هو واولاده النية على ان يساعدوا الامير فيصلاً في سوريا بكل ما اوتوه من قوة . فانشأ الامير جورج لطف الله مشغلاً عهد بادارته الى جمعية من سيدات دمشق وآنستين جاء بهما وكيله من بيروت فاخذتا تعلمان البنات الفقيرات سائر الاشغال اليدوية والخياطة واللغة العربية

واشتهر المشغل في دمشق وسوريا شهرة كبيرة . وقدم به الامير ميشال واخوه الامير جورج لطف الله اكبر خدمة نسائية للبلاد السورية ، اذ تخرجت منه بنات عديدات لا يزلن يقمن حتى الساعة بنفقات عيالهن مما تعلمنه في ذلك المشغل

ورأت سعاد ابنة المرحوم مراد ان لا تكون عبئاً على احد ، فدخلت مشغل لطف الله وانصبت على اتقان الرسم والاشغال اليدوية فبرعت فيها وتفوقت على رفيقاتها

وسعاد على جانب عظيم من الادب والجمال ، فلفتت انظار الكثيرين ممن كانوا يزورون المشغل لشراء ما يحتاجون اليه من الامتعة

واراد الامير فيصل ان يظهر عطفه على المشغل فزاره مع كبار رجال حاشيته واثنى الثناء الجميل على القائمات به واشترى منه كمية من الاشغال اليدوية ونقد رئيسته مائتي ليرة مصرية لانهاض مستوى المشغل

ووقعت انظار قحطان بن سعيد الدوماني ، الذي دخل في خدمة الامير فيصل ، على تلك الفتاة فشعر بجاذب كبير اليها . ورأت سعاد ما في نظراته من الحب وراقها جمال الشاب والوظيفة التي يشغلها في البلاط الاميري فمالت اليه ، وشاق قحطان ذلك الحسن الفتان والادب الجم فعول على الاقتران بها

وكانت سعاد قد استأجرت غرفة صغيرة في ساحة الدواونة — وهي حي من احياء باب توما — وتنفق على مطعمها وملبسها مما تتناوله في كل اسبوع من الاجرة في المشغل

واهتدى قحطان الى مقرها ، وكان يسكن هو نفسه غرفة قريبة منها ، فزارها في مخدعها واطلعها على ما يجول في قلبه من الحب وطلب اليها ان ترضى به خطيباً . وسعاد سمعت الشيء الكثير من جاراتها عن الفتى قحطان فلم تتردد في قبول طلبه ، ولكنها افهمته ان لها والدة جاءت ايام الحرب الى دمشق واذ كانتا في ضيق عظيم اقامت

هي خادمة في منزل احدى العيال الدمشقية وسافرت امها الى حوران ولم تعلم منذ ذاك الحين عنها شيئاً على الرغم من جميع المساعي التي بذلتها في هذه السبيل

والحت الفتاة على قحطان الدوماني بان يبذل ما في وسعه لايجاد والدتها فوعدها بتحقيق امنيتها وودعها وقلبه يطفح بشراً وحبوراً وعد تلك الساعة التي قضاها الى قربها من اجمل ساعات حياته

واعلم قحطان والدته بما عزم عليه ، واذ كانت الام تعرف سعاد معرفة تامة وتسمع الجيران يثنون ثناء جميلاً على حسن اخلاقها وادابها لم تمانع في الامر . فبادر قحطان حالاً الى ابلاغ سعاد ما توقع له وهو يكاد يطير من الفرح ؛ واصبحت الفتاة خطيبته منذ تلك الساعة

بيد ان فرحهما نغص على الشاب جميل الدنيا — وهو جار سعاد — حياته ؛ فكان يطمع في الاقتران بها ، ولذلك غاظه جداً تردد قحطان بك عليها — نقول قحطان بك لانهم هكذا ينادونه ، وقد اعتاد اهل دمشق ان يطلقوا لقب بك على كل من نال وظيفة في الحكومة ، واذا اجرينا احصاء رسمياً واعتبرنا صاحب هذا اللقب من ناله بارادة سنية بلغ عدد هؤلاء خمسة بالمائة فقط

اجل ، ساء جميل الدنيا تردد قحطان بك على سعاد فهرع اليها يستقصي الخبر منها . وكانت سعاد تعلم حب جميل لها ولكنها مقتته اسوء اخلاقه . لذا لم تتردد بابلاغه انها اصبحت بصورة رسمية خطيبة لقحطان بك . فاخذ جميل يتذلل اليها مظهراً لها حبه وهيامه وهي لا تزداد الا نفوراً منه حتى اذا ما قطع كل امل من استمالتها اليه جاشت كوامن الحسد في قلبه فتوعدها بانزال اشد المصائب عليها ، فلم تعبأ بكلامه وطردته من غرفتها طرداً فظيعاً

***

عول جميل الدنيا على ان يصب جام غضبه على قحطان بك وعلى خطيبته وكان حقده على الاثنين كبيراً

فانخرط في سلك الجواسيس الذين يرتادون دار البعثة الافرنسية ، يوم كانت برئاسة الكولونيل « كوس » ، لقاء بعض دريهمات يتناولها عن عمله الخسيس

وحصر همه في تقديم التقرير تلو التقرير عن مشغل لطف الله وغايته والروح التي يبثها الامير فيصل في بناته ضد الافرنسيين وما يحوكه قحطان بك من المؤامرات ضد

فرنسا وما ينظمه من التظاهرات العدائية لها وما تبثه خطيبته من السموم في المجتمعات النسائية والعائلية ضد فرنسا وضد رجالها مما جعل الكولونيل « كوس » يعتقد بعداء قحطان بك وخطيبته سعاد لفرنسا ، فوضع اسميهما في القائمة السوداء منتظراً الفرص للتنكيل بهما

ولم يكن قحطان بك يعلم ما يضمره له جميل الدنيا من العداء ، وكثيراً ما كان يلتقي به ويلقي التحية عليه ويعامله احسن معاملة بل كثيراً ما كان يمد اليه يد المساعدة .

اما سعاد فكانت توجس خيفة من جميل الدنيا وهي تعرف الشيء الكثير عن سقوط اخلاقه ودناءتها ولكنها ركنت اخيراً الى الطمأنينة خصوصاً ولم تبصر له بعد زيارته الاخيرة لها وجهاً

وكانت تعتقد كما اعتقد عدد كبير من الدمشقيين والدمشقيات بخلود حكومة الامير فيصل ومكانة خطيبها لديه ، وتنظر بعين تطفح املاً لما يهيئه له المستقبل من الترقي والفلاح

واعتقدت على الرغم مما كان يساورها احياناً من المخاوف ان جميل الدنيا عدل عن انتقامه وان تهديده لها لم يكن سوى تهديد وقتي لم يلبث ان تبددت غيومه بعدما هدأت سورة الغضب

— ٦ —

طمعت انكلترا في الاستيلاء على سوريا ، وسوريا دماغ الولايات العربية المفكر ، لتقيم منها امبراطورية عربية تنشر حمايتها عليها فتقف سداً منيعاً في وجه اية دولة اوربية تحدثها نفسها بالاستيلاء على الهند وتقبض بهذه الواسطة على الشرق الادنى فتدير سياسته كما تشاء

ولكنها كانت مرتبطة مع حليفتها فرنسا بمعاهدة ( سيكس بيكو ) وهي تنص بصراحة على ان تكون سوريا تحت حماية فرنسا ولا تستطيع نقض تلك المعاهدة بسهولة

ففكرت بان تجعل فيصلاً اميراً على سوريا وتدفعه مع السوريين لمناوأة فرنسا ، واخذت تحيل كل امر من كبير وصغير اليه لتجعل له مكانة في اعين الاهلين متظاهرة بانه المرجع الوحيد لمختلف القضايا ، مع ان الامير فيصلاً لم يكن ليجرؤ على القيام باي عمل كان الا بارادتها

وساعدت حكومته بمائة وخمسين الف جنيه مصري شهرياً ليستعين بها على تنظيم شؤون تلك الدولة وكانت تقطعها عنه كلما حدثته النفس بان لا ينصاع الى تنفيذ الاوامر التي كانت تصدرها السلطة الانكليزية اليه سراً

وكان الامير فيصل اطوع لها من بنانها يعمل على تنفيذ رغائبها بكل امانة ونشاط

وخرج السوريون من الحرب الكبرى وجيوبهم فارغة من المال ، فبذرت انكلترا دراهمها يمنة ويسرة لاستمالة السوريين اليها ، واشارت على الامير فيصل ان يستند في سياسته الى الشبان والعوام لاثارة الرأي العام على فرنسا

فتألف بامر منه النادي العربي وجمعية الدفاع الوطني وغيرهما من الجمعيات والاحزاب السياسية كحزب الاستقلال الذي لعب دوراً مهماً جداً في البلاد ؛ وكل هذه الاندية والجمعيات ترمي الى استقلال سوريا التام الناجز

ودفعت حكومة الامير فيصل بواسطة الشيخ كامل القصاب افراد العامة الى القيام بتظاهرات سلمية عديدة كانت تجوب احياء المدينة وهي مدججة بالسلاح صارخة: لا نريد حماية ولا وصاية!

وكان قحطان بك في طليعة المتظاهرين . فلما رأت حكومة باريس ما وصل اليه الامر في سوريا دعت انكلترا الى سحب جيوشها ؛ فلم تستطع الدولة الانكليزية ان ترفض هذا الطلب واتفقت الدولتان على ان تبقى الحكومة العربية في البلد السوري بشرط ان تقدم لها الدولة الافرنسية المساعدة الضرورية التي نصت عليها معاهدة (سيكس بيكو)

وقد اثر انسحاب الجيش الانكليزي تأثيراً كبيراً في نفوس السوريين اذ ادركوا ان بلادهم ستكون دون مشاحة تحت حماية فرنسا ولهذا ازداد مريدوها في سوريا وخصوصاً اصحاب الاملاك والنفوذ لانهم حسبوا كثيراً للمستقبل واشاروا على الامير ان يذهب الى لوندرا وباريس للوقوف على الحالة الراهنة وسلوك طريق قويم

فنزل الامير عند هذا الطلب ، واشارت عليه حكومة لوندرا ان يذهب الى باريس ويتفق مع المسيو كليمانصو رئيس حكومتها لانها وفرنسا تولت امر الاشراف على سوريا . وقابل الامير المسيو كليمانصو واتفق معه على ان يعمل الامير فيصل بجانب فرنسا وان يرضى بانتدابها على سوريا وعاهده المسيو كليمانصو لقاء ذلك على منح سوريا استقلالها فتحكم على نفسها بنفسها وتكتفي فقط باربعة مستشارين . ووقع الامير فيصل

والحكومة الافرنسية هذا الاتفاق في ١٦ كانون الاول ١٩١٩

ولما رجع الامير فيصل استقبلته المفوضية الافرنسية استقبالا باهراً ، لكنه كان على الرغم من طيب اخلاقه ذا ارادة ضعيفة ؛ متقلباً في ارائه ، ينقض اليوم ما ابرمه بالامس ، وقد اضاعه ضعف ارادته وسبب له مشاكل عظيمة

ولما وصل الى دمشق احاط به كبار المأمورين العراقيين والفلسطينيين الذين كانوا يعلمون ان لا خبز لهم في سوريا وهم غرباء عنها اذا نفذ الامير فيصل اتفاقه مع الحكومة الافرنسية ،فدفعوه بالاتفاق مع حزب الاستقلال المجاهد في سبيل انكلترا الى القاء خطبة تناقض الخطبة التي القاها في بيروت وزينوا له ان يعلن استقلال سوريا التام الناجز وتعهدوا له بمساعدة انكلترا المالية والحربية والفعلية ايضاً واظهروا له ضعف الجيش الافرنسي في سوريا

وما زالوا به حتى رضي بدعوة المؤتمر وتشكيل العصابات على حدود المنطقة الغربية . وكان يقودها ضباط اكثرهم لبنانيون وسوريون ينتمون الى حكومة الامير فيصل

فاحرقت هذه العصابات اربعين داراً في جديدة مرجعيون وقتلت عشرين رجلاً ونهبت قرية دير ميماس وعين ابل والقليعة وانتشرت في جبل عامل وبلاد بشاره وامتدت الى شمالي سوريا فتنارت انطاكية وتل كلخ حيث ترأسها ابراهيم بك هنانو وصبحي بك بركات . واندلعت نيران الفتنة في جبال النصيرية وكان بطلها الشيخ صالح العلي

ورغب الامير فيصل او بالاحرى رجال حكومته في القيام بهذه الاعمال ليزيدوا موقف الافرنسيين حرجاً في سوريا فلا يستطيعون تجريد قوة كبيرة ضد الامير فيصل بل يضطرون الى تفريق جنودهم هنا وهناك لاخماد نار الفتنة فينكل جيش الامير فيصل بهم

واجتمع المؤتمر السوري برئاسة هاشم بك الاتاسي وعضوية اخوانه الاستقلاليين وبعد مذاكرة في الامر حمي وطيس الجدال في شكل الحكم فايدت الاكثرية الساحقة الشكل الملكي الدستوري وكان اكثرهم تحمساً هاشم بك الاتاسي واخوانه ؛ فطلبوا المناداة بالامير فيصل ملكاً على سوريا وباستقلال سوريا الناجز التام

ولما رأت فرنسا ما آلت اليه الاحوال في البلد السوري اوعزت الى الجنرال غورو باتخاذ خطة حازمة تجاه الامير فيصل

فارسل القائد الفرنسي في ١١ تموز ١٩٢٠ انذاراً اولاً وفي ١٤ منه انذاراً ثانياً
فضاق الملك فيصل ذرعاً وطلب تمديد اجل الانذار فمدده الجنرال غورو ٤٨ ساعة،
وعقد الملك مؤتمراً عاماً من كبار رجال دولته فاشارت عليه الاكثرية بقبول شروط
الجنرال غورو

وعلم الاستقلاليون بذلك فهاجوا وماجوا وعقدو مجتمعاً قرروا فيه اغتيال الملك
فيصل في قصره وكلفوا ثلاثة منهم تنفيذ القرار

وعلم قحطان بك بامر المؤامرة لانه كان ساهراً على حياة مليكه العربي فبادر حالاً
الى ابلاغ مولاه امر المكيدة

فاتخذ الملك فيصل الحيطة اللازمة ، وبث الارصاد والعيون ، وضاعف عدد الحرس
على القصر

وتولى قحطان بك امر القبض على المتآمرين وتمكن بدهائه من القبض على
الاستقلاليين الثلاثة وزجهم في السجن لمحاكمتهم

فخاف الاستقلاليون عاقبة الامر واثاروا على الملك الشعب متذرعين بوسيلة اصدار
الملك فيصل امره الى الجند بالتفريق زاعمين انه خان البلاد ، وحصلت بينهم وبين جنود
الملك موقعة دامية في شارع النصر في دمشق بتحريض الشيخ كامل القصاب وانصاره
وزحفوا على القلعة لاخراج المسجونين منها وتسليمهم السلاح للانضمام الى صفوفهم ؛
فاضطر الملك فيصل ان يصدر اوامره الى الجنود باستعمال القوة ومبادلة الشعب الثائر
اطلاق الرصاص

فهجم قحطان بك في طليعة الجنود وابلى بلاء حسناً ؛ وتمكن الجند من اخماد
الثورة وتفريق رجالها بعد ان قتل من الفريقين مئتا رجل

ورأى الملك فيصل في الغد ان الحكم اصبح في يد الغوغاء وان عرشه في خطر
منهم لذا اضطر ان يسلم بمطاليبهم في استئناف الحرب ، فاصدر امره الى الجند العربي
المرابط على الحدود بالاصرار على المقاومة وباتخاذ خطة الدفاع

واستبطأ الجنرال غورو ورود الجواب وقد انقطت مهلة الانذار ؛ فاصدر امره الى
الجنرال « غوابه » بالزحف على دمشق ، فكانت معركة ميسلون حيث اندحر الملك
فيصل وانتهت بمغادرته سوريا مأسوفاً عليه ، اذ كان ضحية المتطرفين السوريين ، وفر
المناوئون للافرنسيين الى فلسطين ومصر وكان قحطان بك من جملتهم

- ٧ -

بكت سعاد فراق خطيبها بكاء مراً

واسودت الدنيا في عينيها لا سيا وقد اصبحت فريدة في العالم

فلم تعلم من امر والدتها شيئاً على الرغم مما بذلته من المساعي في هذه السبيل

وزاد في الطين بلة اقفال بيت لطف الله المشغل الصناعي وهي تكاد لا تملك شروى نقير ولم يكن لخطيبها مقدرة على مساعدتها مساعدة مالية لضيق ذات يده ؛ على انه كان يوافيها دائماً برسائله فتخفف نوعاً عنها لوعة الاسى والفقر

واغتنم جميل الدنيا تلك الفرصة فعاد الى نغمته الاولى مع سعاد وهي لا تزداد الا نفوراً منه

وقد تقدم في مأموريته فدخل البعثة الافرنسية كموظف فيها ،ولما يئس من اجتذاب الفتاة اليه ورأى تعلقها الشديد بقحطان بك عول على الانتقام منها

فوشى بها الى الافرنسيين بانها على اتصال دائم بانصار الملك فيصل في مصر لاحداث ثورة في سوريا وبانها تثير رجالها على الافرنسيين . واذ كان اسمها في قلم الكولونيل (كوس) في القائمة السوداء بفضل التقارير المزورة التي كان يقدمها جميل الدنيا الى البعثة الفرنسية اوعزت البعثة الى حقي بك العظم حاكم سوريا اذ ذاك بالقائها في السجن واقامة الدعوى عليها امام المحاكم العامة

وصدف ان الجنرال غورو اصدر عفوه في حديقة دمشق عن القائمة السوداء فرجع قحطان بك الى عاصمة سوريا وكاد يجن من الحنق لما وقف على ما آلت اليه امور خطيبته فجعل نفسه محامياً عنها امام المحكمة واماط اللثام عن وشاية جميل الدنيا ومآربه السافلة بعد ان اوقفته خطيبته على الحقيقة ، فلم تر المحكمة ندحة من تبرئتها بعد ان ظهر لـ انها طاهرة الذيل

واتصلت اخبار جميل الدنيا برجال البعثة فعظم الامر في عين الكولونيل « كاترو » رئيسها فاصدر امره باقالة جميل من وظيفته ليكون عبرة لامثاله من الجواسيس السافلي الاخلاق

ولا تسل عن فرح سعاد عند خروجها من السجن ،فرجعت الى منزلها مع خطيبها ، وكان اول عمل قامت به اعترافاً بجميل قحطان ان اقتربت منه وقدمت له جبينها فطبع عليه قبلة حارة اودعها كل هيامه

وصفت الامور لقحطان بك فطلق السياسة ثلاثاً وقد علمته التجارب ان يكون اقل اندفاعاً في ميوله فانتحى ناحية الاعتدال واتخذ له مكتباً لمعاطاة المحاماة فنجح نجاحاً باهراً وتحسنت احواله المادية فرمم منزله في محلة باب المصلى وفرشه باحسن الرياش وطلب الى سعاد ان تعين وقت الاحتفال بالزواج واتفقا على يوم خاص

ولكن ذكرى والدتها كانت دائماً تنغص عليها عيشها ، فلا تعلم أهي ميتة فتبكيها ام حية فتفتش عنها

وخطر لها ان ترجو من لجنة النادي الادبي الماروني في دمشق البحث عن امها لاسيما وقد اشتهر اعضاء ذلك النادي بالخدمات المجانية التي قدموها للبنانيين وارجاعهم اللبنانيات اللواتي انطفأت اخبارهن عن ذويهن الى احضان عيالهن بعد ما اعتقد الجميع بموتهن

فارسلت هيئة النادي الادبي الادارية تعلياتها الى بعض مناصريها في حوران واستنهضت همتهم في ايجاد عامة ارملة ملحم سارة من بيروت

ومضت ايام عديدة ولم يرد خبر على النادي الادبي عن عامة ، وقطعت ابنتها املها بوجودها في قيد الحياة ، واعتقدت انها هلكت مع من هلك من اترابها ، ولم تشأ ان تؤخر يوم زفافها اكراماً لخطيبها وحفظت حسرتها على والدتها في قلبها

ونادى الكاهن ثلاث مرات في الكنيسة هل يجد احد مانعاً يمنع زواج سعاد ابنة ملحم ساره بقحطان بن سعيد الدوماني فلم يتقدم احد للاعتراض، لذا تقرر اكليلها في يوم الاحد الواقع في اول ايار ١٩٢٢

وازدحمت الكنيسة باصدقاء قحطان بك وكلهم فرحون لفرحه ، ولم يكد الكاهن يبدأ بصلاة الاكليل حتى دخلت الكنيسة امرأة متقدمة نوعاً في السن تدل ملامحها على ما كابدته من المصائب والاهوال وكان الى قربها رجل درزي وضع على رأسه عقالاً وحمل بيده رسالة للكاهن من الزعيم حسين بك الاطرش ، فاضطر ان ينتظر في الكنيسة ريثما تنتهي صلاة الاكليل

ومضى الكاهن في صلاته حتى اذا ما كاد يفرغ منها وجه كلامه الى العروس وقال لها بصوته الجهوري :

-- يا سعاد ابنة ملحم ساره ، هل ترضين بقحطان بك ابن سعيد الدوماني عريساً لك ؟

فاجابته بعد تردد قليل بالايجاب

ومال الكاهن الى قحطان بك ليسأله بدوره هل يرضى سعاد عروساً له.

وقبل ان يفوه بكلمة ارتفع صوت عال من بين الجماهير المحتشدة يقول :

— حرام ان تكلل ايها الكاهن الاخت على اخيها ! . . .

فالتفت الجميع الى مصدر الصوت وقد هاله ما سمع ؛ وتقدمت تلك المرأة التي لم تكن سوى يمامة ارملة ملحم ساره والدة سعاد وهي تصرخ بأعلى فيها :

— ولدي ! . . . ولدي ! . . .

فاصفر وجه قحطان بك وسعاد حين سمعا ذلك ، ووقف الكاهن عن متابعة الصلاة ، واقتربت الام من ابنتها ورمت نفسها بين ذراعيها فطوقتها هذه بيديها وذرفت الاثنتان دموع الفرح ، ثم مالت يمامة الى الكاهن واسرت في اذنه كلمة طلبت منه فيها انها تود الاختلاء به . وانزوت واياه في احدى زوايا الكنيسة واخبرته ان سعاد ابنتها وانها كانت عشيقة لسعيد الدوماني والد قحطان بك وان العروسين اخوان من والد واحد وسردت عليه تفاصيل الحادثة

فاحجم الكاهن فوراً عن الاكليل واختلا برهة بالعروسين واطلعهما على جلية الأمر فارتميا بين ذراعي بعضهما بعضاً وتعانقا معانقة اخوية طاهرة بدل المعانقة الزوجية ، وعاش الثلاثة بكل هناء وصفاء بعد ان كفرت يمامة عن خيانتها بما قاسته من البؤس والجوع والمصائب مدة سنين عديدة

تمت

العدد التسعون | السنة الثانية


# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## ليلى الدرزية


صاحب المجلة ومنشئها: [illegible]



الادارة: بناية اياس الجديدة – تجاه الكبوشية – باب ادريس

الأشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٦ تشرين الاول سنة ١٩٢٩

# ليلى الدرزية

ازدهرت الكروم بحلة الربيع ، وغردت العصافير تملأ بانغامها الحدائق والبراري والحقول ، وجرى نهر الباروك ببطء وهدوء فنزع عنه تلك الحدة التي رافقته في ايام الشتاء وامسى يداعب الازهار النابتة على ضفتيه فيلاويها ولا يؤذيها ؛ ويسقي الاشجار المنتصبة كالحراس حواليه فينعشها ويحييها بعدما كان يجرفها في الشتاء لا يبقي على الاصول والجذوع فيها

ونهر الباروك عذب الماء صافيه . يتدفق من احشاء جبال صخرية جرداء امنع من عقاب الجو ، وينحدر في اودية الشوف الى ان ينتهي الى حدود مدينة صيدا فيصب في البحر

ولهذا النهر اسماء ثلاثة ، تختلف لدى كل منطقة يجتازها ؛ في الباروك وماجاورها يطلقون عليه اسم نهر الباروك ، وفي الاودية القريبة من مرج بسري بين الشوف وجزين يسمونه نهر بسري ، وفي حدائق صيدا يتخذ اسم النهر الاولي ، على ان منظره الابدع والاكمل والاتم في نبعه الفوار ؛ فيتواثب من بطن الارض كأنما يأبى البقاء دفين التراب ، فلقد شاقته الحياة واقبل يتنعم بنورها ونعيمها

ومن نهر الباروك جاءت فتاة في مقتبل العمر تملأ جرتها . وقد سترت رأسها بمنديل ابيض [illegible]لى حتى ظهرها . ومن ابصرها لاحت له العافية تشع في وجهها ، فكانت تمشي بتيه وخيلاء كأنها احست بان الجمال فاض عليها فألبسها من حلله ثوباً قشيباً

وبدا لها خيال من بعيد فتلثمت ، ودنا منها فاذا هو فارس يلتف بعباءة حريرية مزركشة وفي يده رمحه والى جنبه سيفه ، وقد امتطى جواداً ازرق كلون السماء . ونظرت اليه الفتاة خلسة فاذا هو يرتع في حسن وبهاء نادرين ، ونظر الفارس اليها فقال : هل لك بشربة ماء تتفضلين بها علي ؟ . . .

فشعرت من لهجته بانه من ابناء الشوف ، فحملت اليه جرتها وقالت : اهلاً بك

ومرحباً ! . . .

فتناول الجرة منها وهو ينظر ملياً اليها ، فاعجبته ملامحها وقال : ومن اي بلدة انت ايتها الحسناء ؟ . . .

قالت : من الباروك يا سيدي !

— هل تعرفين الشيخ علي عماد ؟ . . .

— وكيف لا اعرفه فهو زعيم اسرتي وسيد اسيادها

— أيكون اليوم في الباروك ؟

— انه لم يبرحها منذ امس ، فماذا تريد منه ؟

— ان الامير بشيراً ارسلني اليه بكتاب خطير على ما اظن !

وحث الفارس جواده الى الباروك وهو يلقي آخر نظرة على الفتاة ، ووقفت هي قليلاً تشيعه بانظارها ثم ملأت جرتها وتابعت طريقها الى القرية تفكر بالشاب الجميل . وكان يخيل اليها ان فؤادها اضطرب لدى ظهور الفارس امامها ، ولم تكن لتعرف ما هو الحب ، فقالت : ما بال صورته لا تمحى من ذهني ، ليتني لم ابصره ، فقد تراءى لي اني اعرفه منذ عهد طويل ! . . .

وعادت الى المنزل بخطى متثاقلة ، فان مرأى الفارس الشاب اقلقها ، وبين نبع الباروك وبلدة الباروك مسافة عشر دقائق مشياً على الاقدام ، وبينما الفتاة تجتاز طريق القرية اذا بالفارس يعود ، وكان قد وفى مهمته حقها ، ولما ابصر الفتاة قال لها : ما اسمك ايتها الحسناء اللطيفة ؟

قالت : ليلى !

فقال : وانا من رجال الامير بشير . . . ومن اخوانك الدروز !

قالت : انعم واكرم ، والى اي بيت من الدروز تنتمي ؟

— الى بيت نكد ، فانا سعيد النكدي ! . . .

فقطبت حاجبيها لعلمها ان بين ذويها والنكديين شيئاً من النفور ، وادرك الشاب ما بها فقال : ما لي اراك تجفلين !

قالت : خشيت ان تقع الجرة عن كتفي !

قال : يجب ان تصرحي بالحقيقة ، ولكن لا حاجة بك للتصريح ، فاني اعرف لماذا اجفلت ، فقد راعك ان اكون من اسرة نقمت عليها اسرتك ، ولو علمت ان

عداوة الاباء لا تنتقل الى البنين لمكان موقفك مني غير ما اراك فيه !

وترجل عن جواده ومشى اليها يحاول ان يلمسها فابتعدت منه واصطدمت رجلها بحجر هناك فسقطت الى الارض وتحطمت جرتها وتلاعب الهواء بثيابها فبدت بشرتها البيضاء، فاسرع سعيد النكدي اليها يحاول ان يرفعها عن الارض فصاحت به : اياك وان تلمسني ! ...

ونهضت ونظرت الى جرتها بعين دامعة وقالت : يا صباح الشؤم !

فقال لها : لا تخافي ساعود الى القرية اجيئك على الفور بجرة منها !

فابت وصاحت : لا اريد ، لا اريد ! ...

ولكن سعيد النكدي كان قد امتطى جواده وعاد الى الباروك بسرعة الطير واشترى منها جرة واقبل على ليلى يقول : والله ان ترفضي قبولها قتلت نفسي !

فابتسمت له بالرغم منها واخذت الجرة وعادت الى النبع تملأها وسعيد يتبعها وهو على متن جواده ، وعلى مقربة من النبع وثب الى الارض وقال : ليلى ، اني احبك تعاهديني على قبولي زوجاً !

قالت : واهلي واهلي ماذا تراهم يفعلون ، فلا بد لهم ان يغضبوا !

فقال : اني تولى اقناعهم ،ولا ارجو منك الا ان تعاهديني على الزواج!

فترددت في الجواب ، قال : ألا ترين اني أليق بك ؟ ... كلانا من اسرة محترمة، ألا يرضيك نسبي ? ...

فاحمرت وجنتاها خجلاً وقالت : لك مني العهد القاطع على اني رضيت بك زوجاً !

فدنا منها يحاول تقبيلها فخانته الجرأة ، فقد خاف ان تحتقره الفتاة وتعرض عنه اذا بادرها بما يمس حياءها واكتفى بان يقول لها : أتثبتين على العهد يا ليلى ؟

قالت : لن اكون لسواك وحق اجدادي !

فارتاح لهذه اليمين ونظر اليها مودعاً وهو يقول : الى اللقاء ! ...

ومشى كل في طريقه ، ولكن سعيد النكدي وقف في منعطف ينظر الى ليلى تتهادى في سيرها الى القرية ، وحانت منها التفاتة الى سعيد فبغتت اذ رأته يتأملها ، وتابع هو طريقه يترنم باناشيد الحب والغرام ويرمق ليسلي بنظراته من بعيد الى بعيد ، ولما غابت عن ابصاره راح يتغنى بالنشودة « يا حنينا » وكلما انشد بيتاً طرب وصاح : « يا قمر لا تغيب ظل قبالنا ! ... »

- ٢ -

من حسنات عهد الامير بشير وسلفائه ان المسيحيين والدروز كانوا على اتم وفاق ووئام.

فلم يكن ثمة درزي ومسيحي ، فالاثنان اتفقا ، واذا اختلفت الاراء السياسية كان فريق كبير من الدروز يناصر المسيحيين ، وفئة لا يستهان بها من النصارى تؤيد الدروز

فالخلاف كان يتناول الشؤون السياسية دون ما نظر الى الدين ، وكثيراً ما اشتد ذاك الخلاف واستحال الى معارك يسيل فيها الدم والمسيحي يقاتل المسيحي والدرزي يفتك بالدرزي ، فالعقيدة السياسية كانت العقيدة التي يسعى وراءها القوم، فلا دين ولا جهاد مقدس ولا تعصب ولا صليب ولا هلال

ولما تولى الامير الشهابي الكبير مقاليد الحكم في لبنان كانت الحال بينه وبين الدروز على خير مايرام، فكلهم اجمع على حبه واحترامه ، والشيخ بشير جنبلاط نفسه وآل العماد سايروه وحالفوه ووافقوه على ما اراد

واذا بدا من آل العماد بعض الجفاء. فذلك انهم كانوا يلمسون في الامير بشير ميلا الى خصومهم آل نكد ، على ان الامير كان يبذل جهده في محو سوء التفاهم بين الاسرتين فلم يفلح ، فالنفور كان قد تفاقم ولم يبق لدرئه من سبيل

... وعاد سعيد النكدي من الباروك يحمل جواب الشيخ علي العماد بما يرتاح له الامير بشير ، فتبسم الامير لدى تلاوته وقال لسعيد : وماذا رأيت في طريقك الى الباروك ، ألم تخف على نفسك من بطش آل العماد ؟

وكان من عادة الشهابي الكبير ان يداعب رجاله لدى غبطته وابتهاجه ، فقال له سعيد النكدي : اني لا اخاف احداً كلما شملني سيدي الامير بعطفه . اما ماذا لقيت في الطريق ؟ ... فقد لقيت ما قرت له عيني وسرت له نفسي !

— وماذا لقيت ؟

— ما عساي ان اقول لمولاي الامير اطال الباري في عمره ؟ ... لقيت فتاة هي الفجر بل انقى من الفجر ، لقيتها كنور الصباح بل ابهى ، واذا درى مولاي ابنة من هي تعجب واستغرب !

— وابنة من هي يا سعيد ؟

– هي نسيبة للشيخ علي العماد يا مولاي !

– ما اسمها ؟

– انها تدعى ليلى !

– اسم جميل ، وهل تحدثت اليها ؟

– خاطبتها بما اوحى اليَّ قلبي واتفقنا على امر من الامور !

فضحك الامير بشير وقال : وعلى ماذا اتفقتما ؟

– على الزواج يا مولاي !

– وهل رضيت بك زوجاً ؟

– لقد رضيت وعاهدتني على ان لا تتزوج سواي ، ولكنها ابقت امرهـا بين ايدي ذويها ، فان وافقوا على زواجنا كانت لي والا قضت حياتها لا تتزوج احداً

– أهي التي افضت اليك بهذا المقال ؟

– اجل يا سيدي الامير ، ولقد جئتك الان استعين بك على حاجتي !

فاخذ الامير بشير يبسم لذلك العـاشق المستجير به وقال له : وماذا تريد مني يا سعيد ؟

قال : اريد من مولاي ان يتوسط لي لدى آل العماد فاتزوج ابنتهم !

– وهل ارسلتك الى الباروك لتفتش عمن تتزوجها ؟

– لست الملوم في حبي يا سيدي الامير !

– ومن هو الملوم ؟ ...

– هو قلبي !

فكاد الامير يستلقي على ظهره من شدة الضحك وقال لسعيد : سننظر في امرك لا تخف !

وكان من عادة الامير ان يمتطي جواده في ايام الربيع والصيف ويغدو الى نبع القاع يشرب نارجيلته مع نفر من حاشيته . ولابد لمن يقصد نبع القاع من بيت الدين ان يمر بالقرب من الباروك . فلما بلغ في ذلك الصباح الامير بشير جهـات الباروك ارسل يدعو اليه الشيخ علي العماد ليوافيه الى نبع القاع ليشربا النارجيلة معاً . فلبى الشيخ نداء الامير ، وما هي بضع دقائق انقضت حتى كان زعيم آل العماد يسلم على الشهابي ويجلس عن يمينه على ضفة حوض النبع

ونبع القاع ثائر على كل نظـام . فانه ليتفجر من صخرة صماء غارقة بين الشوك والعليق . فامامها هشيم ووراءها هشيم وحولها هشيم . وتبعثرت منها الميـاه هنا وهناك فامست كغدائر من لجين نثرتها الريح على منكبي غادة شامخة الرأس جموح

ويصب نبع القاع لدى انبجاسه من صخرته في حوض اقامته يد الطبيعة مستديراً كالقمر في ليلة تمامه ، وامام ذلك الحوض يحلو الجلوس ، وفيه يحلو الاغتسال ، اغتسال العذارى ، فهن فيه بأمن من كل عين و كل عذول

... وبعد سكوت قليل التفت الامير بشير الى علي العماد وقال : كيف ترى الجلوس الى هذا النبع يا شيخ علي ؟

فاجاب زعيم آل العماد : ان الجلوس الى النبع ليس بالامر العظيم الشأن لولا وجود سيدي الامير !

— وهل تحب هذا الامير يا شيخ علي ؟

= هل رأى مولاي مني ما يدله على اني اكرهه ؟ ...

= لا ، اريد ان اعتقد انك شديد الاخلاص لي ، فان آل العماد ذوو شأن عندي ، ولقد عرفتهم في مواقف عديدة اصحاب غيرة واقدام !

وجيء بالقهوة فطلب الامير ان يقدموها للشيخ علي قبل الجميع ، وبعد حديث تشعبت فروعه نظر الشهابي الى زعيم آل العماد وقال له : هل تعرف ماذا اريد منك يا شيخ علي ؟

قال : ومن اين لي ان ادري ذلك اطال الله عمر مولاي ؟

= اريد منك امراً بسيطاً على ما يبدو لي منه ، ولكنني اجهل اي وزن تقيمه له انت ، فهل تسايرني فيه ؟

فتردد علي العماد في الجواب ، فقال الامير بشير : لا تخف فليس في الامر مايزعجك ، فكل ما هناك قضية زواج بين درزية ودرزي فما رأيك فيها ؟

فسري عن الزعيم العمادي لدن ايقن ان ما يطلبه منه الامير بشير يقف عند قضية زواج وقال : لست اخالف رغبة الامير في ما يروم !

= ألا تخالفها مهما يكن من امرها ؟

= مهما يكن من امرها فاني لراض بها !

فقال الامير : احسبك يا شيخ علي تعرف سعيد النكدي ، فهو حامل رسالتي

الاخيرة اليك . وقد اتفق له في اثناء مهمته ان ابصر على نبع الباروك فتاة تزعم انها من آل العماد ، فاحبها وتعاهدا على الزواج ، ولكن الفتاة ابت ان تقول كلمتها الاخيرة الا بعد الوقوف على رأي ذويها !

فتململ علي العماد لما سمع ان فتاة من آل العماد تعاهد نكدياً على الزواج وقال الامير : هل يعرف سيدي اسم هذه الفتاة ؟

= يقول لي سعيد انها تدعى ليلى !

= وماذا كانت تفعل على نبع الباروك ؟

= كانت تملء جرتها !

فانتفض الشيخ علي العماد من الغيظ وصاح : ان ابنة العماد ارفع من ان تذهب الى النبع تملء الجرة . فلا ريب ان الفتاة التي زعمت انها منا كاذبة في ما تدعي !

فقال الامير : خفف عنك يا شيخ علي . خفف عنك . نحن نعلم مـا انتم عليه من جاه وسعة عيش . وحمل الجرة لا يضير احداً . فقد يتفق مثل ذلك لامرأتي نفسها وهي في حديقة قصري . والان قل لي هل تعرف ليلى هذه ؟ ...

ففكر الزعيم العمادي هنيهة ثم قال : سأسأل عنها يا سيدي الامير . وكن عـلى ثقة بانها لو كانت ابنتي لزوجتها النكدي في سبيل رضاك !

ونهضا عن نبع القاع . وسارا في طريق بيت الدين . ولدى وصول الشيخ علي العماد الى قرب الباروك استأذن من الامير وحث جواده الى منزله والغضب يقطر منه . فقد عز عليه ان يقال عن ابنة العماد انها تملء الجرة اكثر مما غاظه ان يخطبها نكدي مع كل ما بين الاسرتين من النفور والجفاء ! ...

— ٣ —

في آل العماد فتاتان معروفتان باسم « ليلى »

الاولى تتصل بالشيخ علي العماد بنسب بعيد والثانية ابنة شقيقته . وكان يرجو ان تكون الفتاة التي ابصرها سعيد النكدي تلك التي تمت اليه بنسب بعيد

ودعا الفتاتين اليه . وخاطبهما بحدة وغضب قائلاً : من منكما حملت جرتها الى نبع الباروك ؟

وكان الجميع من نساء ورجال يحترمون الشيخ علي العماد ويخشون غضبه . فخافت الفتاتان ولم تنبسا بكلمة . فصاح بهما الشيخ علي : تكلما . من منكما حملت جرتها

الى نبع الباروك ؟

فقالت التي تمت الى آل العماد بنسب بعيد : لست انا يا سيدي !

وسكتت ابنة شقيقته · فادرك الشيخ علي انها هي هي صاحبة الجرة · فاقترب منها وهزها بعنف وقال : ألأنت التي حملت الجرة ايتها الشقية ؟ · · ·

فارتعدت فرائصها ولم تجب · فصاح بها : واي حاجة لك في نبع الباروك ، هل خلا بيتنا من الماء ؟ · · · ألا تبصرين الخدم تملأ دارنا ؟ · · ·

قالت : شعرت بميل الى النزهة ولم اشأ ارتياد النبع بلا مسوغ فحملت جرتي وسرت اليه على مهل !

— ومن ابصرت عند النبع ؟

— ابصرت رسولاً يحمل كتاباً اليك فسألني عنك فارشدته الى مقرك

— وهذا كل ما جرى ؟

— لا ، ان الرسول لدى عودته سألني عن اسمي وقال لي انه من النكديين

— وغير هذا ماذا قال لك ؟

— لقد ابدى اعجابه بي

— ألم يخاطبك في امر آخر ؟

— بلى ، لقد طلبني للزواج !

— وماذا كان جوابك له ؟

— اجبته ان الرأي رأي اهلي واقاربي !

— ولكن جاءني عنك انك رضيت به زوجاً !

— وهذا صحيح ، الا اني تركت الامر بين ايدي ذويّ وانسبائي !

— ولماذا عاهدت ابن نكد على الزواج ؟

= لان اسرته لا تقل عنا مقاماً ، ولانه اعجبني فبدا لي لطيفاً !

= ليس من شأن البنات مخاطبة الشبان في قضية كقضية الزواج ، لقد اخطأت يا ليلى ! · · ·

وكان الشيخ علي العماد يسدد الى الفتاة نظرات من نار ، على ان الفتاة تجلدت وقالت : ان يكن ما اقدمت عليه امراً إداً فاني اتوب اليك واطلب عفوك عني !

ومن المعروف عن الشيخ علي العماد انه طيب القلب ، فلما سمع كلمات الغفران من ابنة

اخته اقترب منها وقال : أتعلمين اي طريق سلكه ابن نكد ليخطبك ؟ ... لقد استجار بالامير بشير ، والامير دعاني اليه ورجا مني ان لا اخيب طلبه ، فوعدته خيراً وها انا ابرّ بوعدي ، انت الان لسعيد النكدي ؛ لقد اصبحت خطيبته ، فهل يروقك هذا التساهل مني ؟

فتناولت يد خالها تلثمها وتقول : ابقاك الله لي سيداً !

فقبلها الشيخ علي في رأسها وقال : لولا كرامة الامير بشير لكان دونك ودون خطيبك عقبات من المحال تذليلها ، اما وقد تدخل الامير فليهنأ كل منكما بصاحبه !

قالت : شكراً لك يا سيدي !

فقال : وهل احببت سعيداً لاول نظرة يا ليلى ؟

فاحمرت وجنتاها من الخجل ورأى الشيخ علي ان لا يحرجها فقال : سأكتب الى سعيد ادعوه للمجيء الينا فهل توافقين على هذا الرأي ؟

فسكتت ، فخرج الشيخ علي وهو يقول : يسرّني هذا الحياء في بناتنا ، فالطهر يتجلى في اقوالهن وحركاتهن ، واني لعلى يقين بان ليلى ابنة شقيقتي تجهل الحب قبل ان يبدو سعيد النكدي لعينيها !

وقام الى رقعة وقلم ودواة وكتب لسعيد يخبره بما كان من تدخل الامير بشير وختم رسالته بقوله : هي ابنتنا نزوجك اياها . ومن حسن طالعك ان تكون رضيت بك زوجاً ، فانها للملاك الكريم والطهر المجسم ، فلتهنأ بها ولتكن حياتكما حياة سعد وهناء ! ...

فما كاد سعيد يتسلم كتاب الزعيم العادي حتى طفح وجهه بالبشر والطرب وصاح : لعينيك يا ليلى ! ...

وامتطى جواده وراح ينهب الارض نهباً الى الباروك مقر حبيبته وخطيبته ومالكة قلبه ونهاه ! ...

— ٤ —

وجد الامير بشير الشهابي في الشيخ بشير جنبلاط مزاحماً عنيداً

فبنى الامير بشير قصر بيت الدين وبنى الشيخ الجنبلاطي قصر المختاره

وجرّ الشهابي مياه الصفا ونبع القاع الى قصره في بيت الدين وجرّ بشير جنبلاط مياه نبع الباروك الى قصره في المختاره ، فكان الاول لا يأتي بعمل من الاعمال الا

ويجاريه الآخر فيه حتى امسى موقف كل منهما من رفيقه موقف الند من الند

واشتدت المناظرات بين الاثنين ، فالامير الشهـابي بعد كل صداقته للشيخ بشير جنبلاط وجبه له لمس في حركاته تمرداً وعصياناً فنقم عليه وسعى لقهره واذلاله

ولكن للشيخ الجنبلاطي انصاراً واعواناً كما للامير بشير ، فراح يكيل الشهابي بالكيل الذي يكيل له الشهابي به ويزيد الى ان انتهى بهما الامر الى خصام شديد

واجتمعا ذات مرة يتفاوضان بالسلم والوئام ، فتصلب الشيخ بشير جنبلاط واظهر للامير الشهابي انه لا يقل عنه مقاماً وسلطة ونفوذاً ، وان لديه من الانصار والاصدقاء ما للامير نفسه ، وان الغطرسة لا تجدي نفعاً فالافضل للامير اذا شاء صلحاً وسلاماً ان يعتبر بهذه الحقائق والا حلَّ به الندم

فغضب الامير بشير لهذا الكلام القاسي وقال للشيخ الجنبلاطي : اراك جاوزت حدك !

فقال الشيخ بشير : ليس لنفوذي حدود !

قال : ولكنني اعرف كيف اكبح جماحك

فضحك الشيخ بشير جنبلاط ضحكة صفراء وقال : انك لواهم، فليس في امارتك كلها من يستطيع كبح جماحي ! ...

فطار صواب الامير وصاح : ان البلاد لا تحتمل بشيرين ، فاما انا او انت !

قال : المغلوب على امره يرحل !

فتوعد الامير بشير وتهدد وصاح بالشيخ بشير جنبلاط : سترى ! ...

فقال الزعيم الجنبلاطي : وانت سوف ترى ! ...

وافترقا على بغض وعداء ، وحشد الامير قواته ونادى اليه انصاره من آل نكد ومن اليزبكيين ، وجمع الشيخ بشير جنبلاط قواته وكان في طليعة انصاره آل عماد باجمعهم ، وتولى الشيخ علي العماد قيادة القوم لمحاربة رجال الامير

واشتعل الشوف ، واتقدت فيه نيران القتال ، فتقابل الخصمان في ضهور السمقانية على مقربة من بيت الدين واشتبكا في معركة طاحنة اسفرت عن فوز الامير بشير ، وتلتها معركة ثانية انتصرت فيها جماعة الزعيم الجنبلاطي ، وكان الشيخ العمادي يستقبل بصدره رصاص العدو ولكنه طويل العمر فلم يصب باذى !

ولما نشبت المعركة الثالثة اضطربت كفة النصر ، فكانت حيناً الى جانب الشهابي

وحيداً الى جانب الشيخ بشير جنبلاط ، ودب العياء في المتقاتلين فلجأ كل الى معسكره ووقفت حركة القتال

وشاء الامير بشير ان يقضي القضاء المبرم على الشيخ بشير جنبلاط مخافة ان تتوارد عليه النجدات من حوران، فاستعان بعبد الله باشا والي صيدا . وعبد الله باشا صديق للامير بشير فلم يبخل عليه بما طلب، واوفد قوة من رجاله لمساعدة قوات الشهابي على ابن جنبلاط

وشعر الشيخ بشير جنبلاط بان عبدالله باشا والي صيدا على استعداد لنجدة الامير الشهابي فخاف على نفسه وجاء الى قواته يبث فيها الشجاعة والنشاط ويدفعها الى الهجوم العام فاما فوز او هلاك

وتولى بنفسه قيادة رجاله ، وعهد بفريق منهم للشيخ علي العماد ، واخذ بشير الحماسة في الصدور ، ووثبت قواته الى النصر تنتزعه عن مفرق العدو فاسقط في يدها، فاعادت هجومها فباءت بالخسران ، فشددت عزائمها وعادت للهجوم فلم تفلح

وجاءت الانباء بان نجدات عبدالله باشا تواردت على الامير بشير فهال قوات الجنبلاطيين النبأ ولم تجد بداً من الاعتصام بالجبال، فكانت تطلق النار على رجال الامير من اعالي القمم ، واذا نارها تخبو فجأة واخبارها تنطفيء حتى خيل للامير الشهابي ان خصمه بشير جنبلاط قصد بنفسه الى حوران يستنجد باخوانه الدروز

— ٥ —

اكثر سعيد التكدي من تردده على ليلى

فكان يجهد في رؤيتها مرتين وثلاث مرات في الاسبوع ، فلا تسنح له الفرصة الا ويركب جواده ويسرع الى الباروك

وشعرت الفتاة بحبها للشاب، وعرفت معنى الحب، فكانت تقضي نهارها على نافذة الدار تنتظر مجيء سعيد ، ولا يكاد يلوح لها على متن جواده حتى يخفق قلبها شوقاً وحنيناً ووجداً

وخاطت لسعيد القمصان الحريرية المزركشة ، واهدت اليه كيساً للتبغ من المخمل الاسود طرزته بمهارة فائقة ، وغسلت له ثيابه ونثرت عليها الروائح العطرية ، وجاءته باشهى طعام وألذ فاكهة ، وكانت تقضي وقتها تبتسم له ، واذا غاب عنها فان صورته لا تبرح ذهنها وقلبها

ووضعوا لها موعداً للزواج . واغدق سعيد على خطيبته الهدايا . ومما اهداه اليها ثوب من الحرير نسجته معامل الحياكة في دير القمر التي اشتهرت يومذاك بنسيجها الفاخر العديم المثيل .

واجتمع الخطيبان ذات ليلة على انفراد فقال سعيد : يخيل اليَّ ان مصاباً سيطرأ علينا يا ليلى !

فارتجفت وصاحت : واي مصاب هو هذا ؟

قال : لا يخفاك ان البغضاء تشتد بين الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط

فقالت : ما لنا ولها

= اذا تفاقم الخلاف وتناديا الى القتال وكنا لا نزال خطيبين فالدائرة تدور علينا !

= افصح عن هذه الاحاجي يا سعيد !

= اقول ان الخصام اذا ادى الى قتال بين البشيرين ، الشيخ والامير ، اضطررت للانضمام الى صفوف الامير واضطر ذووك لمسايرة الشيخ ، ومن المحال ان يسمح اهلك بزواجنا وانا اقاتلهم !

فارتعدت فرائص الفتاة وألقت يدها على قلبها وصاحت : بدأت اخاف ، فان قلبي ينتفض جزعاً ، يا للويل !

قال : اذا شئت ان يتم زواجنا على ما نروم فاسرعي باعداد جهازك وساطلب من ذويك ان يستعدوا لعقد زواجنا في العاجل القريب !

وافترقا على هذا الرأي ، وارتاحت له ليلى بعض الارتياح ، ولكن قلبها اخذ ينبئها بان ثمة قابضة ستنقض عليها . وجاءت الى اهلها تطلب منهم الاسراع باعداد جهازها ، وخاطبهم سعيد ايضاً في الامر ، فكان جواب الشيخ علي العماد بان في التأني السلامة وغلت الحزازات في الصدور ، وساءت الحال بين بيت الدين والمختارة ، فخاف سعيد النكدي ان يؤدي الخلاف الى ما لا تحمد عقباه ومثل بين يدي الزعيم العمادي وطلب منه بالحاح ان لا يؤخره في عقد زواجه على ليلى ، فلم يتبدل جواب الشيخ عن ذي قبل مما اغضب سعيداً فاقبل على ليلى يقول لها : لم يبق امامنا غير الفرار ! . . .

فقالت : وماذا جرى ؟

قال : ان خالك من عشاق التأجيل ، فكلما خاطبته في امرك طلب مني التأني !

فجالت دمعة في عينيها وقالت : ان قلبي يحدثني بنكبة ستشملنا معاً !

فقال : ولكن في وسعنا اجتناب هذه النكبة

= وكيف ؟

= في ان نفر معاً !

فنظرت اليه وقالت بكل هدوء : ان ابنة العماد لا تخرج من بيتهـا الا برضي اهلها وذويها !

فقال : وما العمل اذن ؟

= العمل ان نصبر على كيد الدهر !

= ألا تفرين معي ؟

= هذا محال !

= ولكنك تهدمين سعادتنا اذا رفضت !

= الحياة بشرف وعذاب افضل عندي من السعادة مع العار !

= لا تخاطبيني بالحكم والامثال ، ألا تريدين ان تصحبيني الى بلدي فنتزوج هناك ؟

= انك تعالج المستحيل

فوثب اليها يريد ان يحملها ويفر بها ولكنها افلتت منه ودخلت غرفة مجـاورة واقفلت وراءها الباب ، فكاد سعيد يحطم الباب والاقفـال لو لم يظهر له الشيخ علي العماد قادماً من بعيد ، فضرب كفاً بكف وقال : لقد ضاعت من يدي ! . . .

وقفل راجعاً الى بيت الدين وقلبه ينضح دماً ؛ وهو لو ألقى نظرة واحدة الى الوراء لابصر ليلى تجهش بالبكاء ، فان فؤادها تقطع واحست بالمصيبة تنقض عليها فسقطت الى الارض خا[illegible]ة القرى وظلت تشيع سعيداً بانظارها الى ان توارى عنها فصاحت اذ ذاك : من لي بمن يردك الي يا منتهى املي ؟ . . .

وتلاشت عزائمها ، وادركها الاغماء ، فالفاجعة كانت اعظم من ان تتحملها ! . .

— ٦ —

ايقن سعيد النكدي لدن نشبت المعارك بين الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط بان دون وصوله الى ليلى اهوالاً جساماً .

فان آل العماد حالفوا الزعيم الجنبلاطي على الامير الشهابي ، وناصر النكديون الامير على الشيخ الجنبلاطي مما اصبح لا سبيل معه لعقد زواج سعيد على ليلى خصوصاً والفتاة

تأبى ان تفرّ من منزل اهلها والشاب مخلص كل الاخلاص للامير بشير فلا يخونه ويميل الى اعدائه ولا يهجر ميدان القتال في احرج الساعات واشدها هولاً

وسلم امره للقدر وصاح : ليكن ما شاءه ربي ! ...

وكانت جنود عبد الله باشا والي صيدا قد بلغت صرح بيت الدين لنجدة قوات الامير بشير ، وكان الشيخ الجنبلاطي وزعماء آل العماد قد اعتصموا باعالي الجبال لما جاءهم ان نجدات عبدالله باشا اقبلت لنصرة الامير الشهابي ، وسكنت حدة القتال وخيل للناس ان الجنبلاطيين وآل العماد كفوا عن مقاومة الشهابيين

بيد انه لم يكن لهذه الاشاعات من الصحة نصيب ، فاتصل بالامير بشير ان اعداءه لا يزالون معتصمين برؤوس الجبال ، وكان على ثقة بانه اذا ألقي القبض على احد كبار الزعماء فيهم لانوا واستسلموا اليه

وفكر ملياً بالوسيلة التي يعتمدها لبلوغ اربه . والامير شديد الذكاء واسع الحيلة فخطر له ان يستعين بمن له باعدائه صلة متينة ، ولم يجد لتلك المهمة افضل من سعيد النكدي . فناداه ، فاقبل سعيد يحيي ويقول : بماذا يأمر مولاي الامير ؟

قال : ماذا فعلت بخطيبتك ليلى ؟

فاجاب : لقد فصل الانقلاب السياسي بيني وبينها يا مولاي !

— ألا سبيل لك اليها ؟

— طلبت منها ان تفرّ معي فاتزوجها فرفضت وقالت ان ابنة العماد لا تبرح دار ذويها الا وهي مزودة رضاهم !

— انها لشريفة جداً هذه الفتاة !

— فوق ما تتصور يا مولاي الامير !

— واذا طلبت منها ان ترشدك الى مقر خالها علي العماد فماذا تراها تقول ؟

— لا اعتقد مطلقاً انها ترضى باجابتي الى مطلبي وهي تحترم خالها وتحبه ولا تبخل عليه بالروح

— اريد منك ان تقوم بهذه التجربة يا سعيد ، فتذهب الى ليلى وتتوسل اليها بكل ما في قلبك من عاطفة وحب ان ترشدك الى مقر خالها واذا نجحت كان لك عندي المقام الاعلى !

— سافعل ما يطلبه مني مولاي ولكني على يأس من النجاح ، فليس من المحتمل

ان تؤثر ليلى حبها على خالها !

= اذهب واتكل على الله ، واذا نجحت عرفت كيف اكافئك ، فعلى المرء ان يسعى ! . . .

وكان سعيد النكدي يعلم اي خطر يتعرض له في دخوله البـاروك خصوصاً وهو من رجال الامير بشير ، على انه رغب في تلبية نداء الشهابي فانتظر الى ان اشتدت ظلمات الليل وسار مشياً على الاقدام من بيت الدين الى الباروك

وتدجج بالسلاح ، ولم يسلك الطريق العام بل شرد في البراري والكروم ،واستطاع بجهته وحذره ان يبلغ الباروك باطمئنان وسلام

ومشي الى دار ليلى . وكان يعرف اين تنام . فطرق نافذة غرفتها طرقات اعتادت ان تسمعها منه . فاستفاقت الفتاة وفركت عينيهـا وقالت : أسعيد هو هذا ام اني في حلم ؟

وتوالت الطرقات . فلم يبق من ريب عند ليلى في ان سعيداً هو الطارق. ففتحت النافذة وقلبها يخفق خفقاناً شديداً وجسمها يختلج كالخـائف المذعور وقالت همساً : سعيد ؟ . . .

واضطرب صوتها ، فقال لها النكدي : اني لهو، لا تخافي ! . .

قالت : ماذا جاء بك في هذا الليل ، ألا تخشى رجالنا وانت من اعدائهم ؟

فقال : دفعني الشوق اليك للمجازفة بنفسي في سبيل رؤيتك !

قالت : واين تريد ان تقيم في هـذا الليل . فاذا اقمت عندي قتلوني وقتلوك . واذا بقيت خارج البيت اعتقدوا انك من الجواسيس وقتلوك ايضاً !

فقال بالحاح : واين خالك الشيخ علي ؟

قالت : انه في ساحة القتال

= اين ؟

= على رأس قواته يحارب جموعكم

= ولكن في اي مكان ؟

— واي حاجة لك بمعرفة مقره ؟

— اريد ان افاوضه بامرنا !

فنظرت اليه بكآبة وحزن وقالت : سعيد لا اريد لمثلك هذه المهمة الدنيئة !

فاضطرب ، قالت : لا يليق بخطيبي ان يكون جاسوساً !

فصاح : ليلى لقد اسأت فهم مقالي !

– لا ، لقد فهمت ، ان الامير بشيراً اوفدك الينا لتتجسس على خالي ، ولكن ليتك لم تتخذني وسيلة لهذه المهمة الشائنة . اني اريـد خطيبي ارفع من ان تشوبه شائبة . . . سعيد . . . سعيد ! . . .

واخذت تبكي بكاء مراً ، وشعر سعيد بانه امسى ذليلاً امامها ، فقال : ولماذا البكاء يا ليلى ؟

قالت : اني ابكي حظي ، فلم اكن لأعتقد ان شهماً كسعيد النكدي يرضى لنفسه بان يكون جاسوساً !

فقال : اراك تتهمينني بما ليس بي ، انا ما جئت اليك لاتجسس بل جئت لاطلب منك ان توافقيني على رأيي بالفرار معاً !

وكان يتلعثم بكلامه ، واحست ليلى بانه يريد دفع التهمة عنه ، ولكن انى له ان يدفعها والاضطراب باد في اقواله والتناقض ظاهر فيها . وابت الفتـاة ان تطعن خطيبها طعنة نجلاء في صميم كبريائه فتظاهرت له بانها اقتنعت بحسن نيته وقالت : من سوء حظنا ان يكون خالي بعيداً عنا ، بل من سوء حظنا ان اكون اجهل مقره فلا استطيع ان ارشدك اليه ، اما الفرار معاً فقد تحدثت اليك عنه طويلاً !

فقال : اذن يجب ان اعود صفر اليدين !

قالت : وهذا ايضاً من سوء الحظ ! . . .

فقال : وداعا يا ليلى ، الى اللقاء !

فازدادت عند ذاك يقيناً بانه جاء يطرق بابها ليتجسس على خالها لا ليراها ويبثها شوقه وهيامه فغضبت وقالت له : سعيد ، قل للامير ان آل العماد لم يعرفوا الوشايات ولا يريدون ان يتعرفوا بها ، وقل له ايضاً اننا ثابتون حتى النهاية فاذا بقي منا طفل ابن يوم فانه ليقاوم الى ان تفيض منه الانفاس ! . . .

واقفلت نافذتها ونشبت من عينيها الدموع ، فان وطأة المصاب نهكت قواهـا ، فاخذت تناجي ربها وتقول : ماذا فعلت لترميني بكل هذه النكبات يا ربي ؟ . . . أتزج اهلي في اتون الحرب وتفصل بيني وبين خطيبي ثم تدفعه ليتجسس علينـا ؟ . . . انها لمصيبة تنوء تحتها الظهور ، رفقاً بنا يا الله ! . . .

وألقت رأسها على وسادتها وراحت تندب طالعها المنكود !

— ٧ —

غاد سعيد النكدي يتعثر باذيال الخيبة والاخفاق

فقد اعتراه الخجل لدن شعرت ليلى بامره ، وود ان تميد به الارض وان تدري به قوات العماديين فتنتقم منه افظع انتقام وتذيقه حتفه ، و كان يقول في نفسه : من اين لي بعد اليوم ان امثل امام ليلى رافع الرأس ، بل من اين لها ان تثق بي وتحترم اخلاصي ؟

واوجعه ان يقال عنه انه عديم الاخلاص مع ان مغامرته في سبيل الامير بشير لم تكن لو لم يدفعه اليها الاخلاص لاميره ، ولكنه اذا ارضى الامير فقد اغضب ليلى خطيبته وصاحبة السلطان المطلق على قلبه وعواطفه

و اجتاز ارض الباروك وبلغ بيت الدين ولم يبصر احداً من العماديين ، فقال : وماذا عسى ان يعتقد بي الامير عندما يعلم اني عدت اليه خالي الوطاب ، فلا بد له ان يرتاب في امري ويتهمني بمحالفة العماديين عليه !

وادركته الحيرة ، فلقد سوّد صحيفته لدى خطيبته ولدى الامير مولاه ، فالايام التي قضاها في خدمة ذلك الامير ، والاخلاص الذي بادله اياه ، والحب الذي ابداه لليلى ، وولعه الفائق بها ، كل ذلك تلاشى اوسيتلاشى في لحظة كأن لم يكن منه شيء ، بل الانكي انه سيستحيل الى بغض ومقت و كره وازدراء

وسعيد النكدي ابيُّ النفس انوف ، فقال : سأذهب الى الامير اطلعه على ما اتفق لي فهو يعرفني ولا بد له ان يصدقني ، اما ليلى فاذا غضبت عليَّ اليوم فسوف ترضى غداً وهي تعلم ان للضرورة احكاماً ! . . .

وسار تواً الى قصر بيت الدين يسأل عن الامير ، فقادوه اليه ، فلما ابصره الشهابي قال له : ما وراءك يا سعيد ؟

قال : ليس في ما احمله شيء يسرّ به مولاي !

فقطب الامير حاجبيه وقال : ألم تنجح في مسعاك ؟

— كلاَّ يا سيدي ، فاني اخفقت اخفاقاً فظيعاً !

— وكيف ، هل خانتك الجرأة وخشيت الوصول الى الباروك ؟

— ليست الجرأة التي خانتني يا مولاي بل الحظ خانني ، فبلغت الباروك وقابلت ليلى خطيبتي ولشدة ذكائها ادركت فوراً من حديثي اني اتجسس على خالها

= وماذا قالت لك ؟ = لقد احتقرتني ولم يبق لي احترام عندها !

= لم اعهدك طفلاً يا سعيد ، فكيف فسحت لخطيبتك مجالاً لمعرفة اسرارك ؟

– لا ادري يا مولاي اي قوة دعتها للاستنتاج باني جاسوس على خالها !

فغضب الامير بشير وقال : لقد اتكلت عليك يا سعيد فخاب ظني ، ولكن ألم تستدل من حديث الفتاة على مقر علي العماد ؟

– لم ألمس في حديثها غير التكتم الشديد، ولما درت بحقيقة امري استاءت وعيرتني بدناءة مهمتي !

– وماذا قالت لك عنا ؟

– قالت ان العماديين سيستمرون في القتال الى ان يفنوا على بكرة ابيهم !

ففتل الامير شاربيه الغليظين وهزَّ قبضة سيفه ونهض من مكانه وقال : والله سافنيهم واترك ديارهم قاعاً صفصفاً ! ...

ونادى خادمه سعيد البربري العبد الاسود قائلاً : سعيد ، اسرج لي جوادي الادهم !

وركب جواده وصاح برجاله : اليوم يومكم . يجب ان نأتي ببشير جنبلاط وعلي العماد حيين او ميتين . فلا اقبل لكم في التواني عنهما عذراً ! ...

واسرع الى مضرب قوات عبد الله باشا ودعا قائدها اليه وقال : اريد من حضرة القائد ان يضرب لي عدوي في هذا النهار الضربة القاضية !

فحيا القائد وقال : ساجتهد في تحقيق رغبة سيدي الامير !

ولم يقف سعيد النكدي مكتوف اليدين بل اعتلى صهوة جواده وسار مع رجال الامير الى مهاجمة الشيخ علي عماد ، فقد اراد التكفير عن الهفوتين اللتين بدرتا منه ، فترضى عنه ليلى كما يرضى عنه مولاه الامير ! ...

— ٨ —

بدأت قوات الشيخ بشير جنبلاط تتضعضع

وكلما مضى يوم ازدادت قدم الشهابي رسوخاً في ميدان القتال . فالنصر الاخير كاد يكون بين يديه

على ان الزعيم الجنبلاطي لم ييأس . فلقد اصرَّ على النضال مع يقينه بانه خاسر فيه . فنقلوا اليه نبأ النجدات الواردة على الامير من ولاية صيدا ولم يتبدل موقفه . فكان يستحث الهمم وينادي رجاله للاستبسال ، واتخذ له شعاراً : الموت ولا العار !

ولحقت به جيوش الامير وقوات عبد الله باشا وما برح معتصماً برؤوس الجبال يقاتل ويدافع ويأبى الاستسلام ، بل هم لما عرضوا عليه شروط الاستسلام مزقها وقال : من العار ان يذكر التاريخ اني حطمت سيفي وسيوف رجالي وانصاري تحت اقدام اعدائي ! ...

وحاولوا ان يفصلوا بينه وبين العماديين فكان جواب الشيخ علي العماد بان الموت وحده يفصله عن ابن جنبلاط ، فلم يبق امام الامير بشير الا ان يقهر اعداءه بالسيف

وسارت قواته تهاجم الشيخ بشير جنبلاط وآل عماد من كل حدب وصوب ، ومشت نجدات عبد الله باشا الى قصر المختاره تصلي الجنبلاطيين نار حامية . فاصطدمت بها شراذم من قوات العماديين وكادت تنشب المعركة الفاصلة لو لم يتراجع العماديون الى مضاربهم يستنجدون باخوانهم

واقتفى آثارهم رجال الامير بشير ، فظلوا لاحقين بهم حتى اعالي الجبال حيث تحصنوا ، وهناك دارت رحى القتال ، فكان العماديون يقاتلون قتال المستميت ، فقد شعروا بان النصر خذلهم وبانهم سيمسون بعد حين قليل فريسة الشهابي

وابوا ان ينتهي بهم الامر الى هذا المصير الاسود ؛ وصمموا على السقوط جميعاً تحت نيران العدو ، ووقف الشيخ علي العماد يناديهم : ألا موتوا ولا تستسلموا ! . .

فاطاعوا ؛ وكانت نيران العدو تعبث بهم كمنجل الحصاد ، فيتساقط منهم القتلى افواجاً افواجاً باسمين للموت

واذا بفارس يقبل على الشيخ علي العماد يقول : هذه رسالة من مولاي الشيخ بشير جنبلاط!

ففض علي العماد غلاف الرسالة وقرأ فيها : « الى حليفنا الشيخ علي — لم يبق امامنا غير الفرار ، فان رجال الامير وجنود عبد الله باشا تغلبوا علينا ؛ وقد رأيت ان نرحل الى دمشق ونستجير بواليها ، فوافني بما لديك من قوات واترك الدار تندب ساكنيها — بشير جنبلاط »

فاختلج الشيخ علي العماد وهو يقرأ ذاك الكتاب ، وعزّ عليه ان ينادي رجاله الى الفرار بعد ما دفعهم الى اشداق الموت ، ووقف ينظر الى مواقع العدو فايقن انه خاسر لا محالة ، وما كاد يصيح بصوت متقطع كئيب : « الى الفرار! . . . الى الفرار! . . . » حتى وثب الى معسكره فارس من فرسان الامير بشير وانتزع العلم العمادي من حامله ،

وتدافعت وراء الفارس قوات الامير ترغب في الاجهاز على العماديين ، وركن العماديون باجمعهم الى الفرار ولم يتركوا منهم في ميدان القتال غير فارسين احدهما الشيخ علي الذي آثر الموت على الهرب والآخر فارس شاب يتقد حماسة وعزماً

ولم يكن الفارس الذي انتزع العلم العمادي غير سعيد النكدي ، وقد لحظ الشيخ علي العماد والفارس الثابت الى قربه ان سعيداً يحاول ان يلقي القبض عليهما سليمين من الاذى ، فكان يدعو رجال الامير الى اطلاق النار عليهما للارهاب لا للقتل

ولكن القبض على الفارسين العماديين كاد يكون من المحال ، فكانا يقتلان رجال الامير ورجال الامير لا يصيبونهما باذى

واخيراً ضاق رجال الامير ذرعاً فصوبوا رصاصهم الى صدر الشيخ العمادي يطلقون عليه النار ، ولكن سعيد النكدي وقف بينهم وبين الشيخ فصبت عليه نيران اخوانه فسقط الى الارض مضرجاً بدمه وهو يصيح : اذهب يا شيخ علي ، اذهب وقل لليلى اني اشتريت زلتي بدمي ... اذهب ... لاجلها دفعت عنك الموت بصدري ! ...

فاكبر الشيخ علي شهامة النكدي ورفض ان يبرح ساحة القتال ، فاعاد رجال الامير عليه الكرة وصوبوا اليه رصاص بنادقهم فاستقبل عنه الرصاص في هذه المرة الفارس الذي كان يرافقه ، فهوى صريعاً وتدلى من عنقه شعر طويل ، فتراكض اليه رجال الامير يحسبونه من حوران ولقد دهشوا كل الدهش اذ ابصروا انهم امام فتاة دافعت عن الزعيم العمادي هذا الدفاع المجيد ، ولم تكن الفتاة غير ليلى ، ليلى الدرزية ، خطيبة سعيد النكدي ! ...

وفتش رجال الامير عن الشيخ علي العماد فلم يجدوه ، فلقد توارى عنهم كلمح البصر ، فبحثوا عنه ونقبوا كل هاتيك الانحاء فلم يقفوا له على اثر ، فالزعيم العمادي فر الى دمشق يرافقه الشيخ بشير جنبلاط ورجحت كفة النصر في جانب الامير بشير الشهابي

وكانوا قد حملوا الجرحى الى بيت الدين ورووا للامير خبر الفتاة ليلى الدرزية ، فطلب ان يراها ، وكانت تلفظ الروح وآخر كلمة تجول على شفتيها هي اسم « سعيد » فقال الامير : واين سعيد ؟ قالوا : « قضى في ساحة القتال ! » فتلألأت دمعة في عين الامير وقال : لو كان عندي خمسون رجلاً كسعيد وليلى لكنت في مأمن من كل عدوان !

وامر بان يحملوا جثة سعيد الى بيت الدين وبان يدفنوه الى جنب ليلى ، ومشى بنفسه وراء النعش ووقف على الضريح يقول : ليرحمهما الله ! ... لو انصف القدر لكتب للشجعان الخلود ! .

« تمت »

العدد الثالث والتسعون السنة الثانية

# ألف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان: رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## أصهيوني انت ؟ ..

صاحب المجلة ومنشئها: كرم ملحم كرم

الادارة: جريدة «الاحوال»

الاشتراك

في لبنان وسوريا: ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج: نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٩

# أصهيوني انت ؟ ...



تنفس الافق عن فجر طروب ضحوك وطوي الليـل بين زقزقة السنونو وتغريد العصافير

وانجلت السماء عن صفحة نقية زرقاء لا تدرك العين مداها ، وخفقت امواج البحر المتوسط بتؤدة وهدوء كأنها قلوب المحبين تتواثب الى من تستريح لديه

واستفاق البحريون في شواطىء مدينة حيفا يرقبون هبوب الريح ليقلعوا باكداس البطيخ الى صيدا وبيروت ، وكانوا يرسلون بانظارهم الى الافق يسألونه عما يخفيه من اسرار والافق يتكتم ولا يجيب ، فلا هو يبوح باسراره ولا هم يدرون ماذا يخبىء لهم من مدهشات

وكانوا يضطرمون حماسة لشق عباب البحر قبل بزوغ الشمس، فقبضوا على المجاذيف وصاح احدهم بصوته الرخيم : « شدّ الحبال يا ريّس ! ... » فردد اخوانه قوله وسار الزورق الكبير يتهادى على سطح الماء بغنج ودلال كأنه العروس ساعة تزف الى الحبيب

والبحريون قوم كوت الشمس وجوههم بنارها ولهيبها فاسمرّت منهم الوجوه . وعرفوا البحر وعجموا عوده فامسي لديهم كالعبد الذليل مهما اشتدت عليهم انواؤه ففي وسعهم ان يتغلبوا عليها . واذا جرفهم التيار الى قعر اليم وعجزوا عن مغالبته لفظوا الروح غير آسفين ولا حاقدين . فالمياه التي آوتهم منذ لمسوا الحياة لها الحق بان تنتزع منهم تلك الحياة ، وانهم ليسلمونها اياها عن طيب خاطر ورضى

ومن العجيب ان يجد البحريون عدوهم الاكبر في البحر الذي ضافوه والمياه التي دغدغوها والاسماك التي اطعموها . فان اولئك الاصدقاء الذين رافقوهم العمر قد ينقلبون الى اعداء نهاشين بطاشين لدن تسنح الفرصة . والبحريون انفسهم يجهلون متى ينقض عليهم اولئك الاصدقاء ويجاهرونهم بالعدوان !

وتابع الزورق مسيره متئداً هادئاً ، وظل البحريون في غنائهم : « شدّ الحبال

يا رئيس ! . . . » ولم تسطع الشمس الا بعد ان قطع الزورق مسافة طويلة كادت تتوارى معها مدينة حيفا عن العيون

وتراءت لهم السهول المنبسطة على الشواطىء حيث ازدهرت الحدائق الغناء وجاءت بالدليل القاطع على حياة تلك النواحي الراقدة بامان في حضن الرمال الصفراء

وفيما البحريون ينظرون الى الشاطىء لاحت لهم يد تشير اليهم بالدنو منها . والبحريون ذوو نخوة واقدام ، فلم يكن منهم وقد ابصروا تلك اليد الا ان اتجهوا بزورقهم اليها ، وكلما اقتربوا منها سمعوا صوتاً يصيح بهم « اغيثونا ! . . . اغيثونا ! . . .

ولما اصبح الزورق على مسافة قريبة من الشاطىء ظهر لاعين البحريين مشهد مخيف . فان افعى من الافاعي السوداء التفت حول امرأة في ريعان الصبي ووقف الى قربها شاب حائر جاحظ العينين ، فكان يحاول قتل الافعى ويخاف اذا اخطأها ان تنتقم من المرأة فتقتلها بعدما التفت مراراً عليها

وحار البحريون في ما يقدمون عليه لانقاذ المرأة المغمى عليها من شدة الرعب والخوف . فوثبوا الى الشاطىء وبيد كل منهم مسدسه واطلقوا النار ارهاباً في الفضاء ، فتململت الافعى واجابتهم بفحيح يرمي الذعر في اصلب القلوب ، فعادوا الى اطلاق النار ، فثار ثائر الافعى ووثبت اليهم تكشر عن انياب طافحة بالسم ؛ فلم يفقد البحريون روعهم وصبوا عليها النار واصابوها في عنقها وذنبها وما كانت لتتراجع ، فاصلوها النار الحامية وهي في هجومها عليهم لا تحفل بالنار ولا بالرصاص ، وكادت تنهش احدهم في صدره لو لم يعاجلها برصاصة خرقت رأسها فهوت الى الارض وفحيحها يملأ هاتيك الارجاء ؛ فاجهز عليها بكل ما في مسدسه من رصاص فاخمد كل حياة فيها وهو لا يصدق انه نجا من انيابها

واسرع البحريون الى المرأة المغمى عليها والى رفيقها الشاب يسألونها كيف هاجمتها الافعى ، وكانت المرأة لا تزال في اغمائها ، فاقبل الشاب عليهم يتدفق بكلمات الشكر ويقول : كنا في ظلال هذه الاشجار ، ولم نشعر الا وفحيح هذه الافعى يصم منا الاذان ، فما كان مني الا ان ركنت الى الفرار ، اما رفيقتي فخافت وذعرت فوثبت اليها الافعى وطوقتها مراراً وكادت تقضي عليها لولا اسراعكم الى انقاذها

قالوا : ومن هي المرأة ؟

قال : هي نسيبتي ، وهاكم بطاقتي ، فانا تاجر كبير في حيفا وعسى ان اقوى على

مكافأتكم عندما تزورونني في محلي !

ولم يكن البحريون لينتظروا المكافأة، اما وقد جاءت من تلقاء نفسها فلم يرفضوها، واخفى احدهم البطاقة في جيبه وعادوا الى الزورق ينشدون : « نحن الابطال يا ريس، نهدم جبال يا ريس ! ... »

وسار بهم الزورق في عرض اليم واناشيدهم تبلغ الشاطىء، وما انقضت نصف ساعة من الزمن حتى هبت الريح فنشروا القلاع وراح الزورق يشق الماء كالسهم والبحريون لا ينقطعون عن الانشاد ، فقد تحمسوا بعد قتلهم الافعى وبلغت بهم الحماسة انهم لم يكفوا عن غنائهم الى عند الظهر لدن احسوا بالجوع وجلسوا للغداء ! ...

— ٢ —

وقف ابراهيم كوهين امام ساره يناديها ويحركها بيديه لتستفيق فلم تفتح الفتاة عينيها . فسجد على مقربة منها وصاح : ساره ، حبيبتي ، لقد ماتت الافعى ، انهضي ... لم يبق من خوف عليك ! ...

فلم يسمع جواباً ، فازدادت حيرته وخشي ان تكون الفتاة لفظت انفاسها ، فهزها ، فكانت اشبه بالجثة الباردة ، فعمد الى انفاسه يذيبها فيها ، وتجلت له بعض الحرارة في ذلك الجسم الهامد فقال بشيء من الارتياح : انها تعيش ! ...

وعاد الى مناداتها باسمها ، وأخذ يتوسل اليها بان تستجيب نداءه وتفتح عينيها ، وهي لما فتحت تينك العينين صاحت : الافعى ، الافعى ! ...

قال : ماتت الافعى ، فاني قتلتها ! ..

فعادت اليها الحياة لما سمعت ان الافعى ماتت ونظرت الى ما حولها وهي تقول : أصحيح ؟ .. أصحيح ؟ ...

قال : نعم ، وها هي مطروحة تحت قدميك لا حياة فيها !

ووقعت عين الفتاة على ذنب الافعى ، وكان ينتفض ، فصاحت : يا ويلي ، انقذوني ! ...

فما كان من ابراهيم كوهين الا ان حملها بين يديه ودخل بها البساتين ، وهناك نادى احد الفلاحين وطلب منه المساعدة، فاوقد الفلاح النار وجاء ببعض المنعشات يعالج بها الفتاة اليهودية ، فاستفاقت ، ولما ابصرت النار اضحت على يقين بانها نجت من انياب الافعى فقالت : شكراً لك يا رب اسحق وابراهيم ! ...

وكانت لشدة اضطرابها في ارتجاف عديم المثيل ، وامتقع لون وجهها بالاصفرار ، وهيهات ان تمضي دقيقة من الدقائق الا وتلفت الى خصرها ورجليها كأنها لم تصدق ان الافعى ماتت وانها استراحت من شرها واذاها

ودعا ابراهيم كوهين بسيارة تحمله وتحمل رفيقته الى منزلها ، وكان يقول لها في الطريق : ماذا يكون من جوابك للناس اذا سألوك عما حلَّ بك ؟

قالت : وبماذا تراني اجيب ؟

— قولي ان سيارة كادت تلقيك الى الارض فانتابك خوف شديد واغمي عليك !

قالت : انها لحيلة يؤخذون بها ، ولكن هل تطلب مني بعد الان ان نقوم بجولة في الشاطىء ؟

فسكت ، قالت : لن اطيعك مطلقاً اذا عدت الى مثل هذا الطلب ، فان امثولة اليوم تكفينا ، ولقد اصبحت اخاف ان اخطو خطوة واحدة في تلك الرمال !

قال : أنسيت انك عشيقتي ؟ . . .

فهزت برأسها وقالت بكآبة : وكيف انسى ، ولكن هل يرضيك ان تقذف بعشيقتك في مهاوي الهلاك ؟

قال : أنسيت ايضاً ان المصلحة تجمعنا ؟

فسكتت ، قال : اجيبي !

فقالت : ليتك تعفيني من هذه المصلحة ، فلم ينلني منها غير الاهانة والعار !

— ألم تربحي المال الكثير ؟

— بلى ، ولكنك اخذت مني هذا المال بحجة انك ستحفظه لي في صندوقك ، وكلما جئت اطلبه منك ابديت لي العذر تلو العذر الى ان جعلتني اعتقد . . .

فصاح بها : وماذا تعتقدين ؟ . . .

— اعتقد انك افلست !

فضحك ضحكة شيطانية وقبض من الفتاة على عنقها واخذ يشد كأنه يريد ان يخنقها ، فافلتت منه وهي تقول بغضب : ارفع يدك عني ، أتريد ان تقتلني بعد مانجوت من الافعى ؟ . . .

قال : ليتها اذاقتك حتفك ! . . .

— ولماذا ، هل تريد الخلاص مني ؟ . . .

- اجل ؟ فلقد اصبحت لا اطيقك.

فنظرت اليه تقول بغضب شديد : أهذا هو جزائي منك ؟ ... يا ويلك ! ... سلبت مني اموالي ودنست عفافي والقيت بي في حمأة الرذائل وجمعت بواسطتي المبالغ الطائلة من المال وتكون النتيجة انك اصبحت لا تطيقني . لا، ان لديَّ اسراراً عنك اذا بحت بها كانت ويلاً عليك !

فلطمها ، فاخذت تبكي وتقول : اجل،اجل،سابوح بكل شيء،سافضي لخصومك بكل ما اعلم ؟ فانت قاتل سفاك ،وما الثروة التي انتقلت اليك الا ثروة جمعتها ويدك مجبولة بالدم !

فشهر عليها مسدسه وقال : ان عدت الى مثل هذا الحديث قتلتك ايتها الشقية ! وتجاذب غدائر شعرها ، وسدد المسدس الى صدغها وهو يقول : كلمة واحدة تتلفظين بها تفقدك الحياة !...

فسكتت على كره منها خصوصاً وهي تعلم ان رفيقها اذا هدد لا يقف في تهديده عند الكلام بل يعمد فوراً الى قتلها غير آسف عليها ! ...

- ٣ -

من هو ابراهيم كوهين ومن هي ساره هذه رفيقته ؟ ...

ذلك مما تساءل عنه سكان حيفا طويلاً بدون ان يصلوا الى ما ينبئهم بالحقيقة فكانوا يرون في ابراهيم كوهين رجلاً مثرياً يفيض صندوقه الحديدي بالذهب وتتدفق الاموال بين يديه وهم يجهلون من اين جاء بالمال وكيف كسبه . وكانوا يرونه في معظم اوقاته يرافق ساره الفتاة الجميلة وهم لا يعرفون عنها وعنه شيئاً !

بلى لقد كانوا يعرفون ان ساره عشيقة ابراهيم كوهين هبطت واياه حيفا في يوم من الايام . ولكن كيف ؟ ومن اين ؟ ولماذا ، فذلك مما اغلق على القوم وباتوا منه في حيرة ما بعدها حيرة

وكانوا يعرفون ايضاً ان ساره لا تحتفظ كثيراً بعفافها، فهي تبيعه من اول راغب في الشراء ، وكثيراً ما ابصروها تجول الاندية العربية تبسم لهذا ولذاك وتجود بالوصال على كل من يطلبه منها

واشتهرت بحبها للعرب . فكانت ترتاد الاندية الوطنية وتطعن بكل من يكره العرب ؟ وبلغ من هيامها بهم انها اصرت على حضور اجتماعاتهم ووقفت تخطب فيهم

بلغتها العربية المهشمة وتدعوهم للجهاد ومقاتلة الصهيونيين

قالت : لا انكر اني بولونية وان القصد من مجيئي لفلسطين هو ان ابث روح الصهيونية في قلوب اخواني وان ادعوهم ابناء الوطن القومي الصهيوني ، الا اني رأيت من اخواني وظلمهم وعدوانهم ما حملني على الاعراض عنهم ، فهم طامعون يريدون الاستبداد بالعرب غير حافلين بالحق والانصاف . وهم او انصفوا لتركوا فلسطين ولطلبوا لهم وطناً في بولونيا اوفي بلاد القرم او سيبيريا ، ولكنهم يعشقون ارض الميعاد وماحيلتنا بقوم يعشقون ؟ . . .

فضحك شبان العرب لكلمتها الاخيرة وقالوا يداعبونها : وانت من تعشقين يا ساره ؟ . . .

فقالت : اني اعشقكم كلكم ، اني اعشق كل عربي ، فالعرب هم اطيب الناس قلباً واخلصهم مودة واصدقهم نزعة ! . .

فكانت كلماتها تثير عاصفة من التصفيق ، واحبها الشبان العرب ، واستلذوا معاشرتها ، فلم يضنوا عليها بدخول انديتهم ساعة تريد ، ولم يكتموا عنها اسرارهم ، فكانت تطلع منهم على خفايا القلوب وعلى ما ينوون القيام به من حركات

وعندما يسألونها : « ومن هو ابراهيم كوهين هذا الذي تقيمين واياه ؟ . . . » عندما يسألونها ذلك ترد عليهم بقولها : هو عشيقي ، وقد اقبل على فلسطين ليستفيد منها ، فيشتري باموال الطائلة الارض الواسعة فيربح اضعاف الاضعاف مما يربحه في بولونيا مسقط رأسه !

واذا سألوها : « لماذا لا يتزوجك ؟ . . . » تجيب : العشيقة حرة والزوجة خادمة وانا لا اريد ان اكون من الخدم ! . . .

وكان جوابها هذا يزيدهم اعجاباً بخفة روحها ، ولكنها تملن غير ما تبطن ، ولو طلبها ابراهيم كوهين للزواج لاجابته فوراً الى مايريد ، الا انها تعلم ان ابراهيم كوهين لا يرضى بها زوجة ، فهو ينظر اليها كعشيقة اشترى جسدها بماله وفي وسعه ساعة يشاء ان يخلص منها

ولكن كيف يرضى ابراهيم بان ترتاد عشيقته الاندية العربية وهو لا يجهل انها لا تسلم هناك من ايدي العرب ، فلا بد لهم ان يسطوا عليها ويعبثوا بها ؟ . . . ذلك مما كان يدعو الى حيرة الجميع ، وقد ساد الاذهان ان ابراهيم كوهين يتاجر بكل

شيء ، فهو يتاجر حتى بعشيقته ليربح من ورائها بعض المال الذي تكسبه بابتذال نفسها ومساومتها على جسدها

وابراهيم كوهين شاب جميل ، واه فوق هذا الشباب ثروة لا تفنى ، فلو شاء ان يشتري اسواق حيفا لكان الامر في استطاعته على ما شاع وذاع

ولم يطرق بابه طالب مال يستدينه وردّه خائباً . فكان يسد حاجة المعوزين ولكن بفوائد فاحشة تبلغ في احيان كثيرة نصف المبلغ المستدان

ومما لفت الانظار ان فئة من الصهيونيين الغرباء ذوي القبعات الطويلة واللحى العريضة كانوا يكثرون من حين الى آخر التردد على ابراهيم كوهين ، وعندما يسأل الشبان العرب الفتاة ساره عما يفعله هؤلاء الصهيونيون عند عشيقها تجيب انه مستودع اموالهم ، فكل فلس يحملونه يودعونه صندوق ابراهيم كوهين ! . . .

ولكن هل تصدق ساره في اقوالها ، وهل جاء ابراهيم كوهين فلسطين لجمع الاموال ليس غير ، وهل تكون هي معشوقته ويطلق لها الحبل على غاربها لا يمنعها من مصادقة العرب ، وهل يتوافد اليه كل اولئك الصهيونيين لايداع اموالهم صندوقه لا لامر آخر ???

كل هذه الاسئلة لم تخطر لاحد من العرب في بال ، فكانوا يعتقدون بما تقوله ساره ، وساره سريعة الخاطر حاضرة الذهن ؛ فلا يطرحون عليها السؤال الا وتكون قد سددتهم جواباً مقنعاً لا يدع مجالاً للشك والابهام ! . . .

— ٤ —

لم ينس البحريون الذين انقذوا ساره من انياب الافعى بطاقة ابراهيم كوهين . فقال بعضهم لبعض : ان هذا اليهودي لا بد ان يجود علينا بمبلغ كبير من المال !

وراحوا يفتشون عنه في حيفا وهم يعتقدون انه سيفتح لهم صندوقه ، ولما دخلوا عليه نظر اليهم قائلاً : ماذا تريدون ? . . .

فعرضوا عليه بطاقته فقال : واين وجدتموها ? . . . أتكون وقعت في الشارع مني ? . . .

فاخذ كل منهم ينظر الى الآخر ، والبحريون سريعو الغضب ، فقال له احدهم : وهل تعتقد اننا جئنا نطلب منك احساناً ? . . . أنسيتنا الان وقد امسيت في غنى عنا?

فتفرسهم ملياً وقال : اريد ان اعرف حضرتكم !

فقال له مخاطبه : أنسيت الذين انقذوا معشوقتك من لسعات الافعى ؟

فتظاهر بانه تذكر المشهد الهائل وقال : عفواً ، لم يخطر لي في بال انكم اصحاب ذلك الفضل العميم !

ودعا لهم بشراب الليمون واخذ يتحدث اليهم بشيء من الابتسام ، وعمد الى صندوقه واخرج ورقة بخمس ليرات مصرية ويده في ارتجاف ، فتناول احد البحريين الورقة من احد اطرافها ورماها في وجه ابراهيم كوهين قائلاً : لسنا في حاجة لمن يدفع لنا ثمن مروءتنا ! . . .

فعاد ابراهيم الى صندوقه يفتش في زواياه وجاء بخمس ليرات مصرية اخرى وقال : ألا يكفي المبلغ الان ؟ . .

فنظر اليه احد البحريين وقال له : ولماذا ترتجف يدك ؟ . . .

فسكت ابراهيم مخافة ان يفتك به البحريون ، وكانوا قد اخذوا منه المبلغ وردعوه قائلين : اذا هاجمتك الافعى بعد الان اياك وان تطلب منا انقاذك ! . . .

وراحوا يهزأون به ويتهكمون عليه

ولكن ابراهيم كوهين وقد تعرض كثيراً في حياته لمثل هذه المواقف المخزية لم يحفل بهزء البحريين به ، بل نادى عشيقته ساره قائلاً لها : ساره ، ساره ، أرأيت هؤلاء البحريين ؟ . . .

قالت : نعم

قال : اريد اجتمع في هذا المساء باثنين منهم !

ففهمت ما يطلب منها ، وخرجت فوراً وراء البحريين ، ولما امست على مقربة منهم قالت : ألستم الذين انقذوني من خطر الافعى ؟ . . .

فقالوا متهكمين : بلى ، بلى ، ولقد نلنا جزاءنا من السيد كوهين ! . . .

– هل اجزل لكم العطاء ؟

– ألا ترين اننا لا نقوى على المشي لكثرة ما اثقل جيوبنا بدنانيره الوهاجة ؟ . . .

فضحكت وضحكوا وقالت : ألا تدعونني لليلة ساهرة تقيمونها لي ؟

فنظر كل منهم الى رفيقه بغبطة وطرب كأنما يقول له : « وقعت السمكة في الشبكة ! . . . » وقالوا لساره : هذا شرف لنا ان تكوني في رفقتنا ! . . .

ونادوا سائق سيارة ، وحملوا الى صدرها الفتاة اليهودية وجلسوا من حولها وهم

يهزجون : « سنّ سنانك يا ريّس ! ... »

فقالت ساره : وماذا تقصدون بنشيدكم هذا ؟ ...

قالوا : سيطرب رئيسنا لرؤيتك وها نحن نطلب منه ان يكون على استعداد للترحيب بك ! ...

وضاعت الطاسة ، فاخذ كل من البحريين يمد يده الى ساره . هذا يقبض منها على خصرها ، وذاك على نهدها ، والآخر على فخذها ، وهي باسمة ضاحكة لا تنتهر احداً منهم ، وظلوا بها الى ان بلغوا شاطىء البحر ، فاتفقوا على ان يحملوها الى زورقهم وهناك يسكرون وإياها ويطربون ، فلم تمانع ساره في كل ما طلبوه منها ، فقالت لهم : انتم انقذتموني من الموت ولكم الحق بان تفعلوا بي ما تشاؤون! ...

فلقد استسلمت اليهم استسلاماً اعمى لا تحفل بشرف ولا بطهر ولا بعفاف ، ولماذا تحفل بامور ليس عندها شيء منها ؟ ...

وحملوها الى زورقهم وهي تميل حيناً على هذا وحيناً على ذاك ، وفي الزورق اخذت تصب لهم الكؤوس مترعة ، فسقتهم وسقتهم وجادت عليهم بالقبلات الى ان امسوا حولها كالوحوش الضارية لا بغية لهم الا افتراسها ، على انها اختارت منهم اثنين كانا اشدهم ساعداً وهمست في اذن كل منهما قائلة : أتريدان ان تتمتعا بي؟ ...

فاجابا : هذا كل ما نرجوه !

قالت : رأيت ان لا استسلم لسواكما ولكن عليكما ان تحملاني الى اليابسة بدون ان يشعر رفاقكما بما تقدمان عليه ومن هناك ساقودكما الى داري تتمتعان بي ما شئتما !

فتراءى للبحريين ان الصفقة رابحة ، ووثبا الى زورق آخر مع ساره ، وخيل لرفاقهما انهما اختليا بها وعما قليل سيأتي دور الجميع ، اما هما فقبضا على المجاذيف وراحا يحثان السير الى الشاطىء ورفاقهما يعتقدون انهما سيعودان وتعود ساره معهما ، ولكنهما لم يرجعا ولا ساره رجعت ، فقد اختفوا بين طيات الليل

وقادت ساره البحريين الى منزلها ، وهناك اعدت لهما كل ما لذ وطاب من الشراب ، وقرعت وإياهما الكؤوس الى ان ترنح عطفاها ، قالت : اني لكما على ما تشتهيان ، فمن انقذ حياتي له المقام الاعلى في قلبي ، ولكني اخشى عليكما من عشيقي فان اقبل وابصركما عندي حلت نقمته بي وبكما ! ...

قالا : من هو عشيقك ؟

— هو ابراهيم كوهين !

فضحكا ، قالت : وما يضحككما؟

فاجابا : وهل يخيف عشيقك هذا ؟

فهزت برأسها وقالت : لا تستخفاه ، فهو غادر شرير يحمل في جيوبه الديناميت وفي وسطه الرصاص ؛ فالحكومة البولونية نفسها حسبت له حساباً !

وما انتهت من كلامها حتى قرع الباب . فتظاهرت بانها ترتجف وقالت للبحريين : هذا هو ! .. يا ويلي ! ....

وتوسلت اليهما بان يحتملا لاجلها كلامه القاسي . وقالت لهما انها ستصرفه عاجلا عنها وتبقى لهما . واقبلت على الباب تفتحه ودخل ابراهيم كوهين عابس الوجه مقطب الجبين . والتفت الى البحريين بغضب . فاحتملا لاجل ساره هذه الاهانة منه ونظر الى الفتاة وقال : وما شأن هذين الرجلين عندك ؟

قالت : هما اللذان انقذاني من الافعى !

فقال : اني كافأتهما فما شأنهما عندك ؟

قالت : انت كافأتهما اما انا فلم افعل !

فتململ البحريان وكادا يخرجان عن هدوئهما . فنظرت اليهما ساره متوسلة بان لا يفعلا . وامسكت بيد ابراهيم كوهين وقالت له : تعال صافحهما ! ...

فتردد قليلاً ، فابتسمت له ساره وقالت : تعال ! ...

ولقد كان ينتظر هذه الكلمة . فاقترب من البحريين يصافحهما . فنهضا يحييانه قائلين : اهلاً بالسيد ابراهيم !

وادير الكؤوس . وقامت ساره تسقي الجميع وتطربهم بحديثها العذب اللطيف . والتفتت الى عشيقها وقالت له : اريد منك ان تحسب حساباً في اعمالك لهذين الضيفين . فكل مهمة تريد قضاءها لك ان تعهد بها اليهما !

فقال ابراهيم كوهين : اني افكر بهذا !

ونظر الى البحريين وقال لهما : هل تتكرمان باسميكما ؟

فقال احدهما : انا رضا شريف ورفيقي مصطفى صادق !

قال : ما رأيكما في الصهيونيين ؟

فضحكا وقالا معاً : أصهيوني انت ؟ ...

– اجل . ألا تروقكما الصهيونية ؟

فقهقه مصطفى صادق ضاحكاً فاتحاً شدقيه العريضين وقال بلغة اخوانه البحريين: والله يا سيد ابراهيم اريد ان اخاطبك بحرية . نحن لا نعرف ما هي السياسة ولا ما هي الصهيونية والمهيونية . وكل ما نعرفه ان نأكل ونشرب ونربح لنجد في اوقات الفراغ امثال السيدة ساره تغازلنا ونغازلها وانتهى الامر !

فابتسمت ساره ، اما ابراهيم كوهين فاطرق ملياً كأن في رأسه خطة ذات شأن يفكر بتحقيقها . ونظر اخيراً الى البحريين وقال : أتريدان ان تربحا دراهم ؟ ...

فاجابا : ولماذا لا نريد ؟

قال : ودراهم كثيرة ؟ ...

-- دراهم على قدر ما تريد !

– اذاً اسمعا . لديّ فكرة حسنة تربحان منها مالاً وافراً !

– وما هي هذه الخطة ؟

– ألا تريدان ان تربحا دراهم ؟

– نعم ... نعم ... نعم

وكان ابراهيم كودين لا يفتأ يردد بشدة كلمة ( دراهم ) الى ان نفد صبر البحريين فصاحا به : والنتيجة . لقد اشبعتنا دراهم ولم نلمس شيئاً منها !

قال : اني اعطي كلاً منكما خمسين ليرة ذهبية اذا عملتما برغبتي . فهل توافقاني على العمل بهذه الرغبة مهما يكن من امرها ؟

– ألا تخبرنا بها ؟

– سأقول لكما عنها بعد ان توافقاني عليها . أترضيان بالمبلغ والعمل برغبتي ؟

فقال رضا شريف : اذا جئت كلاً منا بمئتي ليرة اجبناك الى ما تريد !

– الى ما اريد ؟ ...

– الى كل ما تريد ! ...

فقال : رضيت . وهل تعاهداني على الصدق في العمل ؟ ...

فتململا وقالا : عاهدناك . اين الدراهم ؟ ...

– الدراهم في صندوقي ساؤدي في البدء لكما منها ربعها . وبعد القيام بما اطلبه منكما ادفع الباقي !

فرفضا قائلين : عليك ان تدفع النصف قبل العمل والنصف الآخر بعده !

وكانا يتكلمان وهما يجهلان ماذا يريد منهما . ولكن هي الدراهم بهرت اعينهما قبل ان يبصراها فاخذا يتحدثان عنها

وقال ابراهيم كوهين : اما المهمة التي اسكلفكما اياها فهي صعبة وسهلة معاً ! فضجرا من فلسفته وقالا : بلا شرح طويل يا سيد ابراهيم ، ما هي تلك المهمة ، تكلم ! ...

– المهمة صهيونية خالصة

فقال رضا شريف : لتكن صينية ايضاً، ألا يجب ان نعرفها ؟...

قال : ألا تصليان في المسجد الاقصى ؟

– بلا ريب ، وهل تكون المهمة في المسجد الاقصى ؟

– نعم !

فارهف البحريان اذانهما لمعرفة تلك المهمة وقالا : وماذا تريد من المسجد ؟

– اريد ان تنسفاه بالديناميت !

فكان هذا الجواب كالصاعقة انقضت على البحريين فانتفضا واحمرت اعينهما وكادا يهجمان على ابراهيم كوهين يقتلانه ، اما هو فوضع يده على قبضة مسدسه وقال : القضية قضية دراهم لا شأن للدين فيها ، فاذا شئتما العمل بها ربحتما والا خسرتما مالاً كثيراً ، وفي وسعي ان ازيد لكما المبلغ اذا رضيتما بموافقتي على مطلبي ... اني ادفع لكل منكما الف ليرة ! ...

وقبل ان يجيبا بكلمة وضع اما كل منهما حفنة من الذهب وقال : هذه هي الدفعة الاولى ! ...

ولمع الذهب امام اعين البحريين فخمدت حدتهما ، وقال لهما ابراهيم كوهين : ان المال ابو العجائب ، فاذا رفضتما جئت بالكثيرين سواكما ، ولقد اخترتكما لانكما اصحاب فضل عليَّ ولاني اريد ان اجد لكما عملاً تستفيدان منه ، ومبلغ الالف ليرة لا يتسنى لمثلكما ان يجمعه طول حياته ، واياكما والاعتقاد بانكما اذا بحتما بسري تستفيدان ، فالناس لا يصدقونكما والحكومة تطردكما وربما حبست عليكما ! ...

وتكلمت ساره وهي تبتسم للبحريين وتهمس في اذن كل منهما : يجب ان تستفيدا من هذه الفرصة . فالمبلغ جسيم . وفي وسعي ان ازيده لكما ! ...

وخدعتهما بمثل هذه الاقوال . وظلت تحثهما على القبول الى ان خرجت كلمةالقبول من شفاههما ، فقد عزما على نسف المسجد الاقصى بالديناميت لقاء بعض دريهمات يتقاضيانها من ابراهيم كوهين الصهيوني؟وابراهيم كوهين ودعهمابعدان نال منهماالوعد بالعمل بمشيئته ، وانصرف تاركاً لهما ساره يفعلان بها ما يطيب لهما ان يفعلا

— ٥ —

اذاً ليست بغية ابراهيم كوهين الا نسف المسجد الاقصى . ولم تكن ساره عشيقته غير فتاة تشتغل في خدمة هذه القضية باجر معلوم

ولكن من دفع ابراهيم كوهين الى نسف المجسد الاقصى . أيكون هو الذي اقدم على هذه المكيدة الخطيرة من تلقاء نفسه ؟ . . . أليس ثمة من حمله عليها وجاءه بالاموال الطائلة لتحقيقها ؟ . .

وارباب تلك العمائم واللحى الذي كانوا يرتادون داره في الحين بعد الحين من هم ، واي حاجة لهم عند ابراهيم كوهين ؟ . .

تلك اسرار وألغاز لم يكن ليعرفها غير ابراهيم وساره . فهما متفقان في القول والعمل والرأي ، ولا تبدر من احدهما حركة الا باتفاق الآخر

اجل ، ان ابراهيم كوهين عشق الفتاة واتخذها خليلة له ، واصبح بفضل هذا العشق مستبداً بها ذا سلطان عليها ، ولكنه واياها سيان ازاء الجمعية السوداء التي يمثلانها

ومن اين جاء ابراهيم وساره ؟؟؟

لقد نزلا فلسطين قادمين اليها من بولونيا . ولم يكن من وطن معروف لهما . فهما ينتقلان من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد ، ولو طلبوا منهما ايضاح اصلهماووطنهما لقالا انهما صهيونيان وسكتا ! . . .

وابراهيم كوهين اسم مستعار ، واسم الرجل الحقيقي ( ليفي صموئيل ) على انه تنكر باسمه الجديد على اثر جريمة ارتكبها في براونيا . وقدطاردته يومذاك الحكومة البراونية لكنه فرّ منها واستطاع وهو يحمل اسمه المستعار ان ينجو الى البلدالفلسطيني

ولم يقف على سره في ارتكاب جريمة القتل غير عشيقته ساره . فهي ترافقه منذ سنين طويلة . وكلما اهانها او ضربها هددته بفضح السر . غير ان الشقية كانت تحب ( ليفي صموئيل ) وتطيق منه كل اهانة وضرب . فما هو ان يبسم لها حتى تتناسى بين

ذراعيه كل شيء ،

ونزلا فلسطين ولا فلس في جيوبهما · فقال ليفي : وماذا نفعل يا ساره ؟ ٠٠٠

قالت : يجب ان نسعى لايجاد عمل نعيش منه

وكانت ساره فائقة الجمال ، فتوغلت في الاندية العربية وتظاهرت بانها تحب العرب وتكره الصهيونيين ووقفت على اسرار العرب بكاملها وحملتها الى زعماء الصهيونية ، فتوسم هؤلاء في الفتاة مقدرة وذكاء وطلبوا منها ان تزيدهم من امثال هذه الانباء ، فارشدتهم الى رفيقها ( ليفي ) وقالت لهم انه اقدر منها في التجسس على العرب وفي احراج موقفهم ، فاعتمده زعماء الصهيونية وقام بالمهمات الموكولة اليه خير قيام

واشتد الخلاف بين المسلمين والصهيونيين على البراق فادعاه المسلمون كما ادعاه الصهيونيون زاعمين انه حائط المبكى وهو لهم بحجة كونه من بقايا هيكل اورشليم غير ان للمسلمين ذكرى مقدسة في الحائط فابوا على الصهيونيين حقوقهم المزعومة فيه

وطاب للصهيونيين ان ينتزعوا الحائط من المسلمين مهما كلفهم الامر فعقدوا الاجتماع تلو الاجتماع واتفقوا على نسف المسجد الاقصى · ولكن لمن يعهدون بهذه المهمة الخطيرة ؟ ٠٠٠ فلم يجدوا امامهم غير ( ليفي صموئيل ) المتنكر باسم ابراهيم كوهين ، و( ليفي ) اعلن ان في وسعه تحقيق مطلبهم اذا جاءوه بمبالغ طائلة من المال

والصهيونيون لا يضنون بالمال في سبيل وطنهم القومي والتنكيل باعداء ذلك الوطن · فجمعوا الاكداس من الذهب الوهاج وحملوها الى ( ليفي ) واطلقوا له الحرية في انفاقها كيف يشاء

وما برحت ساره تأتيهم بانباء العرب و ( ليفي ) يفتش عمن يساعده في هدم المسجد الاقصى ولم يحسب حساباً للنتيجة السيئة التي يتعرض لها اليهود في فلسطين اذا اقدموا على هذه الفظاعة ، ولم يحفل بما سيصطدم به من عقبات ، بل صمم على تحقيق بغيته ، وبعد التفكير الطويل رأى انه يستحيل على كل صهيوني ويهودي الاقدام على هذا الامر المنكر ، وان افضل ما يقوم به هو ان يخدع بعض العرب الوطنيين بالمال ويحرضهم على نسف المسجد ، حتى اذا اجابوه الى ما طلب وحققوا امنيته كان في وسع اليهود والصهيونيين ان ينفضوا ايديهم من هذا الخطب الجلل

وتعب طويلاً في التفتيش عمن يعتمده ، واوفد ساره الى الاندية العربية تبحث عن الرجل المطلوب ، فحارت ساره في من تبوح له بسرها ، فهي تعلم ان العرب يحبونها

ولكن هل يستمرون في حبها اذا علموا انها عدو في ثياب صديق ؟ ...

وابدت لعشيقها مخاوفها فقال لها : عليك ان تأتيني بهـذا الرجل مهما اصابك من ويل ! ...

قالت : واذا لم اجده ؟ ...

فصاح بها : قتلتك ، فاني لا اطيق ان تبيعي في كل يوم شرفك للعرب ثم لا تقوين على ايجاد من نحتاج اليه في مهمتنا !

فنقمت على هذا العشيق الذي لا يرحم . وكان بعد زمن قليل حادث الافعى واسراع البحريين لانقاذ ساره من لسعاتها ، وخدم الحظ فاقبل البحريون يتقاضون من ابراهيم كوهين ماتجود به يده اكراماً لهم على اثر انقاذهم الفتاة ، ولحقت بهم ساره فتوددت اليهم وخدعت اثنين منهم وجاءت بهما الى منزلها وهناك عقدت الصفقة ، ولمع الذهب الوهاج امام اعين البحريين وعرض عليهما ابراهيم كوهين المزيف التي لسيدة اذا نسفا المسجد الاقصى . وكانت قد لعبت الخمرة في رأس كل منهما فاجابا بانهما يرضيـان بالمهمة وبالمبلغ . وهكذا ارتاح الرجل الصهيوني لموقفه . وخيل اليه ان الاقـدار امست طوع يديه . وانه لن تمضي ايام قلائل حتى يضج العالم بنبأ سقوط المسجد العظيم . ويبحثون ويدققون وينتهون الى حقيقة لا بد لهم من اعلانها وهي ان المسجد العربي هدمته ايدي العرب !!!

– ٦ –

اقام اليهود مظاهراتهم عند حائط المبكي

ولقد اقاموها ليزيدوا في احراج موقف المسلمين

وخرجت جموعهم الى شوارع القدس تصيح : ( حائط المبكي لنا ! ... )

فلم يتعرض العرب لهذه الجموع بسوء ، بل تركوها تسير في شوارع القدس وهي تنادي بتأييد وعد ( بلفور ) وتظهر للعرب كل عدوان وخصام

فاشمأزت النفوس وثار ثائرها ، وكاد بعض الجهال من العرب يهجمون على الصهيونيين يذيقونهم الهول ، ولكن العقلاء دعوهم قائلين : غداً سيكون لكم المجـال اوسع للمناداة بحقكم في البراق ! ...

وساره ، ساره المعشوقة الجميلة ، اقبلت على القدس مع عشيقها ابرهيم والبحريين ، على انها لم تكن بين جموع المتظاهرين بل انضمت الى صفوف العرب تنمت الصهيونية ورجالها

باقبح النعوت وتتأسف على هذه الحالة وتقول : ان غرور الصهيونيين سيقضي عليهم لا محالة ! .

وراحت تصغي لاقوال العرب ، وتقف على اراء زعمائهم ؛ وتساير شبانهم وتسرق منهم الاسرار ، ولم تخرج من الاندية العربية الا عند نصف الليل ، ولكن بعد ان امتلأ دماغها باحاديث العرب ورغباتهم وما ينوون الاقدام عليه

والشبان العرب يعرفونها . فان قسماً كبيراً منهم رآها في حيفا وتعرف بها . فلم يتكتموا امامها بل استرسلوا في ايضاح نياتهم ومقاصدهم ، ولما دقت الساعة الثانية عشرة من الليل كانت ساره اليهودية تنسل في شوارع القدس وتسرع الخطى الى منزل فخم في آخر حي اليهود

وقرعت الباب ، وسمعت صوتاً من الداخل يقول لها : من الطارق ؟ . . .

فاجابت : صديق !

قال : من ؟ . . .

— ساره البولونية ! . . .

وكانت تتكلم اللغة العبرية ، ففتحوا لها ، وقادها رجل طويل القامة بيدها الى ديوان فسيح الارجاء وجلس الى قربها وقال : ماذا تحملين من الانباء الجديدة ؟ . . .

والقى يده على كتفها وهو يقول : تكلمي ! . . .

وكان يحمل بيده اليمنى غليونه ، ويحجب عينيه بنظارتين كثيفتين ، فقالت ساره وهي تبتسم : لقد عرفت اسرارهم كلها !

— وهل باحوا بها امامك ؟

— اجل ، ولقد جئت انقلها اليك . فهم يريدون غداً ان يقوموا بمظاهرة شبيهة بمظاهرتنا في هذا النهار ، ويقولون انهم لا ينوون الاساءة فيها الى احد ، فالامور ستظل في مجراها ، فلا قتال ولا اطلاق نار ! . . .

— هذا مما لا نرضى عنه يا ساره ، فلا بد من نشوب الثورة ، ومتى نشبت هذه الثورة القينا كل تبعتها على العرب وقلنا للعالم المتمدن : ( انظر الى هؤلاء الوحوش انهم لا يليقون بنيل ذرة من السيادة ! . . . )

فقالت : أتريد ان تنشب الثورة ؟

فقال : بلا ريب ، واظن ان ابرهيم كوهين تناول اوامرنا بهذا الشأن وابلغك اياها وكان جوابه لنا انه وجد الرجلين اللذين يساعدان على نشوب هذه الثورة فاين هما ؟ .

فاجابت : انهما في رفقة ابرهيم ، واذا شاء حضرة الزعيم دعوتهما فوراً اليه !

قال : اخبريني بما لديك من انباء ثم اذهبي الى ابرهيم وقولي له ان يسرع مع الرجلين !

فقالت : سمعاً وطاعة !...

وسردت له ما تعلمه عن نيات الوطنيين وقالت : ولكنهم ان ينجحوا في مظاهراتهم الهادئة ، فلا بد من ان نعكر هذه المظاهرات عليهم بنسف المسجد ، وعند ذاك يثورون وفي وسعنا ان نثبت ان الذين القوا القنابل هم من العرب المسلمين !

فابتسم لها الزعيم الصهيوني وقال : ما ادهاك ، اذهبي وقولي لرفيقك ان لا يتأخر لحظة واحدة عن المجيء ، واريد رؤية الرجلين قبل كل شيء !...

فلبت نداءه واسرعت تشق حجاب الليل الى حيث يقيم البحريان وعشيقها ابرهيم كوهين ، ودخلت عليهم تقول : يرغب حضرة الزعيم في رؤيتكم !...

فقال عشيقها : واين هو ؟...

قالت : في منزله وقد خاطبته في امركم وطلب مني ان اوفدكم اليه ... الحقوا بي ... تعالوا !...

ومشت امامهم الى دار الزعيم ، وكان البحريان يسيران وراءها وابرهيم كوهين يسير وراء الجميع ، ولما بلغوا دار الزعيم قال ابرهيم للبحريين : عليكما الان ان تظهرا امام الزعيم بمظهر الصهيوني الصميم ، واذا فعلتما زدت لكما العطاء واغدقت عليكما المال !.

فابتسما وقالا : كن على اطمئنان يا سيد ابرهيم !..

والتفت كل منهما الى الاخر يقول : سنطلب منهم اربعة الاف ليرة ، انهم الان تحت رحمتنا !؟.

— ٧ —

دخل البحريان على الزعيم الصهيوني وهما ينتظران ان يتناولا منه المال الكثير . وكان الزعيم يرقب مجيئهما ، فلما مثلا بين يديه ابتسم لهما بخبث ومكر وقال : اهلاً بالصديقين ! ...

وكان يحسن التلفظ ببعض الكلمات العربية ، فدعا البحريين للجلوس امامه وقال : هل اتفقتما والسيد ابراهيم كوهين على مساعدتنا في قضيتنا ؟

فقال رضا شريف : نعم ، ولكن ما عرضه علينا السيد ابراهيم من الدراهم لا يكفي !

فنظر اليهما ابراهيم كوهين قائلاً : أتظلان تتحدثان عن الدراهم ؟..

- وهل قبلنا منك ما قبلناه لسواد عينيك يا سيد ابراهيم ؟ ...
- ولكنني اعطيتكم دراهم كثيرة !
- ولا نزال في حاجة الى دراهم كثيرة ! ..
- دراهم .. دراهم ... اه ما اعظم وقع هذه الكلمة على النفوس يا رب اسحق ويعقوب ! ...

وقال للبحريين : كم تريدان من المال فوق ما اعطيتكما اياه ؟ ...
- نريد اربعة آلاف ليرة
- اربعة آلاف ليرة ؟ ... ومن اين لي هذا المبلغ ؟ ...
- ان من يطلب نسف المسجد الاقصى يجب ان يأتي بكل ما في جيوبه من دراهم
- لقد اعطيتكما الفي ليرة
- هذا مبلغ لا يكفي
- هل ترضيان بثلاثة الاف ! ...
- لا نرضى بسوى اربعة الاف ليرة
- لا بأس ، سادفع لكما المبلغ ، ولكن بشرط .. والشرط هو ان تلقيا قنابلكما على المسجد والمصلون يقيمون الصلوات فيه ...

فاجاب رضا شريف : سنفعل ، هات نصف المبلغ الذي وعدتنا به

فتردد ابراهيم كوهين قليلا الا انه ما لبث ان عمد الى اوراق مالية في جيبه وعد منها للبحريين الفي ليرة قائلاً : هل ارتحتما لهذا العطاء ؟...

فقالا وهما يبتسمان : ارتحنا له جداً ...

وحشرا الاوراق المالية في جيوبهما ، والتفت احدهما الى الزعيم الصهيوني قائلاً : واين القنابل ؟ ...

فدخل الزعيم دهليزاً سرياً في داره وجاء منه بعشر قنابل وهو يقول : ألا تكفيكما هذه الكمية ؟ ..

فقالا : اذا احتجنا الى اكثر منها جئنا اليك ! ...

وقال الزعيم الصهيوني لساره : إلحقي بهما ! ...

ففعلت ، ولما خرجوا اختلى الزعيم الصهيوني بابراهيم كوهين قائلاً له : لقد احسنت، ان العصبة لراضية عنك ، وابراهيم واسحق ويعقوب وداود يباركونك من اعلى

سمائهم ، وغداً لا يكاد المسجد الاقصى يتداعى حتى نشيد على انقاضه هيكل سليمان ! ...

— ٨ —

ضاقت القدس بالمسلمين المتوافدين الى المسجد الاقصى . ووقف عند باب المسجد البحريان رضا شريف ومصطفى صادق ينظران الى هذه الجموع الفاضبة المتوافدة الى المسجد بهيبة وخشوع . وكانت ساره على مقربة منهما تحمل ايضاً في جيوبها الديناميت . وحلت الرهبة بالبحريين فاخذا يتهامسان، لقد شعرا بعبء المهمة وتذكرا انهما مسلمان، فما ان خرج المصلون من المسجد يصيحون : « الله اكبر ! ... » حتى تناسى البحريان مهمتهما وانضما الى تلك الجموع الجرارة يشاركانها في الهتاف

فتعجبت ساره من امرهما وصاحت : «ما هذا ، انسيتما ما عاهدتماني عليه ؟...»

فرفسها رضا شريف برجله وقال لها : « هذه دراهم بني قومك خذيها وقولي لهم ان المسلم لا يخون دينه !...»

فشتمته قائلة : « انت خائن قذر !...» فاشتعل غضباً وصاح بها : ( يا عاهرة!.)

فما كان منها الا ان اطلقت القنبلة التي تحملها على المتظاهرين فضج القوم لهول الجناية ، واتقدت نار الحقد في صدر البحريين وعرفا ان ساره هي التي القت القنبلة فلحقا بها وهي تفر من امامهما الى ان دخلت دار الزعيم الصهيوني

وكان غضب البحريين قد بلغ حده الاقصى ، وضاع منهما كل رشد وصواب ، فدخلا دار الزعيم الصهيوني راكضين ، فحال الخادم دون دخولهما وصاح برضا شريف : ( أصهيوني انت ؟...) فاطلق عليه البحري النار قائلاً له : ( نعم بنعمة الله انا صهيوني !...) وكانت الرصاصة قد اخترقت دماغ الخادم فاردته قتيلاً

وهجم البحريان على الدار فصدهما ابرهيم كوهين، فقبض منه مصطفى صادق على عنقه ولم يفلته الا بعد ان خنقه وخطف منه الروح . واقبل الزعيم الصهيوني يحمل بيده مسدسه ، ولما ابصر البحريين صاح بهما : ( ماذا فعلتما ، هل نسفتما المسجد الاقصى؟)

فاجاباه : ( لقد جئنا ننسفك !...) ولم يشعر الا وطلقات النار تنفذ الى قلبه فقضى

وراحا يفتشان عن ساره ، فاذا هي مختبئة في مستودع الديناميت ، فحاولا القبض عليها فهددتهما باشعال المستودع ، فما كان من رضا شريف الا ان هجم عليها وجرها بغدائر شعرها وهو يصيح بها :

– لقد انقذناك من لسعات الافعى اما اليوم فلا تحلمي بالنجاة من ايدينا !...)

وخرجا الى الشارع وربطا الفتاة الى عمود امام الباب ، واخرج كل منهما قنبلة وقالا لساره : توبي الى ربك !...

وما هي الا ثانية من الثواني حتى كانت دار الزعيم الصهيوني تتطاير في الفضاء ؛ وعقب هذا الانفجار سكون رهيب ، وتصاعد من الانقاض انين ضئيل ، فاذا بساره تلفظ الروح وتقول : الويل لك يا ابرهيم كوهين ... انت علة شقائي وشقاء الصهيونيين ... الويل لك !!!

واشتعلت اذ ذاك الثورة في القدس بكاملها ، والتهمت النار سائر احيائها ،وعاد البحريان الى جموع المسلمين يصيحان مع الصائحين : (الله اكبر !... الله اكبر !...) وكانت الحماسة قد اخذت منهما كل مأخذ فتعرضا لنار الصهيونيين ولم يصبهما اذى ، وكانا كلما شعرا بحرج موقفهما يطلقان قنابل الديناميت على جموع الصهيونيين قائلين لهم : هذه بضاعتكم ترد اليكم ، فتنعموا بها آمنين !...

وانغمسا في القتال ، وغاصا في الدم الى ما فوق الركب ، وكان مصطفى صادق يقول لرفيقه : يجب ان نكفر عن ذنبنا يا رضا ،فاي جناية كنا جنينا لو اقدمنا على نسف المسجد الاقصى !...

واعجب ببسالتهما اخوانهما في القدس . فلا تنشب معركة من المعارك الا ويكون البحريان في طليعة المهاجمين ولا يكون النصر الا حيث يكونان ، وقال رضا شريف لرفيقه : ماذا تفعل بالمال الذي اعطانا اياه ابرهيم كوهين ؟...

قال : يجب ان لا يبقى معنا وهو مال حرام !... — وماذا نفعل به ؟ ...

— نقدمه لعيال اخواننا الذين استشهدوا على باب المسجد لما قذفت ساره قنبلتها ! ..

وعلى ذلك اتفقا ، وعند انتهاء القتال كانا في مستشفى الجرحى يقولان لمن تولى امره : « هذه هبة منا لعيال اخواننا الجرحى المستشهدين » وافرغا بعض ما تناولاه من ابراهيم كوهين من مال ، ولما عادا الى حيفا كانت الثورة قد خمدت ، فركبا متن زورقهما يرويان لاخوانهما البحريين ما اتفق لهما ،فاعجب بحسن صنيعهما الجمع وارتفعت اصوات هؤلاء الشجعان تنشد وتقول : « نحن الابطال يا ريس ، يوم القتال يا ريس ، تحيا وتعيش يا ريس!!! »ورفعوا رضا ومصطفى على الاكتاف وهتافهم يبلغ عنان السماء!...

تمت

العدد الرابع والتسعون السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان : رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

# في عهد امان الله

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

الادارة : جريدة « الاحوال »

الاشتراك

في لبنان وسوريا : ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج : نصف ليرة انكليزية

بيروت في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

# في عهد امان الله



وقف مصطفى ابو حبال امام خليلته « جوهانار » ينظر اليها بامتعاض ونفور قائلًا لها : ابتعدي مني !

فحدقت اليه تتبين من ملامحه أهو صادق في ما يقول ام مازح ، فبدا لها منه انه لا يمزح ، فاطرقت الى الارض آسفة قلقة واطبقت شفتيها لا تفوه بكلمة عتاب او شكوى

فعاد مصطفى يقول لها : ابتعدي مني ، اني لا اطيق رؤيتك ، واذا كنت ابدي لك بالامس بعض الود فاني انفر منك الان كل النفور !

فابتعدت منه وهي لا تبرح في صمتها ، واخذ مصطفى يقول : الحب ، وما هو الحب ، انه اشبه بنهار صافي الاديم يعقبه ليل مظلم بارد !

وناداها : جوهانار ! ...

فاقبلت تجر اذيال الخيبة ، قال : لا اريد ان ابصر لك وجهاً بعد اليوم !

فلم تصبر منه على هذه الاهانة وقالت : ألم تقسم لي بانك لن تخونني ؟ ...

فهز كتفيه وقال هازئاً : أصحيح اني وعدتك باني لن انفك عن حبك ؟ ...

يظهر انك تجهلين ما اعتراني من كره لك . نعم ، لقد احببتك بالامس ، اما الان فاني احب نسيبتك « نور » ولماذا اخفاء الحقيقة عنك ؟

— ولكنك في الاسبوع الماضي انكرت على مسمعي انك تحبها !

— واقد كنت صادقاً في قولي . فقبلت شفتيك بلهفة . واريد ان اظل صادقاً في موقفي منك ، وهذا الصدق يحملني اليوم على ان اجاهر لك باني مللتك وباني افكر بتقبيل ثغر امرأة سواك !

وسكت هنيهة ثم قال : ألم تنظري الى شعر نسيبتك « نور » ان من يبصر شعرها يعتقد انه امام امواج من النحاس تتلاطم فوق جبين ناصع البياض . ثم أتعلمين

كم لها من العمر ؟ هي ابنة ست عشرة سنة كالزهرة لدن تتفتح عن اكمامها ، وعيناهـا ساحرتان فلا يرتوي المرء من النظر اليهما ، اني احبها ... وساتزوجها !

قالت والغصص تتصاعد من قلبها : ولقد احببتني ايضاً ، على انك لم تتحدث الي مطلقاً عن الزواج !

قال : وهذا مما يدلك على اني شعرت اخيراً بالحب الحقيقي ، فهو ليس حب ليلة ولا حب اسبوع، ان هو الا غرام ابدي لا تقوى على محوه صروف الحدثان ! ...

... ومصطفى ابو حبال لم يكن اسمه الصحيح ، فالناس كانوا يطلقون عليه هذا اللقب ، اما اسمه الحقيقي فهو مصطفى احمد خان ، ولكن لقبه شاع على ألسنة القوم فاخذوا ينادونه به لنفورهم منه وكرههم اياه. ولم تكرهه النساء بقدر ما كان يكرهه الرجال، فالنساء كن يخشينه، ولكن حديثه اليهن ودهاءه في مسايرتهن كانا يشفعان به لديهن، فهو صاحب طريقة مبتكرة جذابة في مخاطبة النساء ، ففي وسعه ان يستميلهن اليه ساعة يريد بوسائل غريبة هيهات ان تخطر لاحد في بال

وبقدر ما كان ذا دهاء في خطب ود النساء كان ذا قوة وشجاعة وبأس ، الرجال مقتوه وكرهوه لانه شجاع قوي غادر شرير ماكر ، فان خصمه لا ينجو من بطشه ولو اختفى بين طيات الغيوم

ولم يشتهر امر مصطفى ابي حبال بين ابناء قبيلته فحسب ، بل ذاع صيته بين سائر القبائل الافغانية ، وكانوا اذا ارادوا ان يتحدثوا عن رجل شرير قالوا انه اشبه بمصطفى ابي حبال

والقبائل الافغانية باجمعها تعترف لمصطفى ابي حبال بالبأس والاقدام ولكنها تخشاه ، وكثيراً ما رددت نساء قبيلة « اغا خال » قولهن : لدينا مئة رجل اجمل منه واقوى ، ولكننا لا نتأثر لرجل اذا قضى مثلنا لمصطفى ابي حبال !

وقالت عنه نساء قبيلة « زوني خال » : انه ليوم مشؤوم الطالع للفتاة التي يلقي مصطفى ابو حبال رأسه على زندها ! ...

وهن مع تشاؤمهن منه وخوفهن اخذن يطلبن من رب السماء ان لا يضن عليهن بليلة تقضيها كل منهن الى جانب مصطفى الشرير !

... وهاتان القبيلتان كانتا على خصام، والافغاني يحقد على الافغاني ، وليس ثمة من يحقد على اخيه وابن وطنه كابناء الافغان . فاذا باتوا على خلاف ضمر كل منهم لرفيقه

الشر والاذى وود ان يذيقه حتفه لو كان ذلك في المستطاع

وقبلة « زوني خال » تقف من قبيلة مصطفى — وقبيلته قبيلة اغا خال — موقف العدو من العدو ، فهذه منعت عن تلك ارتياد ديارها كما ابت تلك على هذه التوغل في الارجاء المسيطرة عليها

ولكن مصطفى ابا حبال وقد ضمن انفسه الفوز بكل فتاة جميلة يختارهـا من قبيلته راح يصطاد فتيات القبيلة الناقمة على اخوانه وابناء عشيرته

ومصطفى من عشاق المغامرة ، فلم يكن ليخشى على نفسه من الموت ، بل لم يكن ليحسب للموت حساباً في سبيل معانقة فتاة جميلة ساحرة ، فقد هام بالضم والعنـاق وآثر الموت بين ذراعي امرأة خلابة على الموت وحيداً في فراشه وخيمته

— ٢ —

و « جاهانار » من القبيلة الناقمة على عشيرة مصطفى ابي حبال

ومصطفى لما اوقعها في الشرك خدعها بالوعود البراقة

وهي احبت ان تكون من نسائه ، فاستسلمت اليه تاركة له الحق المطلق في ان يفعل بها ما يشاء

وراقها ان تكون لهذا الشاب الفتان فلم تحفل باستقوله عنها عشيرتها ولا بغضب ذويها عليها ، بل ترامت بين يدي فاتنها وفرت واياه تحت جنح الظلام الى مضارب قبيلته ، فرفعها مصطفى فوق ركبتيه واخذ يقبلها قائلاً :

— انت نعمة الهية ، ولقد اجتزت اليك الجبال ، ووثبت كالارنب فوق الصخور ، فماذا كان يفعل بي ابناء قومك لو عرفوا اني خطفتك من بين ايديهم ؟

فقالت : انت تخيف !

ومضت الايام ، وطال بقاء « جوهانار » الى قرب مصطفى فاحس بفتور في قلبه ، فالحب الذي كان يشعر به نحوها لم يكن راسخاً في نفسه ، فما امتلكها وشبع منهـا وخطرت امامه نسيبتها حتى مال الى هجرها

فان نسيبتها راقته وفتنته وخيل اليه انه سيقضي الحياة الى قربها ويكتفي بهـا فلا يفكر بامرأة بعدها ، ولما اعلن لجوهانار انه سيهجرها افضى اليها بنياته وقال : أتعلمين ماذا كان من جواب نسيبتك نور لي لما خاطبتها في امري ؟ . . .

قالت : ومن اين لي ان ادري ؟

كم لها من العمر ، هي ابنة ست عشرة سنة كالزهرة لدن تتفتح عن اكمامها ، وعيناها ساحرتان فلا يرتوي المرء من النظر اليهما ، اني احبها ... وساتزوجها !

قالت والغصص تتصاعد من قلبها : ولقد احببتني ايضاً ، على انك لم تتحدث الي مطلقاً عن الزواج !

قال : وهذا مما يدلك على اني شعرت اخيراً بالحب الحقيقي ، فهو ليس حب ليلة ولا حب اسبوع ، ان هو الا غرام ابدي لا تقوى على محوه صروف الحدثان ! ...

... ومصطفى ابو حبال لم يكن اسمه الصحيح ، فالناس كانوا يطلقون عليه هذا اللقب ، اما اسمه الحقيقي فهو مصطفى احمد خان ، ولكن لقبه شاع على ألسنة القوم فاخذوا ينادونه به لنفورهم منه وكرههم اياه . ولم تكرهه النساء بقدر ما كان يكرهه الرجال ، فالنساء كن يخشينه ، ولكن حديثه اليهن ودهاءه في مسايرتهن كانا يشفعان به لديهن ، فهو صاحب طريقة مبتكرة جذابة في مخاطبة النساء ، ففي وسعه ان يستميلهن اليه ساعة يريد بوسائل غريبة هيهات ان تخطر لاحد في بال

وبقدر ما كان ذا دهاء في خطب ود النساء كان ذا قوة وشجاعة وبأس ، فالرجال مقتوه وكرهوه لانه شجاع قوي غادر شرير ماكر ، فان خصمه لا ينجو من بطشه ولو اختفى بين طيات الغيوم

ولم يشتهر امر مصطفى ابي حبال بين ابناء قبيلته فحسب ، بل ذاع صيته بين سائر القبائل الافغانية ، وكانوا اذا ارادوا ان يتحدثوا عن رجل شرير قالوا انه اشبه بمصطفى ابي حبال

والقبائل الافغانية باجمعها تعترف لمصطفى ابي حبال بالبأس والاقدام ولكنها تخشاه ، وكثيراً ما رددت نساء قبيلة « اغا خال » قولهن : لدينا مئة رجل اجمل منه واقوى ، ولكننا لا نتأثر لرجل اذا قضى مثلنا لمصطفى ابي حبال !

وقالت عنه نساء قبيلة « زوني خال » : انه ليوم مشؤوم الطالع للفتاة التي يلقي مصطفى ابو حبال رأسه على زندها ! ...

وهن مع تشاؤمهن منه وخوفهن اخذن يطلبن من رب السماء ان لا يضن عليهن بليلة تقضيها كل منهن الى جانب مصطفى الشرير !

... وهاتان القبيلتان كانتا على خصام ، والافغاني يحقد على الافغاني ، وليس ثمة من يحقد على اخيه وابن وطنه كابناء الافغان . فاذا باتوا على خلاف ضمر كل منهم لرفيقه

الشر والاذى وود ان يذيقه حتفه لو كان ذلك في المستطاع

وقبلة « زوني خال » تقف من قبيلة مصطفى — وقبيلتهقبيلة اغا خال — موقف العدو من العدو ، فهذه منعت عن تلك ارتياد ديارها كما ابت تلك على هذه التوغل في الارجاء المسيطرة عليها

ولكن مصطفى ابا حبال وقد ضمن انفسه الفوز بكل فتاة جميلة يختارهـا من قبيلته راح يصطاد فتيات القبيلة الناقمة على اخوانه وابناء عشيرته

ومصطفى من عشاق المغامرة ، فلم يكن ليخشى على نفسه من الموت ، بل لم يكن ليحسب للموت حساباً في سبيل معانقة فتاة جميلة ساحرة ، فقد هام بالضم والعنـاق وآثر الموت بين ذراعي امرأة خلابة على الموت وحيداً في فراشه وخيمته

— ٢ —

و« جاهانار » من القبيلة الناقمة على عشيرة مصطفى ابي حبال

ومصطفى لما اوقعها في الشرك خدعها بالوعود البراقة

وهي احبت ان تكون من نسائه ، فاستسلمت اليه تاركة له الحق المطلق في ان يفعل بها ما يشاء

وراقها ان تكون لهذا الشاب الفتان فلم تحفل بما ستقوله عنها عشيرتها ولا بغضب ذويها عليها ، بل ترامت بين يدي فاتنها وفرت واياه تحت جنح الظلام الى مضارب قبيلته ، فرفعها مصطفى فوق ركبتيه واخذ يقبلها قائلاً :

— انت نعمة الهية ، ولقد اجتزت اليك الجبال ، ووثبت كالارنب فوق الصخور ، فماذا كان يفعل بي ابناء قومك لو عرفوا اني خطفتك من بين ايديهم ؟

قالت : انت تخيف !

ومضت الايام ، وطال بقاء « جوهانار » الى قرب مصطفى فاحس بفتور في قلبه ، فالحب الذي كان يشعر به نحوها لم يكن راسخاً في نفسه ، فما امتلكها وشبع منهـا وخطرت امامه نسيبتها حتى مال الى هجرها

فان نسيبتها راقته وفتنته وخيل اليه انه سيقضي الحياة الى قربها ويكتفي بهـا فلا يفكر بامرأة بعدها ، ولما اعلن لجوهانار انه سيهجرها افضى اليها بنياته وقال : أتعلمين ماذا كان من جواب نسيبتك نور لي لما خاطبتها في امري ؟ ..

قالت : ومن اين لي ان ادري ؟

-- لقد لطمتني ، ولكن عينيها انكرتا ما فعلته يداها !

— وكيف تجرأت على الوصول اليها ؟ . . .

— وصلت اليها كما وصلت اليك ، فهل بدا لك مني اني اخاف يوم خطفتك من تحت ذقون اهلك وذويك ؟ . . .

— ألم يشعر احد بك وانت تنسل بين الخيام ؟ . . . ألم تستنجد نور وتصيح ؟

— لا ، فهي لطمتني وسكتت فما صاحت ولا استجارت باهل الحي ولا ولولت ، فكأنها ودت ان تدفعني الى المضي في حديثي بل ودت ان تشجعني على اختطافها

— وحارس الحي ماذا كان يفعل ؟ . . .

— وماذا تعتقدين انه كان يفعل وقد بادرته بطعنة في صدره ثم هويت على عنقه وذبحته من الوريد الى الوريد ! . . .

— يا لك من شرير ! . . .

— والان أتدرين ماذا اطلب منك ؟

— اجل ، انك تطلب مني ان لا افكر بك بعد اليوم !

— واريد منك شيئاً أخر ، أتعرفين ما هو ؟

— لا

— يجب ان تقومي بشيء من التضحية في سبيل حبنا القديم ، وهذه التضحية هي في ان ترافقيني الى عشيرة بني قومك وتنادي لي نسيبتك نور فاريد ان اراها !

قالت : ساقوم لاجلك بكل تضحية ، وحق النبي لن اتردد عن سفك دمي كي ترضى !

وكان في لهجتها من الكبرياء والالم ما دعا مصطفى لتقدير تضحيتها قدرها الحق ، وتابعت فقالت : لا ، لن اقوم بهذه التضحية في سبيل الماضي بل في سبيل الحب الذي لا يبرح كامناً في قلبي . . . وهذا الحب لن انساه . . . وذلك مما اعترف به على خجل مني !

فلامس شعرها وخدها فطربت للملامسة ، وقد يكون ندم على غلاظته نحوها ، على انه اخفى هذه العاطفة وتناساها لدن فكر بنور ، نور الفتاة التي ملكت قلبه واستولت على عقله ، فكان يحس بان حبها رسخ منه في اللحم والعظام ومن المحال ان ينساها او يعيش بدونها

ونظر الى جوهانار فاستعاد ذكرى الايام الطيبة التي قضاها الى قربها وكاد يقول لها : دعيني من نور وابقي الى قربي ! ...

وتراءى له جمال نور ومبسمها العذب فرأى ان يكون لها وحدها ، فقال لجوهانار : ساتزوج نسيبتك نور في هذه الليلة ، فاخطفها واجيء بها الى الامـام في عشيرتي يعقد لي عليها

— ولكن الامام سيبرحنا الى « كابول » !

— لا ، فقـد ابصرته وطلبت منـه ان ينتظر ريثما اعود ، وقلت له اني ساتزوج واني في حاجة اليه لتصديق العقد

ومشى واياها الى مضارب قبيلتها ، وكان مدججـاً بالسلاح ، ولما اقتربا من تلك المضارب التفت الى « جوهانار » فقال :

— اسرعي الى نور وقولي لها اني هنا في انتظارها !

فاجفلت وتراجعت الى الوراء مذعورة ، فالغيرة التي خفتت في صدرهـا عادت فتنبهت ، ونظرت الى مصطفى تقول كالوحش الجريح : لن اذهب اليها ! ... لاتطلب مني هذه التضحية الكبرى التي تكلفني حياتي ... لا ! ...

— ولكنك اقسمت لي منذ هنيهة بانك تفعلين لاجلي كل ما اطلبه منك ، فهل تكون يمينك اشبه بالضرب على صفحات الماء ؟

— ولكنها لن تأتي اليك

— لا بد لها من ان تأتي ، فقد علمت ذلك من عينيهـا ، فبينما هي تلطمني كانت عيناها تقولان لي انها تحبني . ألم تتحدث اليك عني لما كنت تجتمعين بها ؟ ... ألم تقل لك انها [illegible]ت اسى اذا نأيت عن هذه الديار ؟ ...

فسكتت « جوهانار » وكان في سكوتها ما يقول لمصطفى ابي حبال : اجل لقد حدثتني طويلاً عنك وافاضت في الثناء عليك ! ...

وادرك مصطفى ذلك منها فابتسم ابتسامة الظافر وهمس في اذن « جوهانار » قائلاً لها : أيطيب لك ان تحولي بيني وبين حبي ؟

فاجابت والدمع يجول في عينيها : سافعل ما تريده مني ! ...

قال : اسرعي ، اني هنا في انتظـارك على مقربة من قصر « داراني » فاياك وان تتأخري ! ...

— ٣ —

يقوم قصر « داراني » في اعلى قمة تشرف على بلدة « كوهي بابا » في بقعة حرة من الارض لا تتجاذبها العشيرتان المتخاصمتان

ولم يبق من القصر غير اطلال باكية ورسوم دارسة . فالعز مضى والمجد اضمحل وتداعت جدران القصر فاضحى ملعباً للبوم

فان اسرة « داراني » وهي من الاسر الشريفة في الافغان هجرت ذلك القصر بعد ان ملأته بالمجد والنبل فامتد اليه العيب وتساقطت حجاره وعبث بزخارفه ابناء القبائل فكانوا ينتزعون الفسيفساء من الجدران ويتراشقون بها ويحملون منه بعض الحجارة الملساء ليجلسوا عليها في اكواخهم وخيامهم وليتوسدوها في مجالسهم

ولم تستطع الحياة في القصر الا في الغابات والحدائق التي تمنطق بها . فان ايدي الموت ان تكن لعبت بزخارف القصر وجدرانه فقد عجزت عن الفتك بغاباته وحدائقه . فهو ما برح يلتف بتلك الغابات والحدائق الرهيبة ، ولكنها رهبة غليظة وبهجة خشنة ، فالوحوش اوت الى الغابات واشجار العليق اجتاحت الحدائق تحمي عن الازهار الافاعي السود

ومصطفى ابو حبال بعد ان ضرب لجوهاذار موعد اللقاء عاد الى قبيلته يفتش فيها عن الامام ليتولى تصديق عقد الزواج ، ونظر الى القصر قبل ان يعود الى مضارب بني قومه وقال : ساجيء بالامام الى هذا القصر يعقد لي على نور ، فهذا خير مقام لعقد زواجي !

ومضى الى الامام يقول له : ان الفتاة التي ساتزوجها تأبى براح عشيرتها قبل ان يعقد لي عليها ، وقد ضربت لها موعداً للقاء في قصر « داراني » فتعال معي اليه ! . . .

والامام مع معرفته بغرائب مصطفى ابي حبال رأى ان يجيبه الى ملتمسه ، فسار واياه في طريق القصر وهو يقول في نفسه : أيريد هذا الشرير ان يقتلني في هذا المكان القفر ؟ . . .

ولكن مصطفى لم يفكر على الاطلاق بان يؤذي الامام . فقد كان يحترمه كل الاحترام ويمشي الى قربه كالخادم المطيع . والامام جبار في جسمه قوي في عضلاته فلا يخطر في بال مصطفى ان يمسه بسوء ، الا ان شرور ابي حبال وآثامه اقلقت الامام فحسب لها الف حساب

وكان مصطفى على يقين تام بانه سيجد نور في انتظاره . فما ارتاب لحظة في انها تحبه وتريده ، وما ارتاب ايضاً في « جوهانار » فقال : هي تحبني وستقوم بالتضحية لاجلي فتبلغ نسيبتها نور مشيئتي وقد تعودان معاً الي !

ولم يكن مصطفى ليخشى غضب قبيلته ولا غضب قبيلة نور . فاذا تزوج الفتاة كما تقضي به الشريعة لا يبقى لاحد من الفريقين كامة يقولها . تلك هي القاعدة السارية بين القبائل الافغانية ، ومصطفى كان على ثقة بان كل شيء سيجري على ما يريد

والامام يدعى الحاج عثمان . فقال له مصطفى وقد اوشكا ان يبلغا القصر : ليس لنا ان نضيع الوقت . فالليل قصير ، والحراس قد يفاجئوننا ، فاسرع في تصديق العقد !

فقال الامام : كن انت على استعداد . فانني اعرف من امرك الشيء الكثير ، وجاءني عنك انك شرير ماكر فتصطاد الفتيات بحبائلك الغريبة ، ولم يطلقوا عليك لقب « ابي حبال » الا لانك داهية في اصطياد النساء فيقعن في حبائلك وشباكك وتخدعهن ثم تلقي بهن جانباً كأنهن من سقط المتاع . واريد منك الان ان تعلن بصراحة امامي الامتناع بعد اليوم عن كل حيلة وخدعة في الاستيلاء على قلوب النساء . فساعقد زواجك على الفتاة التي اخترتها على ان تقسم لي انك لن تميل عنها ! . . .

ورفع الامام قبضة يده مهدداً وقال : والا حلت عليك لعنة الله ! . . .

فاجاب مصطفى : لن يلعنني ربي . فساعمل بما تطلبه مني واكون لامرأتي رجلا محباً مخلصاً فلا اتردد عن تلبية نداءها في كل ما يروقها ، واجلب لها كل شيء ما عدا الحزن والكدر ! . . .

وبلغا القصر ، وكانت الامطار تتساقط فاقاما الى جذع شجرة من اشجار الزيتون يتقيان قطرات الماء

وكان القمر يغيب عنهما حيناً بين طيات الغيوم ثم يعبث بها فيمزقها ويبدو لاعينهما في اصفراره وشحوبه . وومض البرق يقد بخنجره الناري اديم السماء وقصفت الرعود كأن الارض ابت الا ان تزلزل زلزلها

فاخذ مصطفى يلعن ساعة هطلت فيها الامطار ونظر الى الامام يقول : لا اعتقد في وسعها براح مضارب بني قومها في هذه الليلة الماطرة !

وكان يحس بان علة امتناعها عن المجيء ليست في هطول الامطار ، فهي لو شاءت ان توافيه في الموعد المضروب لاستهانت بالامطار والبروق والرعود ولكنها لا تريده لها

زوجاً ولا ترى فائدة من التعب في مقابلته

وخاف ان يعود بالخيبة والخذلان فقال : لا حول ولا . . .

وهدأت الطبيعة وتجلى القمر في تمامه ولاح من بعيد شبح يقطع المياه ويغوص في الاوحال ووجهته القصر ، فقال مصطفى : هذه هي ! . . .

وكان قد عرف من الشبح انه شبح امرأة ، فوثب اليها ، فاذا هي مقنعة بقناع اسود نزولا على التقاليد ، فاقترب منها مصطفى ابو حجال قائلاً لها : أتريدين ان تكوني امرأتي ؟ . . .

وخاطبها بتؤدة وخاف على قلبه ان ينفجر من شدة الخفقان ، فتمتمت قائلة : نعم !

فنظر الى الحاج عثمان وقال له : هذه هي الفتاة التي اخترتها زوجة لي ، فارجو منك ان تعقد لي عليها !

فقال له الحاج عثمان : أأنت راض بها ؟

قال : اجل !

فقال : لعنة الله تحل عليك ان تكن غير صافي النية !

فضحك مصطفى وقال : ألم اصرح لك بانني اقلعت عن عادتي في اصطياد النساء وخداعهن وان هذه المرأة ستكون لي على مدى الحياة ؟ . . .

ونظر الى الفتاة المقنعة قائلاً لها : لا وفقني الله اذا انفصلت عنك واذا نظرت الى امرأة سواك ، فلقد ملكت قلبي الى ابد الابيد !

فعقد الامام له عليها وهو يقول لها : لتحل نعمة ربي عليكما ، ان ربي حليم كريم وارحم الراحمين ! . . .

فتنفس مصطفى الصعداء لدى انتهاء العقد ومال على الفتاة يميط القناع عن وجهها ، قال : نور . . . حبيبتي نور ! . . .

وكانت يداه ترتجفان ، وارسل القمر اشعته على وجه الفتاة فاذا هي « جوهانار » لا « نور »

فسقطت يدا مصطفى كأنهما اصيبتا بالشلل ، ووقف واجماً ساكتاً لا يبدي ولا يعيد ، أيطلب نوراً فيقع بجوهانار تلك التي شاء الخلاص منها ؟ . . .

ومصطفى تعود المفاجآت ، على ان هذه المفاجأة ذهبت بعقله ، فكان لا يدري ما يجب عليه ان يقول ولا ما يجب ان يفعل

وتصبب العرق البارد من جبينه ، واخيراً هز كتفية ونظر الى جوهانار قائلاً لها : اني لا احبك، ولكني وقد اقسمت اليمين الغموس فلن اتخلى عنك . . . انت امرأتي بعد اليوم ولك المكانة العليا عندي !

وعانقها بالطف وقادها الى خيمته وهو لا يتلفظ بكلمة شكوى ، فقد احترم منها دهاءها واعجبه ان تخدعه امرأة بعدما خدع في حياته ما خدع من فتيات ونساء

— ٤ —

ادركت جوهانار امانيها الجسام

فان حيلتها جازت على مصطفى ابي حبال ووجده مصطفى من هوادهى واوسع حيلة منه ورأى في الاشهر التي تلت هذه الخدعة ان يكون مخلصاً لجوهانار كل الاخلاص ، فعاملها احسن معاملة وابدى من العطف ما زادها به شغفاً

ولكن مصطفى لم ينس نوراً ، فقد كان يفكر بها ليل نهـار ، على انه لم يتظاهر امام جوهانار شيئاً من هذا الميل انسيتها ، فكانت الايام تتلو الايام وهو لا يتلفظ امامهـا باسم نور

فلقد رضي بالخدعة وسكت عنها ، واذا تحدث عنها لجوهانار قال لهـا : انت ام الحبائل والمخادعات لا انا !

قالت : لم افعل ذلك الا لكوني احبك ، وانت ألا تحبني ؟ . . .

فاجاب : لقد اقسمت ولن احنث بيميني !

وهذه اليمين لم يحنث بها مصطفى حقاً . فظل على وفائه لامرأته بالرغم مما جاءه عن نور فقد بلغه ان الفتاة تنتظره ، وانها علقت عليه الامال الكبار ، وان حبه استقر منها بين الضلوع .

ورووا له ان الكثيرين طلبوها للزواج فرفضت . وجاءها ابن قبيلتها نفسه الشاب المثري الجميل فلم تحفل به ، وفاوضها بامر الزواج احد اغنياء كابول ممن ملكوا النوق والجمال والقوافل فلم تلق نظرة واحدة عليه

واخذت نساء قبيلة « نور » تلوك الاشاعات عن رفضها كل هؤلاء الذين طلبوهـا من ذويها . فقالت رفيقاتها عنها انها متعجرفة ، وذهبت بعضهن الى الحط من مكانة نور زاعمات انها احبت شاباً فمال عنها مما اساء الى نفسها ورماها في يأس شديد . ومـا اكتفت نساء القبيلة بهذه الاقاويل فرحن يستنبطن الاشاعات الكاذبة قائلات ان نوراً

باعت عائلها لرجل غريب وخافت اذا تزوجت ان ينفضح امرها امام ذاك الزوج فيقتلها وينتقم منها

كل هذه الاشاعات طرقت اذن مصطفى ابي حبال وهو حائر في امره لا يدري ما يفعل . فقد وثق بان نوراً تحبه ، وبانها لم ترفض كل اولئك الطلاب الذين اقبلوا يخطبونها من ذويها الا لاجله هو ، فقد تحدث اليها عما يشعر به نحوها من الحب والهيام ، وطلب منها ان تنتظر عودته اليها ، فما رجع ولا ارسل يخبرها بما ينويه

ونور ما برحت تنتظر ، وقد تنتظر الى ان يطويها الموت ! . . .

ومضت الايام ، واذا بمصطفى يعود ذات مساء من الصيد والقنص فابصر امرأته « جوهانار » تخيط اثواب طفل صغير ، فقال لها متعجباً : أصحيح ؟ . . .

قالت وقد احمرت خجلاً : نعم ، واريده طفلاً جميلاً يرزقني اياه الله كابيه !

واشارت الى الربيع الذي يبشر بالازدهار والحياة وبزقزقة العصافير وبنسيمه المنعش المحيي وقالت : عسى ان يكون طفلنا ولداً ذكراً ! . . .

والتفتت الى السماء تتضرع اليها وتقول : لا تخيبني في رجائي يا ربي ! . . .

ولما احست بالجنين يتمايل في احشائها وعجزت عن براح فراشها ساءها ان تبصر مصطفى لا يغادر الخيمة فيقوم مقامها باشغال المنزل ويغسل الاواني ويطبخ الطعام ويضحك من نفسه عندما يقع من يده الابريق فيتحطم وهو لم يتعود مثل هذه الاشغال التي تتوفر عليها النساء

فكان مصطفى يظهر لجوهانار وداً عظيماً ، على انها شعرت بان هذا الود غير حب الزوج للزوج ، فكان يبدو لها فيه عطف الشقيق على شقيقه وهذا مما غاظها فاخذت تقول : ألست امرأته يا ترى ؟ . . . لماذا لا يظهر لي الهيام والجوى ، ألا احمل في احشائي ولداً من صلبه ؟ . . .

وتضرعت الى الله وتوسلت اليه كي يضرم في فؤاد مصطفى نار الحب والغرام وقالت : اذا رزقني الله مولوداً ذكراً اضاء حياته وزاد في غبطته فلا بد له ان يعود الى حبي ، الى ذلك الحب الذي كنا نتمتع به بابتهاج وحبور في الزمن الماضي !

وما برحت في كل صباح ومساء تنظر الى السماء تسألها رحمة وشفقة

واحست ذات صباح بالمخاض ، وشعرت بانها في حاجة الى من يساعدها على الولادة ، فلا غنى للمرأة في تلك الساعة عن امرأة تسعفها وتعينها ، فقالت جوهانار لمصطفى :

اذهب الى امي وقل لها اني في حاجة الى مساعدتها !

وامها في قبيلة « زوني خال » القبيلة الناقمة على عشيرة مصطفى فقال لها : ولكني ساضطر لاجتياز الجبل اليها !

فصاحت : لا بأس ، اذهب ! ...

واعتراها الخوف فاخذت تقول : اني اخشى عليك من رجال قبيلتي ، فهم اذا عرفوا بانك في مضاربهم ثاروا عليك وقتلوك ، فان سمعتك عرضة الكل مذمة لديهم !

فضحك وقال : لا تخافي عليَّ ، ففي وسعي ان انجو منهم وان افتك بكل من يحاول ان يمسني باذى ، فان كنت في حاجة الى امك فستكون امك لديك بعد حين قريب ، كوني على اطمئنان ! ...

— ولكني في حاجة اليها الان ... في هذا النهار ! ...

— وستكون في هذا النهار الى قربك !

ومضى يتسلق الجبال الى قبيلة « زوني خال » وهو يبتسم ويقول : ومن اين لهم ان يتجرأوا على مهاجمتي وقد عرفوا اني خصم عنيد لا اهاب الردى ؟ ...

— ٥ —

كان العام ١٩٢٨

وكان ملك الافغان امان الله قد عاد من جولته في اوربا وراح يبشر بالمبادىء الجديدة ويدعو بني قومه الى انكار ما اورثهم اياه الجدود من تقاليد

وطلب منهم ان ينزعوا العمامة ويرتدوا القبعات وكان يصيح بهم : يجب ان تخطو بلادي خطوات سريعة الى الامام ، فلماذا لا نكون اشبه باوربا بل اشبه بجارتنا تركيا البلد الاسلامي الصرف ؟ ...

وجلست الملكة ثريا الى قربه لا يستر وجهها حجاب ولا نقاب ، وتبرجت وكشفت عن زنديها وصدرها وقامت تخطب في الشعب الافغاني بقولها : ان الاصلاح يقتضي الجرأة وهذه الجرأة يجب ان تبدو آثارها في الافغانيين ! ...

وتحدث اليهم امان الله عن الحجاب فقال : ان الكتاب لا يقضي به ، فهو مظهر من مظاهر العهد القديم لا تنص عليه شريعة ولا يوجبه دين !

وقال لهم ايضاً : ان القبعة افضل لباس الرأس ، فهي تقيه حرارة الشمس وترد عن الوجه الغبار واستعمالها ايسر من العمامة والطربوش ! ...

وافاض في وصف الحضارة والعمران وامر وزراءه وموظفيه بارتداء القبعة والثوب الافرنجي واوجب عليهم ان ينزعوا الحجاب عن وجوه نسائهم فيخرجن سافرات ويجارين النساء الاوربيات في كشف الصدور والزنود

وقام في « كابول » من ايد الملك امان الله في ما ابتغاه من اصلاح ، فاسفرت النساء وارتدى الكثيرون القبعات واللباس الافرنجي ، وخاف العلماء ، اصحاب العمائم واللحى ، ان يصيبهم ما اصاب اخوانهم في تركيا فغضبوا وراحوا يضرمون في القلوب نار الحقد على امان الله ، بل راحوا يذيعون في رجال القبائل ان الملك امان الله كفر بالكتاب وخرج على سنن الشريعة وانكر تعاليم نبي المسلمين . ورجال القبائل يؤمنون بشريعة الله ايماناً اعمى ويرون قتل الكافر حلالاً ، فما سمعوا بان امان الله كفر بتعاليم نبي المسلمين حتى تنادوا الى مقاتلته وهدم عرشه قائلين : كل من يحارب الاسلام حاربه الاسلام ! . . .

وبالغ العلماء في ما اذاعوه عن امان الله ، فاتهموه بالزندقة واتهموا امرأته بالشذوذ عن الدين وعن واجبات المرأة المسلمة ، وحملوا رسومها الى رجال القبائل قائلين لهم : أتطيقون ان تظهر امرأة مليككم بهذا المظهر في بلاد الكافرين ، فيقبل يدها ماوى الكفار ويتأبطون ذراعها ويغازلونها على مرأى من الملك ومسمع وهو لا يبدي ولا يعيد ؟ . . .

فغضب رجال القبائل وتواثبت جموعهم الى كابول تهدد امان الله في عرشه ، وكان للملك اصدقاء وانصار وجيش فصمدوا لخصومه واشتبكوا واياهم في قتال امتد لهيبه الى العاصمة « كابول » فنشبت فيها الثورة واضطر امان الله ان يحاصر في قصره وان يطلب من رجاله صون حياته وعرشه

وكانت قبيلة « زوني خال » ممن انتصروا لامان الله في حين ان قبيلة مصطفى نددت به وشهرت بوجهه السلاح ومشت تحت لواء زعيم معروف من رجال القبائل هو السيد « بجه سقا »

وبجه سقا ممن تمردوا على الحكومة وعصوا اوامرها وابوا الاستسلام اليها ، فلما شعر بان موقفها تضعضع نادى اصدقاءه وانصاره الى محاربتها باسم الدين

فانضمت اليه قبيلة مصطفى ابي حبال وهي قبيلة « اغا خال » وناصرته ، ولم يطرق هذا الخبر اذن مصطفى الا وهو بين مضارب القبيلة المخاصمة لقبيلته : فقال : انا دري بي هؤلاء فماذا ترى يكون منهم جزائي ؟ . . .

ورجال القبيلتين يعرفون بعضهم بعضاً ، فلا تكاد تقع عين الواحد منهم على الاخر حتى يعرف من امامه ، أعدو ام صديق !

ومشى على مهل بين تلك المضارب وهو يتلفت ذات اليمين وذات اليسار ، فكان يفتش عن خيمة والدة جوهانار ، ونظر الى ورائه فاذا به يقف مذعوراً ، فقد ابصر رجلا من رجال القبيلة يمشي اليه والخنجر في يده والشتيمة بين شفتيه

وألقى عليه مصطفى نظرة سريعة فهاله ما رأى في ذلك الخصم الجبار ، على انه ملك روعه وشهر خنجره وهو يهز رأسه ، فلقد فكر بامرأته وقال : ما جئت في هذا النهار للموت بل للحياة ، فان امرأتي ستلد طفلا وهي في حاجة لامها وقد اسرعت ادعوها اليها !

ونظر الى خصمه وقال : حذار يا هذا ، فأن تتعرض لي بسوء اذقتك حتفك ، ويجب ان تعلم اني ما قصدت دياركم للفتك بكم بل للبحث عن والدة امرأتي !

فاجاب خصمه بتهكم وازدراء : لا بد من قتلك ايها الخائن !

فصاح به مصطفى : والله ، وحق النبي ان لم ترجع الى الوراء قتلتك ! ...

فعرف الاخر انه مصطفى ابو حبال فخاف وتراجع يقول : أأنت مصطفى ? ...

قال : نعم ، اني لهو ! ...

— اني اعفو عنك ، ولكنني اريد خنجرك الجميل ثمناً لهذا العفو !

فضحك مصطفى ضحكته المخيفة وقال : أتريد خنجري ثمناً لعفوك ، يا لك من وغد ، أتعتقد اني في حاجة الى عفوك ، وهل يدور في خلدك اني اتخلى لك عن الخنجر ? هذا خنجر جدي انتقل الى ابي ، ومن ابي اليّ ، وسينتقل مني الى ابني ، ومن ابني الى ولده واولاد ولده !

— اعطني اياه !

فرأى مصطفى ان اصطدامه بذلك الطفيلي سيؤخره عن الوصول الى والدة جوهانار فرماه بالخنجر قائلا له : خذه واليك عني ! ...

وتابع مسيره الى والدة امرأته ، فاذا برجل آخر من ابناء تلك القبيلة يتصدى له ويأمره بالوقوف

فتأفف مصطفى وقال : لا حول ولا ...

ونظر الى الخصم فاذا امامه وجه قبيح وانف طويل معكوف وانياب ناتئة

ؤوس الحراب ، فقال في نفسه : أرجل هو هذا ام ذئب خاطف ؟ . . .

وكان الرجل يحمل بندقيته ويسددها الى صدر مصطفى وهو يقول له . اذا لم اقتلك قتلك غيري ، فكلنا اليوم على استعداد للفتك بك ، فدعني اجرب في صدرك رصاص بندقيتي قبل ان يصطادوك ويقتلوك وتظل رصاصتي محبوساً عليها في جوف هذه البندقية ! . . .

وكاد يطلق عليه النار لو لم يعلن مصطفى خضوعه قائلاً له : ولماذا تريد قتلي ، لقد جئت دياركم للبحث عن والدة امرأتي ، فاني متزوج فتاة منكم !

فلم يحفل حامل البندقية بهذا الجواب وقال : ان التي تزوجتها خرجت عن كونها من قبيلتنا منذ التصقت بكلاب من امثالك !

واذا به يتبدل فجأة عما كان عليه، فألقى البندقية على كتفه وقال لمصطفى : اذهب بسلام ، وليقتلك سواي ، فاني لا اريد ان الطخ يدي بدم من يطلب عفوي عنه !

ولكنه ابى ان يعفو عن مصطفى بدون ان يتقاضى ثمن هذا العفو ، فحدق اليه طويلاً واقترب منه يمد يده الى عباءته ويقول : هات هذه العباءة ثمناً لعفوي !

فصاح به مصطفى : ثكلتك امك فكيف تسلب مني عباءتي ؟

ونفد صبر مصطفى فقبض من خصمه على عنقه قائلاً له : دعني والا نالك مني ما لا تشتهي ! . . .

فانتفض حامل البندقية وشاء ان يتراجع خطوة الى الوراء ليطلق النار على مصطفى ولكنه لم يقو ، فان مصطفى قبض عليه بيد من حديد فصاح : يدك عني ، لقد خنقتني ! . . .

قال مصطفى : وهذا ما اردت !

ورماه الى الارض واستولى منه على بندقيته واطلق عليه نارها فخرقت الرصاصة دماغه وقضى نحبه وهو لا يفوه بكلمة

وتجاوب في مضارب القبيلة صدى اطلاق النار فهبوا جميعهم مذعورين يتساءلون عما جرى، فاختبأ مصطفى وراء صخرة هناك وصاح بهم : كل من يشوقه ان يودع حياته فليقف امامي ! . . .

ومثل هذا التهديد لا يخيف الافغاني وهو الذي تعوّد الهجوم على اشداق الردى ، فما كان من رجال قبيلة « زوني خال » الا ان تدافعوا باجمعهم الى الصخرة ،

وما كان من مصطفى الا ان اخذ يثويهم برصاصه الواحد تلو الاجر ، فتساقط منهم اثنان ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة وهم لا يرتدون ، وكادوا يصلون الى مصطفى يقبضون عليه حياً ، فوقف وصاح : انا مصطفى ابو حبال ايها الانذال ، وفي وسعي ان اقضي عليكم جميعاً !...

ولم يسمعوا غير انفجار زعزع من تحتهم سطح الارض ، فان مصطفى ابا حبال قذفهم بقنبلة كانت في جيبه ففرقتهم عنه واطارت القريبين منه ، وعقب الانفجار صراخ وانين وشتائم . وانقضت جموع قبيلة « زوني خال » على الصخرة تفتش عن مصطفى وبودها ان تمزقه ارباً اربا

وكانوا يصيحون : اقتلوه ! ... اقتلوه ! ... هذا هو الرجل الغادر الشرير الذي يجب الانتقام منه ! ... هذا هو مصطفى ابو حبال ! ...

ولكنهم فتشوا عنه فلم يجدوه . فان مصطفى لم يكن وراء الصخرة التي اعتصم بها واطلق منها قنبلته

فتململ رجال القبيلة واصطكت اسنانهم بعضها على بعض من شدة الحنق والغيظ . ونظر كل منهم الى الاخر وخناجرهم في ايديهم وهم يقولون : اين هو ، اين هو ؟...

ونظروا الى الجثث المتساقطة امامهم والى الارض التي قلبتها القنبلة ظهراً لبطن وتركتها ملعباً للحفر وقالوا : أتكون القنبلة قتلته مع من قتلت ؟ ...

وبحثوا عنه بين الجثث فلم يجدوا له اثراً ، فحاروا في امرهم وتساءلوا : أتكون الارض ابتلعته ام طار فوق بساط الريح ؟ ...

وكان الغضب يقيمهم ويقعدهم ، فان مصطفى ابا حبال الشرير الغادر اختطف بناتهم ، خدع نساءهم وقتل منهم العشرات ثم فر واختفى كأنه روح بلا جسم ! ...

— ٦ —

اين مصطفى ؟ ...

فهو لما ألقى القنبلة واثار الغبار والدخان ورمى الذعر في القلوب انسل الى خيمة قريبة منه ابصر فيها امرأتين كانتا تطبخان الطعام ولكنهما وقد سمعتا انفجار القنبلة وبدت لهما الجثث تتطاير خافتا ، ولما اقترب منهما مصطفى استجار بهما قائلا : جريح فارحموه ! ...

والافغانيون يعطفون على المنكوب من بني قومهم ، فرحبت المرأتان بمصطفى

وقالتا له : انت لست من قبيلتنا ! . . .

فانعم النظر اليهما وصاح باحداهما : نور . . . نور . . . حبيبتي نور . . . انهم يريدون قتلي . . . دافعي عني . . . احميني ! . . .

فان نوراً كانت هناك ، نور التي ما برحت تنتظر عودته اليها. فهو الى خيمتها لجأ وبجاهها لاذ ، وهي لما ابصرته عرفته فنظرت اليه منددة به ولكنها لم تتلفظ بكلمة، فكأنها كانت تعاتبه على ابطائه في المجيء اليها بعدما وعدها بانه سيكون عندها عما قريب يطلبها للزواج

ولما استغاث بها قالت : ما بك يا مصطفى ، من هم الذين يريدون ان يقتلوك ؟..

قال : بنو قومك . . . بنو قومك الاشرار !

فضحكت وقالت : ليسوا اعظم منك شراً . . . قل لي ما جاء بك الى هنا ؟.

فتردد عن الافصاح عما دعاه للمجيء ، قالت : ما جاء بك الينا تكلم ! . . .

وكانت تعتقد انه جاء يخطبها بعد طول انتظار ، وادرك ما تفكر به فتلعثم في حديثه وقال : جئت ادعو والدة جوهانار ، فان ابنتها في المخاض وقد طلبت مني ان ابلغ ذلك امها !

— أجوهانار تضع ابناً ؟ — نعم !

— ومن هو ابوه ؟

فقال وقد نظر الى الارض خجلاً : انا !

— وهل تزوجتها ؟

فلم يجب في هذه المرة ، وادار وجهه عن نور فايقنت انه تزوج جوهانار ، واعتراه خجل شديد فقام يروي حكايته ، ولما وصل الى اخرها قال : لا بد لكل داهية من ان يقع في احبولة من هو ادهى منه !

فقالت نور : اذاً لقد جئت تبحث عن والدة جوهانار ؟

قال : هذا كل قصدي من المجيء !

قالت : سادعوها لك ، فانتظرني !

وقامت من فورها الى خيمة والدة جوهانار وهي تقول : يجب ان اظهر امامه بمظهر الكبيرة النفس ! . . .

ودخلت الخيمة تنادي والدة جوهانار فاذا هي مائتة لا حياة فيها ولا روح ، وقد

جلست حولها بعض نساء القبيلة يبكينها ويشتغلن بخياطة الكفن . فابت ان تقول لمصطفى ان والدة جوهانار ماتت فعادت اليه تخاطبه بقولها : قم بنا، ان والدة جوهانار سبقتك الى قبيلتك ! . . .

قال : هل تودين ان ترافقيني ؟

فقالت : اجل ، اريد ان اساعد جوهانار في ولادتها !

— ولكنها تنفر منكِ اذا رأتكِ !

— ولماذا تنفر مني ولست حاقدة عليها ؟

فلم يوافق على مجيئها ولا اعترض بل ترك ذلك لهـا ، وهي شاءت ان تقف من جوهانار موقف الحليم الرحب الصدر ، فمشت اليها تساعدها على ولادتها وتقوم لديهـا مقام امها اللافظة الروح ! . . .

— ٧ —

كانت قبيلة مصطفى اقوى ساعداً من قبيلة « زوني خال » فلما اشتبكت الحرب بين جيوش امان الله وعصابات « بجه سقا » حتى تنافرت القبيلتـان وهبت كل منها الى سلاحها تهدد به مزاحمتها

ولم تصبر قبيلة مصطفى على التهديد فهجمت على قبيلة « زوني خال » تفتك بنسائها ورجالها ، وما كاد مصطفى يخطو من خيمة نور بضع خطوات حتى اصطدم برجال قبيلته فصاحوا به لما ابصروه : اليوم يومك يا مصطفى ! . . .

ولاحت لهم نور على مقربة منه فقالوا لها ضاحكين : تعالي ايتها الحسناء نقبـل شفتيك! . .

ومد احدهم يده الى صدرها يعبث برمانتيها فمـا كان من مصطفى الا ان ضربه على تلك اليد ضربة صرخ معها : كسرت يدي قاتلك الله ! . . .

وهجم على مصطفى يريد قتاله فضحك منه مصطفى وقال : لماذا تتحكك بها الا تدري انها امرأتي ؟ . . .

فلم يسمع ، وظل في هجومه والسيف بيده ، فقال له مصطفى : الافضل لك ان تبتعد فلم يسمع ايضاً ، فجذبه مصطفى والقاه تحت فخذه واخذ يضرب برأسه الارض قائلاً : أيروقك الفتك بمصطفى ابي حبال ايها الجاهل ؟ . . .

وحمل نوراً على ظهره قائلاً لها : يمكننا الوصول سريعاً اذا حملتك ، فاني في سيري

· اخف من الارنب ! . . .

فلم تمانع وكانت تحس بانه يريد بلوغ خيمته في العاجل القريب كي يسعف امرأته في ولادتها . وكلما اجتاز مسافة قال لنور : واين والدة جوهانار ؟

فتجيبه : لا ريب في انها سبقتك الى ابنتها !

وخيل لمصطفى انه نجا من كل خطر ، وان رجال قبيلة « زوني خال » لن يتعرضوا له بعد الان ، ولكن خاب ظنه ، فما شعر الا بصوت يناديه : قف ايها الماكر ! . . . قف ، فلن يتسنى لك في كل آن ان تعبث ببنات قبيلتنا ! . . .

فقال مصطفى : ما اصعب هذه الرحلة ! . . . ساعدني على القيام بها بخير وسلام يا ربي ! . . .

وحار في امر نور ، وتساءل عما يفعل بها ليعود الى ذلك النابح يلقمه خنجراً او رصاصة !

ولم يكن النابح غير احد الذين هاموا بنور ، فجاء يسأل عنها في خيمتها فقالت له امها : «ان مصطفى ابا حبال ذهب بها الى قبيلته». وما كاد اسم مصطفى يقع في مسمع العاشق الولهان حتى انتفض من الغيظ ولحق بابي حبال يستعيد نوراً منه

ونور لم تكن لتحب ذلك الطامع في وصالها . فلقد صدته مراراً عنها . ولما سمعت صوته عرفته وقالت لمصطفى : لا تحفل به كثيراً ! . . .

قال : اريد الخلاص من نباحه ! . . .

وألقى نوراً عن ظهره وقال لها : اختبئي بين الادغال !

وعاد الى النابح الذي ما انفك يصيح به : قف مكانك !

ونظر اليه مصطفى وقال : وماذا تريد مني ؟ . . .

قال : اريد الفتاة التي خطفتها والا خطفت منك حياتك ! . . .

فقال له مصطفى : ألا يرضيك ان تتركني وشأني وتنجو من خطر الموت ؟

فكان الجواب ان اطلق عليه خصمه رصاصة اخطأته ، فقال له مصطفى : دعني وشأني ايها الغبي ! . . .

فاجابه برصاصة اخرى ، ولكن مصطفى ارتمى الى الارض فنجا منها وقال لذلك الخصم العنيد : كنت اود ان اطعنك بخنجري ولكني اخاف ان يضيع علي الوقت ، وانا في حاجة لمساعدة امرأتي ، فاليك بهذه الرصاصة وعسى ان تجد فيها الدواء الشافي ! . . .

وكانت الرصاصة دواء شافياً ، فان مصطفى سددها الى قلب النابح فمات لساعته

واقبل على نور يقول لها : هل تعتقدين اني ساصطدم برجل آخر ؟ ... ان هذه الرحلة ارغمتني على الفتك باناس كثيرين من ابناء قبيلتك ، ولكنهم البادئون بالشر والعدوان ! ...

ورفعها على ظهره وركض في تلك الاودية والجبال يحث السير الى امرأته وهو يقول :

— يجب ان اصل اليها قبل ان تضع الطفل ، وان يكن لي ثمة من عزاء فهو ان امها اسرعت اليها تسعفها ! ...

وما درى المسكين ان امها ماتت وانه اذا تأخر عن امرأته فمن المحتمل جداً ان تموت ! ...

— ٨ —

استبطأت « جوهانار » عودة زوجها

وتقلبت على فراش الاوجاع وهي تنتظر بين الساعة والساعة وصول امها اليها فكانت تصيح وتقول : أتراه نسيني ؟ ... أتراه ابصر نوراً فاكتفى بها عني ؟ .

وهذه الافكار زادت في الامها وقلقها فاصبحت لا تدري ما تشكو لكثرة ما بها من علل وادواء

ولقد اساءت الظن بمصطفى عفواً . فهو لم ينسها ، لم ينسها بالرغم من لقاء نور والاجتماع بها ، واذا انسي كل تلك الصدمات التي اعترضت طريقه وعرضت نفسه للهلاك فقد لقيها وهو يشتغل ويسعى لاجل جوهانار

وكان على اعتقاد ان ام امرأته سبقته الى خيمته حيث تتقلب جوهانار على فراش الولادة ، ونور اكدت له ان والدة جوهانار اسرعت الى ابنتها فهاذ تراه يخشى على امرأته وقد وفر لها اسباب الراحة والهناء

وألقى نوراً عن ظهره وقال لها : بلغنا مضارب عشيرتي ، سيري الان على الاقدام!

ووثب نحو الخيمة وثباً وهو يحسب انه سيبصر ام جوهانار تعالج ابنتها وتخفف عنها الالام ، واقترب من الخيمة واذا به يسمع صراخ طفل ، فنظر الى نور باسماً وقال لها : هذا صوت غلام لا صوت فتاة ! ...

ودخل الخيمة كالبرق فلم يجد اثراً للحياة فيها غير صراخ الطفل ، فلا والدة امرأته

هناك ولا جوهانار تشعر وتعي، فدخل الخيمة وامرأته لاتنظر اليه، وناداها فلم تسمع، فصاح: جوهانار ها انذا ، اين امك ؟ ...

فاستفاقت مما بها من اغماء وتمتمت قائلة : يا كافر ، أنسيتني ؟ ..

فقال : وحق النبي لم تذهبي عن بالي دقيقة واحدة من الزمن ، ولقد اخبروني ان امك سبقتني اليك ، فاين هي ؟ ...

قالت لم ابصر احداً حولي ، فولدت هذا الغلام الجميل ولم اجد من يناولني كأساً من الماء ... اني اموت ... لم يبق من روح في جسدي ! ...

— جوهانار ! ...

— الوداع ! .. الوداع ! ...

وكانت نور لا تزال خارج الخيمة ، فلما سمعت من جوهانار هذه الكلمات اخذتها الشفقة عليها وتراكضت الى الخيمة تقول : جوهانار ، سمعت انك تتمخضين بالجنين الذي يتمايل في احشائك فاقبلت عليك اساعدك واقوم بحاجاتك فماذا تريدين مني ؟

فضمت جوهانار يديها الى صدرها وقالت لنور : عفوك عني ... اغفري لي وانا ألفظ الروح ... لقد احتللت مكانك فلم يحالفني التوفيق ... انت وحدك له ... فهو يحبك ، ويحبك حتى الموت ، اما انا فلم يغمرني بحبه ... هنيئاً لكما ... ان موتي يفسح لكما مجال النعيم . اغفري لي يا نور . اغفري لي . اريد ان لا اذهب عن هذه الدنيا الا مزودة بغفرانك . وكل وصيتي اليك ان تحسني الى فلذة كبدي ، فهي وديعتي لديك . قولي له ان امه كانت تود ان تعيش لتراه شاباً ولكن المنية عاجلتها ولم تشفق عليها ولا عليه . قبليه عني . اني اموت . عفوك غفرانك ! ...

وتلاشت الاقوال على شفتيها ومصطفى لا يصدق ان الحياة فارقتها ، فكان في ذهول وجمود وصاح : جوهانار ! ... ففتحت عينيها الذابلتين وقالت : هذه نور . عليك ان تتزوجها اذا شئت ان ترتاح عظامي تحت التراب . ولدي . احتفظا به . هنيئاً لكما ! ... وهذه كانت كلماتها الاخيرة، فلفظت الروح ونور ومصطفى يبكيان، وكان مصطفى يقول : لم اعرف قدرها ، فلقد كانت تحبني وتقبل الارض التي تدوسها قدماي ! » وقالت نور : « غفر لها الله ! » فقال مصطفى : « واين امها ؟ قالت : « لقد ماتت في هذا النهار ايضاً ! » وبكى الطفل الصغير كأنه شعر بانه فقد امه ، فحملته نور بين يديها وجثت امام جوهانار وقالت تخاطب الطفل : « وحق هذا الجسد الهامد ساكون لك اماً تربيك وتغذيك ولا تحرمك حنان الامهات ! » وقبلته بين عينيه وضمته الى صدرها فابتسم الطفل كأنه يقول لها : « شكراً ! ... »

( تمت )

العدد الخامس والتسعون | السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان : رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## ما اكفر الجوع

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

الادارة : جريدة « الاحوال »

الاشتراك

في لبنان وسوريا : ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج : نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

# ما اكفر الجوع



سرير لا يبدو منه غير فراشه الناصع البياض ، ولولا انين يتصاعد من صدره لجهل رائيه ان هناك حياة تذوب

بلى ، هنالك بقايا شمعة صفراء ضئيلة تفيض انفـاسها على مهل في صدر خوان اسود ، ولكن الشمعة لا تذوب وحدها ، فقد عاهدت الفناء على ان تتلاشى مع روح ساكن السرير !

وارتفع صوت اشبه بالحشرجة يقول : هند ! ...

فاقبلت فتاة ابنة عشرين تلوح الابتسامة على شفتيها والصحة في وجنيها وقالت : نعم يا امي ! ...

قالت : ألم يرجع اخوك سليم ؟

= لا !

= لقد ابطأ ... فاذا لم يسرع الي الطبيب قضيت نحبي الساعة !

= لا تخافي ، فليس من خطر عليك يا امي ! ...

فتحرك فوق السرير ذلك الشبح الاصفر الضئيل كأنه يغالب الموت الماثل امامه بشبحه الهائل وقال : أصحيح يا هند اني نجوت من الخطر ؟ ...

فقالت : اجل ، فالطبيب جاهر على مسمع مني بانك في مأمن من كل اذى !

فشاءت المسكينة ان تصدق ، ولكن جسمها المتلاشي كان يقول لها انها ستموت ، فهزت رأسها وقالت : ان هؤلاء الاطباء لكاذبون ! ...

وجاءتها هند بالاطعمة الشهية وقالت لها : يجب ان تأكلي لتتشدد قواك ! ...

فمدت يدها الى قطعة من الحلوى الا ان تلك اليد عجزت عن حمل القطعة ، فسقطت واهية ، وعندذاك لم يبق لدى المرأة العجوز من ريب في انها ستموت ، فجال الدمع في عينيها الذابلتين وقالت تخاطب ابنتها : وداعاً يا ابنتي ! ...

وكانت هند تجهش بالبكاء غير انها تجلدت وخاطبت امها بابتسامتها العذبة قائلة لها : انك تتوهمين كثيراً ، فهل تعتقدين اني كنت ابتسم الك لو كان ثمة خوف عليك ؟ . . .

فاقتنعت الام بعض الاقتناع ، ودخلت هند الغرفة المجاورة واغلقت وراءها الباب واطلقت لدمعها قيوده ، فكانت تبكي امها الواقفة على هوة الموت توشك ان تغيب في اعماقها ، امها سندها الاوحد في الحياة ، البقية الباقية من العطف عليها

وبكت هند وما كانت لترتوي من البكاء . فقد مات ابوها وهي في زمن الفطام ، فلم تكن لتعرفه ، ومات اخوها البكر منذ عامين فلبست ثياب الحداد ، ولم يبق لها غير اخ هو سليم ، وسليم في حاجة الى معونتها ، فليس في وسعها ان تتكل عليه وهو لا يزال يتابع دروسه

اما الاهل والانسباء فقد جردتها مظالم الكون منهم ، بلى كان لها عم في ديار المهجر انقطعت اخباره عن ابناء اخيه منذ خمسة اعوام ، فامسك عن مساعدتهم بالمال وعن مكاتبتهم كأنه ليس منهم وليسوا منه

والان ها هي امها تموت ، فمن يبقى لها بعد امها ؟ . . .

ذلك مما زاد في بلية هند ، فما العمل بعد وفاة امها ؟ . . . لقد كانت الام المسكينة تعول اولادها من عمل يديها ومن غلة بعض الارزاق الموروثة عن زوجها ، وهذه الارزاق ما كانت لتكفي وحدها لولا اشغال الخياطة التي تتعاطاها الام ، اما والام فريسة الموت ، فمن لهند ، ومن لسليم ؟ . . .

من للولدين يطعمها ويكسوهما ، ومن لسليم ينفق عليه المال لتعليمه ؟ . . .

ذاك مما تساءلت عنه هند وهي في نحيبها ، وطرق الباب فمسحت دمعها واسرعت تفتحه ، واذا بالطبيب يدخل الدار ووراءه سليم ، ولحظ الطبيب عليها انها تبكي فاحترم مصيبتها ومشى بخشوع الى سرير الام المنكودة ، فجس نبضها وهو مقطب الحاجبين ، فان ذاك النبض حرن وكاد لا يخفق ولا يدق ، فنظر الى سليم وقال : لم يبق في اليد حيلة ! . . .

والتفت الى وجه الام فاذا هي تلفظ الروح ، فعلا البكاء والنحيب ، وارتفعت الاصوات في ذلك الكوخ الحقير تصيح : يا اماه . . . يا ويلاه ! . . .

ومضى سليم وهند في الرثاء والنواح ! . . .

— ٢ —

قالوا انها جمهورية مستقلة في قلب لبنان

وقالوا انها الكل في الكل في البلد اللبناني، فالكلمة الاخيرة في الحكومة اللبنانية لابنائها ، وقولها القول الفصل في سائر الشؤون

ذلك ما قالوه عنها . ولقد صدقوا . فهي جمهورية مستقلة في قلب لبنان ، في صميم الشوف . والوظائف الكبرى في الحكومة اللبنانية كانت لابنائها . ولقد اشتهر امرها في حوادث السنة ١٨٦٠ ، واشتهر امرها يوم احتل الجيش الفرنسي شواطىء لبنان على اثر الفتنة الهائلة بين النصارى والدروز ، فاستعظم الفرنسيون خطبها ومصابها ونادوا بها عاصمة لبنان ، ولكن السياسة قلبت الآية فظلت على ما هي عليه واكتفوا بان يجعلوها مدينة مستقلة في قلب الشوف تدير نفسها بنفسها

تلك هي مدينة دير القمر . المدينة اللامعة بتجارتها وصناعتها . ولكن في الزمن القديم . فلقد احتكرت كل تجارة وصناعة على عهد الامير بشير . فالحرير والصابون كانا لا يباعان في لبنان بكامله اذا لم يكن لدى البائع وثيقة تثبت انه زانها بميزان دير القمر . والنسيج والمصوغات كان الفضل لترقيتها في ذلك الحين لذلك البلد الرابض في صدر الجبال ، المتمنطق بالقمم العالية من سائر جهاته ، من الشرق والجنوب والغرب والشمال ، الثائر على الطبيعة التي عزلته عن مراتع العمران فغالبها وضمن لنفسه العيش الرغيد

ذلك البلد هو بلد هند ، ففيه نشأت وترعرعت ولم تعرف بلداً سواه . فمنذ ابصرت النور وهي تقيم في دير القمر ، وقد توافيها المنية ولا تخرج عن نطاق مسقط رأسها شأن امها راقدة في احضان التراب

فالنساء ما كن ليبرحن بلدتهن في العهد الماضي . وقليلات منهن كن يعرفن ما هي بيروت وفي اي موقع هي . وكثيرات اللواتي قضين العمر على مقربة من بيروت ولم يقمن بجولة فيها

فالمرأة كانت في القديم اشبه بالرياش تدخل البيت ولا تخرج منه . والرجال انفسهم لا يروحون ولا يجيئون ، فكلهم يعيش في مسقط رأسه ويموت ، من المهد الى اللحد ، وبلغ استفظاعهم الاسفار والرحلات انهم كانوا يهنئون العائد من رحلة في بيروت كما يهنئون اليوم العائد من اميركا ! ...

وهند ودت ان تعيش وتموت في مسقط رأسها . فالطريق الذي سلكته امها شاءت ان تسلكه . ولما ماتت تلك الام بكتها هند كثيراً ، وتألمت لفقدها كثيراً ،ولكن حكم الاقدار نفذ ولا مردّ لسهم الاقدار ! . . .

وماذا عسى هند ان تفعل ، فانى التفتت لا تجد احداً حولها . فلا اهل ولا انسباء . وعمها ، عمها المهاجر ، هل يفكر بها بعد انقطاعه خمس سنوات عن المكاتبة ؟ . .

فلم تنم هند ليلها ولا نهارها . فكانت دائمة البكاء والتفكير . وماذا يسع ابنة عشرين ان تقدم عليه والطرق باجمعها مسدودة امامها ؟ . . .

فاسرعت الى كاهن في مدينتها ذاع عنه انه رجل تقوى وصلاح واخذت تبكي بين يديه . فتأثر الكاهن لحالها وخفف عنها مصابها . وجاء يعرض عليها بعض الدريهمات فرفضت ، قال : وماذا تريدين مني انْ افعل لاجلك يا ابنتي ؟

قالت : اريد ان تكتب لعمي تخبره بحالتي ! . . .

فاجابها الكاهن الى رغبتها وكتب الى عمها كتاباً ينضح بالعتاب والشكوى ويثير الدموع في العيون ، وحمل الكاهن الرسالة بنفسه الى البريد وقال لهند : ليس لك يا ابنتي الا ان تصلي لله القدير ! . .

عملت هند بوصية الكاهن واكثرت من التردد الى الكنيسة تطلب من رب الارباب ان يعطف عليها ويغيثها مما هي فيه ويعينها ويعين اخاها على مصابهما

وشاء بعض ذوي الاحسان ان يقدموا لها بعض المال فابت عليها عزة نفسها ان ترضى بفلس واحد مما يعرضونه عليها وقالت : لست في حاجة الى الاحسان والحمد لله ،ولكني في حاجة الى عمل اعيش منه ويعيش اخي معي !

وكانت تحسن الخياطة فساعدها جابرو عثرات الكرام بما استطاعوا ، وعاشت حيناً من الزمن عيش الراحة والهدوء ، ودبت الشفقة في صدر عمها لما وصل اليه كتابها فارسل اليها بعض المال وكتب اليها يقول انه لن ينساها ولن ينسى اخاها ، فليتكلا عليه ! . . .

وعادت ايام الصفاء الى ذلك البيت . وغاب عنه الحزن فلم يبق من الام المستأثرة بها رحمة الله غير الذكرى . فكانت هند تركع بقلبها الطاهر في كل مساء امام المصلوب والعذراء وتتوسل اليهما ان لا يهملاها في وحدتها وانفرادها ، وان يعطفا على امها في الاخرة ، وان يوفرا لها ولاخيها خبز يومهما ! . . .

ومن المحال ان تنسى هند هذه الصلاة لدى كل غروب . فما ان يدق جرس

الكنيسة مؤذناً باضمحلال النهار حتى تتذكر ان عليها نحو امها واجباً ، فتجثو امام مذبح صغير قام عليه الصليب وصورة العذراء وتتضرع اليهما ان يرحما امها وان لاينسياها في العالم الاخر

والحياة الرغيدة تجلب معها السعادة ، والسعادة تجلب الحب ، وهذا ما كان من امر هند !

فلقد احبت شاباً من بني قومها . لقد احبت سعيد الجردي ، وسعيد الجردي من عيون الفتيان . جميل الوجه والقد . يرتدي السروال ويتمنطق بالزنار العريض ويلوي طربوشه على رأسه ولا يتأخر بعض الاحايين عن المسدس والخنجر يزين بهما وسطه

وكان الحب بينهما طاهراً نقياً . فالنظرات تكلمت . وبعد النظرات خفق القلبان . وبعد هذا الخفوق كانت همسات الشفاه : صباح الخير يا هند ! ...

فاعتراها الخجل . ولم تكن لتدري ماذا تجيب . بل هي لم تكن لتدري معنى الحب وطعمه . وسكتت لا ترد التحية لسعيد . غير ان عينيها كانتا تقولان له : زدني من هذه التحيات ! ...

وسعيد استاذ ماهر في لغة العيون . فما بدا له العطف من هند حتى عاد الى التحية يهمسها في اذنها وهو لا يجرؤ على ارسالها بالصوت العالي

وخطر لهند ان تجيب يوماً سعيداً في تحيته . بيد انها اكتفت بالابتسام . وان ابتسامتها لتساوي الف تحية وهي ترسلها من فم صغير احمر صاغه الله لرشف القبلات . وتمادى المحبان في النظرات والابتسامات والتحيات الى انجاء زمن امتنعت فيه هند من الوقوف الى النافذة لرؤية سعيد . فساءه ذلك منها وتساءل عن السبب ، وكان يقول : ترى ما هو ذنبي ، وماذا اغضبها مني ، ولماذا امتنعت من انتظاري عند النافذة على عادتها ? ...

وما درى لذلك سبباً . وكان لا يجرؤ على سؤال اخيها عنها . في الجبال — وخصوصاً في دير القمر — لا يتحدثون مطلقاً الى الرجل عمن في داره من النساء ، ويكادون لا يسألونه عن امرهن شيئاً ، فالنساء هناك خلقن للمنزل ، فلا يقابلهن ويخاطبهن غير الاهل والانسباء ، والويل للفتاة التي يعرفون عنها شيئاً خارجاً ولو قليلًا عن حدود الاداب ، فانهم ليعيرونها بهذه الهفوة مدى حياتها

ولذلك خاف سعيد ان يسأل سليماً عن شقيقته هند ، فما معنى سؤاله عنها ، ولماذا يسأل عنها ولا علاقة له بها ? ...

حار سعيد . وشاء ان يعرف لماذا امتنعت هند من الوقوف في النافذة ليراها وتراه ،وبذل في هذه السبيل مجهوده فلم يفلح!

وانتظر يومين وثلاثة ايام واسبوعاً كاملاً على امل ان الفتاة ستبدو اخيراً لعينيه ، ولكن امله خاب !

ولجأ الى امه ، فقال لها : أتعرفين ماذا حلّ بهند ؟ . . .

فاجابت الام : اني ابصرها في كل صباح تحضر القداس !

— يقولون لي انها طريحة الفراش !

— انهم لعلى خطأ ، ولكن ما شأنك وشأن هند يا سعيد؟ . . .

والنساء — وخصوصاً الكبيرات منهن في السن — معروفات مع بساطتهن احياناً بالدهاء في امور الحب ، فما كادت والدة سعيد تسمع وحيدها يسأل عن هند حتى اخذت تقول له والابتسامة في وجهها : هل تحب هنداً ؟

فجرض بريقه وقال : لا !

ولكن ملامحه كانت تقول : « نعم ! . . . » فقهقهت الام ضاحكة وقالت : ان هنداً لتليق بك ، وما اجمل ساعة تزف بها اليك !

قال : انت تذهبين بعيداً ، فمن قال لك اني احب هنداً ؟

— عيناك !

— وهل تليق الفتاة بي ؟

— انها لتليق بالملوك ، ويكفي منها رزانتها وجمالها،فلم اسمع غير الثناء عليها، وانت تعلم انهم ينتقدون هنا حتى من لا عيب فيه !

فسكت سعيد لا يدري ما يقول ، وخاطبته امه قائلة : ارى ان تتزوج هنداً يا بني ، فهي خير زوجة واطهر فتاة ! . . .

فقال : سنرى !

قالت : لا ارى ولا نرى ، فسأذهب غداً الى الفتاة اخاطبها في امرك واقف منها على رأيها فيك ، فاذا رضيت بك خطبتها لك وزوّجتك اياها بعد شهر او شهرين من الزمن، ولماذا لا ترضى بك وانت من اجمل شبان دير القمر ومن اكثرهم عافية، واذا ضن عليك الله بالمال الكثير فقد وهبك العقل الراجح والنشاط الكثير ! . . .

وكانت الامهات في الماضي صاحبات الكلمة المطلقة في امر اولادهن ، فما يرغبن

فيه لا بد من ان يكون !

ووالدة سعيد ذات سيطرة على ولدها · وهو نفسه كان يحترم تلك السيطرة فيها ويترك امره بين يديها . ولما افهمته انها ستخطب له هنداً ابى ان يعارضها بكلمة · فاستنتجت الام من سكوته، انه لا يمانع في خطبة هند

ومضت الى هند تقول لها : أتعلمين لماذا جئت اليك يا بنية ؟ ...

وكانت الفتاة تعرف ام سعيد وتميل اليها ، فرحبت بها اجمل ترحيب ودعتها للجلوس في صدر المنزل وهشت في وجهها وبشت واعادت جملة « اهلًا وسهلًا بالسيدة ام سعيد » مرات ومرات ،واسرعت الى القهوة تغليها وتقدمها لزائرتها ،وام سعيد تنظر اليها نظرة المدقق ولا تفوتها حركة من حركاتها ، وقد قالت في نفسها امام لطف الفتاة ونظافة غرفتها ونظافة ثيابها : حقاً انها امرأة بيت ، فكم سيطرب بها ابني سعيد ! ...

وضحكت لهند ولامست شعرها وقبلتها في جبينها ،وقالت لها :لو تعلمين كم احبك يا ابنتي !

فاجابت هند : ان العواطف متبادلة بيننا ، وانا ايضاً احبك ايتها السيدة ام سعيد !

قالت : ان سعيداً يتحدث اليّ عن ادابك ليل نهار ،فهو يقول لي عنك اشياء واشياء ، ومن المحال ان ينقضي يوم ولا يأتي على ذكرك فيه · فيقول لي ان هنداً فتاة رصينة في طليعة فتيات دير القمر عقلًا وجمالاً واهتماماً بشؤون منزلها ، ولا ادري لماذا يكثر من التحدث عنك !

فاحمر وجه هند حياء وخجلًا واكتفت بان تقول بشفاه مضطربة : ان سعيداً اخي ، فكل ما يقوله استقبله منه بالشكر والثناء !

وخافت ان تلحظ عليها ام سعيد حبها للشاب فحاولت ان تبدل مجرى الحديث ، ولكن ام سعيد عادت بها اليه قائلة : ما رأيك في سعيد يا ابنتي ؟

وكانت ام سعيد لا تنفك كلما ذكرت ابنها عن القول :«يقبر امه »وادركت هند ما تريد منها والدة الشاب بسؤالها اياها عن سعيد فاجابت : ان سعيداً من خيرة الشبان ومن ارجحهم عقلًا ! ...

فارتاحت الوالدة لهذا الجواب وقالت : وماذا يكون منك اذا طلبت من سعيد ان يخطبك ؟

فاعتصمت هند بالصمت ، فقالت الام : اخبريني يا هند ماذا تقولين اذا جاء سعيد

يخطبك ؟

فغمغمت قائلة : ليس لي رأي في ما تسألينني اياه يا ام سعيد !

— ولمن الرأي ؟

= للكاهن !

= واي شأن للكاهن في الامر ؟

= لا انسباء لي ولا اهل ، ومن لي غير الكاهن التجىء اليه ؟

= أتريدين ان اخاطب الكاهن في الامر ؟

= اجل !

= وهل للكاهن سلطة عليك ؟ . . . فاذا كنت لا تريدين سعيداً فهل يرغمك على قبوله ، واذا كنت ترضين به فهل يسع الكاهن ان يمنعك من الاقتران به ؟

فاستعصى الجواب على هند وادركتها الحيرة ، فقالت لها ام سعيد : أتعلمين ماذا يجب عليك ان تفعلي ؟ . . . عليك ان تجيبي الان عن رأيك في سعيد ، ولدى وقوفنا على جوابك ندعو الكاهن ونطلب منه ان يكون شاهداً على الخطبة ، هذا اذا راقك سعيد . . . فهل ترينه يرضيك ؟ . . .

فابتسمت واطرقت الى الارض والاحمرار يعلو وجهها ، فقالت لها ام سعيد : ارى انك لا تمانعين في قبوله ، اذاً سندعو الكاهن ونخبره بما جرى ، ونطلب منه ان يعقد في صباح الغد خطبتك ، أليس كذلك ؟ . . .

فما استطاعت ان تجيب ، فقامت اليها ام سعيد تنهال عليها بالقبلات وتقول : لقد اصبحت منذ الان ابنتي ، ففي وسعك ان تناديني يا امي ! . . .

وزادت فقالت : ان سعيداً يحبك ، ولقد فهمت ذلك منه ، فهنيئاً لكل منكما بالاخر ، انت جميلة وسعيد جميل ، فيا لسعادتكما ! . .

— ٣ —

لم يغمض لهند جفن في تلك الليلة

فان ما صارحتها به ام سعيد اطربها واقلقها

فلقد طربت لانها تحب سعيداً وان هذا الذي تحبه سيتزوجها ، وقلقت لانها جهلت الى ماذا سينتهي هذا الزواج ، أتكون سعيدة فيه ام تندم على قبولها اياه ؟

فكانت تعرف ان سعيداً شاب جميل ، وكانت تعرف انها تحبه ، ولكن ما جهلته

هو موقف سعيد من الحيـاة ، أيسعه ان يوفر لها العيش الهنيء ام يعجز عن تمهيد سبل الراحة امامها ؟ ...

ولم تكن لتعلم ما هو الزواج . فكانت ترى فيه ألعوبة من ألاعيب الحياة ، ولكنها العوبة لذيذة . ولم تكن لتعلم كيف يخطبونهـا ولا كيف تتزوج وهي التي قضت مستهل حياتها في الصلاة والتقوى والعمل والكد

واذا هي امتنعت في الاثناء الاخيرة من الوقوف الى النافذة لتبصر سعيداً يمر من امامها ويبسم لها ويحييها فلقد امتنعت لان الكاهن قال لها : يجب ان لا تقابليه بالابتسام يا ابنتي ، بل يجب ان لا يبصرك ، فان يكن يرغب فيك فله ان يخطبك مني ! ...

وما اراده الكاهن منها كان . فلم تقف الى النافذة لترى سعيداً . ولما جاءت والدة الشاب تخطبها لابنها قالت لها انها فوضت امرها الى الكاهن ، كأن الكاهن هو الذي يخطبونه ويريدون ان يتزوجوه

... تلك هي التي يدعونها «ابنة الجبال» وينعتونها بالبلهاء والحمقاء ، ولكنهم لو انصفوا لقالوا انها عنوان الفضيلة والتقى ، وانها المرأة التي يحتاج اليها الرجل في هذه الايام التي كثر فيها المكر والغش والخداع

وهند كانت تحب سعيداً وتريده ، ولما جاءها الكاهن في صباح اليوم التالي يطلعها على ما افضت اليه بهام سعيد ويهنئها بالخطيب الجميل الرصين الكامل الصفات قالت له وهي تبكي : وماذا ترى ايها المحترم ؟

قال : ولماذا البكاء يا ابنتي ؟

فقالت : لا ادري ... لا ادري ! ...

وكانت لا تدري حقـاً لماذا تبكي ، أهي تبكي من الفرح ام تبكي من الحزن والخوف من المستقبل الآتي ؟ ...

فاخذ الكاهن في تخفيف ما بها قائلاً لها : وهل تتألمين يا هند ؟

قالت : لا ادري يا سيدي الكاهن لا ادري! ...

وكانت قد اقبلت ام سعيد تحمل خاتم الخطبة وهي تزغرد وتهتف لهند ولسعيد ، وقالت للكاهن : ما اجمل تلك الساعة ايها المحترم ، هذه اجمل ساعة عندي : فلقد ضمنت بها مستقبل وحيدي ، ويا لسروري غداً عندما تدخل هند الى بيتي !

فمسحت هند دموعها كي لا تراها ام سعيد تبكي فتتشاءم وقابلتها بالابتسام والترحاب ،

فقالت عليها ام سعيد لا تشبع من تقبيلها حتى ان الكاهن مع وقار المشيب فيه لم يتمالك القول : ان ولدك لو ابصرك في هذه الحال يا ام سعيد لغار منك على خطيبته !

وعرضت الام مصاغ الخطبة على الكاهن . فكان هناك خاتم الخطبة وسواران مجدولان من الذهب الخالص . وحملت ام سعيد خاتم الخطبة وألبسته بنفسها لهندوجاءت بالسوارين وطوقت بهما يد الفتاة وهي تقول للكاهن : بارك هذه الخطبة ايها الاب الجليل !

فكشف الكاهن الشيخ عن رأسه وقال وهو ينظر الى السماء : اجعل ربي ايامهما ايام غبطة وابتهاج وزد في عمرهما وارزقهما البنين ! . . .

وتناولت ام سعيد قطعة من الفضة وشاءت ان تقدمها للكاهن اجرة له فرفض وقال : لا يا ابنتي ، ان ابنك وهذه الفتاة احق بها مني ! . . .

وربما كان ذلك الكاهن الشيخ اول من عرضوا عليه مالاً فرفضه بانفة وعدم اكتراث . . . ربما ! . . .

اما سعيد ، سعيد الجردي ، فقد بات ينتظر امه على احرّ من الجمر . وهو ما كاد يعلم ان هنداً رضيت به حتى رقص من الطرب . والان وقد ذهبت امه تخطب له الفتاة اقام ينتظر عودتها ، وكان ينصت من حين الى آخر لوقع الخطوات خارج منزله ، فيعتقد ان امه قد عادت ويكاد يخاطبها بقوله : « ماذا فعلت ؟ . . . » ولكن الخطوات ليست خطوات امه ، ان هي الا خطوات المارين ! . . .

واخيراً اقبلت ام سعيد تجرّ اذيال العز والتيه . لقد اقبلت تنادي ابنها من بعيد وتقول له : بشراك يا بنيّ بشراك ! . . .

قال : وماذا جرى ؟

فقالت : جرى كل شيء على ما نروم !

— وماذا قالت هند ؟

— لقد طربت جداً ، وهل يأتيها خطيب مثلك وترفضه ؟ . . .

فاطرق سعيد هنيهة ثم قال : ومتى استطيع ان اراها ؟ . . .

فضحكت الام وقالت : ولماذا العجلة ؟ . . . في وسعك ان تقابلها ساعة تشاء !

قال : ها اني ذاهب اليها ! . . .

ووثب الى الطريق لا يسمع صياح امه له بالانتظار قليلاً ريثما تأتيه بالطعام ، فما

كان ليصغي اليها ، وظل سائراً الى منزل هند ، ولم يشعر بانه اخطأ بالاسراع اليها الا لدى وقوفه امام الباب . هناك حار في امره وجهل ما يجب عليه ان يفعل ، أيفتح الباب ويدخل ام يعود خائباً وينتظر حتى المساء ؟ ...

وفيما هو يفكر بما يجب عليه ان يفعل اذا بسليم شقيق هند يناديه من الوراء : سعيد ، أهذا انت ؟ ...

ودعاه الدخول ، ولما ابصر هنداً وقف امامها بارتباك ظاهر ، وهي ايضاً ارتبكت في ذلك الموقف ، فكان يخاف اذا مدّ لها يده ليصافحها ان لا تمد له يدها ، وخفق قلبه خفقاناً شديداً ، وبعد تردد طويل استطاع ان يقول : كيف انت يا هند ؟ ...

هذا هو شاب الامس ، الاستاذ الماهر في اصطياد النساء ، ولقد أجابته هند بابتسامه تخفي من الخجل والاضطراب ما تخفي . فماذا تقول له ، وكيف تخاطبه ، أتناديه باسمه ام تلقبه بالقاب الوجاهة كما تلقب الغريب ؟ ...

وما هي الا هنيهة حتى جلس كل منهما امام الاخر ، واخذ سعيد يتحدث الى سليم وهند توافقه على ما يقول بابتسامة تبدو على شفتيها ، وخرج سليم الى فسحة الدار يصب الماء في الابريق ، فاغتنم سعيد هذه الفرصة وقال لهند : ماذا اصابك فامتنعت في الايام الاخيرة من انتظاري عند النافذة ؟

قالت : لقد اوصاني الكاهن بان لا اقابلك لئلا تكون ممن يريدون الهزء بي !..

— لعنة الله على الكاهن ! ...

— لا ، لا تلعنه انه شريف نزيه ! ...

وجرت الاحاديث مجراها ، وجل ما استطاع سعيد ان يفعله في اجتماعه للمرة الاولى بهند هو ان يهز يدها قائلاً : الى اللقاء ! ...

ولقد شاقه ان يهز تلك اليد البيضاء اللدنة وتمنى ان يرفعها الى شفتيه ، ولكن انى له ان يقدم على هذا الامر المنكر والتقاليد والعادات تمنعه وتحرّمه ، والويل ثم الويل لمن يشذ عن العادات والتقاليد ! ...

— ٤ —

بعد شهر من الزمن كانوا يعقدون لسعيد على هند

فاحتفل الكاهن بصلاة الاكليل بين زغردة النساء وهتاف الشبان . ووقفت ام سعيد تنثر الرياحين على العروسين وتزغرد لابنها ولعروسه وتضحك وترقص وتقول : لتهنأ

كل ام بوحيدها مثلي بوحيدي ! . . .

وانقضى شهر العسل على خير وسلام ، وكتبت هند الى عمها في الديار الاميركية تخبره بزواجها ، فارسل اليها يدعوها مع زوجها واخيها الى الديار الاميركية حيث نجح نجاحاً باهراً وتكردست لديه الاموال ، وابى الا ان يرسل في طي كتابه بالدراهم التي يحتاجون في السفر اليها

فقال سعيد لهند : وما رأيك في اللحاق بعمك ؟ . . .

قالت : لا اريد ان ابرح مسقط رأسي !

— وبماذا نجيبه ؟

— قل له اننا الان في رغد وسلام وان امامنا متسعاً من الوقت لركوب متن البحار !

وهكذا كان ، على ان عم الفتاة لم يغضب ، فظل يوافي ابنة اخيه بالمـال ، ولما رزقت مولوداً ذكراً خصصه بعشرين ليرة ذهبية ،وقال لسعيد ان وجوده في اميركا يجعله من ارباب الثروات

والمال معبود الجميع ، وخصوصاً ابناء الجبال الذين يقضون حيـاتهم في بقعة من الارض لا تتبدل فيها الوجوه ولا تكثر فيها الحركات ، فان الفئة القليـلة منهم تعيش من نتج يدها ، ومعظمهم يتكل على غلة الارزاق والاملاك

وسعيد الجردي زوج هند كان ممن يعيشون من نتج يدهم ، ولكن هذا الانتاج لم يساعده على الاثراء ، فارتاح لرسائل عم هند وقال لهـا : ماذا يضرني اذا ذهبت الى عمك اقيم لديه بضع سنوات ثم ارجع اليك احمل الذهب الكثير ؟ . . .

فبكت ، قال : ولماذا البكاء ؟

قالت : أالتتركني وحدي ؟

فقال : سادعوك الي عندما اصل الى هناك واقف على حقيقة الحالة !

وبعد اخذ ورد اتفقا على ما قاله سعيد ، وبعد اسابيع قلائل كان يركب البحر الى اميركا ويودع امرأته وهي تبكي لفراق زوجها ، فعز عليه ان يراها في مثل هذه الحال واخذ يتوسل اليها ان تكف عن النحيب ، واستحلفها بكل عزيز لديها ان لا تتشاءم وهو يرحل الى عالم بعيد ، فشاءت ان تعمل بما طلبه منها وهمست في اذنه بما اثار الابتسام على شفتيه ، فقد قالت له انها حامل ، وانها ترجو من الله ان يرزقها طفلاً شبيهاً بابيه ، وان هذا الطفل سيبصر النور وابوه بعيد عنه فقبلها سعيد وهو يقول لها : اريد منك

لأجل هذا الطفل ان تصوني دموعك !

ففعلت ، ولكن ما ان غاب عنها زوجها حتى شعرت بان المصيبة ستنقض عليها ، فاسترسلت في البكاء مثلها يوم فقدت والدتها ، فقد كانت تحس بان غياب سعيد ويل عظيم عليها !

ولم يطمئن لها بال . ولم ينضب لها دمع . وعبثاً حاول اخوها سليم ان يخفف عنها كآبتها فما كانت لتصغي اليه ، وورد عليها اول كتاب من سعيد فبللته بدموعها ، وورد عليها الكتاب الثاني فراقها ما جمع من عواطف صادقة ، وما تناولت الكتاب الثالث حتى طرق الاذان ان الحرب نشبت بين المانيا وفرنسا ! . . .

***

اضطرمت نار الحرب والناس يعتقدون انها ستنتهي في اسبوعين ، وقال بعضهم انها اذا طالت لا تطول اكثر من شهرين ، وزاد آخرون فقالوا : هي سنة وتمضي ! . . .

وظل القوم يعللون النفس بهذه الامال الى ان خاضت تركيا الحرب ، حينذاك انقطع كل امل ، وضرب الحلفاء نطاق الحصار حول الشواطىء التركية ، وبات السوريون وخصوصاً جماعة اللبنانيين بين خائف ومضطرب ومذعور ! . . .

فان دخول تركيا الحرب لم يكن بالامر السهل . فهنا في سوريا ولبنان اناس انتصروا للحلفاء على تركيا ، فاذا نأى ممثلو الحلفاء عن هذه الديار نكلت بهم الحكومة العثمانية تنكيلاً فظيعاً

وما كان الرائي الا ليبصر وجوهاً صفراء ، وقلوباً واجفة ، وصدوراً دب اليها الخوف والقلق فامست تخاف حفيف الاوراق

واحتل الجيش العثماني لبنان ، وخاف اللبنانيون على ارواحهم ، وكان اشدهم خوفاً اولئك الذين اتصلوا بقناصل الدول واتفقوا واياهم على فصل البلاد العربية عن جسم تركيا

وجاء الديوان العرفي في عاليه يأمر بالضرب والتعذيب والنفي والقتل ، وكان يوم الصلبان يوم مات شهداء الامة مصلوبين على الاعواد ، وكانت الضائقة المالية ، وكان الغلاء ، وكان الموت يرفرف باجنحته السود فوق ربى لبنان

فان تلك الجبال الشامخة ، النقية الهواء ، البهيجة المنظر ، الراسخة في اعماق الابد الى الابد ، قد امست قبوراً تتكردس فيها الجثث ، فاني اتجه المرء اصطدم باشلاء الضحايا ، وانها لضحايا الامراض الفاتكة وضحايا البرد وضحايا الجوع

فلم يكن لدى القوم ما يقتاتون به ، ولا ما يرتدونه لاتقاء البرد القارص ، ولم يكن لديهم اطباء يعالجون منهم المرضى ولا صيادلة يأتونهم بالدواء ، فالجيش العثماني احتكر كل ما في لبنان وغير لبنان من صيادلة واطباء ، ولو استطاع تجنيد اللبنانيين لفعل ، فان هؤلاء اللبنانيين المساكين كانوا قذى في عينه ، واي قذى ! . . .

واوجع منظر منظر ضحايا الجوع . فالقبور ضاقت عن تلك الضحايا ، والتوابيت نفدت اخشابها فراحوا يحملون الموتى على السلالم ويرمونها في الحفر ، وكم من ضحية لم تجد من يطويها في احشاء التراب فتفككت على الطرق اعضاؤها واكلها الدود وملأت روائحها السهل والجبل تنهد على ظلم الانسان للانسان !

وكانت دير القمر من المدن اللبنانية التي حسبت حساباً لسياسة التجويع التي عزم جمال باشا على تحقيقها ، فراح ابناؤها يشترون الحبوب من اقصى انحاء الجنوب ، من الحولة ومرجعيون ومن انحاء ابعد من الحوله ومرجعيون ، ومع كل هذا المجهود لم يفلحوا في درء خطر المجاعة عن فقرائهم والمحتاجين منهم

— ٥ —

اطلقت هند دمعها امام النبأ القائل ان الحرب الكبرى شمرت عن ساقها

ولقد بكت طويلاً . على انها لم تفكر بنفسها وهي تبكي بل فكرت بسعيد وكانت تقول : أتراه مهدداً بخطر الحرب يا ربي ? . . .

ومن اين لها ان تدري ان اميركا غير اوربا ، وان سعيداً بعيد جداً عن ساحة القتال ، لقد اعتقدت ان الحرب اشتعلت في العالم ، والعالم البعيد عند ابناء الجبال هو اميركا ، فكل من ركب البحار يقصد في اعتقادهم الى اميركا ، فقد يذهب الى باريس ويقولون عنه انه ابحر الى البلد الاميركي ! . . .

ولم يهدأ لها بال الا لدن جاء اخوها سليم يقول لها ان اميركا تبعد من اوربا وان ساكنيها في امن واطمئنان

وكتب سعيد لامرأته يطلب منها ان لا تجزع ، ووافاها بمبلغ من المال وقال لها ان عمها يريد ان يراها ويرى اخاها سليماً وعليها ان تستعد للهجرة الى البرازيل ، فاستصوبت هند هذا الرأي وقالت لاخيها : يجب ان نسافر في هذا الاسبوع !

وباعت كل ما عندها من رياش ونزل اخوها الى بيروت يشتري اوراق السفر ، على انه ما وصل الى بيروت حتى كانت تركيا قد شهرت الحرب على الحلفاء فقالوا له ان

طريق البحر مسدود وان لا سفر بعد اليوم

فعاد سليم الى شقيقته يروي لها ما ابلغوه اياه ، فلطمت وجهها وصاحت : يا ويلي ، لقد بعت كل ما املكه من رياش فما العمل يا الله ؟ ...

ووقعت في حيرة ، أتعود الى شراء حوائجها وقد باعتها ، ام تنتظر ريثما تنتهي الحرب وقد سمعت ان الحرب ستنتهي في زمن قريب . وآثرت الانتظار ، ومضت السنة الاولى من الحرب واذا بهند ترزق ولداً ، فقالت : ليت والده هنا يبصره ! ...

وانقضت المصائب والاهوال ، وكشر الجوع عن نابه وهند تنفق مما لديها الى ان كاد ما لديها ينضب ، فقالت لسليم وقد جاءته بكل ما معها : هذا ما بقي من المال يا سليم !

وسالت دمعة على خدها ، فان اخاها لم يتعوّد العمل الشاق ، فهل تطرحه في السوق وتوجب عليه كسب رزقه ورزقها ؟ ...

فعزمت على ان تعود الاشتغال بالخياطة لتعيش ويعيش معها اخوها وطفلاها ، ولكن الناس امتنعوا في اثناء الحرب عن شراء الثياب الجديدة واكتفوا بما لديهم من العتيق ، فلم تنجح هند في عملها وقضي عليها بان تبيع مصاغها لتستطيع ان تشتري القوت لصغيريها

وكتبت لزوجها تخبره بحالها ، ولكن هل يصل الكتاب الى العالم البعيد والطريق مقفل ؟ ... وزوجها أهو باقٍ في قيد الحياة ؟ ...

فما كان منها الا ان حملت طفلها الصغير بين ذراعيها واخذت تنتحب وتبكي وتقول : ما العمل يا ربي ؟

ودخل عليها اخوها سليم بكاء مما فجاء يقول : هند ، لقد عزمت على الهجرة الى حوران ! ...

والهجرة الى حوران شاعت في ذاك الزمن . فان حوران بلاد الحبوب . فالرزق وفير فيها . وابناؤها كرام يحبون الضيف ويكرمونه . وكثيرون هم اللبنانيون الذين لجأوا في ابان الحرب العظمى الى انحاء حوران يشتغلون فيها ويعيشون

فلما سمعت هند بلفظة « حوران » كاد يغمى عليها وصاحت باخيها : أتتركني وحدي يا سليم ، الا يكفيني ان سعيداً بعيد مني ؟ ... فكيف اتدبر امري وامر اطفالي ، ومن لي بان يرثي لحالي ويساعدني في نكبتي وبلواي ؟ ...

ولكن سليماً ايقن بان ابواب الرزق لن تفتح امامه في دير القمر ، فهجر مسقط رأسه الى حوران بالرغم من توسلات اخته ، فكان يقول لها : ان الجوع يهددني ، ولا اريد وانا الشاب ان اذهب ضحية الجوع ! . . .

والى حوران رحل ، وترك هنداً وحدها مع طفليها وليس لديها ما تأكله وماتطعمه لصغيريها . بلى ، كان لديها بعض الثياب فراحت تبيعها وتأكل بثمنها . ونفد ثمن الثياب وهي تعلل النفس بان الحرب ستنتهي والحرب ما كانت لتعرف لها انتهاء ! . . .

ويئست هند فخطر لها ان تنتحر ، ولكن كيف تنتحر وولداها امام عينيها ، فمن لهما بعدها ؟ . . .

فخطر لها ان تذهب الى الكاهن تستشيره في امرها ، فلم يبخل عليها في البدء ببعض المال ، ولكنه وقد رآها تطرق بابه من حين الى آخر عبس وتأفف وابدى امتعاضاً فعزّ على هند ان تعود اليه ، وظلت تبيع مما عندها الى ان فرغ منزلها حتى من الحصير

فلم يبق لها ما تفرشه مع طفليها غير الارض ، وطالبها اصحاب المنزل باجرة الدار فبكت ، فلم يشفقوا عليها وطردوها فامست شريدة طريدة جائعة تجرّ ابنها الكبير وراءها وتحمل الآخر على ذراعيها وتطوف بهما الاسواق تفتش في الاقذار علها تجد بينها قشرة من الليمون تأكلها

وكان ابنها البكر يتوسل اليها ان تأتيه بلقمة من الخبز ، فيبكي ويبكي الى ان يغلب عليه النعاس فينام ، وعندما يستفيق يعود الى البكاء حتى اذا ما رآها تحشو فمها بقشرة من الليمون هجم على ذلك الفم وانتزع القشرة من بين اسنانها وهي تنظر اليه فتتركه يفعل ودموعها على عرض خديها

ويمرّ من امامها اصدقاء زوجها وصديقاتها متسائلين وقد رأوها في تلك الحالة من البؤس : « أليست هذه امرأة سعيد الجردي ؟ . . . » فيروعهم ان يروا بالقرب منها ويتحامونها قائلين : « مسكينة ! . . . » على ان كلمة « مسكينة » لاتشبع من جوع

— ٦ —

اشتدت اهوال الحرب . وكلما قالوا لا بد للشدة من فرج ازدادت المصائب واستحكمت المجاعة من لبنان

والبحر لم يفتح ابوابه ، فقد سبكها من الفولاذ والحديد . والارض لم تتدفق خيراتها ، فقد بليت بالبخل والشح والتقتير

واضطرت هند لاستجداء الاكف ، لقد اضطرت للاستعطاء والوقوف على ابواب المحسنين ، ولكن ماذا عساها ان تجمع من اموال الاحسان والبلية هوت باثقالها على رؤوس الجميع ؟ . . .

وتنقلت من باب الى باب تمد يدها للسؤال ، ومن عشرة منازل هيهات ان يجود عليها منزل واحد بقطعة من الخبز او بفضلات الطعام ، والباقون يطردونها بقولهم لها : احسن اليك الله ! .

ومع كل فاقتها وضنكها لم تتبدل محاسنها . فما اعتراها غير شيء من الاصفرار ، اما الهزال والنحول فقد وقنا منها بعيداً

ومرّت في السوق امام دكان تاجر دقيق حديث النعمة اوجدت الحرب بعض الدراهم في جيبه فادركه البطر ، فناداها لما رآها فاجابته الى ندائه وهي تحسب انه سيجود عليها برغيف من الخبز تقضمه مع ولدها البكر لقد حسبت ذلك على اعتقاد منها ان التاجر وهو صديق زوجها سعيد سيذكر صداقة زوجها له ويتفضل عليها بما يقيها لمسائها فتكات الجوع

فقالت له : ماذا تريد ؟ . . .

قال : اين تنامين مع ولديكِ ؟ . . .

قالت : تحت سماء ربي الواسعة !

— أتأتين الى داري تنامين فيها ؟

— شكراً لمعروفك !

— لا مجال للشكر في ما اعرضه عليك ، فاذا أجبتني الى رغبتي قمت لديك مقام سعيد !

فاعتقدت انه يخاطبها عن نية سليمة صافية فقالت : أليس من ازعاج لك في ابدائك نحوي كل هذا الاهتمام ؟

قال : واي ازعاج هناك ، فاني احبك ولو لم يتزوجك سعيد لتزوجتك ، واني لاشكر ربي لهذه الفرصة التي ساعدتني على الاجتماع بك ، فان خانني الحظ فيك كزوجة فلا اريد ان يخونني فيك الان كخليلة ! . .

فانتفضت وقالت : هذه دناءة منك ، أتكون صديق سعيد وتطلب مني ان أخونه ؟ . . .

— ان سعيداً ليس هنا ، واذا امتنعت من قبول مطلبي قضي عليك وعلى ولديك بالجوع ، في حين انك في استسلامك الي تصونين حياتك وحياة ولديك وتعيشين عيش الهناء والمسرات ! . . .

فمشت في طريقها وهي تتألم لسماع هذا الكلام البذيء ، فقد عدّت حديث تاجر الدقيق اهانة لها وقالت : أيكون مصيري ان اهوي في عيون الناس الى هذا الدرك الاسفل فيعتقد بنو قومي اني اصبحت بلا شرف ولا حياء فابيع عفافي كي اعيش ؟ . . .

ولم تستطع الامساك عن ذرف الدموع ، فناداها تاجر الدقيق قائلاً : تعالي ! . . .

فلم تسمع ، فركض وراءها وفي يده حفنة من الذهب وعرضها على انظارها قائلاً : كل هذا لكِ ، أتبيتين هذه الليلة في داري ؟ . . .

فبهر لمعان الذهب عينيها غير انها اعرضت عن ذلك اللمعان الجذاب وقالت للتاجر : لن تنال مني منالاً ولو جئتني بكل ما في العالم من مال! . . .

قال : اني اخاطبك بما فيه مصلحة لك ولولديك ، فانك لتشترين حياتك وحياتهما بليلة نقضيها معاً ! . . .

— هذا محال ! . . .

— أتجازفين بحياتك وحياة ولديك كي تحافظي على ما تسمينه شرفاً ؟ . . .

— اني اجازف بما هو اغلى من حياتي وحياة اولادي في سبيل شرفي ! . . .

وشاءت ان تتابع طريقها فامسك بيدها قائلاً لها : لا تعاندي ، اصغي الى ما اقوله لك ، ان الجوع لن يشفق عليك ولا على ولديك فاشفقي عليهما انت بليلة نذوق فيها الملذات ! . . .

فصاحت به : دعني ! . . .

فسدّ عليها الطريق وقال : ان يكن لك الحق بان تجازفي بحياتك فليس لك من حق على الاطلاق في المجازفة بحياة ولديك ، ألا تفهمين؟ . . .

فاخذت تبكي ، فان كلماته تركت في نفسها اثراً بليغاً ، فقد طلب منها ان تنقذ ولديها في سبيل ليلة تبيعه فيها نفسها ، وتساءلت هل يبلغ بها الاعتصام بالشرف هذا الحد الاقصى فلا تضحي بعفافها وكبريائها في سبيل ولديها الصغيرين ؟ . . .

وكادت تقول لتاجر الدقيق : انقذ ولديّ وافعل بي ما تشاء ! . . .

ولكنها ذكرت سعيداً ، وذكرت امانتها له وحبها ، فاعرضت عن غاويها وقالت له :

دعني اتابع طريقي ! — ستندمين ! ...

— الشرف فخرٌ ومجد حتى في الموت ! ... — اشفقي على والديك ! ...

— لها الله يعطف عليها ! ... — انت تجهلين ما سيحل بكِ !

— أهناك ما هو افظع من الموت ؟ ...

— ألا تجيبينني الى ما اريد ؟ — لا

فتركها وهو يهز رأسه ويقول : ما اشدها تمسكاً بعفافها ، هي تحس بانها ستموت مع والديها ولا ترضى ان تشتري حياتها بذلك العفاف ! ...

وزاد فقال : ليتني تزوجتها ! ...

وتحركت فيه الشهوة وعزّ عليه ان تفلت فريسته من يده فاسرع في طلبها ، وكانت هند قد بلغت كنيسة سيدة الدلغانة ، فصاح بها تاجر الدقيق : قفي ! ...

فوقفت وهي منهوكة القوى وقالت والغصة في فؤادها : وماذا تريد مني ؟ ...

— أتجهلين ما اريد ؟ — وانت هل تجهل جوابي لك ؟

— أليس من سبيل لوصالك ؟ — لا

— يا لك من مجرمة ، ان اباءك واعتصامك بعفافك سيجران عليك وعلى والديك الموت ! ...

وانصرف عنها وهو يقول : لم اجد في حياتي امرأة اشرف من هذه المرأة ! ...

— ٧ —

وكان الليل ماطراً ، والجو مكفهراً تلبدت فيه الغيوم السود المثقلة بالبروق والصواعق ، ففتشت هند عن مأوى يقيها الامطار والزمهرير فلم تجد غير قبو صغير تنضح ارضه بالماء وينضح سطحه بالماء قرب كنيسة سيدة الدلغانة في دير القمر

ولم يكن القبو غير مزود للقبر ، فاستلقت هند على الاقذار المكردسة فيه واخذت تندب حظها ، ونظرت الى ابنها البكر فاذا به كتلة من العظام اسود الوجه والبشرة ليس فيه غير عينين تفتشان عن الطعام والخبز ولا تجدها ، وفم يصيح ابداً : امي ، انى جائع ... اطعميني ! ...

تلك الليلة الهائلة كانت اشد وطأة على هند من سائر لياليها ، فلا قطعة خبز تقدمها لولدها البكر ، ولا قطرة من الحليب في ثديها يرشفها صغيرها ، ولا قشرة من الليمون تتلهى بها ! ...

ربي ، ان هذا لفظيع ! . . .

وجلست واليأس بالغ منها منتهاه ، وبكاء ولديها الجائعين يدفعها الى التماس الموت ، فلم تطق البقاء في مزود البقر ونفرت منه ولم يبق دمع في عينيها تبكي به مصابها

وعزمت على هجر دير القمر ، فقد اخبروها ان بيروت خير مأوى لها وان دار الايتام والجامعة الاميركية فيها تجودان على الفقراء بالدقيق والمال . ولم تصبر حتى بزوغ الفجر لتمشي الى بيروت ، ولم تنتظر انقطاع المطر ، بل قامت لفورها تحمل كلا من الطفلين على ذراع من ذراعيها وسارت تحت المطر المتدفق من صدر السماء لا تبالي بما سيحل بها

فقد شاءت ان ترحل عن دار عاشت فيها عزيزة محترمة ووطدت النية على ان تدفن بؤسها وشقاءها في غير مسقط رأسها ، ولكنها لم تبلغ المدافن في طريقها الى بيروت حتى شعرت بالعجز والعياء ، فهي لم تذق الطعام منذ يومين فارتمت الى الارض تحت الامطار لا تقوى على السير خطوة واحدة الى الامام ! . . .

وودت لو يبلى منها هذا الجسد وتموت ، لقد ودت لو تفيض انفاسها وهي على مقربة من تلك المدافن فلا يبقى امام الذين يحاولون دفنها الا ان يجروها الى القبور القريبة منها كما يجرون كلباً من الكلاب ، غير انها وقد تمنت الموت وقع فيه ابنها البكر ، فصاح : امي . اني جائع ، اين الخبز ، اين الطعام ? . . .

وفاضت روحه ، فطار صواب هند ، وهامت كالمجنونة على وجهها ، وظلت تسير حتى بلغت قرية كفرحيم وهي لا تاوي على شيء ، وهناك بكى طفلها الاخر يريد ان يرضع ، وشاءت ان تخطفه من يد الموت فكشفت له عن ثديها الناضب يلهو به فينقطع عن البكاء ريثما تصل الى بيروت ، ولكن الاوجاع والاحزان كانت قد اذابت حشاشتها فترامت على الارض وما لبثت ان لفظت الروح وطفلها على ثديها يرضع وليس هناك حليب يغذيه ! . . .

ومر الناس في صباح ذلك النهار فابصروا المشهد الهائل المخيف وما اكترثوا لمن آثرت الموت مع ولديها على الفحش والفجور ! . . . ماتت هند ، ولكنها ماتت بشرف وطهر وذهبت الى ربها ضحية بريئة يحرسها ملكان طاهران نقيان ، ولكن المضحك في نكايات الدهر ان الجامعة الاميركية في بيروت ارسلت تسأل عن هند لتؤدي لها مبلغاً كبيراً من المال ورد عليها من زوجها سعيد ، ولكن اين هند واين ولداها ليتقاضوا المال وقد طحنتهم انياب الجوع الكافر اللئيم ???

تمت

العدد الثامن والتسعون
السنة الثانية

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع
في كل عدد روايتان : رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

# الاستاذ حنتوش

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

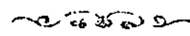
الادارة : جريدة « الاحوال »

الاشتراك
في لبنان وسوريا : ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج : نصف ليرة انكليزية

بيروت في اول كانون الاول سنة ١٩٢٩

# الاستاذ حنتوش

يطالع اليوم قراء ( الف ليلة وليلة) رواية من طراز جديد ملأى بالدروس عن الحالة النفسية ، وهي من قلم الاديب المعروف الياس ابي شبكه وقد درس فيها اخلاق احد اللبنانيين النازلين في باريس فابدع في وصفه واجاد



— ما هذا الضحك؟ لمَ تضحكين؟ يا لك من غبية ، أتضحكين مني ايتها الخادمة المجهولة ؟ اغربي من هنا او حطمت رأسك بهذا الصحن ! اغربي من هنا قلت لك ، يا خائنة ، يا قليلة الحياء ، يا وجه الشؤم ، يا غراب النحس ، يا نذير البوس ، يا ابنة العيلة الصغيرة ، يا بنت القلة ، يا جاهلة ، يا خاملة ، يا بليدة ، يا ثرثارة ، يا مجنونة ، يا معتوهة ! آه ! لقد بح صوتي ! لم يقع نظري بعد على خادمة مثلك لا شهرة لها ولا ذكر في عالم الصحافة ، أتضحكين من صحافي مثلي يستقبله رجال « الكه دورسي » وقوفاً على اقدامهم ! اسألي بوانكاره يخبرك عني الخبر اليقين ، اسألي بريان عن استقباله لي في مكتبه الخاص يوم قال لي : « انت صحافي مريا صديقي ! ... » صديقي ! ! نعم لقد قال لي يا صديقي . لا ازال اذكر هذه الكلمة الخالدة ، وسادونها في مفكرتي . « في اليوم الاول من شهر نيسان عام ١٩٢٩ استقبل بريان الرجل الفرنسي العظيم في مكتبه الخاص الصحافي اللبناني الاستاذ حنتوش وقال له يا صديقي . » وهذا التصريح قد يصدر غداً في برقيات هافاس فتتناقله صحف العالم السياسي وتضج له جميع الاندية . أضحكي مني ان كنتِ ترين بعد هذا مجالاً للضحك !

كان الاستاذ حنتوش موظفاً في الحكومة اللبنانية يتقاضى مرتباً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية ، وكان كثير الاحلام يختط كل مساء خطة جديدة لنفسه ، فصورت له مخيلته السياسية انه لن يحقق حلماً من احلامه ما زال باقياً في منصبه الخامل

فبينما كان ذات يوم يقلب قاموس « لا روس » ويطالع فيه حياة الرجال العظام

— وكان استاذنا هائماً بكل عظمة وبكل من هو عظيم — وقع نظره على صورة القائد اليوناني العظيم « ألسيبياد » وقرأ تحت الصورة هذه الفقرة الوجيزة :

« قائد يوناني عظيم درس الفلسفة على سقراط ، واصبح فيما بعد زعيم الحزب الديموقراطي ، الا انه ما لبث ان عزي اليه تشويه تماثيل هرمس بن جوبيتير رسول الالهة واله الفصاحة والتجارة واللصوص فهرب الى (لاشيديمونيا) التي خدمها ضد وطنه ثم اصلح نفسه مع اثينا عاصمة اليونان ، ومات في القرن الرابع قبل المسيح

« كان هذا الرجل يؤثر الشهرة على المجد الحقيقي فلا يحجم عن القيام باي عمل كان ليلفت اليه انظار الجمهور ، حتى انه قص ذات يوم ذنب كلب جميل ثمنه سبعماية قطعة من الذهب كان موضوع اعجاب اثينا فضرب به المثل القائل : « قص ذنب الكلب » الذي يطلق على رجل يقترف هفوة غريبة ليلفت اليه انظار الجمهور » وقد يكون المثل العامي القائل « كسر مزراب العين » مأخوذاً عن المثل اليوناني »

عندما قرأ الاستاذ حنتوش هذه الفقرة ، وكان قد نشر في بعض الصحف البيروتية عدّة مقالات وقصائد من الشعر المنثور مرت عليها اقلام بعض المشفقين ، قال في نفسه : « لا يصل الانسان الى العظمة والشهرة ما لم يكسر المزراب والجرّة » وقلب بعض صفحات من القاموس فانحط نظره على نابليون فقال : « هذا ابن كورسكي حقير توصل بما اتاه من الحزم والعزم الى ارفع قمة من قمم التاريخ » ثم قلب بضع صفحات الى الوراء فوقع نظره على صورة الكردينال مازارين فقال : « وهذا ايضاً ابن بائع مسابح»

وشاءت الصدف ان يعود احد طلبة الحقوق اللبنانيين من باريس حاملاً شهادة الليسانس فيتزوج ابنة غنية جميلة اذ ان معظم الفتيات اللبنانيات يملن كثيراً الى الشبان العائدين من باريس، ليس لان باريس مدينة العلم والنور بل لانها مدينة الازياء والنوفوته،

فقال الاستاذ حنتوش في نفسه : ( يجب ان احذو حذوه ، فالوسيلة الوحيدة التي تمكنني من تحقيق احلامي هي ان اسافر الى باريس فاصرف هناك سنة اوسنتين اراسل خلالها الصحف البيروتية ، وهذه الصفة الصحافية ستمكنني من مقابلة رجال السياسة والاحتكاك باللبنانيين المشتغلين بالقضية اللبنانية في باريس فلا ألبث ان اجد مزراباً اكسره او ذنب كلب اقصه فتدوي شهرتي دوياً يبلغ مسامع القاصي والداني ، ثم اعود الى الوطن فاتزوج من فتاة غنية )

رسخت هذه الفكرة رسوخاً مكيناً في مخيلة استاذنا الطامح الى الشهرة والى

الثروة من ورائها فراح يضرب اخماساً باسداس باحثاً عمن يقرضه مئة ليرة سورية يضيفها الى مرتبه في آخر الشهر ، وما هي الا فترة صرفها في جولة على الاصحاب حتى انفرجت اساريروجهه فاوقف سيارة ( تكسي ) واشار الى السائق بان يذهب به الى منزل الخواجا ضاهر سليم وهو رجل ابله ، طيب القلب ، ذو ثروة تعدّ بالالوف الا انه من محبي الشهرة ولو كانت ( خازوقاً )

في تلك الساعة كان الخواجه ضاهر سليم في خصام شديد مع امرأته . التي قالت له :

— انت مجنون يا زوجي ، ولقد زاد جنونك منذ صرت تعاشر هؤلاء الادباء المشعبذين !

فقال لها : ان معاشرتي لرجال الادب افضل من معاشرتي اياك !

— صدقت ، لاسيما معاشرتك لذلك الاستاذ الحنتوش

— اصمتي ! اصمتي ! أتعرفين عمن تتكلمين ؟ فهو استاذ كبير يكتب في الجرائد! وله معارف واسعة واصدقاء عظماء في دوائر الحكومة ، ثم انه يخاطب الوزير كما اخاطبك . ماذا ، أليس من الشرف ان يكون لي صديق كهذا يعتبرني كما يعتبر نفسه ، ويقول لي « يا صديقي » امام الناس ؟

— نعم ، فهو يعتبرك لانك تقرضه دراهم

— أليس من الشرف ان اقرض دراهمي لرجل ذي مقام كالاستاذ حنتوش ؟

— بلى ، شرف كبير !

— اصمتي فهو قادم !

— ليستقرضك بعد فوق ما قرضته !

— اصمتي قلت لك !

عندما دخل الاستاذ حنتوش على ضاهر سليم وامرأته حياهما بقوله :

= كيف حال صديقي الخواجه ضاهر وسيدتي مدام ضاهر ؟

فقالت له هذه : ان مدام ضاهر هي كما هي ! ..

الا ان الاستاذ حنتوش تظاهر بانه لم يسمع ووجه الكلام الى الخواجه ضاهر فقال :

— اني بشوق عظيم لرؤيتك يا صديقي ، فانت الرجل الوحيد الذي احترمه ولقد حدثت عنك وزير العدلية هذا الصباح !

— انك تسبغ عليّ من الشرف فوق ما استحق يا استاذي !

ثم التفت الى امرأته وقال لها بصوت خافت : وزير العدلية ، أتسمعين ؟

فقال الاستاذ حنتوش : لقد قرضتني دراهم في مناسبات عديدة فجئت الان لتسوية الحساب . أتذكر جميع المبالغ التي استقرضتك اياها ؟

= نعم ، اني لم افقد ذاكرتي بعد . عشرون ليرة في المرة الاولى !

— صحيح ! . . .

— وعشر ليرات في المرة الثانية !

— صحيح !

— وخمس عشرة ليرة في المرة الثالثة !

— صحيح !

— المجموع خمس واربعون ليرة سورية !

— خمس واربعون ليرة سورية ، حسابك مضبوط ! . . .

= خمس ليرات ونصف ثمن حذاء دفعتها عنك حسب اشارتك !

— صحيح ! . . .

— احدى عشرة ليرة اجرة « طقم » دفعتها عنك للخياط حسب اشارتك !

— صحيح

— يكون المجموع احدى وستين ليرة سورية ونصف ليرة !

= المجموع مضبوط ، احدى وستون ليرة سورية ونصف ليرة سورية ، اضف مئة ليرة سورية اريد ان استقرضك اياهـــا الان فيكون المجموع مئة واحدى وستين ليرة سورية ونصف ليرة سورية ارجعها اليك في القريب العاجل ! . . .

كأن الاستاذ حنتوش شعر بان الخواجه ضاهر يتردد قليلا فقال له :

= اذا كان الامر يزعجك فاستقرض المبلغ من مكان آخر !

فقال ضاهر : لا ، لا ، بل يسرني ذلك ! . . .

واتجه الى الصندوق الحديدي ليأخذ المبلغ فلحقت به امرأته وقالت له : مــاذا، أتريد ان تعطيه بعد ؟ . . .

= ما العمل ؟ أتريدين ان ارفض رجلا كهذا حدّث عني وزير العدلية هذا الصباح؟

( = رح ، فانت ابله ، معتوه ، سخيف ! . . .

ولما عادت امرأة ضاهر سليم قال لها الاستاذ : اراكِ متشائمة يا سيدتي فما بكِ ؟

اين سيدتي الانسة ابنتك ؟

= سيدتك الانسة ابنتي هي حيث هي ! ...

= اظن يا سيدتي انك كنت تجذبين اليك كثيراً من العشاق يوم كنت شابة ، لان آثار الجمال ظاهرة على محياك الجميل !

= ومن قال لك اني اصبحت الان عجوزاً ؟

= عفواً يا سيدتي فلم اكن اعلم انك لا تزالين شابة ! ...

ولما قبض الاستاذ حنتوش المئة الليرة انصرف من عند صديقه وهو يجس جيبه ليتأكد من وجود المبلغ ، ولم تمض ايام حتى كان على ظهر الباخرة

— ٢ —

على مقربة من « باب نيسل » في باريس شارع يدعى « موكونساي » بنى فيه الاشراف البورغونيون قصراً لهم في القرون الوسطى

وفي القرن السادس عشر استحال هذا القصر الى فندق كان الكتبة والمؤلفون يعرضون فيه منتوجات افكارهم « كموليير » و( راسين ) و( كورنيل ) وسواهم ، عدا انه كان مسرحاً للبراز وخمارة للسكارى . اما اليوم فقد تهدم هذا الفندق ولم يبق من آثاره الا برج غريب الشكل اطلق عليه لقب برج ( جان سان بور )

على مسافة قصيرة من هذا البرج استأجر الاستاذ حنتوش غرفة له ، لان الغرف في ذلك الشارع زهيدة الاجرة ، ولان السكن بالقرب من ذلك البرج يذكر بعهد كبير طافح بالاعمال المجيدة ، ايام كان الكلام للقلم واللسان والوشاح والسيف ، ثم ان استاذنا المحترم كان خبرة بفن البراز وقد كتب فيه عدة مقالات اذ ناسبت الظروف ان يكتبها وهو لا يزال موظفاً في حكومة بلاده ، فسر سروراً عظيماً لوجوده في مكان تحمل كل زاوية منه اثراً للحوادث العظيمة التي قام بها في الماضي اخوانه الفرسان من حملة السيف والقلم

لم تمر على سكنه في باريس بضعة ايام حتى تعرف الى جميع النوادي على يد بعض من اللبنانيين المقيمين بمدينة النور ، فارسل الى احدى الجرائد في بيروت بضع مقالات شحنها بما شاء من سخافات السياسة العقيمة فلم تجد هذه الجريدة بداً من مبادلته ببعض الوريقات السورية حتى اتيح له التعرف الى غني من اغنياء وادي الفراعنة صورت له مخيلته الجلوس على عرش الجمهورية في لبنان فاهوى الي باريس يستجدي عطف رجال

السياسة فيها ، فشاء سوء الطالع ان يعثر بالاستاذ حنتوش فمهره ببعض الجنيهات اعتقاداً منه — واليائس يتعلق بحبال الهواء = ان استاذنا الصحافي سيكون في عداد من يجلسه على الكرسي ! . . .

عندما رأى استاذنا ان جيبه قد ورم قليلًا قال في نفسه : ان الفرصة سانحة للتمتع بحسان باريس فلقد كسرنا المزراب وحطمنا الجرَّة ! . . .

وانطلق في تغذية اهوائه فكان يصرف النهار في ملازمة ذلك الفني الكثير الاحلام فيحشو احلامه بندوف من الهواء حتى توشك ان تنفزر من كثرة الانتفاخ، ويخص الليل بعواطفه الحميمة فلا يدع راقصة الا ويحتال لامتلاكها اما بزجاجة من الشمبانيا واما بعشاء لذيذ ، اما اذا رأى اعراضاً منها او نفوراً عمد الى مغازلتها بالشعر العربي

وكثيراً ما حاول ان يجذب اليه الحسان الباريسيات بانشاده على مسامعهن هذين البيتين :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل  مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها  لمعت كبارق ثغرك المتبسم

***

ذات يوم صرف الاستاذ حنتوش الليل حتى منتصفه في احد فنادق المدينة الكبرى يغازل راقصة حسناء منازلة حملت كثيراً من الكلام العربي تخلله شعر امرىء القيس والشنفرى وابن الوردي ، وكثيراً ما تخلله هذا البيت :

لا تقل اصلي وفصلي ابداً  انما اصل الفتى ما قد حصل

وكانت الراقصة قد وعدته بصرف ما تبقى من الليل في غرفته الخاصة ، فافرغ الاثنان ثلاث زجاجات من الشمبانيا فأثرت الخمرة في دماغ الاستاذ المشتعل بنيران السياسة فقال للراقصة : أتعرفين بوانكاره ؟

فقالت له : لِمَ هذا السؤال ؟ . . .

= لان بوانكاره صديقي وارغب ان اعرفك اليه

= ما لنا وله الان، اطلب زجاجة رابعة نشربها قبل الانصراف ! . . .

= ما لنا وله ؟ كيف تقولين ذلك ؟ فهو صديقي ، وقد وعدني بالمساعدة كلما احتجت اليه ! . . .

= دعنا الان من بوانكاره وبريان وامثالهما ، فالخمرة اصدق لذة من وعودهما !

= بريان ، أتعرفين بريان ؟ فهو صديقي الحميم ، ولقد قال لي : انت صحافي مر
يا صديقي !

= أنحن في ( الكه دورسي ) الان ؟ ...

= الكه دورسي ؟ أتعرفين الكه دورسي وزارة الشؤون الخارجية في فرنسا ؟ لا شك انك اشتغلت بالسياسة !

= لم اشتغل يا صديقي بسوى الحب وغزل العيون ، فمهنة كوبيدون وعشتروت افضل من مهنة مركور وابولون ! ...

= صدقت ، ولقد خطرت لي الان فكرة !

= وما هي هذه الفكرة ؟

= اذا وافقتني عليها تصبحين سيدة عظيمة ! ... = سيدة عظيمة ؟

= نعم ، سيدة عظيمة تأتمر بامرك امة عظيمة هي حفيدة فينيقيا القديمة ! ...

= اراك تهذي يا صديقي ، فما هي هذه الفكرة ؟

— هي ان اتزوجكِ ونذهب معاً الى لبنان ، فاللبناني الذي يتزوج من فرنسية ينال منصباً عظيماً في بلاده ويكون لامرأته نفوذ كبير لم تنله كليوباتره في ايام مجدها وسلطانها

— ها ها ها ! يظهر ان احلامكم معشر اللبنانين أرفع من جبالكم وافرغ من صناديقكم

— اذن فانت لا توافقينني على هذه الفكرة ... على ان صديقي « لا مازيير » اكد لي نجاحها

فاتدح للراقصة عند ذلك ان استاذها «الكافالييه» يتكلم بلسان الخمرة فقالت : اذا كان صديقك « لامازيير » هو الذي اكد لك ذلك فلا ريب ان الفكرة مصيبة فماذا تريد ان نفعل الان . هي الساعة الواحدة !

= نختم عهد العزوبة بمقدمة لعقد الزواج ، فنصرف ما تبقى من الليل في غرفتي الخاصة القائمة على مقربة من فندق « بورغونيا » في شارع « مو كونساي »

= حسناً جداً فانهض بنا !

... وقفت « التكسي » بعد مسيرة نصف ساعة امام منزل قديم لا يشك الناظر اليه للوهلة الاولى انه من تلك المنازل التي يأوي اليها المتشردون الذين يعيشون على ظهر

الغير ، ومثل هذه المنازل كثيرة في ذلك الشارع المشبوه

وبعد ان صرف الاستاذ حنتوش سائق السيارة قرع الباب الاسفل ثلاث قرعات اتبعها بثلاث قرعات مثلها فاطل من النافذة رأس رجل مسن وسأل قائلًا : أأنت يا طوني؟

وكان « طوني » هذا الذي يسأل صاحب المنزل عنه متشرداً حاذقاً تعوّد ان لا يأوي الى المنزل الا في مثل تلك الساعة المتأخرة ، ولكن الاستاذ حنتوش اجاب : لا ، لست « طوني » بل استاذ الكه دورسي !

وكان سكان المنزل يعرفون الاستاذ الصحافي بهذا اللقب ، فما هي الا خمس ثوانٍ حتى فتح الباب ودخل الاثنان الى الطابق الاسفل فاجتازا رواقاً ضيقاً حتى بلغا غرفة تشرف نافذتها على برج « جان سان بور » فقرع الاستاذ الباب فاسرعت الى فتحه فتاة في العقد الثالث من عمرها ، جميلة القوام ، ممشوقة ، تنبعث من اردانها روائح الشهوة . كانت هذه المرأة طاهية المنزل ، تتقاضى اجرتها من جميع سكانه

الا ان الاستاذ حنتوش لم يكد يخطو بضع خطوات في الغرفة حتى التفت الى ورائه فلم يجد الراقصة ، فثار ثائره وخرج الى الرواق فلم يبصر احداً ، فاسرع الى الشارع ليبحث عنها ، ولما يئس من وجودها عاد الى منزله يقذف من فمه حمماً من الشتائم باللغة العربية لم تجد الطاهية لدى سماعها بداً من الضحك ، لا سيما وقد انتبهت الى هرب الراقصة من وجهه

لا يستطيع القارىء ان يتصور الغضب الذي تمكن من استاذنا «الكافالييه» ساعة رأى امامه امرأة تضحك في وجهه ضحك السخرية والشماتة ، فضرب بيده على منضدة امامه وانطلق يشتمها شتماً قبيحاً تخلله ذكر بوانكاره وبريان والكه دورسي كما تقدم في مطلع الرواية ، الا ان الطاهية بقيت تضحك من غير ان تنبس ببنت شفة فاستطرد الاستاذ قائلًا : اراكِ لا تريدين الكف عن الضحك ! ولكنكِ لو عرفت المثل العربي القائل : « الضحك بلا سبب من قلة الادب » لخجلتِ من نفسك خجلًا اوقفك وسط ضحكك !

فقالت وهي تستمر في ضحكها : لا استطيع ردع نفسي يا حضرة الكه دورسي!

= اذن أتريدين ان اضع لك كمامة في شدقيك ؟

فقالت وهي تضحك ضحكاً عالياً : ارجو منك عذراً ومغفرة يا . . . آه آه آه آه كه دورسي !

= ان اعترافك بمقامي في الكه دورسي يغفر لك هذا الضحك الذي لا نهاية له ، فاقتربي مني !

= ماذا تريد ؟

= اريد ! ... اريد ! ... وماذا تريدين ان لا اريد في مثل هذه الساعة ؟

= لا اعلم !

= اريد ان نختم عهد العذوبة بتقدمة لعقد الزواج !

= لم افهم !

— اريد ان اتزوجك غداً صباحاً ونذهب معاً الى لبنان ، فاللبناني الذي يتزوج من فرنسية ينال منصباً عظيماً في بلاده ويكون لامرأته نفوذ كبير لم تنله كليوباتره في ايام مجدها وسلطانها ، لاسيما اذا كانت الفرنسية هذه راقصة او طاهية ! ...

فلاحظت الطاهية انه يتكلم بلسان الخمرة فقالت له :

— حسناً ، ولكن ماذا تريد الان ؟

— اريد ان نختم ...

فقاطعته بقولها : اختم فمك الان بدفع اجرة الشهر !

— يا لكِ من غبية !

— يا لك من غبي !

— اخرجي من هنا !

— اخرج انت او جئتك بالبوليس ، ولكن لا ، لن تخرج ما لم تدفع ما عليك ! فالى الغد !

قالت هذا واغلقت الباب على الاستاذ حنتوش وانصرفت الى مخدعها

— ٣ —

بقي الاستاذ المذكور ربع ساعة يفكر في موقفه ، وكأن كلمة « بوليس » التي سمعها من فم الطاهية الجميلة قد ايقظته من نشوة الشمبانيا ، ثم حاول ان ينام تاركاً للغد الاهتمام بشأنه ، وكان استاذنا من هؤلاء الذين يتكاون على الصدف في جميع الشؤون ، الا ان الرقاد بقي متمرداً على عينيه حتى دقت الساعة الثالثة والنصف في الابعاد فتغلب عليه النعاس فنام نوماً عميقاً

واقبل الفجر يطارد الليل بجسامه الرماديّ الطويل ، وما هي الا ساعة من

الزمن حتى تغلب عليه فطعنه طعنة فجرت من صدره شعاعاً من النور ترامى على شرفات البرج القديم ، عند هذا اقبل الصباح يحيي الفجر المنتصر تحية الفرسان ، وكأنه لم يشأ ان يمر من غرفة الاستاذ حنتوش من غير ان يشركه بهذا الانتصار فاطلّ من النافذة وقال له : « عم صباحاً ايها الكافاليه فلقد جُرح الليل ! »

ولما افاق الاستاذ الصحافي من رقاده شخص الى حقيبته ، واول ما خطر له ان يهرب من المنزل ، الا انه تذكر ان صراخاً من حنجرة الطاهية يكفي لان تجعل اصابع المتشردين تتمسك بخناقه تمسك الخفافيش بشباك النوافذ المهجورة

وبينما هو على ما به فتح الباب وظهر منه اثنان من رجال الشرطة وراءهما الطاهية الحسناء واربعة من المتشردين المستعدين لكل طارىء ، فاخذ استاذنا يرتعد من الخوف لدى هذه الرؤيا البارزة على عتبة الباب ، ثم تجلد وتمتم قائلاً : ماذا يراد مني ؟

فقال احد الشرطيين : تقول هذه الحسناء انك راودتها عن نفسها وزادت انك لم تدفع اجرة الشهر الفائت وقد مضى على استحقاقها عشرة ايام !

— انا خادمك يا سيدي البوليس

— ليس هذا بالجواب ، فدافع عن نفسك !

فاشار الاستاذ الى البوليس باصبعه وقال له : لي كلمة سرية اقولها لك !

فلما دنا منه هذا اخذه الى ناحية وقال له :

— ارعني سمعك !

— قل ، عجل !

— تستطيع ان تصبح حاكماً عظيماً اذا شئت !

— ماذا تقول ؟

— اقول ان انقلاباً فجائياً سيحدث في حكومة لبنان ، وساكون احد زعماء الحزب الذي سيضع يده على مقدرات هذه الحكومة ، فاذا شئت ان تتركني الان اقيد اسمك في « جدول المختارين » وقد لا تمرّ مدة قصيرة حتى تصبح في لبنان من القواد البارزين

ولم يكد الاستاذ حنتوش ينتهي من كلمته السرية حتى تناوله البوليس بصفعة على خده ذكرته البرج بتلك الصفعات التي كان الشاعر الفرنسي المبارز ( سيرانو ده برجراك ) يهبها لادعياء السياسة والادب في مطلع القرن السابع عشر ، في ذلك الشارع نفسه الذي يسكنه الاستاذ حنتوش

وعندما سمع الحاضرون دوي الصفعة البوليسية قابلوها بدوي من الضحك ، ولما التفت اليهم البوليس ( المختار ) واخبرهم ما سمعه من فم الاستاذ قهقهت الطاهية بضحك طويل ثم قالت : ظننت في الليل ان الخمرة توحي اليه مثل هذه الافكار ، ولكن اتضح لي الان ان الهذيان محور كلامه سواء في السكر اوالصحو!

فغضب الاستاذ حنتوش لدى سماعه ملحوظة الطاهية وصرخ قائلاً : اسألوا جميعكم رجال الكه دورسي عن صحة كلامي ! ...

فقاطعه الشرطي بقوله : اخرس انت والكه دورسي يا صحافي الكذب ! وادفع ما عليك او اقودك الى الدائرة !

— سادفع ، ولكن اطلب فرصة اربع وعشرين ساعة !

فقالت الطاهية : حسناً ، ولكنك تبقي حقيبتك وثيابك في الغرفة الى ان تدفع اجرة الشهر والعشرة الايام !

فدعمها احد المتشردين بقوله : ويبقي ايضاً الحقيبة الصغيرة التي يحملها كل صباح تحت ابطه !

فصرخ الاستاذ قائلاً : آه ! ( الدوسيه ؟ ... ) لا يمكن ذلك ! ... فهي تتضمن اوراقاً تتعلق بالكه دورسي !

فاصرت الطاهية على قولها : ستبقي الدوسيه هذه والقفازين البارزة اصابعهما من جيبك ، اما الاوراق التي في الدوسيه فتستطيع ان تضعها في جيوبك ، واذا بقيت تعاند نرغمك على ابقاء الاوراق ايضاً !

فلم يجد الاستاذ حنتوش بداً من الرضوخ ، فوضع القفازين على الحقيبة الكبيرة واخذ اوراقه من الدوسيه فوضعها في جيوبه وهمّ باخذ عصاه ليخرج فاوقفه احد المتشردين بقوله : والعصا ايضاً ، فهي داخلة في عقد الرهن !

وكأنه همّ بالاعتراض على اشارة المتشرد فسبقه البوليس قائلاً : اخرج حالا فالاربع والعشرون ساعة تبتدىء من هذه الدقيقة !

فترك الاستاذ حقيبته والعصا والقفازين وثيابه في منزل المتشردين وخرج من شارع موكونساي قاصداً الفندق الكبير الذي يسكنه مولاه المثري الطامح الى عرش لبنان

— ٤ —

في نحو الساعة التاسعة من صباح ذلك النهار دخل احد البرابرة على المثري الشهير

نزيل باريس يحمل بطاقة على طبق من الفضة ، فلم يكد هذا يلقي نظره عليها حتى قال للبربري : ادخله بسرعة !

وما هي الا بعض ثوان حتى كان الاستاذ حنتوش في حضرة مولاه المعظم الذي بادره بقوله : ماذ تحمل من الاخبار السارة يا استاذ ؟

— الامور سائرة على قدم وساق يا مولاي ، وسترى غداً ان ثقتك بخادمك حنتوش كانت في مكانها ومثلها الجنيهات التي دفعتها وستدفعها له !

فابتسم مولاه ابتسامة رضى وقال : اما الجنيهات فلا محل لذكرها الان فالامر . . .

فتجاسر الاستاذ الصحافي على مقاطعة مولاه بقوله :

— بل لها المقام الاول يا مولاي ، فشاعرنا المتنبي قال : « اللهى تفتح اللهى » يريد بذلك ان العطايا تفتح الشفاه ، ثم ان الدراهم ولاسيما الجنيهات منها تستطيع بفتحها الشفاه ان تفتح لك باب الجنة ، وما الجنة في هذا العالم الا لبنان كما جاء في التوراة على لسان سليمان الحكيم . اما الشفاه التي ستفتحها جنيهاتك — واستثني ذكاءك وعلمك يا مولاي — فهي كما تعلم اقلام فئة من الصحافيين اترك على عهدتي تسييرها في الصراط الذي اراه صالحاً . واما « الكه دورسي » يا مولاي المعظم . . .

فاختلج مولاه لدى هذه الكلمة وقال بلهجة فراغ الصبر : اجل ، الكه دورسي ، وزارة الشؤون الخارجية في فرنسا !

— اما الكه دورسي فهو حيوان عفيف النفس لا يتأثر بالدرهم الا اذا افرغت عليه جميع صناديقك لتبهره ، وهذه المادة الاخيرة لا توافقك انت ولا نحن ، اذن ارى من الحكمة ان لا تحاول اغراءه بالمال ، فالجنيهات التي ستنفقها على القلم كافية لتحقيق آمالك ، اذ ان الصحافة في لبنان انما هي السلطانة المطلقة ، فعندما يتضح للكه دورسي ان الشعب لا يريد سواك رئيساً « للعرش الجمهوري » لا يجد اذ ذاك بداً من اصدار امر سري بانتخابك ، وهكذا تتم الصفقة يا مولاي المعظم !

فاقتنع مولاه بهذه الحجة السامية المبنية على منطق سليم وتناول من جيبه ورقتين كلا منهما بخمسماية فرنك فوضعهما امامه وقال : اما اذا احتجت الى اكثر من هذا المبلغ فتجدني في الساعة الحادية عشرة في « الفولي برجير »

— في الفولي برجير يا مولاي ؟

— نعم ، فلقد ضربت موعداً هناك لرجل من كبار السياسيين قال انه سينضم الينا في

الحملة على الوزارة الخارجية اذا حاولت هذه الوقوف في وجهنا !

– قلت لك يا مولاي المعظم ان الكه دورسي ، يعني الوزارة الخارجية ، لن يعارض اذا اشتمَّ موافقة من قبل الصحف اللبنانية وهذه الصحف لن تعارض بدورها اذا اشتمت رائحة الدراهم

– والنواب ؟

– اما النواب فتكفي لتصديقهم اشارة من المفوضية ... ولكن ، دعني ... دعني اتدبر الامر وليطمئن بالك !

دع ابن حنتوش يجري في اعنته ولا تنامن الا هادئ البال

ففكر المثري هنيهة من الوقت ولكن فكرة فجائية خطرت في باله فقال :

= اصغ الي ، هناك فكرة حسنة لا غنى لنا عن تحقيقها !

– ما هي هذه الفكرة ؟

– هي ان تذهب الى لبنان !

– ان اذهب الى لبنان ؟

– نعم ، ان تذهب الى لبنان فتجتمع بعميلي هناك وتتفقا معاً على احتكار كل من يحمل قلماً في يده من تلميذ المدرسة الى اعظم فيلسوف في بلادك !

– من تلميذ المدرسة الى اعظم فيلسوف في بلادي ؟

– نعم ، فلا ينبغي ان يفلت احد من دائرتنا وعليكما ان تعداهم بالمال الجزيل . احتكرا الصحافيين والكتاب والفلاسفة والروائيين وعلماء الاجتماع والشعراء حتى وعلماء الصرف والنحو ايضاً !

– و م هذه السلسلة الطويلة التي لا اول لها ولا آخر يا مولاي؟

– لان هذه السلسلة متصلة بالعرش فاولها في حلقة الدماغ وآخرها في قبضة السيف

– حسناً يا مولاي ولكن هناك خطراً !

– ما هو هذا الخطر ؟

– الشعراء !

– ما بهم هؤلاء ؟

– هم حيوانات متمردة انوفة لا تعبأ بالدرهم ولا يستهويها البريق ! فاذا جئناهم عن طريق المال سخروا منا واطلقوا علينا شياطينهم المخيفة وراحوا ينظمون فينا اناشيد من

الهجاء قد يكون لها من التأثير فوق ما لصناديقك ولجميع اطيانك فتحبط مساعينا وتذهب ادراج الرياح !

— اذن فجيئوهم عن طريق العاطفة ، فهذا الجنس من البشر طيب القلب يصدق كل ما يقال له ، قولوا لهم ان المشاريع الحيوية ستنعش في البلاد كل تربة قاحلة ،قولوا لهم ان عرق الجبين سينبت في ارضهم قمحاً وحريراً ، قولوا لهم ان الفلاح سيجد في تربته تلك الاحلام التي تغذيه في رقاده، قولوا لهم سينتعش الفقير والايم واليتيم، قولوا لهم . . .

— كفاك يا مولاي ، فلقد اخذنا ( رأس الشموط ) . انك وايم الحق ، لحلاّل المشاكل ، ولم يخطر في بالي من قبل الان ان للغنى لغة ابلغ من لغة الفقر ، وان لعظمة مولاي المعظم في فن حل المعضلات من الخبرة والحنكة فوق ما لخادمه الحقير حنتوش .

— متى تأمر عظمتكم بان نسافر ؟

— غداً صباحاً ، في الباخرة لا مرتين !

— حسناً ولكن ...

— دائماً ولكن ! ... دائماً اعتراض ! ...

— نعم ، ولكن ...

— آه ! فهمت ، فهمت ! خذ ، هذه اربعة الاف فرنك ، واذا احتجت الى اكثر من هذا المبلغ فاستلف من عميلي في بيروت ، ولكن اين « الدوسيه » ؟

— لقد تركتها في مكتب صديق حميم لي في الكه دورسي ، وانا ذاهب لآخذها !

— اذن فانصرف الان لتهيء عدة السفر . الى اللقاء

— الى اللقاء يا مولاي المعظم !

خرج الاستاذ حنتوش وفي جيبه خمسة آلاف فرنك، ثروة لم يكن ليحلم بها ،واول ما خطر له ان يسترجع الحاجات المرهونة في غرفته في شارع موكونساي ، الا انه احب ان يعمل حساباً صغيراً قبل ان يقدم على حل الرهن فاخذ ورقة من جيبه وخط عليها ما يلي :

الحقيبة الكبيرة وما فيها تساوي ٢٥٠ فرنكاً . الدوسيه ٣٥ فرنكاً . القفازان ٣٥ فرنكاً . العصا ٣٠ فرنكاً . المجموع ٣٥٠ فرنكاً . قال : اذا استخرجت ثلاثماية وخمسين فرنكاً من خمسماية وخمسين فرنكاً اجرة الشهر والعشرة الايام فيتبقى مئتا فرنك ... اذا فالاوفق ان ابقي الحاجات حيث هي وابقي الدراهم في جيبي

فبميتي فرنك استطيع اصرف ليلة ارستوقراطية في ... في « المولان روج » ان المتشردين لم يكونوا احذق مني في فن الحساب !

وصحت عزيمة الاستاذ حنتوش ان يودع باريس بسهرة في المولان روج ، وكان يفضل المبيت في « الفولي برجير » لولا خوفه من الاتقاء بمولاه هناك

— ٥ —

اول ما خطر للاستاذ لدى وصوله الى عاصمة لبنان ان يشتري « دوسيه » وقفازين فاتجه تواً الى مخزن « الكف الاحمر » ، وبينا هو داخل الى المخزن التقى باحد بكوات لبنان خارجاً منه ، فلم يكد هذا يقع نظره على الاستاذ الصحافي حتى اطلق من صدره صراخ دهشة وقال : اهلاً بالاستاذ ، متى كان تشريفك ؟

— هذا الصباح ، كيف حال البك ؟

— الحمد لله ، ولكني لم اطالع في الصحف خبر قدومك

— ذلك لاني جئت متخفياً « انكونيتو »

— آه ! انكونيتو ؟ وما معنى انكونيتو ؟

— هي كلمة ايطالية مشتقة من اللاتيني « ان كونيتوس » يعني لا معروف . وكان العظماء في الماضي يسافرون انكونيتو ، اما اليوم فقد اصبح رجال السياسة يسافرون انكونيتو ، وانكونيتو هذه طريقة يسير عليها كبار رجال السياسة في الكه دورسي

— انا مسافر الى زحله بعد عشرة ايام ، اذن سأذهب انكونيتو

— هل صرت من رجال السياسة يا بك ؟

— قد شغلت منصباً كبيراً على عهد الدولة العثمانية اذ كانت السياسة في قبضة رجال مدربين اما اليوم فقد اصبحت العوبة في ايدي بعض من الادعياء المتزعمين !

— فتقاعدت أليس كذلك ؟

— نعم ، غير اني اريد ان اعالج سياستي في الطور الجديد الذي تدخل البلاد فيه

— تريد ان تقول انك تود الاشتراك في سياستنا ؟

— هذا تماماً ، ولقد خاطبت عميلكم في بيروت بهذا الشأن واتفقنا معاً على ...

— على السير جنباً الى جنب ، انت تمده بزعامتك في كسروان وهو يمدك ...

— بالمال طبعاً !

في تلك الاونة خطر للاستاذ حنتوش فكرة فجائية فقال للبك :

— اود ان اخاطبك بامر يهمني جداً يا بك فمتى يسمح لك الوقت بالاصغاء اليَّ ؟
— لا شأن للوقت متى كان هناك امر يهمك يا استاذ فتعال نتكلم الان !
— ولكن موقفنا هنا يعرضنا لمسامع المارة فتعال بنا الى احدى الزوايا !
في الجهة الشمالية من قهوة « الحاج داود » — على مسافة بضع خطوات من مخزن « الكف الاحمر » — زاوية قذرة تتجمع فيها اوساخ المدينة ، ويلتقي بالقرب منها بعض من الحمالين الحفاة !

هناك وقف البك والاستاذ حنتوش يتحدثان ، قال الاستاذ :
— اطلب منك خدمة يا سعادة البك لا اظنك ترفض القيام بها !
— خدمة ؟ ما هي هذه الخدمة ؟
— اعرف جيداً انك صديق عيلة انطوان ، وان السيدة انطوان تثق بك كل الثقة وتحترم كل ما يخرج من شفتيك !
— نعم ، وما قصدك من ذلك ؟
— ارجو من سعادتك ...
— دع السعادة وخاطبني كما لو كنت تخاطب اخاً فنحن شريكان وصديقان !
= اشكرك ، ارجو من سعا ... منك ان تسهل لي التعرف الى عيلة انطوان لاني ارغب في طلب يد الانسة ايفون ، فهي فتاة جميلة ! ...
= وغنية ايضاً ! ...
= لا اهتم كثيراً بالمال فالادب المقرون بالجمال هو قصارى ما انشد . قلت انها فتاة جميلة ومهذبة ... وغنية اذا شئت = زيادة الخير خير = ولقد عرضت عليَّ فتيات عديدات في باريس فرفضت التزوج منهن لان ايفون انطوان كانت وما زالت حلمي الوحيد
= حقق الله حلمك يا استاذ فلا اظن ان فتاة في لبنان مهما كان مقامها عظيماً تجد مسوغاً لرفض رجل مثلك له مقام بين اهل الادب وجهابذة السياسة في سوريا وباريس
= وفي الكه دورسي ايضاً يا بك !
= في الكه دورسي ؟ ما معنى الكه دورسي ؟
= وزارة الخارجية الفرنسية يا بك ! ...
= اه ! نعم ، اعرف ذلك ، تباً لها من ذاكرة ! ...
= متى تريد ان تقوم لي بهذه الخدمة يا صديقي البك ؟

= هذا المساء . فخير الامور عاجلها . ستوافيني الى قهوة « الجاك » في الساعة الثامنة والنصف ونذهب معاً الى بيت السيدة انطوان

= اشكرك يا بك ، والى اللقاء

— ٦ —

= اهلا بالبك ! اهلا بالبك !

بهذه الكلمة الطيبة استقبلت السيدة انطوان سعادة البك عندما دخل عليها يتبعه الاستاذ حنتوش . والبكوات في لبنان امراء المجالس حيث حلوا ، فهم انى فتحوا منقارهم للكلام انصت القوم وتمتم البعض قائلين : ( سيتكلم البك ! ) واذا اقدم احد البكوات على التحدث وكان في المجلس رجل يتكلم مالوا عنه باذانهم وعيونهم وتركوه في وسط كلامه ليستمعوا ما يقول البك . والبكوات في لبنان اثر مضحك من خرائب العهد التركي ، ومعظم هؤلاء البكوات جهلاء مدعون لا يحملون من الفضيلة الا بؤس الخرق البالية . اما كيف كان هؤلاء ينالون القابهم فهذا ما ليس يجهله الا القليل ، كان البعض يشتري لقب بك من سماسرة الباشا ، وعشر ليرات عثمانية كانت كافية لمنحه ، وكان البعض الاخر اذا اجلستهم الصدف الى مائدة الباشا في احدى القرى واتى بشعبذة اضحكت متصرف الجبل مثلًا التفت اليه هذا وقال له : « احسنت يا بك ! » فراح القوم يقرأون له البلايوردي ويقيمون له الحفلات = على حسابه = ويهللون له ويحدون صارخين : « يا بيكنا ! يا بيكنا ! » اما اليوم فقد نابت الصحف عن الباشوات في منح هذا اللقب ، الا انها خصت به الموظفين الذين قد تحتاج اليهم في المواقف العصيبة ، وهؤلاء الموظفون البكوات لا يقلون تمسكاً بالقابهم عن بكوات العهد التركي المضحكين !

لما جلس البك على مقعد وثير في قاعة الاستقبال التفت الى السيدة انطوان وقال :

= سمعتِ ولا ريب بشهرة الاستاذ حنتوش !

فألقت السيدة نظرة على الاستاذ وقالت مبتسمة : الاستاذ اشهر من نار على علم ، ولكن الشهرة الادبية لا تفيد في هذه الايام اذا هي لم تقترن بالمال . أليس كذلك يا بك؟

ثم نادت الخادمة وقالت لها : أحضري نارجيلة للبك!

فقال هذا : اما المال فشيء تافه في نظر الاستاذ ، فهو لا يميل الا الى الجمال المقرون بالتهذيب !

فانتبهت السيدة الى ان هنالك امراً فقالت : ولكن الجمال والتهذيب يتطلبان مالاً

= هذا لا نزاع فيه ، فانا عندما تزوجت كان في جيبي مال كثير

= ولا تزال صناديقك تنضح بالمال يا بك !

= اه ، نعم ، فالمال رأس المعاصي · لو كان الاستاذ حنتوش ذا ثروة مثلك ومثلي لكان يستطيع التزوج من اجمل واغنى فتاة في بيروت ، فهو عدا انه صحافي كبير رجل سياسة يسافر « انكونيتو » ! . . .

= انكونيتو ؟ لم اسمع بهذه الكلمة بعد !

فقال الاستاذ حنتوش : انكونيتو يا سيدتي هي كلمة ايطالية مشتقة من اللاتيني « ان كونيتوس » ومعناها لا معروف

فابتسمت السيدة انطوان ابتسامة تنطوي على لغز وقالت : لا معروف ؟ولكنك اشهر من نار على علم يا استاذ

ثم نادت الخادمة وقالت لها : احضري القهوة يا ليلى

وكأنها ارادت ان تضع حداً للحديث الذي اشتمت منه رائحة زواج فقالت : وعلى ذكر الزواج يا بك ادعوك الى حضور عرس ابنتي بعد عشرين يوماً فستزف الى الى ابن عمها جميل وهو شاب ذكي ومهذب وغني كما لا تعلم ! . . .

لا يستطيع القارىء ان يتصور شدة اضطراب الاستاذ حنتوش لدى سماعه هذه المفاجأة التي جاءت تهدم اماله وتضع حداً لسمسرة البك . وانتهت السهرة بحديث طويل عن اخلاق جميل مرت جرى بين السيدة والبك على مسمع من استاذنا الصحافي

. . . مر اربعون يوماً على وجود الاستاذ حنتوش في لبنان كان مولاه في خلالها قدم الى بيروت ليشهد عن قرب مجريات السياسة · وشاءت الصدف ذات ليلة ان يجتمع الاستاذ برهط من الاصحاب في منزل احد هؤلاء فدار الحديث عن الغنى والثروة كما هي العادة في معظم ليالي السمر في لبنان فقال الاستاذ حنتوش :

= لقد زعم البعض ان ثروتي من سخاء الغني المصري الذي ساصعده الى كرسي الرياسة ، ولكنهم لو علموا الحقيقة لاتضح لهم اني جمعتها بقلمي فانا اتقاضى مئة فرنك ثمن المقالة ، ومن جهة اخرى لي حظ مدهش في البوكر ! . . .

فقاطعه احدهم وكان يدعى يوسف قائلاً : في البوكر ؟ أتلعب يا استاذ ؟

= ان جميع رجال القلم والسياحة في باريس يجيدون لغة « فول » و «ستريت فلوش»

كما يجيدون لغتهم ، ثم لا يعتبر علية القوم الا من جلس الى الطاولة الخضراء !

فقال له احدهم وكان يدعى اسكندر : اذن فنحن ندعوك يا استاذ الى « برتيتة بوكر » ! . . .

وما هي الا هنيهة قصيرة حتى احضر الورق وعلبة « الفيش » وفتح الكأس بعشر ليرات سورية . كان اللاعبون اربعة الاول يدعى يوسف والثاني اسكندر والثالث يوسف والرابع الاستاذ حنتوش ، وكان معهم خامس يدعى جرجس لم يشأ الا ان يبقى متفرجاً

ودار الورق . دار الورق مرتين وثلاث مرات ، وفي المرة الثالثة خفق قلب اسكندر اذ وقعت عينه على الورقة الاولى فاذا هي « اس احمر كبه » وكشف عن الثانية فاذا هي « روا احمر كبه » وعن الثالثة فاذا هي « دام حمراء كبه » وعن الرابعة فاذا هي « فاله احمر كبه » وعن الخامسة فاذا هي « عشرة حمراء كبه » فنقر على الطاولة وقال : « بارول ! » وابرز اوراقه فقال الاستاذ حنتوش : « ستريت فاوش ! لقد ربحت » اما الاستاذ حنتوش فكانت كل ورقة من اوراقه الخمس ذات لون مختلف فخسر . ومرت على الاستاذ اربعة « فتوت » كانت اوراقه في جميعها مختلفة الالوان فقال له يوسف مبتسماً ابتسامة محتالة :

— هذا دليل على ان آراء السياسيين في الكه دورسي مختلفة على مولاك المثري يا استاذ !

وبقي حنتوش يخسر حتى نفدت بضائع مولاه التي في جيبه فاصفرّ وجهه وشحب ونهض عن كرسيه غاضباً ، وبعد ان وضع القفازين في يده وتأبط الدوسيه اتجه الى الباب لينصرف فقال له اسكندر وهو يجمع « الفيش » ليعدها : هوّن عليك يا استاذ فمن يخسر في اللعب يربح في الحب !

في الساعة نفسها التي خسر فيها الاستاذ حنتوش ما كان في جيبه من فتات صناديق مولاه انتهى الى ذلك المولى نبأ قاتل وهو ان قضيته خاسرة لا محالة وان من العبث والجنون الاستمرار في ملاحقتها والطموح الى « العرش الجمهوري »

— ٧ —

في صباح اليوم التالي ، في حين كان الغني المسكين يندب سوء مصيره وهو في اشد ما يكون من الغضب دخل عليه الاستاذ حنتوش قائلاً :

— اسمع يا مولاي ! ...

فقاطعه مولاه قائلاً بغضب عظيم : لا اريد ان اسمع شيئاً !

— جئت اطلعك على ان القضية ... — لا اريد ان اطلع على شيء !

— اسمع يا مولاي ! .. — قلت لك لا اريد !

— ابشرك بان . = اخرج من هنا ايها الدجال !

— اسمع ... = لا اريد ! = مولاي ! = لقد اصبحت اصمّ !

= كلمة واحدة ! = اخرج من هنا ! = صبراً على ... = انخسف من وجهي!

= ثلاث كلمات ! = لا = كلمتان ! = لا ! = كلمة واحدة = لا!

= ارجوك ! = لا ! = اتوسل اليك !

= اغرب من وجهي ايها الدجال الخائن الكذاب الخسيس ، ايها المحتال الغدار القليل الحياء ، يا وجه الشؤم ، يا غراب النحس ، يا ابن العيلة الصغيرة ، يا ابن القلة ، يا جاهل ، يا خامل ، يا مجنون ، يا معتوه ! لم يقع نظري بعد على وقح مثلك ! ...

فتذكر الاستاذ حنتوش وقد انخسف من امام مولاه انخساف الجرذون من وجه الهرّ انه القى هذه الكلمات نفسها على مسمع الطابية التي راودها عن نفسها في باريس فقال في نفسه : الدهر دولاب يوم لي ويوم عليّ ! ... وراح يهيم على وجهه في شوارع بيروت ويذكر ليالي المولان روج والفولي برجير وفتش جيوبه ليأكل « صحناً » من الفول فلم يجد فيها خمسة قروش ، فضرب رأسه بيديه وقال : ماذا يقول عني رجال « الكه دورسي » لو ابصروني في مثل هذه الحالة ... انجدني يا صديقي بوانكاره ... رحمة منك يا صديقي بريان ! ...

ولم يشعر الا بيد تلقى على كتفه ، فالتفت فاذا ثلاثة من رجال البوليس يلقون في ساحة البرج القبض عليه قائلين له : تزعم « الانسة » لوريس انك سرقت لها نقودها وانت في « ضيافتها » ! فغضب الاستاذ حنتوش واحتج وقال : ويحكم أتلقون القبض على صحافي شهد له المسيو بوانكاره والمسيو بريان بالنبوغ والمقدرة؟ ... ويحكم ايها الجبناء!

فصفعه احدهم وقاده بالرغم منه الى السجن حيث قضى الاستاذ حنتوش ثلاثة ايام ، ولم يخرج من محبسه الا بعد ان استجدى الاكف ، فادى « للانسة » لوريس نصف مالها المسروق وسامحته بالباقي ، ولكن بعد ان نشرت اسمه الكريم « فوق صنوبر بيروت »

﴿ تمت ﴾

العدد ١٠٠ السنة الثانية

# ألف ليلة وليلة

مجلة روائية تصدر مرة في الاسبوع

في كل عدد روايتان : رواية تامة ورواية متسلسلة

الرواية التامة

## شريدة بيروت

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

الادارة : جريدة « الاحوال »

الاشتراك

في لبنان وسوريا : ٢٢٥ قرشاً سورياً * في الخارج : نصف ليرة انكليزية

بيروت في ١٥ كانون الاول سنة ١٩٢٩

# شريدة بيروت

— بقلم الاستاذ فليكس فارس —

مرّ الهزيع الثاني من الليل والصبية لم تنم بعد

نام ابوها منهوك القوى من العمل في الحقول طول النهار ورقدت امها قرب اختها الصغيرة وساد السكوت على تلك الليلة الهادئة التي تحيا بالعمل ولا يدخل بابها رغيف خبز ما لم يقطر من جباه افرادها ما يعادله عرقاً

بين ذلك السكوت العميق في قلب الظلام المجلل الغابة والرامي اطرافه على القرية الحقيرة كان البيت الصغير مختلطاً مع اشباح الليل منفرداً تناجيه ارواح الطبيعة التي تتساوى عندها الاكواخ والقصور

كان السراج يبعث نوراً ضئيلا على الاوجه الاربعة: ثلاثة منها لا يرتسم على جباهها غير تموجات الخيال الذي ترسله الاحلام حينما يقوم الوهم مقام الافكار قاسماً حياة المرء الى شطرين شطر الراحة وشطر العذاب . والوجه الرابع ذلك الوجه المستدير المشرق بعينين زرقاوين كالسماء الصافية تحتاطه دائرة من الشعر الاشقر كأنها هالة شفافة على اطراف القمر . ذلك الوجه كان مستنداً على كف عبثت بها المياه المحرقة في معمل الحرير ولكن زندها العاري الناصع البياض لم يزل ناعماً صافي اللون كأنه مسبوك من شعاع الشمس او مكوّن من ذرات الاثير الوردي عند الشروق

لو اتيح لشاعر ان ينظر من الكوة المفتوحة الى داخل البيت لتوهم ان القمر المتعب من ذرع السماء قد ولج هذا المسكن الحقير ليرتاح من مصافحة السحب ومناجاة العاشقين ولكن القمر كان لم يزل وراء الجبل العالي يتقدم ببطء ليتسنم ذروته ويقف مرسلا شعاعه الى الكوة المفتوحة حيث القمر الانساني ينتظر شروق اخيه

وردّت الصبية انظارها الى النافذة فتلاشى ما كان يحمله ذلك النظر المتقد بين ذرات النور الضعيف المنبعث من السراج الساهر مع عيني الغادة الساهدة

مر الهزيع الثالث من الليل فاطل القمر من على الرابية فترجرج الظلام الساكن في

مطارح شعاعه وما لبث ان انجلت دقائق الوشاح الليلي عن جثمان الطبيعة الابدي فتحركت الطيور في اعشاشها وقد خدعها شبيه النهار وصغرت دوائر النجوم السابحة في الفضاء كأنها تراجعت اجلالا لملك السكون

كل الاشياء التي لا تنام في الطبيعة، الغدير المتسرب بين الاعشاب والاعشاب نفسها، الاشجار الباسقة واوراقها المتحركة بحركة الحياة الدائمة ، الصخور النامية من دقائق الاثير تحت جنح الليل كما بالنهار ، كل الطبيعة التي لا تنام لان ارادتها مقيدة بغير هذا العالم وحركتها مربوطة بما وراء المنظور في الازل ، كل منظور انتباهه كرقاده هزته حركة خفية لدى ملامسة نور القمر له فكأن ذلك النور يد الام الساهرة تمر بخفة وحنان على وجه الطفل الراقد

مع الغدير الجاري على الحصباء ومع النبات والجماد شعرت الفتاة بامتداد نور القمر على الارض واول اشعة اخترقت النافذة الحقيرة كانت ميعاد خروجها لتحت القبة الزرقاء فجلست على فراشها بحذر ونظرت الى ما حولها واذ تأكدت استغراق الكل بالوسن قامت وفتحت الباب مندفعة الى الخارج ودمها يكاد ينفجر من صمامات فؤادها النابض بشدة كأنه يريد الخروج من صدرها

هنالك تحت الصفصافة القديمة المتدلية اغصانها على ماء الغدير كان فتى في عنفوان الشباب جميل الطلعة طويل القامة ملتفاً بدثار رمادي طويل مشقوق من وسطه حيث يغطي الكتفين وينفرج عن عنق جمع القوة والجمال . وكان الشاب واقفاً وانظاره مصوبة نحو باب الكوخ كأنها كرة النار موجهة لافتتاح قلعة حصينة

فتح الباب وظهرت الفتاة فاسند الشاب قلبه بيده الشمال وبيده اليمنى القى بالدثار على الارض فظهر لعين الفتاة بكل جمال الفتوة تحت نور القمر المتألق وقد ارتفع عن الجبل كأنه يتملص من رؤوس الاشجار ليشاهد مأساة جديدة تمثلها الاهواء على ملعب الارض

— جميل ؟ . . .

— سلمى ؟ . . .

— نعم انا . . . اتيت لانني لا اريد الاخلاف بوعدي لك ، ورغماً من تعب النهار الذي نهك قواي لم يغمض لي جفن وقد حملني الشوق اليك . . . احب لقاءك يا جميل لانني لا اشعر بالحياة الا بقربك ، ولكن شيئاً خفياً لا اعلم ما هو يكاد يقعدني عن ملاقاتك عندما تضرب لي ميعاداً . كلما فتحت الباب تحت جنح الليل وانت تنتظرني

هنا اتبين من بعيد على نور النجوم القاتم قبة الكنيسة المرتفعة فوق كل القرية كأنها تسود على ما ارى كما يعلو الكاهن المذبح وهو اعلى من الشعب يقرأ في ذلك الكتاب الذي يوحي بالابتعاد عن كل قبيح ! . . .

— سلمى ! . . . دعي الاوهام بحق حبنا وهو اقوى من الموت واحر من النار . دعي الكنائس المرتفعة الى عنان الجو فانها مبنية من تعب الفقير لتسخر به . دعي الكاهن فهو ضعيف العزم يفضل المتاجرة بالاوهام من ان يشتغل كباقي الناس ويعيش منعتقاً من ربقة الضلال الذي يأسر نفسه به ويأسر الناس ! . . .

وكان فم جميل لم يزل مفتوحاً يريد ان يندفع بكلامه الى حد بعيد ، فمدت سلمى يدها الى فمه والقت اصابعها المحروقة على شفتيه الورديتين وقالت :

— اسكت يا جميل والا اغلقت اذني عن سماع كلامك . لماذا تجدف على بيت الله وهو ملجأالنفوس المعذبة ؟ اذا تركتني انت فالى اين التجىء ؟

— انا لا اتركك يا سلمى ، ولكن اعتقادك بان الكنيسة هي ملجأ الحزانى لهو اعتقاد فاسد ولو نظرت كما نظرت انا في اميركا والبلاد المتمدنة كيف ان الكنائس والكهنة ترتفع على قلوب التعساء لغيرت ظنك وضحكت من نفسك

= انا لم اذهب الى اميركا يا جميل ولا اعلم ما يعبد الناس هناك اذ انني خلقت في قريتي على سفح لبنان وطني ، حيث الكنيسة مسقوفة بجذوع الاشجار كبيوتنا والكاهن فقير مثلنا يشتغل بحقله مع اولاده ليعيش . انا لست متعلمة في الكايات ولا اعرف ان اقرأ بغير كتاب الصلوة الذي اهدتني اياه السيدة اولغا في الصيف الماضي حينما اتت من بيروت لتصطاف في مزرعتنا ومع كل جهلي يا جميل اراك مخطئاً باعتقادك مع انك درست في بيروت وسافرت الى اميركا والناس يقولون عنك انك فيلسوف

= سلمى ! . . . انا اتيت تحت جنح الظلام من طرف القرية الى هنا كي اراك واسمع كلمة الحب من فمك ، الجميل اتيت لالقي رأسي المتعب على صدرك الباوري وها انذا ارى بدل هيامك معارضات وهمية واجد نفسي مضطراً للتفلسف معك . ارى الكنيسة والكاهن واقفين حاجزاً بيني وبين صدرك المشتعل بالوجد فاريد ان اريك وهن هذين الحاجزين . انتِ لم تعرفي شيئاً من العالم يا سلمى ، انتِ لا تقدرين على التمييز لتعرفي بان الكنيسة ليست الا شركاً يصطاد به القوي الضعيف فاعلمي ان الانسان لا يحتاج لمعبد وكاهن ليعيش ، انتِ لا تجهلين بانني عاقل ودارس فاسمعي مني انا لا اريد ان

تكوني على ضلال . ان الشريعة هي مثل الترتيب في المعمل الذي تشتغلين به تتغير حسب ارادة الناس وضرورة الايام فالاديان كلها اكاذيب واضاليل ولا شريعة غير القوة ولا اله الا الله واحد وهو الحب . انا آخذ حقي من الدنيا قدر قوة يدي ودماغي وانت تأخذين حقك قدر جمالك ولطفك فاتركي الاوهام والكاهن والكنيسة الى جانب وتعالي نعبد قلوبنا ، انطرحي على يميني لانها قوية ولا تخافي

= اخاف ان تتركني يا جميل فلمن التجي بعدك ؟ انا احبك بكل سذاجة قلبي ، وقوة شبيبتي ولكن باسم من تحلف وامام من تربط عهدك وانت لا تعتقد بدين ولا بشريعة ! . . .

= احلف بشرفي وهذا القمر السائد في الفلك كما تسودين في قلبي وهو شاهد علي فسوف احلك من قيود عيشة الفقر ، سوف انزع اليد المتسلطة عليك في معمل الحرير حيث انت عبدة ذليلة واقودك معي الى العالم الجديد فترين هنالك نور الحياة وتذوقين لذة العيش

وباتت سلمى جامدة مسحورة بجمال حبيبها كأن قوة غريبة تضغط على قلبها الضعيف ، وكالعصفور الصغير المتاوب امام الافعى الهائلة شعرت الصبية بانجذاب عواطفها الى الهاوية المفتوحة امامها

وبقي جميل يتكلم طويلا عن فساد المبادىء الفاشية بين الشعب الساذج فكانت كلماته تسقط كنقط السم على قلبها . وكان الفتى الضال يعد مباديه السافلة الى قلب الفتاة الطاهر طارداً منه كل المحاسن التي اوجدها الايمان به

هي ترى الله والشريعة مجسمين بالكاهن والكنيسة ولا تفهم من سر الفدا غير تمثيله على المذبح ، وكان جميل يعرف بان الله ليس الكاهن وليست الشريعة الهيكل ولكنه عرف بان ذلك القلب الساذج يحصر كل اعتقاده بالمنظور وانه حين يخلو من ذلك الاعتقاد يخرج العفاف منه ويضمحل في شكوكه كل طهارة وحذر . فاخذ يبين لسلمى ضلال بعض الكهنة في حياتهم المملوءة خبثاً يوشيها المجد وتحتاطها السعة والبذخ قائلا بان سلطة كهذه لا يمكن لها ان تمثل شريعة مجردة منبعثة من نور السماء

تحت تلك الصفصافة الضائعة على سفح لبنان فوق الوادي العميق قرب الغدير الصافي السائل بهدوء بين الاعشاب دوى صوت «فولتير» مرة ثانية على الارض

وكانت سلمى قد جلست على دثار جميل المفروش تحت قدميها وجميل جاث امامها

ويده المحترقة بحرارة الشر ملقاة على كتفها المرتجف . فقالت :

= جميل . . اسمع لكلامي فانني ساذجة لا اعرف كيف اتكلم ولكن لا يجب ان يتعلم القلب ليشعر . كنت احب لو كنت مثل ابي قانعاً بارض ابيك واجدادك . ابوك قد قضى وامك ماتت وانت وحيد في هـذه المزرعة الحقيرة ، لا نسيب لك ولا قريب تعيش منفرداً عن القوم كأنك لست منهم وتتكبر على لابسي العباءة كأن اباك لم يرتد مثلها ليقوم بمصاريف تعليمك في المدرسة . انت كالطير الغريب في مزرعة لبنان يا حبيبي ، تركت عشك الجميل لتملئ دماغك بافكار لا افهمها ، وماعدت الينا الا بزي جديد ملتفاً باثواب غريبة لتركب غارب البحر وتبقى هنالك السنين الطوال ، وها انت ما بيننا كأنك لست منا فلا يمكن لنا ان نفهمك كما لا يمكن لك ان تفهمنـا ، ولو لم يكن رباط الحب اقوى من المدى واعـلى من طبقة العوائد لما كنت تراني الان بين يديك . احبك يا جميل واذعر منك . اشتاق الى مرآك واحذر لقياك . فانت امامي جميل مشرق كالقمر ، ومظلم مخيف كاطراف الوادي البعيد !

— ويلاه يا سلمى ، كفي ملامك فان غصن الورد لا ينتقل من تربته ويرمى لرحمة العواصف الا لقوة غالبة وارادة جائرة ، بلادي صخرة جرداء وافقهـا ضيق على النظر الطامح الى بعيد . تعلمت ان ارتفع بافكاري الى الامور السامية فاحتقرت المحراث وثقلت على كاهلي ملابس اجدادي فاندفعت كما يندفع اخواني ابناء لبنان الى الاوقيانس البعيد وهنالك ذُقت ما لا يحلم به سكان صخورنا ولهذا اريد ان اعيش كما يحبب العيش لي وسوف اعود الى بلاد الذهب والسرور

— ويلاه يا جميل ، يرتجف قلبي من كلامك ، وهذه الرياض الهادئة تضطرب منك ، فكأنك نسر خارج من بيضة حمام ينتفض بجرأة وشدة مخالفاً كل شريعة ونظام . انت ولدت مثلي في هذه المزرعة الساكنة الهادئة ، ولكنك لم تعد صالحاً لسكناهـا كما لم يعد بها شيء يحببها اليك ويكفيني ان انظر الى اثوابك التي لا يصنع في بلادنا منهـا قطعة واحدة لأتأكد بانك صرت غريباً وبك كل الاميال التي تجعلك معرضاً لحيـاة الاستبداد في بلاد الاجانب . اسمع لصوت حبي ، دع عنك هذه المطامع وخذ لك ارضاً تشتغلها بما لديك من المال فتأتيك بالارباح ، اشتر ارض ابيك التي باعها ليعلمك وهذه يدي بيدك لنحيا بسكون ونموت بسلام في مزرعتنا الصغيرة ففي بساطتها نلقى السعادة

وكان صوتها هادئاً ترنّ به كل نغمات الحب الصادق والاسترحام ، فكأن لبنـان

الساذج السعيد تجسم بذات تلك الفتاة الطاهرة القانعة لينزع من قلب جميل مطامع المهاجرة وضلال الحياة الجديدة

والقى جميل رأسه على كتف الفتاة فتمثلت لديه صورة الحياة الهادئة في مزرعته قرب سلمى وهي تحبه بكل قواها، رأى نفسه ساكناً في بيت ابيه القديم وارزاقه تدر عليه اللبن والعسل، وتخيل انه بنى معملاً صغيراً يشتغل به مع عدد من اهل المزرعة بصناعة النسج التي تعلمها في المهجر فاهتز بنفسه وجدان اللبناني القديم فوضع فمه على شفتي سلمى الورديتين . فكأن هذه القبلة التي رنت على كتف الغدير فتلاشى صداها مع خريره كانت رابطة عهد جديد بين قوة لبنان وجماله !

وكانت سلمى قد سكرت من مظاهر الجمال الطاهر الذي لاح لعينيها على وجه جميل حين افتكاره بسعادة الحب وسكني الوطن فارتخت عزائمها ورقدت روحها بين طيات الامل

وتوسط القمر كبد السما، واصبحت اشعته الساقطة عموديا على الارض تقصر الاشباح وتضم كل خيال لجرمه، فانيرت المروج العارية حول الصفصافة واصبح خيالها مستديراً يغطي جذعها والدائرة المنبسطة حولها، فكأن القمر رأى ما سيكون هنالك فضن على المجرم بنوره وخشي ان تتلطخ اشعته الفضية بدماء الطهارة المهدورة

هنالك لم يكن حبيبان . هنالك لم يكن غير خادع ومخدوع ، قاتل وقتيل ! . .

وساد السكون وتوالت الساعات وكان القمر قد جنح الى جانب الافق محمراً كأنه متشرب من الجرة الجريمة المستورة ودامت الارض سائرة في هذا الكون الفسيح لتتم دورتها

***

جنحت الشمس عن الهاجرة وهوت على منحدر المدار الذي ينتهي على افق البحر . في احد بيوت بيروت الكبيرة ، باحدى قاعاته الواسعة العالية ، كانت عانس تبلغ الخامسة والثلاثين من سنيها عريضة الاكتاف ، ثقيلة الردف ، مقطوعة من وسطها بزنار مذهب مربوط برخاء لانه لا يحتاج للشد « والكورسه » من وراء الفسطان واصل الى آخر ما يمكن للشريط ان يشد . وكانت جالسة على مقعد مخملي احمر وفسطانها الكحلي الفاتح يتدلى برخاء وترتيب على الارض وبيدها جريدة لم تزل مربوطة بغلافها . وبعد ان قلبت العانس جريدتها مراراً بين يديها ضربت على جرس كان لجانبها فدخلت الخادمة فقالت لها العانس : خذي هذه الورقة يا مريم فلربما تلزم المطبخ !

فتناولت الخادمة الجريدة ، وبعد ان نظرت اليها بامعان قالت : هذه الجريدة تخص معلمي نسيب وهو يسألني كل اسبوع عنها فكيف تريدين ان القيها بين اوراق المطبخ؟

— آه هذه الجريدة العربية خذيها حالا واحرقيها ، فان نسيب قد اصبح مجنوناً من يوم مطالعته اياها ، خذي هذه الورقة لانني اخاف ان يطلع عليها نسيب ويجد فيها وصفة جديدة تأتيه بجنون جديد ! . . .

فاخرجت الخادمة الجريدة العربية من غرفة المتفرنجة وهي لا تدري ان بها شرارة الحياة لبلاد تفتح عينيها للنور والقتها في النار فالتهبت ومريم ناظرة الى لسان اللهيب الازرق المتلاعب في الموقد وهي لا تدري بان تلك النار هي روح الوطنية وانفس الكتاب السائلة كقطرات الدمع على تأخرنا وضلالنا . وهنالك في الغرفة الواسعة كانت اولغا قد اخذت من جنبها كتاب « صفحة غرام » بقلم « اميل زولا » واستغرقت في القراءة معجبة بالسموم التي كانت تدخل قلبها ضاحكة من جنون اخيها وحبه للجرائد العربية . وما لبثت حتى فتح الباب على مهل ودخلت الخادمة قائلة : سيدتي اتى جميل !

— اين هو ؟ دعيه يدخل حالا !

وما دارت مريم وجهها لتذهب حتى استوقفتها اولغا قائلة : اين امي يا مريم؟

— هي في غرفتها تلبس ثيابها لتذهب لزيارة مدام بطرس !

— لا تقولي لها ان جميل اتى ، دعيها تذهب فعند رجوعها تراه ! . . .

— امرك يا سيدتي !

وما توارت الخادمة خلف الباب حتى وقفت اولغا بحذر لئلا تنقطع الشريطة الماسكة طرف المشد بربطة الساق فتراجع ردفها قيد ذراع الى الوراء وانحنى صدرها الى الامام وبدأت تتخطر في الغرفة كأنها سابحة في الهواء . واستوقفت المرآة انظارها فلبست وجهاً جديداً يلائم حالة الملتقى ثم ركضت الى المقعد وارتمت عليه مرتبة طيات ثوبها بكل تأنٍ

فتح الباب ودخل جميل حاملاً بيده علبة مذهبة الحواشي وتقدم حتى لاصق ركاب اولغا فبقيت جالسة — مودة افرنسية : السيدات لا يقمن للرجال — لانها رأت سيدات الافرنج يفعلن هكذا في المحافل الرسمية فخيل اليها ان هذه العادة مقبولة بكل ظرف حتى مع الحبيب ! . . .

واهتزت اولغا في مقعدها دلالة على فرحها ومدت يدها الشمال بحركة مرتقصة فاخذها جميل ورفعها الى شفتيه ، فقالت : اهلاً وسهلا ، متى حضرت الى بيروت ؟

— بقطار الظهر !

واول كلمة نطق بها الخطيب امام خطيبته كانت كذباً ! لان جميل وصل بقطار الصباح وسار تواً لمشاهدة احدى الفانيات قرب مسرح « التريانو » وبعد ان قضى معها الساعات الطوال توجه الى سوق الطويلة واشترى العلبة هدية لاولغا واتى اليها قائلًا انه وصل بقطار بعد الظهر !

قالت اولغا : اجلس هنا قربي ، وقل لي متى نسافر ؟

ثم القت انظارها على العلبة فلم تعد تستطيع الصبر لتسمع الجواب فاردفت : ما هذه العلبة ؟

— هي اساور احضرتها لك تقدمة ارجو قبولها

— لا سبيل الرجاء فاني اقبلها شاكرة ، والان قل لي متى نسافر ؟

— حالاً بعد الزفاف اذا شئت !

وطال الحديث بين الخطيبين حتى قاربت الشمس ان تغيب ووالدة اولغا لم ترجع بعد من زيارتها ، فقام جميل قاصداً المبيت في لوكندة اميركا ، فوقفت اولغا وشيعته الى الباب ، وهنالك تعانق الخطيبان والخادمة واقفة على قمة الدرج تنظر اليهما وبعينيها بارقة نار خضراء !

هذه القبلة المتبادلة بين الضلال و«الدوطة» . بين الخداع وحب المجد . هذه القبلة الباردة بين شفاه المتمدن والمتمدنة كانت عربون اتصال تحل عليه البركة الالهية وتجعله مقدساً . . . وهنالك على سفح لبنان في حقول المزرعة الهادئة كان صدى القبلات المحفوظة في نماذج النسيم يدوي مع خرير المياه كنواح الغادة التي تجبل خبزها بدمها وتمزج شرابها بدموعها ! . . .

* * *

كانت باخرة افرنسية تتأهب للاقلاع من ميناء بيروت والزوارق تتوارد اليها زرافات ووحداناً وقد اختلط المودع بالمسافر ، ووقفت الام الى جنب ابنتها والابن الى جنب ابيه ، والصديق قرب صديقه والحبيبة قرب الحبيب وكلهم شاخصون الى السماء كأنهم يستطلعون ما كتب لهم في المجهول

من يدري ان لم يكن بذلك الملتقى اواخر القبلات واوائل الدموع التي لا يجففها



غير الكفن

وعلى ظهر الباخرة كان كاهن وشاب واقفين ويد كل منهما بيد صاحبه وكلاهما شاخصان الى قسم لبنان العالية

وكان الشاب يقول للكاهن : لا تلق الملام على شبان سوريا المتخرجين في المدارس فهم اتعس شبيبة في العالمين . دعهم يذهبون واذا ضاقت بهم الحال يجدون معملاً يشتغلون فيه اما اذا مكثوا هنا فلا معامل ولا معادن ولا زراعة راقية ، فاما ان يضربوا بمعاولهم الارض او انهم يطوفون في البلاد باجساد انحلها الهم ونفوس تنتظر الفكاك من اسر الحياة . لبنان لا يحتاج لمثل هذه الثمرات الساقطة على الارض وقد عبث بها الهواء لانها ناضجة قبل اوانها . فنهضة لبنان لا تقوم الا بقوة الايدي العاملة والاجساد الشديدة التي كان يجب ان تخرج كنوز الارض ، وهاهي تتدفق من جبالنا العالية الى شاطيء هذا البحر ليحملها الى قلب العالم الجديد

— انت تطلب عذراً لنفسك يا سعيد فلا اراك مصيباً بكل ما تقول !

—انا مقتنع كل الاقتناع بما اقول ، وهذا برهاني : قبل ان تجبرني الظروف على الانجار ، قبل ان اصرف آخر درهم ابقاه لي ابي بعد وفاته وقفت مراراً على هذا المرفأ اتأمل بالمهاجرة في حين لم اكن من طلابها فكنت ارى ابناء الوطن بل نسمته وروحه يبرحونه جسداً انحلته الادواء فالقي على الاجساد القوية الضخمة المملوءة شدة وحياة نظرة اسف وتبرم ، اما القسم المهذب الراقي من اخوتي فكنت ازودهم دمعة ورحمة . كنت اشعر معهم بما اشعر به اليوم واتأسف على وطن يكفيه خموداً وعاراً انه يقذف عنه شعلة الذكاء المنزلة عليه برؤوس اتعس ابنائه . فما اشبه حالة الفتنا اليوم يا ابي بتلك المغاور البعيدة التي يسطو عليها الفساد الى درجة تنطفيء بها كل شعلة امام ديجوره الاربد . ولكم رأينا من تلك اللمعات ما بيننا ، لكم لاح لنا من نور يسطع وشيكاً ثم يتبدد بكربون الفساد فكأن لم يكن ! . . . اين اديب اسحق ونجيب حداد واليازجي واي نفع ابقوه للبلاد بل اية حياة نفخوها في قومنا وهم لم يتركوا غير نفثات اقلام تدخل الى صدور الشبيبة فتدفعها الى القنوط وتجرها الى القبر فكأن تلك الاقلام تحمل مع الفكر السامي ميكروب السل الذي افنى تلك الاجساد التاعسة !

اذا برح الوطن رجال العمل عن طمع وجشع وكسل وبعض الضغط فلا يبرحه رجال الفكر والعلم الا كرهاً وعن ملالة من الفة تحتاج لانتباه ولد باكثر مما تطلب عقل رجل . تحتاج لمن يحسن الجمع والضرب والقسمة باكثر من احتياجها لمن يحل صعاب

الرياضيات في موقف الاختراع المفيد والاعمال الكبيرة تحتاج لمن يكتب : « بعد سؤال الخاطر العاطر واصلكم صورة الحسابات ! . . . »

باكثر مما تحتاج لمن يلقي القلم على القرطاس فيغرد تغريداً ، تحتاج لمن يعرف استجلاب البضائع الاجنبية باكثر من استعداده لقبول اهل الفكر والعمل، والعضو النافع هو الذي يخرج من الوطن مايفيد ابناءه ، تحتاج لكل من ينادي بالمبادىء المقتبسة عن الاجانب بقطع النظر عن ملاءمتها للبلاد وترفض كل رأي ينزع الى الافادة بارتكاز مبدأه على الحاجة الماسة وضرورة الوسط الحالي ! . . .

ووقف سعيد عن كلامه بغتة كما ينقطع مطر الربيع حينما يتساقط بشدة من السحب التي تلامس الجبال . وكان رفيقه الكاهن يلعب باطراف لحيته واصابعه النحيلة ترتجف بحركة عصبية تدل على تهيج شديد وبعد سكوت قصير فتح الكاهن فاه وقال :

— لربما يكون بكلامك بعض الحقيقة يا سعيد فانت تظهر وجوب بقاء الفلاح العامل في البلاد لان وجوده ضروري لحياة الارض ولكني لست من رأيك بعدم نفع الطبقة الراقية للوطن . اعلم يا سعيد ان الفة بلادنا واقفة بين خائنين وهما الغني الحريص يقضي ليله بلعب الميسر ونهاره بالرقاد على فراش الرخاء والكسل والفلاح الجاهل الطامع الذي ضربه طاعون التشبه والتطاول فترك ارض ابائه وذهب الى حيث يقنع بلبس السترة والبنطلون . اذا احتج المهاجرون المتعلمون بان المدارس التي لا تعرف واجباتها زرعت في قلوبهم كل ما يدفع للمهاجرة فيم يتعلل الفلاح يا ترى ؟ اما الطبقة المتهذبة الفقيرة فما اراها الا سفيناً ضائعاً بين بحر الشعب الهائج وزوابع الاغنياء ورعود صلفهم ومواطن ضلالهم . تلك الطبقة لا تقدر ان تدير القوة الجاهلة لقصر اليد ولا يمكن لها اقناع ذوي الثروة لفتح ابواب الاعمال المفيدة . شبيبة الوطن المهذبة هي العسكر المجاهد الذي يحتمل كل الجراح في هذا الممر الصعب فيجب عليها ان تثبت لتكون رابطة الاتحاد بين الصناديق المقفلة والارض المهملة يجب عليها الا تيأس من الوصول يوماً الى موقفها الذي تعده لها العناية السرمدية

انا لا الومك لتركك هذه البلاد يا سعيد انت تهرب من الجولان بالشوارع والتعرض للفساد ، انت تهاجر كيلا تموت فيك القوة والموهبة ولكن سيأتي يوم وهو قريب ينتصر العلم به على جهل العامل وضلال المثري وحينئذ يصير كل شاب متهذب وعالم مسئولا امام وطنه اذا أبرحه ، يصبح مطالباً امام الله والالفة اذا هرب من موقفه لانه يكون

اذ ذاك جندياً جباناً يخلي الارض التي وضع للمحافظة عليها نهباً مقسماً الاعداء ! . . .

اذهب يا سعيد الى حيث قدر لك ، ولكن خذ مني وصية واحرص على اتمامها . لا تقف كل حياتك في بلاد المهجر لجمع المال فقط بل تعلم من ارض العمل ما يمكنك نفع بلادك به اذا رجعت . لقد مرّ الوقت وعن قريب سيحملك البخار الى بعيد فليكن الله حارساً لك ولا تدع الفساد يسطو عليك . كلما قامت بوجهك صعوبة تذكر اهلك يا سعيد تذكر وطنك فانت مديون له . لا تترك هذا العش الجميل خالياً من كل فراخه ! . . .

ونزل الكاهن على سلم الباخرة وعيناه دامعتان وجبينه العالي مصفر كالشمس التي تلامس افق الماء آذنة بالمغيب . وما وضع رجله على مقعد القارب حتى اصطدم بقارب آخر كان يشق الماء يسرعة للوصول الى السلم فادار الكاهن وجهه فرأى احد ابناء وطنه من المزرعة القريبة لقريته جالساً وقربه فتاة ضخمة ترفرف القبعة فوق جبينها وعلى وجهها نقاب صفيق يلاعبه الهواء فدهش الشاب اذ رأى الكاهن وقال له :

— الوداع يا ابانا بطرس ! . . .

— جميل . . . الى اين ؟

— انني من اميركا واليها اعود !

— لا يا ولدي ، انت من لبنان قدر الله ان ترجع اليه !

— المستقبل لله ، ارفقنا بدعاك يا ابي !

— مع السلامة ، وليكن الله معك يا جميل !

وكان جميل يتكلم وعيناه مصوبتان نحو المرفأ وجبينه يتقطب بحركة اغتصابية وفؤاده ينبض بشدة وهو يجتهد ان يخفي اضطرابه

ضرب النوتي بمجذافه صفحة الماء فمخر الزورق عبابه وسار تواً بالكاهن الشيخ الى المرفأ واذ وضع خادم الله رجله على الدرج حانت منه التفاتة فرأى ابنة قروية واقفة امام الحاجز الحديدي وبيدها منديل غطت به عينيها وقطرات الدمع تتساقط من اصابعها الى الارض . وكانت الباخرة قد صرخت بصوتها الابح معلنة المسير . وارتفع من داخونها ضباب اسود كثيف فادار الكاهن وجهه لجهتها فرأى صديقه سعيد واقفاً على المؤخر وبيده منديل يومئ به اليه مودعاً . فارتفعت افكار الكاهن الشيخ الى العلاء وهو يناجي رحمة خالقه باسرار الحياة وحالة لبنان . ولكن لم يطل وقوفه تحت جنح التأمل

والصلاة حتى سمع صوت زفير متقطع وتنهد متحشرج فادار وجهه فرأى القروية قد هوت على البلاط امام غرفة البوليس محافظ المرفأ

سقطت القروية على الارض وارتمت يداها برخاء على صدرها المرتجف فلاح وجهها المصفر لعيني الكاهن كأنه شبح اليأس وخيال الموت فتبين من تلك الملامح الشاحبة صورة سلمى تلك الفتاة التي طالما رآها جاثية بخشوع في كنيسة قريته

وتألب الناس حول الفتاة واحتاطوها باحداقهم فتقدم الكاهن دافعاً الجمهور بلطف حتى وصل قرب سلمى وكانت غائبة عن رشدها فاخذ بيديها طالباً معونة احد الحمالين رافعاً اياها بين ذراعيه الى خارج المرفأ وهنالك وضعها في عربة وسار بها الى احد الفنادق القريبة تتبعهما انظار الحضور وكان ما بينهم شاب مرتدياً اخر زي وبيده قضيب خيزران يلاعبه فقال : لا يمكن ان يسطو الهرم على هؤلاء الغربان وما كان اولى ان نسميهم نسوراً فهم يجددون شبابهم امام كل فتاة وسيدة ! . . .

***

في احدى غرف النزل العلوية المطلة نوافذها على البحر كانت سلمى ملقاة على السرير واجفانها تأبى الارتفاع عن نور عينيها كأنها تضن عليه ان يختلط بنور الحياة

وكان الاب بطرس جالساً على المقعد بعيداً عن السرير يتطلع من النافذة الى البحر ويعود ملقياً انظاره الهادئة على وجه القروية الشاحب وافكاره تائهة بين العالمين تسقط كالنسر لتنظر الارض عن قريب وتعود محلقة مثله الى السحاب فتنفسح امامها مجالات المنظور . وكان الكاهن اذ ذاك بحالة لا يدركها الا فئة قليلة ممن يصدقون بالغير المتناهي

كان يفتكر بالمادة ونظامها فيراها محسوسة امامه ولكنه لا يرى غير قسم صغير منها . لا يرى غير الوسط الذي يحتاطه فترتبك مباديه ويتململ ثم يدفعه التأمل بقوة الايمان الى ما فوق فتتضعضع افكاره كأنها نور ضعيف بين الضباب فيرى المادة كلها والالفة باسرها ، يتبين شرائع الانسان ومطامعه وسعيه وجهاده ، ولكنه لا يتمكن من سبر هذا الغور البعيد

على تلك الذروة العالية كان الكاهن الشيخ واقفاً الساعة ناظراً الى ما وراء افق البحر الى السفينة الحاملة المجرم المتمتع بالحرية ولذة اللقاء وهو يبسم لعروسه ولاموالها ثم يلقي انظاره على القروية النحيلة الفاقدة الرشد الساقطة وهي بريئة تحت حمل الشقاء الرازحة تحت ضربة القضاء الهائل

كان الكاهن يرى بعيني جسده شقاء الإهانة وسعادة المهين ، اما روحه المرتقية الى ما فوق فكانت ترى غير ذلك ، ترى العريس وعروسته محاطين بضباب اسود كثيف والقروية المخدوعة المتروكة محاطة بهالة النور اللامعة التي تكلل رؤوس الشهداء ولا تنظرها العيون الترابية

تململت سلمى على فراشها وفتحت اجفانها وكان الظلام قد هجم بطلائعه على المدينة ودخل منه ضباب رمادي الى الغرفة ·فتحت عينيها وشخصت الى السقف وهي تقول : جميل ، آه ما اقساك !

فوقف الكاهن على مهل وتقدم من السرير وقال بصوت الطبيب الذي يكلم جريحاً :
— لقد اكثرت من ذكر جميل وانت غائبة عن الرشد يا سلمى فعرفت سرك الهائل .
افتحي عينيك واجلسي يا ولدي فقد اتت ساعة التعزية بالله !

فحدقت الفتاة بابصارها واذ تبينت قربها شبح الكاهن الاسود تراجعت الى زاوية السرير وغطت عينيها بيديها وتمتمت بصوت خافت يرتجف خوفاً : الى اين تتبعني ايها الرجل ؟ لقد رميت بنفسي الى قعر البحر تخلصاً من عذابي وها انت واقف امامي لم تزل تطاردني ، اذهب . . . دعني . . . دعني في سكون الموت، احترم الفناء اذا كنت لا تعتبر الشقاء ! . . .

فوقف الكاهن مبغوتاً مما يسمع وقد داخله شك هائل وقال : اي رجل تعنين يا سلمى ؟ انا الاب بطرس كاهن قرية . . . انا ابو سعدى صديقتك . انا الذي باركت زواج ابيك وامك . انا الذي سكب ماء المعمودية على رأسك فلماذا تخافين مني؟

وما سقطت هذا الكلمات على قلب سلمى الجريح حتى جرى الدم بشدة في عروقها فجلست وفركت عينيها كأنها مستفيقة من حلم عميق وقالت :
— الاب بطرس ؟ . . . ابو سعدى . ويلاه اين انا ؟ . . .

وادارت لحاظها في جوانب الغرفة كأنها تفتش عن مهد فتوتها ،عن الحقول الجميلة والكنيسة البسيطة . لمعت عيناها لحظة وعاد اليهما الجمود فانطرحت على فراشها اذ وقفت امامها تلك الصفحة السوداء التي كتبها الزمان ولم تعد تقوى على محوها يدٌ بشرية . انطرحت بكل قوى اليأس وهي تقول : اذهب ايها الماكر انا امقتك دعني . لقد كفاني الخداع الذي احتمل وويلاته من الدنيا فلا اريد ان تشترك السماء بالغضب عليّ ! . . .

واخذت الفتاة تردد كلمات متقطعة غير مفهومة والكاهن الشيخ واقف يصلي

وكانت دموعه تسيل ببطء على لحيته الطويلة البيضاء

***

انيرت الغرفة ، وكان الكاهن الشيخ واقفاً امام النافذة وسلمى جالسة على المقعد وكانت تتكلم بصوت مرتجف وفي عينيها لمعات تلوح وتنطفىء كآخر شعاع الشمعة الذائبة :

— نعم يا ابي بعد ان هربت من مزرعتي المحبوبة حاملة لعنة والدي على رأسي ودموع امي بقلبي ، بعد ان ودعت ابتسامة اختي الصغيرة وتغريد شحارير الحقل الذي شرب عرق جبيني سنوات عديدة ، بعد ان طوى الدهر صفحة فتوتي وعفافي ، حضرت الى هذه المدينة مفتشة عن قاتلي فوجدته يتأهب الزفاف ، وجدته في لوكندة «اميركا» وغرفته مملوءة بالاثواب الجاهزة لعروسته فانطرحت على اقدامه ووضعت يده على قلبي ليسمع فيه نبضات قلبين فكان جزائي الطرد والاهانة ، وبعد يومين من ذلك الملتقى الهائل شهدت حفلة زواجه ذليلة صاغرة ، ورجعت الى النزل وعلى رأسي جبال من الحزن ، فرأيت هناك رجلاً يعتبره النــاس وهو يتكلم عن الدين والتقوى والادب ، وكانت غرفته ازاء غرفتي فاردت ان افتح له قلبي واطلب منه مشورة ورحمة فكانت تعزية هذا الفاضل لي اهانة لاشجاني وتطاولاً على جسدي المضنى . وقد كان لابساً ثوباً يشبه ثوبك يا ابي ، ولهذا ذعرت اذ فتحت عيني ورأيتك فاغفر لي وقد عرفت السبب

ولقد قال لي جميل ان الفضل ليس الا ستاراً للفظــائع فلم اصدق ، ولكنني في ذلك الحين شككت بوجود الله وقد احتقرت الدنيا ومن عليها فقمت متملصة من يد الرجل هاربة تائهة على ساحة البرج ، وهناك استوقفتني مناظر مريعة ، هنــالك رأيت ورده ابنة القرية المجاورة لنا لابسة اثواب الحرير تتخطر ضاحكة ثاملة وكنت احسبهــا من قبل ميتة اذ سافرت من قريتها ولم ترجع ولم يسمع احد عنها شيئاً

ادخلتني الى غرفتها حيث مجالي الفخفخة والراحة ، وبعد حديث طويل فهمت من الدنيا ما لم اكن اعرفه قبل . عرضت عليَّ ورده البقاء معها فرفضت وقلت لهــا انني اريد الموت ، قلت لها ان جميل مسافر غداً مع عروسته فاريد ان القي بنفسي الى البحر الذي سيحمله . بكيت كثيراً وكنت خائفة واجفة في ذلك المكان الذي ترتفع حوله جلبة الفسق واصوات المدينة السكرى فاردت الخروج ولكن ورده لم تتركني فتعلقت بثوبي قائلة : ابقي هنا يا سلمى . نامي على سريري آمنة من كل طارىء ، فانت الان في حرم صديقة طفوليتك ، لقد اشتغلنا سنتين في معمل الحرير ، فلك عليَّ حق الرفيقة

وواجب الصداقة ، نامي يا اختي وها انذا ذاهبة لاقوم بفروضي الثقيلة الهائلة ولا بد ان تعرفي يوماً ماهية هولها يا سلمى !

ذهبت ورده واقفلت الباب وكنت تعبة محطمة من اليأس فاستغرقت في نوم ثقيل حتى الصباح . فكنت في ذلك الوسط الفاسد آمنة على نفسي ، وفي المجتمع الطاهر الظواهر لم اكن غير حمامة في مخالب النسور . بنت الهوى حمتني ، وفاضل الناس اراد اهانة روحي الجريحة ليأخذ من ضعفها ما يسلي بطره وضلاله . انا مذنبة يا ابي اما جميل فمجرم !... هو دفعني الى الضلال مفسداً اعتقادي اولا ثم توصل الى الحاق الدنس بي فترك في احشائي نطفة حياته وتبرأ منها .. . فها انذا ارملة وزوجي حي ! ...

«هو مكرّم من الناس يتزوج بعذراء ولا يبتعد احد عنه وانا مطرودة مهانة لا اجسر ان انظر الى السماء ، ويخال للناس ان لا حق لي ان امشي على ارضهم . لا افهم يا ابي ماهية هذا العدل الذي يرحم القاتل ويجور على المقتول

«جميل لم يحفظ شيئاً من نتائج فعلته وانا احمل ثمرة افساده لي ولهذه العلة يقول الناس ان جرمي اشد فظاعة من جرمه فكأن هذه الدنيا لا تجور الا على الساقط تحت الظلم

— مهلًا يا سلمى اذا كانت عماوة الناس لا ترى الخطيئة الا على عاتق المظلوم التعيس فالشريعة السماوية ارفع من ان تحدد الامور كما يفهمها الانسان الضال . انت مذنبة عن ضعف وجميل مجرم عن قوة ، اذا كانت المادة تظهر للنظر ان جميل اعطى وانت اخذت فالعقل يرى غير هذا . انت اعطيتِ قسراً وجميل اخذ جبراً ، انتِ مسروقة وهو سارق . ولكن شريعة الفادي هي مبنية على المغفرة يا ولدي . اغفري يا سلمى فهذه الفضيلة التي تصير الرجل عظيماً ترفع المرأة الى اوج الالوهية . انظري الى ما فوق ياولدي ان الفادي لم يأت الارض لاجل الاصحاء بل لاجل المسقومين، اتى ليرسم نقطة واحدة على الفكر البشري وتلك النقطة هي المغفرة والامل فلا تتركي الشكوك تتسلط على ايمانك لان المشترع الكبير قد اتى لاجلك ولاجل اخوانك في الشقاء وهم يغطون بدموعهم وجه الارض

واحنت سلمى رأسها بتعب كزهرة اضناها الذبول فلم تعد تقدر على احتمال النسيم الرطيب الذي سيحمل اليها الحياة . وبقيت برهة ساكتة ولكن قلبها الجريح لم يلبث ان دفع الدم الى جسمها بشدة فرفعت رأسها وقالت :

— لما كنت على المرفأ ازود خادعي بنظراتي الاخيرة كدت اصرخ : « هذا قاتلي

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية اسبوعية مصورة

الرواية الثامنة

## ابنة سائق القطار

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

العدد ١٠٣

السنة الثالثة

بيروت في ١٥ كانون الثاني ١٩٣٠

# ابنة سائق القطار

اما سليم عاصي فقد هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية . لقد هاجر اليها من بيروت يبغي ان يعيش كهؤلاء الذين قيل له عنهم انهم ينامون على الذهب ، ويأكلون الذهب ، ويشربون في اباريق من فضة وذهب وعاج

وسليم عاصي في الثامنة عشرة من العمر ، وابن ثماني عشرة سنة شديد الاستسلام للخيال والوهم : لا يجد في الكون غير مروج زاهرة من الاحلام

وترك له ابوه منزلاً في ضهور الاشرفية ، على رأس تلك الاكمة الجاثمة على كتف نهر بيروت ، فباعه سليم بخمسين قطعة ذهبية وركب البحر وقال : على ما يشاء الرحمن ! . . .

وكان يحلم بانه لدى بلوغه الولايات المتحدة الاميركية سيصبح اميراً من امراء المال ، فيعود الى الاوطان ويشيد القصور الفخمة ويشتري ضهور الاشرفية بكاملها وساحة البرج وسوق الطويلة ويصادق الولاة والحكام والاغنياء ويطلق اسمه على ضهور الاشرفية كما يطلق كبار الرجال اسماءهم على الشوارع والبواخر والساحات

وسمع عن جاره امين انه اشترى ارضاً في اميركا فتدفقت فيها ينابيع الزيت وحار في الذهب كيف يحشو به جيوبه ، وسمع من شيخ الحي ابي خليل ان في اميركا اجمل النساء وانهن يبحن انفسهن لاول طالب ، بل هن يسلبن الرجال وكثيرات منهن يفتشن عن رجل يتزوجنه ويهبنه القناطير من الذهب الوهاج

فقد بدت له اميركا ، وهو في الباخرة ، بحراً من السائل الاصفر ليس له الا ان يبلغ شاطئه ليزدخر منه الثروات الطائلة ، وقد جهل المسكين ان الفلس لا يدخل الجيب الا بعد الف جهد والف تعب والف قطرة من عرق الجبين

وتخطر سليم عاصي في الباخرة ما شاء ، وضحك لاحلام المستقبل العذاب ، ووقف من بعيد ينظر الى شاطىء بيروت ثم الى ضهور الاشرفية تغيب عنه وهو لا يتألم ولا يتأثر ، فلم يترك بعده احداً في بيروت ، فلا اهل ولا اصدقاء ولا اخوان ، كأنما القته الاقدار وحيداً لا من يهتم به ولا من يسأل عنه

وما برح يتغذى بهذه الاحلام الى ان بلغ اميركا ، اميركا بلد الذهب والمال . ونزل سليم عاصي في

اميركا يفتش عن ينابيع الذهب ، وقصد توأ الى اخوانه العرب في العالم الجديد ، فاستقبلوه مهنئين وراحوا يسألونه عن حالة الاوطان فقال : انها لحالة سيئة ، فالمرء يعيش فيها فقيراً الى ان تطويه الاكفان !

فتنهد الرفاق ، وارتفع صوت احدهم يقول : سقى الله ايام المحراث والحقل والبصل والزيتون !

فلم يفهم سليم عاصي ، ونظر الى ذلك المتأوه مستفهماً ، فاجابوه : سترى ان الحياة في الاوطان اهنأ منها هنا ولو اضطر هناك المرء للاستجداء ! . . .

فاخذت الحيرة مأخذها من سليم عاصي ، فكيف يهدم اخوانه تلك الامال التي علل بها النفس؟ . . .

لقد جاء اميركا وهو كبير الاحلام فما بالهم يهدمون احلامه حجراً بعد حجر ، أيكون الذين قالوا له ان اميركا بلاد الذهب قد ضحكوا منه ؟ . . .

وانتظر من ابناء وطنه ان يشددوا عزائمه بكلمة فلم يفعلوا ، فراحوا يلعنون حظهم ويحسدون كل مقيم في الاوطان على عيشه وينعتون ذلك العيش بالعيش الرغيد والهني مهما يكن من لونه وطعمه وشكله ، لقد قالوا : إن من يرعى المواشي في لبنان خير ممن يكسب في كل يوم قطعة ذهبية في اميركا !

فتململ سليم عاصي وابدى دهشه من منطق اخوانه قائلاً : انكم لتنظرون الى الحياة في اميركا بمنظار اسود مع اني سمعت من سواكم ان انهار الذهب تجري فيها ، فاين انهار الذهب هذه ، أليست في هذه الارض ، أهي في بقعة غير هذه البقعة ؟ . . .

فضحكوا طويلاً وقالوا : لقد كنا نعتقد مثل هذا الاعتقاد قبل ان وطأنا العالم الجديد ، اما الان . . . اما الان . . .

— وماذا تعتقدون الان ؟ . . .

— نعتقد الان انا على اسوأ مما كنا عليه في الوطن ، وهذه ثيابنا فانظر اليها ، وهذه وجوهنا الصفراء النحيلة ، وهذه اجسامنا الواهية القوى ، انظر واعتبر ، وان يكن في وسعك العودة الى الاوطان حسناً تفعل ، فماذا جئت تفعل في بلاد التعب والبؤس ، في بلاد الغربة حيث لا ينظر الاخ الى اخيه ولا الاب الى ابنه وذويه ! . . .

وتفرس سليم عاصي في تلك الوجوه فاذا هي كالحة مكفهرة ، فايقن انها بائسة واخذت احلامه وآماله تتلاشى فقال : هل اخطأت في مجيئي ؟ . . .

فاجابوه : لقد اخطأت جداً !

— وما العمل ؟ — العمل هو ان تعود !

— ولكن لم يبق في جيبي مال يساعدني على العودة !

فنظروا اليه كأنهم يندبون حظه وقالوا له : يا مسكين ! . . .

فقال : ولماذا تثبطون همتي ؟

قالوا : ستختبر هذا العالم بنفسك وترى ! . . .

فبات سليم في انكد حال ، أيأتي الى اميركا فراراً من البؤس ليقع في البؤس ، أيأتي اليها ليتزوج احدى الحسان ويعود منها بالمال الوفير فلايجد امامه غير الشكوى والانين والبكاء ؟ ... لقد شاء ان يتنفس لشدة كآبته ، لقد شاء ان يرفع عن صدره تلك الهموم الثقيلة الاعباء ، فما استطاع ، فكلما حاول ان ينقذ نفسه منها اشتدت وطأتها عليه فصاح : ولماذا الحزن والكدر ، انا شاب والمستقبل امامي رحيب فسيح والنجاح مكتوب لي فيه فما لي ولهؤلاء الكسالى الضعاف ! !

واجتهد في الضحك ، فضحك ، وحلم وهو يغط في نومه ان المال يتدفق بين يديه وانه اشترى الاملاك الواسعة ففاضت فيها ينابيع الزيت ، وانه عاد الى الاوطان واشترى نصف بيروت واصبح ذا مقام وحول وطول واشار اليه ابناء قومه بالبنان قائلين :

— هذا هو سليم عاصي ، هذا هو ملك المال ! ...

## — ٢ —

نفض سليم عاصي عن جفنيه الكرى وهو كبير الامل بمستقبله وغده

فكان يقول : لا بد ان يتحقق الحلم !

وقام يبحث عن عمل يكسب منه رزقه فلم يجد عملاً يليق به ، فسأله رفاقه : وبماذا تريد ان تشتغل؟

فاجاب : اريد لي مهنة شريفة !

وهو يقصد « بالمهنة الشريفة » المهنة الخالية من التعب والكد ، فضحك رفاقه وقالوا له : ارجع ، ارجع الى الاوطان ، فالمهنة الشريفة هناك حيث تأكل خبزك وانت مطمئن البال ، حيث تجتمع الى صحبك وخلانك وتنادمهم ويناددونك وانتم جلوس الى الكأس والطاس فلا تسألون عن الغد ولا تحسبون له حساباً ، ارجع الى بلاد الهناء على بؤسها فلن تجد هنا غير التعس والشقاء واستبداد رب العمل والاحتقار ، ولو كنا نملك نفقات العودة لكنا منذ امد طويل في الاوطان ولكن ... ولكن ...

وسليم عاصي على صغر سنه رابط الجأش كبير الامل ، فلا يحتل اليأس صدره عفواً ، فاخذ يسمع رفاقه يتحدثون اليه عن الشقاء المستحكم من ابناء العرب في اميركا وهو لا يحفل بما يقولون ، فكان شديد الثقة بسعده ونجمه

وراح يقول : وكيف وصل جارنا امين الى كل تلك الثروة لولا اميركا ، ومن اين لهؤلاء العائدين من المهجر كل ذلك الغنى لولا اموال اميركا ؟ ...

ولم يقتنع سليم بسوى شيء واحد وهو ان الحظ يخدم الانسان في اميركا كما في بيروت ، وان الدنيا حظوظ في كل مكان ، وان عليه ان يشتغل بهمة ونشاط وثبات ليبلغ مايرجو ويشتهي ، فقد حدثه قلبه بان مستقبله زاهر ريان

وحاول ذات يوم ان يتغدى ، فضرب يده الى كيس نقوده فلم يجد شيئاً ، فتألم وقال : يجب ان

اشتغل باحقر مهنة ، فالمجال ليس مجال الترفع عن العمل الحقير المضني والا نهشني الجوع ! . . .

فكان بقوله حكيماً ، وحكمته دفعته الى طلب العمل في السكة الحديدية ، فعهدوا اليه بايقاد الفحم في القاطرة ، فاضحى وقاداً ، وعندما ينظر الى يديه السوداوين ووجهه الاسود وثيابه السود من الفحم واللهيب يتعض ويقول : لقد صدق اخواني ، فلو قمت بهذا العمل في الاوطان لكنت اسعد مني هنا ! ولكنه يخجل في الاوطان ان يكون وقاداً للفحم في القطار ، فهو « ابن عز » وابناء قومه يعرفونه فكيف يشتغل بمهنة تنال من « مقامه » و « جاهه » ؟ . . .

هذا ما فكر به سليم عاصي وهو يوقد الفحم في القاطرة ويتلقى الاوامر من رئيسه سائق القطار ، وما كان السائق ليرحمه ، فشدد عليه في العمل وقساه ، واذا هفا واخطأ سقطت في اذنه الشتيمة ، ولكن ما عساه ان يجيب به مع كل عزة نفسه ؟ فاذا تأفف وابدى الغضب طردوه ! . . .

ودارت الايام دورتها وسليم عاصي لم يزل مكانه ، فلم يبرح هو هو ذلك العامل الصغير الشاكي دهره المتألم من مصيره ، ولكن ما هو ان يستعيد ذكرى احلامه العذاب حتى يعود اليه الامل فيقول : اذا فاتني الحظ اليوم ادركته غداً ! . . .

وعشق سليم وأحب . لقد عشق ابنة صاحبة الدار حيث يقيم . وما استطاع الانتظار ريثما تأتيه احدى هاته النساء الحاملات الذهب الباحثات عن عشيق وحبيب كما قيل له عنهن في الاوطان ، لا لم يستطع الانتظار ، فقد احب فتاة اميركية جميلة واكتفى بجمالها عن كل غنى ومال ، وما هي الا ايام قلائل حتى تزوجها وعاش واياها في شيء من الهناء

فالفتاة الاميركية كانت تحبه ، ولماذا لا تحبه وهو شاب هادئ وديع جميل يأتيها بكل ما يكسبه ولا تبدر منه حركة تزعجها ؟ . . . لماذا لا تحبه ولقد تزوجها على فقرها وكبر سنها ، فانها لتزيد عليه خمس سنوات في العمر ؟ . . .

ورُزق سليم عاصي ابنة كانت على قلبه كالمن والسلوى ، فشعر لما وُلدت بان تلك الثروة التي حلم بها هي هذا المولود الصغير ، واكتفى من حظه ودهره وقال : ما لي اشكو الايام وهذا نصيبي من الدنيا ؟ واقتنع بما كان ، وجاء مدير السكك الحديدية ان سليم عاصي الرجل السوري الوقاد رُزق البنين فرفع رتبته الى وظيفة سائق ولكن على قطار صغير ينقل الفحم من المناجم الى محطة القطار الكبرى

فحمد سليم عاصي الله على نعمته ، وسره ان يكون نجا من رعونة سائق القطار حيث كان يشتغل ، فلقد ذاق منه كل مرارة ، ولما جاء يودعه قال له : احمد الله لكونه انقذني منك ! . . .

وانقضت السنون وابن ضهور الاشرفية في بيروت يسوق قطار الفحم في ولاية « تكساس » ، انها لمهنة شاقة مضنكة ، ولكن ماذا ترى سليم عاصي يفعل وهذا نصيبه من الدنيا على ما قال ، فقد خيل اليه ان الذهب سيملأ جيوبه فاذا تلك الجيوب خالية لا مال فيها ، وخيل اليه ان ينابيع الزيت ستتفجر في املاكه واذا به لا يملك شبراً من الارض ، فكل ما يملكه لا يزيد على امرأته وابنته فمن اين تتدفق

ينابيع الزيت ؟ . . .

لقد وكل سليم عاصي امره الى القدر وايقن بان كل ما يقولونه في الاوطان عن اميركا اوهام وخرافات، فالدنيا فريسة صاحب الحظ سواء كان في الوطن او في المهجر، ولا عبرة بالمقدرة والكد والاجتهاد، فالعالم بأسره يشقى لاسعاد كل ذي حظ وافر ولو كان مغمض العينين ! . . .

## — ٣ —

عاش سليم عاصي بهناء وصفاء مع امرأته وابنته، فكان ما يكسبه في يومه يكفيه لغده، وترعرعت ابنته فاذا هي على حسن يترك اثراً في القلوب والعيون

فان تلك الفتاة ما بلغت الثامنة عشرة من العمر حتى امست حديث العمال في محطة سكك الحديد، فكلهم كان يرجو ان يحظى يوماً بقبلة شهية من خديها او شفتيها واذا لم يسعد بقبلة من الخدين او الشفتين فانه ليرضى بتقبيل تلك الانامل اللدنة الطويلة البيضاء اللامعة الاظافر كأنها اقلام من العاج تتلألأ في رؤوسها احجار من الياقوت او الماس

وكانت « ناديا » تجتاز صفوف العمال وهي تنظر اليهم باسمة تخاطب هذا وتتحدث الى ذاك، فكلهم عندها من اصدقاء ابيها

ولقد كانت احاديثها اليهم بريئة خالصة، فان « ناديا » لم تحلم في مخاطبتها اولئك العمال بان تختار منهم حبيباً او خطيباً يشاطرها الحياة ونعيمها، وهل ترى ابنة ثماني عشرة سنة في الحياة غير النعيم والسعادة والهناء ؟ . . .

ان « ناديا » مع رضاها عن حالة ابيها كانت تطمح الى ما هو اعلى من حياة اولئك العمال، لقد طمحت الى الاقتران بامير جميل خلاب، ولكن من اين لها ان تأتي بالامير الخلاب وهي ابنة عامل فقير يكاد يجهله حتى اقرب الناس اليه ؟ . . .

وسليم عاصي كان يحترم في ابنته مشيئتها ودلالها، فابى ان يعارضها في رغباتها، فكانت لديه اغلى من مال الدنيا، وهو نفسه آثرها على كل ينابيع الزيت التي كان يحلم بها، ولم يكن ليهنأ له عيش اذا لم يجلس الى تلك الفتاة الجميلة الفتانة يحادثها برفق وحنان ويداعبها ويمازحها ويأتيها بالهدايا وبالاموال قائلاً : كل هذا للاميرة ! . . .

فمن شدة حبه لابنته اطلق عليها لقب « اميرة »، فما كان ليناديها باسمها بل يقول : تعالي يا اميرة، اين الاميرة، هذا نخب الاميرة ! . . .

واذا تحدث عنها هيهات ان يحرمها لقبها، فيقول : الاميرة « ناديا » !

بمثل هذا الدلال عاشت ابنة سليم عاصي في ولاية « تكساس » الاميركية، على انها مع طموحها الى الاقتران بامير فتان ومع كل ما توفر لها في دار ابيها من دلال واكرام فما كانت لتشمخ بانفها

وتأنف من محادثة العمال ، بل كانت مثال الوداعة واللطف فتخاطب العمال اجمعين بعذوبة وبشاشة وترحاب كأنهم اخوانها

واقبل سليم عاصي ذات مساء على داره فاذا به لا يلمس في ابنته بشاشة الامس ، فخيل اليه انه واهم واقترب من الفتاة يقول : ما بال الاميرة ناديا ؟ . . .

فاجفلت الفتاة كأنها لم تشعر بمجيء ابيها وارتسمت على شفتيها ابتسامة ضئيلة شاءت ان تظهر بها ان ليس ثمة ما يشغلها ، ولكن ابتسامتها دلت ايضاً على ان الفتاة اسيرة افكار خطيرة طرأت حديثاً عليها

واراد سليم عاصي ان يعرف ما يقلق ابنته فناداها اليه ، فاسرعت وهي تبدي الطرب الا ان عينيها دحضتا مظاهرها ، ولما حدق ابوها الى تينك العينين خفضت ابصارها فلم يبق لديه ريب بان ابنته تبدلت عنها من ذي قبل

فامسك بيدها وقال ضاحكاً : هل يطيب للاميرة ان ترشدني الى ما بها ؟

فقالت : ليس بي شيء !

قال : ولكن عينيك وملامحك وكل ما فيك يدل على انك تبيتين على قلق فهل تتألمين ؟

فاجتهدت في الضحك وقالت : وهل يحق لي ان اتألم وانت تغمرني بعطفك وحنانك ؟

— قولي الصحيح يا ابنتي ، ما لنا وللتمويه ، لماذا تتألمين ؟

— وحقك اني لا اتألم يا ابي !

— ما بك اذاً ، يخيل الي ان الاميرة في قلق !

— لا ادري من اين جاءتك هذه الافكار !

— ان اباك يفهم يا صاحبة السمو ، والا فاقسمي به ان ليس هناك ما يشغلك !

وكانت تحب اباها ، فكيف تقسم به ان ليس لديها ما يشغلها وهناك امر ملك منها قلبها وافكارها وجعلها هدفاً للتفكير العميق ، ولم تشأ ان تخبر اباها بما اتفق لها فسكتت ، فقال لها سليم عاصي : تكلمي يا بنية !

قالت : ليس بي شيء ! . . .

— لا تنكري ! . . .

فبذلت جهدها للافلات من ابيها فما استطاعت ، فضحك وقال بشيء من التأنيب : أرأيت انك لا تحبين اباك ؟ . . . أهكذا تخفي الاميرة « ناديا » اسرارها عن ابيها ؟ . . . تكلمي ، قولي ، اني اساعدك على الخلاص من حيرتك ان كنت في حيرة !

فاخذت تؤكد له ان ليس بها شيء ، وانه مخطىء جداً في ما استنتجه عنها ، فقال : اقسمي لي ان كنت صادقة في ما تقولين!

فاستطاعت ان تفلت منه هذه المرة واسرعت الى حجرتها تدخلها واغلقت وراءها الباب ، وعبثاً

ناداها ابوها فما كانت لتجيب ، فاستلقت على سريرها واستسلمت لافكارها ، ولما جاء والدها يقرع الباب قالت له : دعني ، اريد ان انام ! . . .

فتركها سليم عاصي وشأنها واخذ يقول : هذه هي المرة الاولى التي تخالفني « ناديا » فيها ، فما بها وماذا اصابها ؟ . . .

* **

وماذا اصاب ناديا ؟ . . . ماذا اصاب الفتاة الطروب ؟ . . . لقد كانت حتى الامس الغابر خالية الهم بيضاء القلب لا افكار ولا آلام فاذا بها اليوم على اضطراب ، اذا بتينك العينين الساحرتين تعرفان ما هو الارق والسهر بعد طول سهاد لا قلق فيه ولا ازعاج

لقد كانت تنام ملء عينيها فاذا بها الان تدعو النوم اليها فلا يلبي النداء ، وحاولت ان تنفي عنها ما يشغلها من الافكار فما استطاعت ، حاولت ان تعيش كما كانت تعيش فتحسب ما اتفق لها في الصباح غمامة صيف امطرت ثم انقشعت ، ولكن ما اتفق لها في الصباح ظل ماثلاً لعينيها فابتسمت بالرغم منها وقالت : مالي اعلل نفسي بالاحلام والاوهام ولا فائدة لي منها ولا نفع ،



— ان اباكِ صديقي الحميم ! . . . (صفحة ١٥)

لقد ابصرني ، وحدق طويلاً اليّ ، وعاد فابتسم لي وسألني عن اسمي بلهفة وشوق ، ولكن لا اعتقد انه يحبني ، لا ، لا اعتقد انه يميل اليّ ! . . .

ووطدت النية على الفرار من رؤيا مشهد الصباح فاسقط في يدها ، فقالت : انه لمشهد جميل ! . . .

ورأت انه يسود افكارها ومخيلتها فلم تجد بداً من استعادة فصوله ، وكانت تبتسم له وهي تستعيد تلك الفصول لشدة ما اطربها ، فان الاميرة « ناديا » وجدت اميرها الفتان !

اجل ، لقد وجدت الفتى الذي تهوى ، لقد وجدته في ثيابه الانيقة ، ووجهه الجميل ، وقامته الطويلة الممشوقة . هذا هو الذي تريده لها ، والفتى هفا قلبه لدن رآها ، فوقف يتأملها كأن سحر عينيها لعب بجنانه ولبه فجذبه اليها

ولكن هل تعرف « ناديا » من هو اميرها الفتان ؟ . . . هل تعرف من هو ذلك اللطيف الرشيق

الذي تهوى كي ترتمي بين ذراعيه ؟ . . .

لا ، انها لا تعرف عنه شيئاً غير انه فتان وجميل وخلاب ، وهذه المزايا خير دليل على معرفته ، فهو ان لم يكن يحمل لقب امير فانه الامير في جماله وحسنه وكماله ، انه الامير في مبسمه العذب وعينيه السوداوين ! . . .

هذا ما فكرت به ناديا وهي تستعيد مشهد الصباح ، فقالت : أتراه احبني ، أتراه تأثر بجمالي ، اني احببته ، اما هو . . . اما هو ! . . .

ونامت ولم تستفق الا عند الصباح ، ولقد رأت في نومها اميرها الجميل ، وشعرت بعناقه اللذيذ وبقبلاته الطيبة وبكلماته الموسيقية ، فصاحت : هذا هو الذي اريد ، هذا هو اميري ! . . .

وعند الصباح لما استفاقت ناداها ابوها اليه فاقبلت تبتسم وتضحك ، فطرب لما ابصرها وقال : اريد ابداً ان اراكِ في مثل هذه الحال من الغبطة والابتهاج ، اخبريني ماذا اصابك امس ، وبماذا كنت تفتكرين ؟

قالت : لم اكن افكر بشيء !

— بحياتي يا ناديا بماذا كنتِ تفكرين ؟

فرأت ان تطلع اباها على سرها فقالت له : هل تغضب اذا رويت لك حكايتي ، وهل تلومني وتندد بي ؟ . . .

قال : وهل من اساءة بدرت منكِ نحو احد كي اوئنبك ؟

قالت : لا ، ولكني اخاف منك اذا اوضحت لك امري !

فقال : تكلمي ولا تخافي !

فترددت ، فقال : ألا تحبين اباكِ يا صاحبة السمو ، اخبريه بكل ما يخفق به قلبكِ ، فان اباكِ يحبك ويرشدكِ الى ما به خيركِ !

فقالت بخجل وحياء : أتعرف ذلك الشاب الجميل الذي كان يروح ويجيء صباح امس في المحطة الكبرى ؟ . . .

قال : أليس هو ذلك الشاب المتأنق في ملبسه الذي اقبل يخاطبني ؟

فقالت : نعم ، فمن هو هذا ؟

— وماذا تريدين منه ؟

— اريد ان اعرف من هو ؟

— واي حاجة لك به ، أيعزّ عليكِ ان تفضي اليّ بما يدفعك لمعرفته ؟

فرأت ان تصرح لابيها بكل شيء ولم تستطع ان تكبح جماح عواطفها فصاحت : اني احبه ! . . .

فنظر سليم عاصي الى ابنته بكآبة وحزن وقال : اجنّني عن سواه للحب يا بنية !

فقالت وقد ذعرت : ولماذا ؟

فقال سليم عاصي : هذا ابن مدير السكك الحديدية يا ابنتي ، فاي نفع لك من حبك اياه ؟ ..

## - ٤ -

نفذت كلمات سليم عاصي كالسهم الى قلب ابنته

فان ذلك القلب امسى هائماً ، مغرماً ، مشتاقاً ، فجاء من يزيد في شوقه ويفصل بينه وبين الحبيب

لقد جاء سليم عاصي يبعد ذلك القلب ممن يهوى عشرات الاميال ، فكيف يحب ابن مدير السكك الحديدية فتاة فقيرة حقيرة الابوين ، وهو اذا احبها كيف يحبها بصدق واخلاص والإلوف من البنات الجميلات يتزاحمن عليه ؟

ولقد حسبت « ناديا » لكل شيء حساباً عدا هذا الامر الخطير ، فلم تعتقد مطلقاً ان ذلك الشاب الجميل هو ابن مدير السكك الحديدية ، ابن رب تلك الدائرة الطويلة العريضة حيث لابيها احقر وظيفة واحقر مقام !

وتساءلت ألا تستطيع ان تنزع حب الشاب من قلبها ؟ ... فبدا لها انها عاجزة فتأوهت وقالت : ليتني لم ابصره بل ليتني لم اعرف من هو !

فقد اوجعها ان تقوم بينها وبين من تحب تلك المسافة البعيدة ، وعز عليها ان يصطدم قلبها بهذه العقبة المنيعة وهو في اول عهده بالحب ! ...

وتبللت عيناها بالدمع ، فساءها ان تفجع باقدس امنيتها ، ولكنهـا قالت في نفسها : ساذهب الى المحطة ارقب مجيئه اليها في هذا الصبـاح ، فقد بدا لي منه انه يحبني فاذا نجحت في استمالته الي نلت مناي والا صبرت على مضض الدهر ومصائبه !

وارتدت ثيابها وسارت الى المحطة وهي تتلفت ذات اليمين وذات اليسار ، وانتظرت طويلاً وفاتنها المعبود لا يبدو ، فكادت تقطع الامل من لقائه وتعود الى المنزل خائبة ذليلة

وابصرها العمال فحاولوا الاقتراب منها ومخاطبتها ولكنها لم تمهد لهم السبيل ، فشعروا بانها تريد البقاء في عزلتها فابتعدوا منها وهم يكتفون بتحيتها برفع قبعاتهم باسمين

وتألمت « ناديا » لاخفاقها في امنيتها ، أتعود الى دار ذويها وتبكي الى الابد نكبتها بقلبها وعواطفها ام تبقى في الانتظار الى ان يبدو وجه الحبيب ؟ ...

وبينا هي تتناول منديلها لتمسح دمعة تسيل على خدها اذا بها تسمع من ورائهـا صوتاً عذباً كأنه السحر يهمس في اذنها : عمي صباحاً ايتها الانسة ناديا !

فالتفتت فاذا الحبيب يقبل عليها فكادت ترامى بين ذراعيه وتفضي اليه بامرها ، ولكنها اكتفت بالابتسام مع تحية ضئيلة جالت على شفتيها

قال : مالي اراكِ وحيدة هنا ، هل لكِ بجولة نقوم بها في جوار المحطة ؟

فحارت بما تجيب ، قال : لا تخافي ، اذا سرت في رفقتي فلن تخشي شراً !

فنهضت والخجل يزيد لون خديها احمراراً ، وسارت الى جانب الشاب على غير هدى من امرها ، وكان يقف واياها لدى كل مشهد يلفت النظر ويوضح لها ما يعرفه عن ذلك المشهد بعذوبة في اللفظ ورشاقة في الحركات الى ان بلغ واياها منحدراً عالياً فقال : أتعلمين ماذا جرى هنا ؟

قالت : لا

فقال : هنا ذهبت ضحيتان من ضحايا الحب ،فبينا القطار يجتاز هذا الخط اذا بالسائق وهو سكران يطلق له عنانه فزاغ القطار عن الخط وهوى الى اسفل المنحدر وكان هنالك عاشقان يتعانقان فسحقها سحقاً وظل احدهما — وهو الشاب — حياً فجاءوا ينقلونه الى المستشفى فابى وقال : « دعوني أجرع كأس الموت الى جانب التي احببت! ... » وهكذا كان فما مضت عليه ساعة من الزمن حتى فاضت منه الروح!

— مسكين !

— لا ، بل قولي عنه انه سعيد ، فقد مات شهيد الحب ، والاستشهاد في سبيل الحب شائق جميل لا تقل البطولة فيه عن الاستشهاد في سبيل الوطن ، وانا لو كنت مكانه لفعلت فعله ، اما انتِ فلا ادري ما كنتِ تفعلين !

فلم تجب بشيء ، قال : ألم تعرفي طعم الحب يا ناديا ؟

فاطرقت الى الارض عن حياء وخجل ، فقال : ما بالكِ تسكتين ؟

فقالت : ان سؤالك لذو خطر !

— وكيف ؟

— اراك تبغي به معرفة اسرار قلبي !

— وهل تخجلين من ابداء تلك الاسرار ؟ ... ليس في الحب خجل يا ناديا !

فارسلت اليه بنظرات الهيام وقالت له : وانت من تحب ومن هي التي تهوى ؟ ...

فقال : أتريدين ان اروي لكِ حكايتي يا ناديا ؟ ... اني لم اشعر بالحب الا منذ اربع وعشرين ساعة ، وكنت قبلاً اجهل ما هو ، ويخيل اليّ ان التي اهواها تجهل حبي لها ، على اني سافضي به اليها ، ساهمس في اذنها حبي واتوسل اليها ان لا تخيبني فيه ،سانشده على مسمعها خاشعاً متذللاً ، سأترنم به امامها كما اترنم بأناشيد الصلاة امام رب الكون ، ساذرف على مرأى منها دمعي مستعطفاً ، اني احبها يا ناديا ، اني احبها ، ولو كانت هي نفسها تعلم ما بي لاسرعت تطوقني بذراعيها وتقول لي : « اني احبك يا وليم ، اني احبك، فمن كان مثلك ذا عواطف رقيقةوحب شريف ليس بكثير عليه ان اقدم له قلبي وروحي!»

وكان وليم في حالة تأثر شديد ، فالاخلاص بدا في اقواله وحركاته ،ونظر الى ناديا يتأمل ما تركت فيها كلماته من الاثر فاذا بها تبكي ، اذا بها تنثر الدمع على خديها ، فصاح : ناديا ، لماذا تتألمين ، لماذا

تبكين ، قولي ، بربك قولي ، هل اسأت اليكِ ، هل غاظتك مني صراحتي ! ...

فقالت متلعثمة وقد غلب عليها الدمع : وليم ، اني اشعر بما شعرت به ، وحبي ايضاً قصير الامد ، فهو مثل حبك يرجع الى اربع وعشرين ساعة !

فطوقها بيديه وصاح : ناديا ... حبيبتي ! ...

وفتشت الشفاه عن الشفاه ، وتعانق الحبيبان عناق الهيام ، وروى كل منهما للآخر حكايته وما اتفق له ، وجلسا عند ذلك المنحدر لا يحسبان حساباً للمارين ولا للساعات تنقضي وتذوب ، فقالت ناديا : اني اخشى امراً واحداً يا وليم !

فقال : وما هو ؟

قالت : ان لا يتم عقد الزواج بيننا وانت ابن مدير السكك الحديدية وانا ابنة سائق القطار !

فنهض ورفع يده اليمنى الى السماء كأنه يستشهدها على كلامه وقال : لا عشت اذا فكرت يوماً بنسبي ونسبك يا ناديا ، فانت لي مدى العمر ، والحب لا يعرف اصلاً ولا حسباً ، فمتى خفق القلب تتدحرج دونه الحواجز والعقبات ، انت لي وستكونين لي الى الابد ! ...

— ٥ —

اعتاد سليم عاصي ان يعتني كل الاعتناء بالقطار الموكول اليه ، فكان يهتم بتنظيفه واصلاحه ، وبينا هو يقوم ذات صباح بتنظيف القاطرة اذا به يسمع من يشتمه بقوله : ابتعد من طريقي ايها الاحمق ! ...

وسليم عاصي الذي لم يسمع الشتيمة في حياته التفت غاضباً الى هذا الذي تجرأ على اهانته فاذا هو امام شاب جبار القامة ليس له الا ان يهوي على سليم بقبضة يده ليلصقه بالارض

ولم يصبر سليم على الاهانة فصاح بالجبار : انت هو الاحمق ، ألا تراني أنظف قاطرتي ؟ ...

فاجابه خصمه متهكماً : ابتعد من طريقي قلت لك والا سحقت رأسك !

فعرف سليم عاصي ان الشاب الجبار سائق قطار مثله ، وانه يسوق قطاره على الخط نفسه فلا يستطيع المرور وقطار سليم واقف في الطريق ، ومع هذا ابى ان ينحني امام الشتيمة فقال لمخاصمه : انك لوقح غر ولولا حب المصلحة وواجبها لكنت انفي في وجهك الى الابد !

فقبض الجبار على سليم عاصي وحمله الى القاطرة وقال له بكل احتقار : اعرف مقامك ايها الصعلوك ، اعرف مقامك وانقذنا من رائحتك المنتنة !

فخرج سليم عاصي عن الخط الى خط آخر وهو يهدد الجبار بقبضة يده قائلاً : سترى كيف انتقم منك !

فسخر به السائق الجبار ودفع قطاره الى الامام هازئاً شامتاً ، فتأفف سليم عاصي وامتعض ولكن ماذا يستطيع ان يفعل وخصمه يملك قوة نادرة المثال ؟ ...

وصبر على بلواه ، وسأل عن خصمه فقيل له : هذا هو « توماس هاريسون » اقوى عامل بين عمال

سكك الحديد !

وقيل له ايضاً ان لا يحتك بذلك الجبار الشديد الخطر ، فان كثيرين من العمال اصطدموا به وكان نصيبهم اما كسر ايديهم او ارجلهم او تحطيم اضالعهم

فقال سليم عاصي : لا بد من ان انتقم منه ولو لقيت ما لقيت !

ووطد النية على الانتقام ، وكان قد لعب الشيب برأسه وقد خمدت فيه قوة الشبـاب ، ولكن قلبه لا يزال شاباً وعزمه لا يلين ولا يعرف الاحجام

وبينا هو يفكر بوسيلة ينال بها من خصمه اذا به يسمع احد رفاقه يناديه قائلاً له ان مدير السكك الحديدية في حاجة اليه ، فقال في نفسه : وماذا يريد المدير مني ، أيريد ان يرفع رتبتي ؟ ... حبذا ! .

ودخل ديوان المدير ... بكل احترام ، فنظر اليه المدير قائـلاً : أانت هو سليم عاصي الرجل السوري ؟

— نعم يا سيدي !

— كم لك في خدمة شركتنا ؟

— خمس وعشرون سنة !

— انها لمدة طويلة ، ولذلك رأينا ان نجعلك ذا حق في التقاعد ، ففي وسعك ان تتخلى منذ الان عن العمل !

فلم يكن سليم عاصي لينتظر هذه المفاجأة ، ودهش كل الدهش ان يكون نصيبه الطرد من خدمة طوى فيها شبابه ، فقال للمدير : لا ازال قادراً على العمل فلماذا الاستغناء عني ؟

— لاننا استغنينا عن قطارك !

— ان في وسعي العمل في قطار آخر !

— ليس لدينا الان غير وظيفة وقّاد ، فهل تروقك هذه الوظيفة ؟ . . .

فكانت الصدمة اقوى من ان تحتمل ، أيعود سليم عاصي الى ايقاد النار في القطر الحديدية مثله يوم وصل الى اميركا ، أيقضي كل ذاك العمر ولا يتقدم خطوة واحدة ؟ ... هذا هو التقهقر بعينه . واوجعه ان يقيم بلا عمل فاجاب مدير السكك الحديدية متأثراً بقوله : اني اشتغل حيث يريد سيدي المدير ، فكل قصدي ان لا ابيت بلا عمل ، فالبطالة لا احبها !

فقال له المدير : عليك اذاً ان تشتغل وقّاداً في القطار ذي الرقم ١٣

فوقع الرقم « ١٣ » كالمصيبة على رأس سليم عاصي وقال : أيلحق بي الشؤم حتى القبر ؟ . . .

وشاء ان يعرف من هو سائق القطـار ١٣ فجاء يبحث عنه فاذا هو خصمه « توماس هاريسون » فصاح وقد انفجر صدره بالتأوهات : أأعود الى مهنة وقّاد ، واشتغل في القطار ذي الرقم ١٣ ، ويكون رئيسي فيه ذلك الجبار اللعين ؟ . . .

فما كان ليستطيع احتمال هذه الضربات المتوالية ، واسرع الى داره يروي لابنته حكايته فتسألت الفتاة لمصاب ابيها وطاب لها ان تساعده بان تلتجىء الى حبيبها « وليم » ابن المدير ، الا ان اباها قال لها : لا حاجة بنا لشفاعته ، فاني لراض بنصيبي من الدنيا !

وجاء يشتغل في القطار ذي الرقم ١٣ ورئيسه الجبار يضحك منه قائلا : الافضل لك ان تعتزل العمل ، فاني لا ارى فيك من القوة ما يساعدك على الاشتغال في هذا القطار الضخم !

فغضب سليم عاصي وقال : اني اقوى منك !

فقهقه الجبار ضاحكاً واخذ يقول : ستموت ايها الشيخ ، ستموت !

وبينما « توماس هاريسون » يهزأ بسليم عاصي اقبلت « ناديا » تسأل عن ابيها ، فلما ابصرها الجبار كاد يجن بها جنونه ، فقال لسليم : أهي ابنتك هذه الفاتنة الحسناء ؟

قال : نعم ، هذه ابنتي ووحيدتي !

— ولكنها جميلة جداً !

وناداها قائلا : اني اهنىء حضرة الانسة بحسنها الفريد !

فقالت وهي تبتسم : شكراً !

قال : ان اباك صديقي الحميم !

فكاد سليم عاصي يقول له : « انك لكاذب ، فانت عدوي الالد ! . . . » ولكنه آثر السكوت ، ومضى الجبار في محادثة ناديا وهي تجيبه بكل لطف والابتسامة لا تفارق شفتيها ، ولما حان موعد سفر القطار ود السائق لو يبقى الى جانب الفتاة ، ولكن سليم عاصي جذبه الى القاطرة قائلا له بجفاء : حان الموعد!

فنظر اليه « توماس هاريسون » نظرة طويلة من رأسه الى اخمص قدميه كاد بعدها ان يصفعه ، الا انه لم يفعل لاجل ناديا ، فودع الفتاة واقام في القاطرة يأمر وينهي ويشدد على سليم عاصي في اضرام الفحم ويدعوه للاسراع في العمل ، وكلما شاء المسكين ان يأخذ لنفسه قليلاً الراحة اقام عليه القيامة ، فكان يقول له : أرأيت انك عاجز ، أرأيت ان لا نفع منك يرتجى ؟ . . .

فصبر والد « ناديا » على الاهانة والشتيمة وبذل كل ما لديه من جهد الى ان تضعضعت قواه والسائق الجبار ينظر اليه ضاحكاً ساخراً ويرهقه بكلماته المؤلمة الموجعة . وبلغ العياء من سليم مبلغه الاقصى وكاد يرتمي في ارض القاطرة لولا عزة نفسه وشماتة السائق الظالم به ، وادرك « توماس هاريسون » بان التعب استولى على المسكين فقال له : أتجيبني الى ما اطلب منك اذا توليت عنك العمل ؟

فقال سليم عاصي : لا حاجة بي اليك !

فسكت الجبار الى ان نفدت قوى سليم بكاملها وقال له : والان ، ألا ترضى بشرطي عليك اذا ساعدتك في مهمتك ؟

فقال سليم وقد غاظه ان يعترف بانكساره : وما هو هذا الشرط ؟

= هو ان اصحبك في هذه الليلة الى دارك !

— وما العمل في داري ؟

= اريد ان اجرع واياك كأساً من الخمر !

— ولماذا لا نجرعها في مكان آخر ؟

— ألا تستقبلني في دارك؟

فبدا لسليم عاصي ان يرضى بشرط سائق القطار عليه ، وهو ما رضي بذلك الشرط الا بعد ان خارت قواه وسال العرق من جسده فبلل ثيابه ، وارتمى في ارض القاطرة لا يشعر ولا يعي ، وناب عنه السائق الجبار في ايقاد الفحم ، فكان يحمل اكداس الفحم بين يديه ويلقيها في احشاء القاطرة كأنه لا يحمل شيئاً ، وفي المساء لما عاد القطار الى المحطة الكبرى اضطر سليم ان يدعو السائق الى منزله قائلاً لابنته : ان توماس مدعو الى كأس من الخمر يتناولها عندنا فأعديها له! . . .

فاجابت ناديا : بكل طيبة خاطر ، اهلاً بالمستر توماس ! . . .

واسرعت الى اعداد الكأس ، ورحبت بالسائق اجمل ترحيب ، واخذت تحادثه بلطفها المعتاد ، فخيل للجبار انها وقعت في الشرك وامست تحبه خصوصاً وهو ممن يعتقدون انه بنظرة واحدة يستولي على العقول والقلوب

وشعرت « ناديا » بحركة في الغرفة المجاورة فقامت اليها ، واستبطأها الجبار فقال لابيها : اين حضرة الانسة ؟

قال : ستأتي . . . فصبراً ! . . .

— وماذا تفعل هناك ؟

— انها تعد لنا الأطعمة !

— ولكني اسمعها تتحدث ، فمن يحادثها ؟

— انها تحادث الببغاء !

— واين هي هذه الببغاء ؟

فقام سليم عاصي الى الغرفة المجاورة وجاء منها بالببغاء وقال : هذه هي ، خاطبها لتحييك ! . . .

فرأى الجبار ان يخاطب الببغاء ليسمع تحيتها فاذا هي تقول : من هو ضيفكم يا ناديا ؟ . . . — رجل احمق ثقيل ! . . .

فانتفض السائق الجبار ورفع قبضة يده يهدد بها سليم عاصي قائلاً له : يا لئيم ! . . .

ووثب الى الغرفة المجاورة فاذا به يبصر « ناديا » الى قرب شاب جميل ، فازغى وازبد وصاح بهما قائلاً : الويل لكما! . . .

ولكنه وقد عرف في الشاب ابن مدير السكك الحديدية تراجع صاخباً ناقماً يقول لسليم عاصي :

انك لكاذب ايها النذل ! . . .

والتفت الى ابن مدير السكك الحديدية يقول : وليم ، اني ادعوك الى البراز وموعدنا غداً ! . . .

وقال للفتاة : اما انت فلا ألومك ويكفي ان تكوني ابنة ابيك النذل !

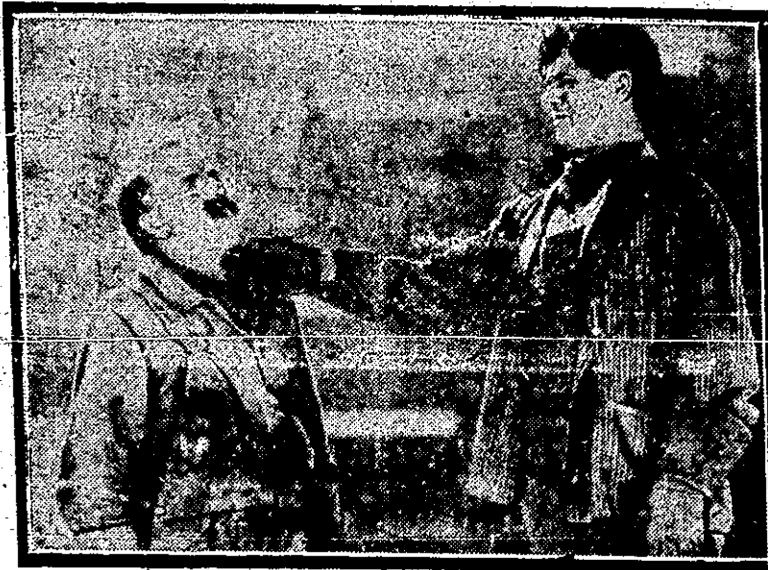
وخرج من المنزل يهدد ويتوعد وكان في نيته ان ينتقم في البدء من حبيب « ناديا » ثم يعود الى ابيها فيلقي عليه امثولة عنيفة في الصدق ثم يرغم « ناديا » على قبوله زوجاً لها

هذه هي الافكار التي تبادلت الى ذهن الجبار الغاضب الناقم ولم يحفل بكون خصمه ابن سيده ومولاه ! . . .

## - ٦ -

وكان صباح اليوم التالي ، فاوفد « توماس هاريسون » شهوده الى ابن مدير السكك الحديدية يدعوه لمبارزته

وضرب الموعد لا يبالي بنتيجة اقدامه الغريب ، فقد ضمر لابن سيده الشر وعزم على احتقاره وامتهانه امام العمال اجمعين ، ولسيده ان يطرده بعد ذلك من العمل فلا شأن للطرد لديه فالمهم عنده ان ينتقم ممن يزاحمه على « ناديا » ومتى انتقم يفعل الله ما يشاء !



ولكمه لكمة قوية ساخراً هازئاً ! . . . ( صفحة ١٨ )

وتلقى ابن سيده الدعوة الى البراز بكل رباطة جأش وقال : ساوافيه في الموعد المضروب واؤدبه ، فلا اطيق ان يقال عني اني ركنت الى الفرار ! . . .

ولكن « ناديا » كانت هناك فاخذت تستحلفه ان لا يفعل قائلة ان « توماس » هذا شرير ، ولا يليق به وهو ابن رب العمل ان ينازل عاملاً حقيراً كالسائق الجبار

قال : يجب ان يعرف مقامه ، فلا بد من تأديبه ! . . .

وارتدى قبعته وخرج من دار سليم عادي ، الا ان ناديا امسكت به واخذت تقول : اذا خطوت

خطوة واحدة من هنا قتلت نفسي !

فقال : ولكنهم يعتقدون اني جبان !

— ليعتقدوا ما شاءوا !

— هذه وصمة عار لا ارضاها لنفسي !

— سيذهب ابي اليه يبلغه انك مريض !

— وهذا اقرار مني بالانهزام !

فوقفت امامه بكل ما فيها من عزم وصاحت : لا اريد ان تبتعد من هنا شبراً واحداً ، واذا فعلت افرغت رصاص هذا المسدس في صدري !

وكانت قد انتزعت منه مسدسه وسددت الفوهة الى صدرها قائلة : اما انا او هو ! . . .

فحار « وليم » في امره وقال : ما العمل اذاً ؟

= العمل ان توفد اليه ابي !

وكان سليم عاصي هناك فقال : نعم سأذهب اليه واقنعه بان ثمة سبباً قاهراً حال دون تلبيتك النداء !

= وماذا تراهم يقولون عني ؟

= وماذا عساهم ان يقولوا وهم يعلمون انك لا تتنازل لمبارزة رجل سافل كتوماس هاريسون !

قال : اذاً اريد ان يعرف العمال باجمعهم سبب امتناعي عن المبارزة ، فتطلعهم جميعاً على امري قائلاً لهم ان ابن مدير السكك الحديدية يرى من الغضاضة عليه ان ينازل رجلاً دونه مقاماً !

فاجاب سليم : سافعل ، كن مطمئناً ! . . .

وقصد الى ساحة البراز فاذا « توماس هاريسون » هناك يتخطر بقامته الطويلة ، ولما ابصر سليما جاء اليه يقول : اين ذلك الطفل ابن مدير السكك الحديدية ؟

فاجاب : لقد اوفدني اليك !

= لقد اوفدك الي لتبارزني انت الشيخ الكسيح ؟

ولكم سليم عاصي لكمة قوية تحت ذقنه ساخراً هازئاً وهو يقول : ارجع الى دارك ايها الاحمق وانت في صحة وعافية لئلا تعود اليها محمولاً على النعش !

فغاظ سليم عاصي هذا الخطاب ، وهو الذي اقبل يبلغ رسالة « وليم » قائلاً عنه انـه مريض شعر بانه مدفوع لمبارزة ذلك الوقح المتغطرس مع يقينه بانه دونه قوة ومعرفة باساليب البراز

فصاح بالسائق الجبار : اراك تمتهنني جداً ايها النذل!

— أنذل انا ؟

— نذل وسافل ايضاً !

فضحك توماس وجاء الى سليم عاصي يرفعه بين يديه كما يرفع طفلاً ابن خمس سنوات ، وحمله بين رفاقه المجتمعين هناك ليشاهدوا ادوار المبارزة ، فكان سليم يجتهد في الافلات من قبضة الجبار والعمال يضحكون بلء افواههم كأنهم امام رواية هزلية

فتألم سليم عاصي من قحة الجبار واستخفافه به ، واستطاع الافلات منه فوثب الى الارض وصاح بخصمه : لقد احرجتني ايها الوغد !

فقال توماس هاريسون ضاحكاً : واخرجتك أليس كذلك ؟ . . . هل لك في المبارزة ؟ . . .

فرأى سليم عاصي انه امام الامر الواقع ، وانه اذا احجم عن مبارزة الجبار اضحى سخرية في عيون رفاقه اجمعين ، ولم يملك غيظه فقال : اني لعلى استعداد لها !

والتفت الى رفاقه العمال قائلاً : من يريد منكم ان يكون من شهودي ؟ . . .

فمشى اليه اثنان من العمال يقولان : نحن ! . . .

واقترب شهود « توماس هاريسون » واتفق الجميع على كتابة عقـد البراز ، وكان العمال يهزأون بسليم عاصي ويلومونه على مغامرته ، فالنتيجة كانت معلومة لدى الجميع ، فان سليماً هو المغلوب وتوماس الظافر

ووقف العمال ينظرون الى ادوار المبارزة ضاحكين ، فكانوا يرقبون كيف يقـاوم سليم عاصي خصمه الجبار

فالمبارزة اضحت لديهم هزلية بعد ما كانوا ينظرون اليها بجد واهتمام خصوصاً وقد جاءهم ان ابن سيدهم سيصطدم بالسائق المتين العضلات الضخم الجثة توماس هاريسون

وكان سليم عاصي يعلم عن خصمه ان به داء أليماً في رجليه ، فهو يتوجع اذا وقعت عليهما الاقدام

وبدأت المصارعة ، فوقف سليم عاصي امام خصمه الجبار كأنه الريشة تتقاذفه نسمة الريح ، وضحك « توماس هاريسون » في ذلك الموقف وتناول سليماً بيديه ورماه الى الارض ولكن سليم لم يسقط فظل واقفاً ، وهجم على توماس يطأ له رجليه ، فصاح السائق الجبار : لقد اوجعتني يا لعين ! . . .

واخذ يبتعد جهد الطاقة من سليم عاصي وينهال عليه بالضرب ليسحقه سحقاً الا ان سليماً ترامى في الارض وامعن في ضرب توماس هاريسون على رجليه وتوماس يصيح من فرط الالم ، ولما اعياه الامر رفس سليم عاصي رفسة ألقاه بها على ظهره ولحق به ليجهز عليه الا ان سليماً كان قد نهض وراح يضرب خصمه على رجليه الى ان كاد يذهب بقواه

فتعجب العمال وهم الذين حسبوا ان توماس سينتصر منـذ الدقيقة الاولى ، واخذوا يرقبون النتيجة بشغف ، وكان سليم عاصي قد ارهق خصمه واحرجه فاثار منه الغضب وجعله يرغي ويزبد كالبعير

وعاد توماس فحمل سليم عاصي بين يديه وقذفه الى مسافة عشر خطوات وسليم كالديك لا يعرف السقوط ، فان عزم الشباب اتقد في صدره وعرف انه اذا هان امام ذلك الجبار امسى سخرية الجميع ،

فعليه ان يتذرع بكل ما عنده من رباطة جأش وقوة وثبات

ومشى الى قهر خصمه لا يضربه على سوى رجليه وانين ذلك الخصم يشق عنان السماء ، وصاح العمال : اين قوتك يا توماس ، أيقهرك هذا الصعلوك ؟ . . .

فعز على توماس هاريسون ان يسمع من رفاقه كلمات الشماتة وانقض على سليم عاصي بقوة الجبابرة ، وخاف سليم ان ينال خصمه منه ففر من امامه راكضاً بين الادغال ورفاقه العمال يضحكون، فلحق به توماس وهو يشتم ويلعن ويصيح قائلا : سترى ايها الاحمق ، سترى الى اين تقودك مغامرتك!.

ووقف سليم ينتظر الجبار ، فضربه على رجليه لما دنا منه ، فتألم توماس هاريسون ووقع من شدة الالم الى الارض ، فهوى عليه سليم عاصي وظلا في عراك الى ان وهنت قوى توماس هاريسون لشدة ما اصابه من ضربات على رجليه فقال : آه لقد غلبتني ايها الاثيم ! . . .

فصفق العمال لسليم عاصي ورفعوه على الاكتاف قائلين : ليحي الصعلوك قاهر الجبار ، ليحي داود قاتل جليات ! . . .

وطافوا به محطة سكة الحديد وهم يهتفون له ، وظل « توماس هاريسون » مطروحا على الارض يئن من الالم الى استطاع النهوض بعد عجز فاسرع تواً الى حجرته يرقد كالميت من شدة عيائه ويأبى ان يبصر احداً من الرفاق بعد خذلانه المخجل واخفاقه الغريب ! . . .



اقام مدير السكك الحديدية الى منضدته وألقى رأسه بين يديه ثم نهض ثم ترامى على مقعده ثم اخذ يروح ويجيء في ديوانه كأنه في هم مقعد مقيم

وكان عابس الوجه تائه النظر ضائع الصواب ، يلقي بين حين وآخر نظره على برقية مطروحة على منضدته ويسائل نفسه قائلا : ما العمل ، ما التدبير ، أيكون صحيحاً ما جاء في هذه البرقية ؟ . . .

فلم يكن ليصدق ان ما حوته البرقية صحيح ، فاعاد تلاوتها عشر مرات وفي كل مرة يرتاب بصدقها، والاخيرا قال : يجب ان ألحق به ، فمن المحتمل جداً ان احول دون جنونه ! . . .

وماذا ورد في تلك البرقية العجيبة ؟ . . . ذلك ما شاء مدير السكك الحديدية ان يبقيه سراً مكتوماً عن الجميع ! . . .

وتناول الهاتف وقال يخاطب موظف المحطة : اريد ان اركب القطار في هذه الساعة الى نيويورك فاعدوا لي اسرع قطار عندنا !

واسرع قطار هو القطار ذو الرقم ١٣٠ فنادي موظف المحطة السائق « توماس هاريسون » وقال له : سيركب حضرة المدير القطار بعد خمسة دقائق من الزمن قاصداً الى نيويورك فأسرع بتلبية ندائه !

فامتثل « توماس هاريسون » للامر ، وكان قد ارتاح من اوجاعه الا انه ما برح شديد الحقد على سليم عاصي بعد ذلك الانهزام

واعد قطاره الى نيويورك ، واقبل سليم عاصي يوقد النار ، فكان توماس يخاطبه بشكل احتقار ، فقال له : ما لي اراك غاضباً يا حضرة الجبار ؟ . . .

قال : عليك ان تودع في هذه الرحلة حياتك !

وكان سليم قد استأسد بعد فوزه المبين فضحك وقال : سنرى من منا يودع حياته !

واذا بساعي البريد يحمل الى سليم عاصي رسالة برقية ويقول له : لي ساعة من الزمن ابحث عنك !

ففض سليم البرقية وقرأ فيها :

« ابي العزيز — لا تتألم لهجري اياك ، فقد ركبت القطار الى نيويورك مع حبيبي « وليم » ولا تكاد تصل اليك برقيتي هذه حتى نكون قد تزوجنا ! . . . »



وظلا في عراك الى ان وهنت قوى توماس . . . (صفحة ٢٠)

فدهش سليم لهذه البرقية ، وشاء « توماس هاريسون » ان يعرف ما دعا وقاده لهذا الدهش فخطف من يده البرقية بكل وقاحة وقال : هاتها ! . . .

فاعترض سليم عاصي ، فقبض منه الجبار على يده ومنعه من الاتيان بحركة وتلا البرقية ، وما هو ان وقف على مضمونها حتى اضطرب وصاح بسليم : يا ماكر ، أتتزوج ابنتك سواي ولا تخبرني ، والله اذا تزوجت قبل ان نصل الى نيويورك قتلتك !

وهدده بقبضة يده ، فسكت سليم وكان ما يشغله ان يعرف كيف رضيت ابنته بالفرار مع ابن المدير

وقال توماس هاريسون : ادركت الآن لماذا يطلب المدير الوصول الى نيويورك في اقرب وقت مستطاع ، فقد علم ان ابنه فر بابنتك ليتزوجها فساءه الامر واسرع ليمنع هذا الزواج وسترى مني اني له من اشد المساعدين ، فان ابنه لن يتزوج ناديا ! . . .

ولقد اصاب « توماس هاريسون » في قوله ان مدير السكك الحديدية يكاد يتمزق غيظاً لوقوفه على نبأ زواج ابنه ، فالبرقية التي اقامت المدير واقعدته وردت عليه من ابنه وليم وفيها يخبره بانه فر مع

« ناديا » قاصدين الى نيويورك حيث سيتزوجان

ولم يكن سليم عاصي شديد الارتياح لهذا الزواج مع كل ما فيه من فائدة له ، فقد ابت عليه عزة نفسه ان تفر ابنته من منزله لتتزوج من تهوى ، وآثر ان تبقى الى الابد في البيت لا تجد من يتزوجها على ان تفر منه لتتزوج شابا راقياً جميلًا لا يتسنى لها مثله في العمر

واجتهد في ايقاد النار ، واحتمل رعونة « توماس هاريسون » ولم يغضب الا لقول السائق الجبار ان « ناديا » لا تتحلى بالادب ، وانها لو كانت مهذبة لظلت في دار والديها لا تخرج منها ولو نثروا لها الذهب تحت قدميها ، فقال له سليم عاصي : لا تتدخل في ما لا يعنيك يا توماس ! . . .

وكان القطار ينهب الارض الى نيويورك ، فالكم السائق الجبار وقاده سليم عاصي ، وكان سليم لا يزال في نشوة الظفر فلطم توماس ، وراحا يتبادلان الصفع واللكم والضرب الى دفع توماس هاريسون خصمه الى خارج القاطرة ، فما كان من سليم الا ان تمسك باذيال السائق الجبار وسقط الاثنان الى الارض والقطار ما برح يشق تلك الفيافي وحيداً لا من يسوقه ولا من يقيه خطر الهلاك

ولم يؤثر السقوط بالسائق والوقاد ، فنهضا ولم يصبهما اذى . ولكنهما شعرا بان هفوتهما جسيمة وبان القطار سيتحطم لامحالة ويقتل كل من فيه

لقد شعرا بالتبعة الكبرى . وتناسيا احقادهما في ذلك الموقف الحرج . وقال توماس يخاطب سليما : ما العمل ؟ . . . ما العمل ؟ . .

وحار في امره ، وسليم حار في امره ايضاً ، فلقد ارتكبا جناية فظيعة ، ونظر كل منهما الى الاخر يسأل رفيقه عما يجب عليه ان يفعل ، وارسل سليم بنظراته الى القطار الجامح فقال : ما اعظم المصاب !

ووقعت عينه على خط قريب منه ، فاذا هناك قاطرة قديمة ، فوثب اليها ونادى توماس هاريسون قائلا : اتبعني ! . . .

فقد عرف في القاطرة قاطرته القديمة التي طلبوا منه التخلي عنها والاشتغال كوقاد بعد ان كان سائقها ، فقال لتوماس : انا هو السائق الان وانت هو الوقاد ، فهذه قاطرتي واني احسن قيادتها ! . .

وجلس بكل عظمة يدير القاطرة ، واشتغل « توماس هاريسون » في خدمته يفعل ما يأمره به ، ومن حسن حظهما ان الخط الحديدي الى نيويورك مستقيم جداً فلا يلتوي ذات اليمين وذات اليسار ، وسارت القاطرة القديمة على ذلك الخط وتوماس هاريسون يوقد النار بسرعة فائقة وسليم عاصي يحث السير ليلحق بالقطار الشارد ، وكادا اوشكا ان يدركاه تصاب القاطرة ببعض العطل فيها يقتضي قليلًا من الاصلاح ، فيشتم توماس ويلعن ، ولكن سليم عاصي يخفف من حدته قائلًا له : لا بد ان ندركه ! . . .

ودفع قاطرته في سير عنيف ، فكادت تدرك القطار ، واذا بتوماس هاريسون يصيح : هذه هي الهوة ، اذا لم نكن في القطار بعد دقائق خمس سقط فيها ! . . .

ومضت الدقيقتان الاولى والثانية وسليم عاصي وتوماس هاريسون يكافحان ، فادركا القطار ، ولما ادركاه

تنفسا عن غبطة وابتهاج ، ولكن الخطر ما برح ماثلاً لأعينها ، فوثبا الى القطار واجتازا حافلاته بخفة ودهشة الى ان بلغا القاطرة ، وكان بينها وبين الهوة نصف دقيقة من الزمن فاستطاع هاريسون ان يدفع عنها الخطر وارتمى في ارضها يلهث من التعب والعياء ، فقال : الحمد لله ! . . .

ونظر الى سليم عاصي قائلاً له : لولاك لكنت الان في اعماق السجون ! . . .

وصافحه وقبله وهو يقول : عفوك عني يا سليم ، وهيابنا الان نبلغ نيويورك كي يرضى عنا حضرة المدير !

ونسي حبه لناديا وقال لأبيها : اني اهنئها بزوجها الشاب الجميل الكامل الصفات ! . . .

ووصلا الى نيويورك ، فوثب مدير السكك الحديدية من القطار ، واسأل ساعته عن الوقت فبدا له انه وصل الى المدينة في وقت قصير جداً ما كان ليعتقد انه يكفي لاجتياز تلك المسافة الطويلة ، وكان يقول : يجب ان امنع زواجهما !

ونادى سيارة وطلب من السائق ان يقوده الى دائرة الشرطة ، وفي دائرة الشرطة سأل عن ابنه في اي فندق يقيم ، فارشدوه اليه ، وقادته السيارة الى ذلك الفندق فقيل له ان الشاب والفتاة خرجا منذ هنيهة الى الكنيسة للاحتفال بعقد الزواج

فقال : واين هي هذه الكنيسة ؟

فرافقه دليل يهديه اليها ، وما كان اشد استيائه لما رأى العروسين يخرجان منها يتأبط كل منهما ذراع الاخر ، ولكنه وقد رأى نفسه امام الامر الواقع فما عساه ان يفعل ، فكظم غيظه وابدى كل ارتياح واقترب من ابنه ومن عروس ابنه يهنئها قائلاً : اني ادعو لكما بالتوفيق ! . . .

وقبل ابنه وقبل ناديا في جبينها قائلاً لها : اني ارحب بك اجمل الترحيب وافتح لك باب منزلي على مصراعيه ! . . .

والتفت الى الوراء فابصر توماس هاريسون وسليم عاصي ، فناداهما اليه قائلاً :

— اقتربا مني ، لقد احسنتما قيادة القطار واجترتما في وقت قريب مسافة طويلة ، ولهذا فاني ارفع رتبتكما وازيد مرتبكما ! . . .

فعاد سليم عاصي الى وظيفة سائق قطار وتولى توماس هاريسون مهمة الاشراف على سير القطر الحديدية في المحطة الكبرى ، وعندما يروي سليم عاصي لابنته حكايته في الاوطان واحلامه الكبار تقول له ناديا : وماذا جرى بتلك الاحلام يا ابي ؟ . . .

فيجيب : لقد تحققت بكِ يا ابنتي ، ألستِ زوجة اكبر رجل مثري في هذه الارجاء ؟؟؟

تمت

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية اسبوعية مصورة

الرواية التامة

## بين انياب الذئب

صاحب المجلة ومنشيها : كرم ملحم كرم

العدد ١٠٥

السنة الثالثة

بيروت في ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٠

# بين انياب الذئب

هي ليلة ماطرة احتجب فيها الافق واحتجب وجه السماء وراء الغيوم السود ، واقفرت الشوارع ولجأ الناس الى بيوتهم يتقون العاصفة والزمهرير ، وخلت الحانات الا من السكارى اللاعبة الخمرة برؤوسهم وقد خيل اليهم انهم من السلاطين

وتفجر صدر السماء بالبروق والصواعق ، وهطلت الامطار بعزم وغزارة فامست بيروت اشبه بالبحيرة ، ولكنها بحيرة ذات مياه حمراء عكرة تتواثب في احشائها السواقي كأنها ثعابين

وفي منزل فخم من منازل رأس بيروت الكبرى ، في منزل سطعت الثروة في جنباته وقاعاته واعاليه ، كان مصباح أخضر اللون يضيء حجرة خضراء الجدران جلست فيها امرأة تبلغ الخامسة والثلاثين من العمر

وقد دلّ منظرها على ان بها قلقاً وارتباكاً ، فكأن كل ما بها من صبر قد فرغ ونفد . وكانت تنهض في الدقيقة بعد الدقيقة الى زجاج النافذة وترسل بانظارها الى الطريق العام المتدفقة فيه السيول والامطار ثم تعود فتجلس باضطراب ظاهر وتقول : لقد حان موعده ، فما باله يتأخر عن المجيء ؟ ...

ولم تطق الجلوس ، فقامت الى النافذة تلصق جبينها بالزجاج وتقول : متى تراه يأتي ؟ ...

فلم يلفت انظارها المطر الغزير ، ولا غضب السماء ، فكل ما شغل بالها ان يأتي ذلك الذي تنتظر مجيئه بشغف وشوق ولو اضطر للسير تحت الامطار ، ولو بللته السيول ، ولو انقضت عليه الصواعق

وكادت لشدة امتعاضها من تأخره تبكي ، فالانتظار اوجعها وذهب بكل ما لديها من جلد وطول اناة فمن تنتظر ؟ . . لا ريب بانها تنتظر عشيقاً ، فان قلبها بان يتوجع لتأخر ذلك العشيق عنها ، ودبت الغيرة الى صدرها فقالت وهي تتململ واسنانها تطحن بعضها بعضاً من شدة الغيظ : أتراه مال عني الى سواي ؟ ... لم يكن هذا شأنه معي في بدء عهدنا بالحب ! ...

وهذه الفكرة ، فكرة ان يكون تناساها ، زادت في آلامها واوجاعها ، فارتمت على مقعدها وهي ترتجف من شدة الجزع والغضب ، وسال الدمع على خديها ، فما كان منها الا ان خبأت وجهها بيديها وقالت وهي تجهش بالبكاء : لقد خانني اللعين ، لقد خانني ! ...

ومن نظر اليها في قامتها الطويلة ، وبشرتها البيضاء ، وصدرها الرجراج ، وجسمها الممتلىء صحة وعزماً وشهوة وشباباً لا يتمالك ان يقول انها ممن يتقدن شوقاً للصبابة والغرام

ولقد كانت جميلة، بل هي ممن اشتهرن في بيروت بالجمال، واشتهرن بالثروة والغنى ، ولكن شرفها لم يكن مصوناً ، فمات زوجها كمداً وحزناً على نكبته بها ، وحاول مراراً ان يردعها عن طيشها فما كانت لترتدع وتنثني ، فعزم على ان يهجرهـا ، ولكن الموت فتك به قبل ان يتم الهجران فراحت تتلاعب بثروته وتنفقها على شهواتها وملذاتها

ورُزقت من زوجها ابنة ، فما ابقتها في المنزل بل اسرعت في ان تعهد بها الى الراهبات واستأثرت وحدها بثروة زوجها وبتراث ابنتها

وفتشت لها عن عشيق ، والعشاق في بيروت كثيرون ، ووجدته في شاب كامل الحسن والبهاء لا يزال في اول عمره وشبابه ، وعنفوان قوته وعزمه ، لطيف ، كريم ، لذيذ المعشر ، لذيذ الحديث

ولقد خافت ان يسلبوه منها ، ولشدة غيرتها عليه كانت تود ان يبقى ابداً الى قربها ، ولكنها خافت ألسنة السوء واشفقت على سمعة ابنتها فتركت للعشيق حريته في نهـاره على ان يكون في الليل اسيرها

وفي هذه الليلة الثائرة فيها الطبيعة بعضها على بعض تأخر العشيق ، وفي هذه الليلة بدأت الوساوس تتلاعب بدماغ ابنة الشهوة ، فقالت وهي كأنها على نار : ساغلق دون هذا الشقي بابي !

ولكنها تذكرت هيامها به وغيرتها عليه وشوقها للارتواء من قبلاته وعناقه فصاحت : لا ، لن اغلق دونه بابي ، بل ساحبس عليه هنا في حجرتي ، سامتص دمه ولا اطرده الا بعد ان يمسي عظاماً ! . . .

وما كادت تتلفظ شفتاها بالكلمة الاخيرة حتى قرع الباب ، فخفق قلبها وابتسمت كأنها تناست كل شيء ، وقالت : ها هو ! . . .

وتوالى قرع الباب ، فلم تنهض لتفتح ، وسمعت صوتاً عذباً يقول : ليلى ، افتحي !

فقالت : ان من يتأخر عن الموعد لا يفتح له ، ارجع الى حيث كنت !

فقال : افتحي ، لقد بللتني الامطار ! . . .

فقامت تفتح له وفي قلبها نشوة الطرب وفي عينيها نار الغضب ، ولما ابصرته في قده الممشوق وبهائه كادت تهوي عليه تعانقه ، ولكنها امتسكت عن الاستسلام لشهواتها وقالت بنفور : اين كنت ايها الشقي؟

فابتسم ، قال : اريد ان اعلم اين كنت ، فقد جاءني عنك انك تخونني ! . . .

فقال : ما هذه التهمة الباطلة يا ليلى ؟ . . .

— لا ، هي ليست بالتهمة الباطلة ، فاني اعرف جيداً انك تخونني ! . . .

— واذا قلت لك اني لا اعرف سواك من النساء ؟ . . .

— اقول عنك انك كاذب ! . . .

فاقبل يطوق خصرها فتراجعت ، ولكنه كان قد جذبها اليه بحذق وقال : ان من يملك هذا الوجه الجميل وذلك الجسد الشهي لا يخونه عاشقوه ، ألا تعرفين ذلك يا ليلى ؟ . . .

فشاقها هذا الثناء ، واستلذت المخاصرة والضم فتناست حقدها وقالت : أتحبني يا سميح ؟ . . .
فكان جوابه قبلة من شفتيها ، قالت : ان قبلة واحدة لا تكفي !
قال : اليك بالعشرات والمئات !
وقادها الى حجرتها ، وجلس واياها على مقعد طويل ، وعكف عليها يقبلها حيث تقع شفتاه ، وكانت قد ارتدت الثياب الشفافة لتحس بوقع القبلات عليها اينما يتفق لمعبودها ان يقبلها ، وتململت لا عن جزع ولا عن ملل بل عن شوق يتلظى به قلبها ، فصاحت : سميح ! . . .
وطوقت عنقه ، واصبحت لا تدري ما تفعل لشدة هيامها ، فكانت اشبه بالمجنونة . . . وكان ما كان ! . . .

## ٢

طلع الصباح على وجهين صفراوين ، واعصاب خائرة ، واعين يغالبها النعاس فتجتهد في الافلات منه فلا تقوى
ونظرت ليلى الى سميح تقول : ما اجمل هذا الصباح !
فاجابها بشيء من الخبث : حقاً انه لصباح جميل !
وكان ما بذله من الجهد والكدح قد اذاب قواه فقال : ليلى انت قاتلتي !
قالت : أهكذا يلوي الشباب ؟
فقال : انك لا ترحمينني ، فقد اذبت قواي واذبت شبابي !
فلامست بكفها خديه وقالت : ولكن العافية لا تزال تتلألأ في وجهك والشباب يسطع في عينيك !
— اني لعاجز يا ليلى !
فصاحت به : أرأيت كيف ملتني ، أرأيت انك تخونني ؟ فقد جاءني عنك ايها الغادر انك تهيم بفتاة في الثامنة عشرة من عمرها وانك عازم في العاجل القريب على الاقتران بها ، ولكن لا ، لن تتزوجها ، فانت لي ، وستبقى لي ! . . .
— انك لواهمة ! . . .
— لا ، لست واهمة ، فالخبر طرق اذني منذ عهد بعيد وقد كتمته ، على انه كان ولا يزال كالنار تتقد في احشائي ، فاني اتخيل في كل ساعة شبح تلك الفتاة التي ستسلبني اياك . ألا قل لي ، قل لي ، ألا تنوي ان تتزوج ابنة جيرانكم سلمى ، فقد بلغني ان اباك يريدها لك وانه سيعقد لك عليها ! . .
فضحك وقال : اوهام . . .
— واين هي الاوهام ، فان حديثك عن تلاشي قواك وانت الى قربي خير دليل على صحة التهمة ؟
فكان جوابه ابتسامة ضئيلة ، وهذه الابتسامة كانت في صدر ليلى اشد من طعنة الخنجر ، فوثبت

تشد سميحاً بشعر رأسه وتصيح : يا خائن ، يا خائن ! . . .

فقال : دعيني ، اني اتوجع ، دعيني ، فالخيانة لا اعرفها ! . . .

— اقسم لي بحق حبنا انك لم تفكر بخيانتي ! . . .

قال : وحق حبنا « الطاهر » يا ليلى ! . . .

فجاء دورها بالابتسام وقالت : واين الطهر فيه وهو كله دنس في دنس ! . . .

قال : ألا تسمينه حباً ؟ . . . فهو حب في اي حال ، وبحق هــذا الحب اقسم لك باني لم افكر مطلقاً بخيانتك ! . . .

فاكتفت منه بهذا التصريح ، الا انها ما برحت على قلق واضطراب ، ولما برحهـا سميح اخذت تفكر بوسيلة تحتكره بها ، وبعد تفكير طويل خطر لها خاطر ، فقالت وهي شديدة الاغتباط : وقع الشقي في الشرك ! . . .

فان ليلى من النساء المتعلمات ، وهي ايضاً من اشتهرن بالدهاء ، وكانت ترى في ابنتها جمالاً ولطفاً متناهياً فقالت : ساجيء بها من دار الراهبات واعرضها على انظاره فلا يلبث ان يهيم بها ويتزوجهـا ويبقى لي ! . . .

وعلى تحقيق هذه الفكرة وطدت النية ، فكانت تحس بالموت في قلبها ونفسها كلما خطر لهـا ان سميحاً سيفترق عنها وان اباه سيزوجه ابنة الجيران ، فقـالت : بل سازوجه ابنتي ، ويبقى الى قربي ، وابنتي لن تصدني عن حبه ، فيكون لي قبل ان يكون لها ويظل عشيقي الى الابد . . . الى الابد ! . .

وقامت من فورها الى دير الراهبات تطلب مقابلة ابنتها ، فجاءوها بها ، قالت : اريد رئيسة الدير ايضاً ! . . .

فاقبلت رئيسة الدير بثيابها السود ، فقالت لها ليلى : يسوءني ان اخبر سيدتي الرئيسة بان في نيتي ان تغادر ابنتي المدرسة ، فالعلوم التي اقتبستها تكفيها على ما ارى !

فقالت الرئيسة : ان ابنتك ستنال في آخر هذا العام شهادتها فلماذا لا تبقينها حتى آخر العام ? . . .

حتى اخر العام ? . . . وكيف تبقي ليلى ابنتها في المدرسة حتى اخر العام وقد يتزوج سميح قبل ان تنقضي هذه المدة ، فقالت : لا يا سيدتي الرئيسة ، اني في حاجة اليها ، فلا استطيع ان ابقيهـا حتى اخر السنة المدرسية ! . . .

— انك لتضيعين عليها مستقبلها اذا سلختها الان عن مقعد الدرس !

فضحكت ليلى وقالت : ولكن مستقبلها معروف يا سيدتي الرئيسة ، فهي ستتزوج ، وخطيبها ينتظرها للزواج ، ولا فرق لديه سواء نالت شهادتها او لم تنلها ، فقد فتنته محاسنها واكتفى !

فلم تجد الرئيسة بداً من ان تسأل الفتاة عما تريد ، فاجابت : اريد ان اتابع دروسي ! . . .

فامسكت ليلى بيد الرئيسة وقالت لها همساً : ان الخطيب الذي ينتظرها ليتزوجها في الغد القريب

ان يأتي لها مثله في حياتها، فاستحلفت بالله ابنتها السيدة الرئيسة ان تقنعها بالخروج الان من المدرسة

فجاءت الرئيسة تقنع الفتاة ببراح المدرسة قبل نيلها الشهادة الاخيرة ، فبكت الفتاة وقالت : لا، لا اريد ! . . .

— ان مستقبلك يقضي عليك بهذا يا ابنتي ! . . .

— وشهادتي لماذا تريدون ان تحرموني اياها ؟ . . .

فقالت لها امها : ان ما وصلت اليه من العلم يكفيك يا سعاد ، وانت لدى مغادرتك المدرسة لن تستفيدي من هذا العلم ، فان جمالك يشفع بك ، وطالبك الزواج يلتهب شوقاً لمرآك ! . . .

واخذت في مخادعة ابنتها الى ان اقنعتها اخيراً بالخروج من المدرسة، لان خطيبها ينتظرها على ما قالت لها امها ، ولقد توهمت ان خطيبها هو ذلك الامير الفتان الذي ما برحت تحلم به في ليلها ونهارها ! . . .

## — ٣ —

حملت ليلى ابنتها الى دارها وهي تنظر اليها باعجاب وتقول : هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تنقذني وتبقي لي عشيقي ! . . .

واعجبها جمال ابنتها فقالت : لا يستطيع من تقع عينه عليها الا ان يهواها ! . . .

وابتسمت لابنتها وقالت : وماذا كنت تنتظرين في دير الراهبات يا ابنتي ؟ . . . انك في مجيئك الى المنزل ستعرفين ملذات الحياة وتعرفين ما هو النعيم وما هي الدنيا !

وقبلتها في جبينها وقالت في نفسها : ساساوم عليها ، ساشتري بهـا قلب من يكاد يهجرني ، ان سميحاً سيعشقها ويبقى الى قربي ، فيعتقد الناس انه خطيب ابنتي واكون له بكليتي ! . . .

لقد كانت تقود ابنتها الى المجزر ، الى المسلخ ، الى مجزر العفاف ومسلخ الطهارة ، لقد كانت تقودها الى الدنايا ليسلم لها عشيقها ، لقد كانت تدفعها الى الرذيلة والشهوات الدنيئة ولا تبالي

وهذا كل ما تعرفه ليلى من الامومة . فان شرف ابنتها لديها سلعة من السلع . فحملتها من دير الراهبات ، من مقر الفضيلة والطهارة الى معرض العار والمنكر ، لقد حملتها كالنعجة البيضاء لتلقيها بين انياب الذئب .

وانتظرت مجيء سميح ، واعدت له ولابنتها الوليمة الكبرى ، ولما اقبل العشيق استقبلته بكل ترحاب وقالت لابنتها وهي تشير اليه : هذا هو صديقنا الاوفى يا ابنتي ! . . .

وقامت الى الخمرة تصب منها لابنتها ، لابنتها سعاد ، وتصب منها لعشيقها وتجرع الكؤوس وذلك العشيق بعد ان تترع كأسها بكأسه ، ولما استولى النعاس على ابنتها قالت لها : انهضي الى سريرك يا بنية ! . .

فنهضت الفتاة وهي لا تدري اي مكيدة سافلة تدبرها لها امها ، واختلت الام بالعشيق فقالت له : كيف ترى ابنتي يا سميح ؟

قال : انها آية في الجمال ! . . .

فقالت : وما رأيك اذا عرضت عليك ان تتزوجها ؟

فاجاب وقد لعبت الخمرة برأسه : أتزوجها ! . . .

— انها لتليق بك يا سميح ، ولا احسبك تجهل ان لديها البائنة الكبرى ، فكل ثروة ابيها لها ، وابوها ترك ارثاً عظيماً ، فلقد ورثت عنه عشرين ألفاً من الليرات ! . . .

فرن المبلغ في اذن سميح رنيناً مستطاباً ، وقال متسائلاً : أتكون بائنتها عشرين الف ليرة ؟ . . .

فاجابت الام وقد شعرت بالفوز : اجل ، وامها معها ! . . .

قال : ان امها لي في اي حال ! . . .

وضحكا ، وتبادلا القبلات اللذيذة ، وتماديا ما شاءت لهما اهواؤهما في الضم والاثم ورشف الكؤوس الى ان ملكتهما الخمرة ، فضاع منهما كل صواب ، ولم يشعرا بسوى الشوق الى الوصال ، والوصال هو غاية حبهما الاثيم

وسميح مع كونه ابن نعمة وغنى شاقه ان يملك عشرين الف ليرة ، ولم ينس عند الصباح ان يقول لليلى : متى تريدين ان اتزوج ابنتك ؟ . . .

قالت : ساعة تشاء !

فقال : اريد ذلك في اقرب وقت مستطاع !

قالت : ولكني اخاف ان تنساني !

— وكيف انساك وساظل ابداً الى قربك ؟ . . .

— ان ابنتي وجمالها وغنى بائنتها تدفعك الى نسياني يا سميح ، واذا انا رضيت عن اقترانك بها فذلك كي لا تتناءى عني

— أتغارين علي من ابنتك ؟

— اجل ، اجل ، اني اغار عليك من الشمس التي تستنير بها ، اني اغار عليك من النسيم الذي يلامس خديك ومن الزهرة التي تشم رائحتها ، ولا ابالغ في قولي اني اغار عليك حتى من ثيابك يا سميح !

— اذاً كيف تريدين ان اتزوج ابنتك ؟ . . .

— اريد ان تتزوجها لانني اخاف ان تتزوج سواها ، واذا تزوجت سواها فماذا يبقي لي منك ؟ . . .

— اذاً ستطيقين مني ان احب ابنتك وانت مغلوبة على امرك ، ولو كان في وسعك ان تحولي بيني وبين هذا الحب لفعلت ، أليس كذلك ؟ . . .

فقالت : اذا شئت ان تعرف حقيقة عواطفي قلت لك انني لا اريد ان يمتلكك سواي ، وحذار ثم حذار ان تعانق ابنتي او ان تقبلها امامي ، فاذا تزوجتها فهي زوجتك بطبيعة عين الملأ في حضرتي فانا هي عشيقتك ومعبودتك ، فكل قبلاتك واشواقك هي لي وحدي !

– هذه شروط جائرة يا ليلى ! . . .

– انها جائرة ولكن مبلغ العشرين الالف ليرة لا يتسنى لك في كل آن ! . . .

– أتؤثرين نفسك على ابنتك ؟ . . .

ففكرت هنيهة كأنها تفاضل بين حبها لسميح وحبها لابنتها واخيراً قالت : ان حبي لك يختلف عن حبي لها ، ولكن اذا هي جاءت تزاحمني على من اهوى كرهتها ونفرت منها ورأيت فيها عدواً لي !

– هذا فظيع ! . . .

– ولماذا تلقي علي كل هذه الاسئلة يا سميح ، يبدو لي منك انك منذ ابصرت ابنتي نفرت مني !

– لا ، لا ، هوني عليك ، فاني ساتزوجها امام الناس وتظلين انت عشيقتي ! . . .

وشاء ان يقطع عليها كل اعتراض فاقترب منها وامعن في تقبيلها ، فاسكرتها القبلات وقالت : انت معبودي ، انت حياتي ، وحقك لا تهجرني ! . . .

واتقدت شوقاً اليه ، وترامت بين ذراعيه وهي تقول : اريد ان ارتوي من قبلاتك يا سميح ! . . .

الا ان الشاب كان قد وضع خطته ، فقال : ساتزوج ابنتها ثم اهجرها ! . . .

وفي مساء ذلك النهار عاد يتحدث الى ليلى عن حفلة الزواج ، فقالت : لنبدأ بالخطبة ، وبعد الخطبة نزوجها ! . . .

قال : لا بأس ، ولكن من هم الذين يجب علينا ان ندعوهم للاحتفال بالخطبة ؟ . . .

فقالت : سندعو الجيران ! . . .

وبينا كانت ليلى تدعو جيرانها ليشهدوا خطبة ابنتها جلس سميح الى قرب سعاد يتأمل محاسنها يقول : ما اطهرها ، ما اجملها ، ما اعظم الفرق بينها وبين امها ، ان امها ابنة الافاعي اما هي فانها للطهر مجسم ، ومن الحرام المساومة عليها ! . . .

وتهيب امام الفتاة ، واخذ يخاطبها بكلمات الحب النقي الصافي قائلاً : سترين ان مستقبلنا سيكون زاهراً يا سعاد ، انت لا تعرفين ما هي الحياة ولكني الكفيل بارشادك الى اطايبها ، فالزهرة البيضاء القراحة تلك تحتاج الى حارس امين مثلي ! . . .

وابى ان يدنس شفتيها بقبلة واحدة ، فاكتفى بان يضمها بين ذراعيه قائلاً : انك لجميلة جداً يا سعاد ! . . .

والفتاة وهي لم تسمع حتى الآن همسات الحب ولا عرفت معناه ولا طرقت اذنيها مدائح المحبين احست بان كلمات سميح ترفع نفسها الى جنة الاحلام الخضراء الزاهية ، لقد احست بان كل كلمة يتلفظ بها الشاب تزيدها شغفاً به ورأت نفسها مكرهة على القول : هذا اميري الفتان ! . . .

وكان سميح لا يزال يطوق خصرها بيديه ويخاطبها بلغة القلوب ، واذا الباب يفتح فجأة وتدخل منه السيدة ليلى ، وما كادت ابصارها تقع على الخطيبين في موقفهما اللذيذ البريء حتى صعد الدم الى رأسها

وصاحت بهما بصوت اشبه بقصف الرعد : ألا تخجلان مني ايها الشقيان ؟ . . .

فانتفضا لدى هذا النداء ، وانسلخ كل منهما عن الآخر كأنهما لمسا سلكاً كهربائياً ، واحمرّ وجه سعاد خجلاً واطرقت الى الارض تكاد تبكي ، وسددت ليلى سهام عينيها الى سميح وقالت له : ألا تخجل ايها القليل الحياء ! . . .

فتألم من كلامها وقام اليها يمسك بيدها ويقودها الى حجرتها قائلاً : لا تعودي الى هذه المضحكات ، ان ابنتك خطيبتي وستكون زوجتي فاذا لم اظهر لها بعض العطف فماذا يكون في امرها نحوي ؟ . . .

قالت : ألم امنعك من التودد اليها امامي ؟

قال : هذا لا يكون ، فهي خطيبتي وكيف تريدين مني ان اخطبها اذا لم اظهر لها شيئاً من العطف ؟ . . .

— عليك ان تدعها وشأنها امامي وأن لا تلتفت الى سواي !

— اني لعاجز عما تطلبينه مني ، فقد قلت لكِ اني لا انساك واني ساظل عشيقكِ ، ولكن على هذا يجب أن لا يحول دون اهتمامي بخطيبتي ، وثقي بأني لم ابصر في حياتي إمرأة تغار من ابنتها مثلكِ !

فقالت وقد اتقدت غضباً : ان تكن غير راضٍ عما اطلبه منك فليس لك الا ان ترحل !

قال : ها انا فاعل ! . . .

واتجه الى الباب يريد الرحيل ، فامسكت به ليلى وقالت : لا تخرج من هنا !

فقال : وما الفائدة من البقاء وان نتفق على شيء كما يبدو لي !

قالت : لا تفضحني ، لقد دعوت الجيران للاحتفال بخطبة ابنتي فاذا لم تتم الخطبة ضحكوا مني !

فقال : لا تتم الخطبة الا اذا عاهدتني منذ الان على انك لن تتدخلي كل ذلك التدخل في امر زواجي ! . . .

فقالت : أرأيت انك بدأت تنفر مني ايها الخائن ؟

فقال : لا ، لم انفر منكِ ، ولكني لا اريد ان اعيش وابنتك في الاتراح والالام !

فكأن هذه الحجة اقنعتها بانها على خطأ في ما تطلب من الشاب فقالت : أتبقى لي اذا اجبتك الى ما تريد ؟ . . .

قال : ساكون لك اكثر مما اكون لابنتكِ ، فانت التي ستشاطرني لذة الحياة ونعيمها لا سواكِ !

فطربت وقالت : هات قبلة من شفتيك !

فترامى كل منهما على الاخر وقد تراضيا ، وفي المساء كانوا يحتفلون بخطبة سعاد ، ولم يكن هناك غير كل راضٍ عن الخطبة وقائل : ان الفتاة لتليق بالشاب ! . . .

وكانوا يهمسون فيما بينهم قائلين لولا امها لكانت افضل فتاة !

ومنهم من قال : من الحرام ان تختنق الوردة بين اشواك العليق ! . . .

- ٤ -

شاءت ليلى ان تستهل خطبة ابنتها بليلة من تلك الليالي المطربة التي كانت تحييها الى قرب سميح فلم يمانع الشاب ، غير انه كان يشعر بانه في شذوذ وبانه بعد خطبة الفتاة يجب ان يتناسى الام وراحت ليلى ترهقه بطالبها ، ورأى ان لا يسيء اليها وفي وسعها ان تفصله عن ابنتها ، فاخذ يجيبها الى بعض ما تريد وهي كلما شعرت منه بتردد او فتور اقامت عليه القيامة .

وبدأ سميح يميل لسعاد ، لقد بدأ يشعر بحبها يتغلل منه في الصميم ، وهو لدى جلوسه اليها كان يتمنى لو تنأى عنه امها فيظل الى جنب الفتاة يحادثها ويتبادل واياها اصدق العواطف واعذبها

واخذ يتململ من الام ، وتراءى له في احدى الليالي ان يخدعها ، فدعا بالخمر والكأس وراح يصب لها ويسقيها الى ان ترنحت اعطافها ، وزاد عليها حتى امتلكها الهذيان ، ونادت سميحاً اليها تريد انتعانقه ولكن الخمرة كانت قد سطت على قواها فافقدتها الصواب .

فحملها سميح الى حجرتها واغلق عليها الباب ، واسرع الى ابنتها يناديها : سعاد ، سعاد ! ...

وكانت الفتاة غارقة في نومها فقالت : وماذا تريد مني يا سميح ؟ ...

قال : طلبت مني امك ان اتزوجك في هذه الليلة فلا يدري بامرنا احد ، ومما قالته لي انها تأبى هي نفسها ان تشهد حفلة زواجنا حتى اذا ابدى الناس دهشهم من هذا الزواج الفجائي قالت لهم لم يكن لي رأي فيه ! ...

والفتاة لم تكن لتعرف شيئاً من خداع العالم ومكره فاعتقدت ان ما يقوله لها خطيبها صحيح ، فقالت : واين هو الكاهن ؟ ...

— انه هنا !

وكان سميح قد دعا اليه احد اصدقائه الكهنة واطلعه على الحقيقة بتمامها فوافقه الكاهن على عقد الزواج سراً ، واتفقا على الاجتماع عند نصف الليل في كنيسة الحي ، وهكذا كان ، وقد رأت سعاد ان ترتدي ثياب الاكاليل البيضاء التي اعدتها لحفلة الزواج الكبرى ، وفي الكنيسة بارك الكاهن قرانهما وخرجا منها مغتبطين مسرورين يتأبط كل منهما ذراع الاخر ، و كانت احدى المركبات تنتظرهما على الباب فركباها يقصدان جبل لبنان .

فقد عزما على قضاء شهر العسل في الجبال اللبنانية الضاحكة للربيع الزاهي ، وقضيا ليلتهما الاولى في صوفر ومنها تنقلا الى سائر المصايف اللبنانية يقطفان ثمار الحب ويتلذذان بطعمها الشهي .

فقالت سعاد : ألا ترى ان نكتب الى امي نخبرها اين نحن يا سميح ؟ ...

قال : بلا ريب ! ...

وكتب الى ليلى يقول لها : « بشراك لقد تزوجنا ، ونحن الان في المصايف اللبنانية ! » وكان يعلم

وهو يطير اليها هذه البرقية انها ستتلقاها بغضب ، بل هو كان يعلم انها تتقلى على نار وان فراره مع ابنتها جرح أليم في قلبها لا يعرف الاندمال !

وكان مصيباً في اعتقاده ، فان ليلى بعدما صحت من سكرها ونظرت الى ما حولها ولم تجد سميحاً ارتابت بامره وتلاعبت بها الظنون ، فقالت : أتراه يكون في مخدع ابنتي ؟ ...

ونهضت على مهل الى مخدع ابنتها تريد مفاجأة الخطيبين في حالة منكرة ، وفتحت الباب وهي تكاد تصيح : « يا لكما من شقيين ! ... » ولكنها لم تبصر أحداً ، فادركت بعض الحقيقة الا انها حاولت اقصاء تلك الفكرة عنها واخذت في التفتيش ، بيد ان المنزل كان خالياً من سعاد وسميح ، فلم يكن هناك غير جدران صامتة لا تستطيع النطق ولا الايماء

وتراكضت الى ثياب ابنتها تفتش عن ثوب الاكايل فلم تجده ، فصاحت : لقد خدعني سميح لقد خدعني وفرّ مع ابنتي لا ادري الى اين ! ...

واظلمت الدنيا في عينيها ، وارغت وازبدت ، وتلظى صدرها بالحقد وصاحت : لقد جنيت على نفسي بيدي ، فالخائن غدر بي ! ...

واحست بان في هجر حبيبها لها مصيبة عليها لا تطاق فهوت على الارض خائرة القوى لا تستطيع حراكاً ولقد كانت تؤثر موت ابنتها على هجر عشيقها لها ، ولم تكن لتتمنى في حياتها الا ان تموت وسميح يطوق بذراعيه خصرها

وخطر لها ان تتهم سميحاً بانه سرق لها اموالها وفرّ بها مع ابنتها ، الا انها خافت الفضيحة ، ثم هي تعلم ان حكومة المتصرفين في جبل لبنان قد تسكت عن سميح ولا تطارده ولا تلقي القبض عليه اجابة لنداء حكومة الولاية في بيروت فتظل الشكوى حيث هي ، وابت على نفسها من جهة اخرى ان تتهم زوج ابنتها بالسرقة مع كل امتعاضها من هذا الزواج ومع كل ما بذلت من المساعي للحؤول دونه

فكانت تعلل سميحاً بان تزوجه ابنتها وهي تود لو لم يتزوجها ، فيبقى امام الناس خطيب الفتاة في حين انه عشيق الام ومعبودها ، ولو كان يرضى بها زوجة لزاحمت ابنتها عليه

وعادت الى صوابها فصبرت على المضض واحتملت المصاب قائلة : اذا احرجته وطاردته هجرني ، فالافضل لي ان اتناسى اساءته اليّ وان ادعوه الى منزلي كما لو لم يكن من الامر شيء ! ...

ولما تناولت برقية سميح كتبت اليه تقول : اهنئكما وارجو لكما التوفيق ! ...

فهي لشدة دهائها عرفت اي لهجة يجب عليها ان تخاطب بها زوج ابنتها ، فقالت : سيخجل من نفسه لدن يطلع على كتابي اليه ويعود اليّ في العاجل القريب يطلب مني العفو والغفران ! ...

ولقد اصابت في اعتقادها ، فان سميحاً ما كاد يتناول رسالتها حتى دهش لهذا التساهل منها واسرع اليها يقول : عفوك يا ليلى ، عفوك ! ...

فقالت : انت لئيم يا سميح ! ...

فسكتت ، فاقبلت عليه تهمس في اذنه : عليك ان توافيني الى حجرتي في هـذا المساء فانني لفي حاجة اليك !

وابتسمت ابتسامة ادرك سميح معناها ، فقال : وسعاد ماذا نفعل بها ؟ . . .

— أنسيت شروطي عليك ؟ . . .

فطاب له في تلك الليلة ان يسايرها ، فاوهم زوجته ان اشغاله تدعوه اليهـا وقضى ليلته يسامر ليلى ويروي ظمأها .

وكانت الدولة العثمانية قد خاضت الحرب الكبرى الى جانب المانيا والنمسا ،فنادت شعبها للتجنيد وللدفاع عن سلامتها ، واخذت السلطة العسكرية في بيروت تلقي القبض على من يستطيعون حمل السلاح ، وقضى نكد الطالع على سميح بان يكون بين هؤلاء فحار في امره وقال لليلى : ما العمل ؟ . . .

قالت : ساذهب بنفسي الى الوالي ألتمس منه العفو عنك !

وقصدت الى الوالي بكر سامي بك وكان يعرفها ، فقال لهـا : لا نستطيع الا ان ندعوه لحمل السلاح ،غير اني سابقيه هنا في بيروت فلا اوفده الى جبهة القتال !

وبرّ الوالي بوعده ، وارتاحت ليلى لهذه النتيجة ، فان سميحاً اضحى اسيرها لا يجرؤ على معاندتهـا في كل مما تبغيه منه ، ففي وسعها ان تقول له : « عليك ان لا تلتفت الى زوجتك وان تقضي لياليك الى قربي ! . . . » وفي وسعها ان تقول له : « انت عبدي ! . . . » وفي وسعهـا ان تجره باذنه كما تجر احقر الخدم وليس له ان يعاندها او ان يعترض عليها ، فان حياته رهن يديهـا وبكلمة واحدة تستطيع ان تقضي عليه

وارتدى سميح الثوب العسكري ، وكان ذلك الثوب يؤلمـه ويضنيه ، فيضطر كلما ابصر جندياً اكبر منه رتبة للوقوف امامه الوقفة العسكرية وتحيته ، وكثيراً ما رأى بين هؤلاء الذين يرتدون ثياب الضباط ويضطر لتحيتهم بخشوع واحترام نثة من الناس كان يـأنف ان يرد عليها السلام يوم كانت البلاد في امن وسلام

واراد الخلاص من ام زوجته ، من ليلى المتقدة شهوة وغراماً ، فقد كادت تقضي عليه لشدة ميولهـا الشهوانية ، فقال لها ذات يوم : ألا تشفقين على ابنتك ؟ . . .

— اني لا اشفق على احد ، ولا اريد ان اعرف بعدي احداً ، ومـا انت الا من خدمي ، فاذا دعوتك عليك ان تجيب واريد ان تعلم ان حيـاتك بين يدي والويل لك اذا خرجت قيد شعرة عن طاعتي ! . . .

فلم يصبر على هذه اللهجة القاسية منها وقال وقد غضب لكرامته : ان تكن حياتي منك فاريد ان تذهب هذه الحياة عني ! . . .

واقبل على زوجته يقول لها : لا اريد البقاء تحت سقف هذا البيت ، طالبي امك بالمـال المنتقل

اليكِ من ابيكِ ! ...

ورأت ليلى ان الدائرة ستدور عليها فجاءت الى سميح تتوسل اليه ان يغفر لها قصدها عنه ، فعادت الى التوسل فازداد عنها صدوداً ، فقالت : رحماك ! ...

قال : اليكِ عني ! ...

قالت : ستندم !

— لن اندم ولو كنت على يقين بان في الامر منيتي ! ...

— أتعاند الى هذا الحد يا سميح ؟ ...

— اجل ، لا اريد ان ابصرك بعد اليوم ، اليكِ عني ايتها الزانية الاثيمة ، اليك عني ايتها الشهوانية الجشعة ، واعلمي اني سأقيم عليك الدعوى لدى القضاء اطالبك بنصيب ابنتك من ارث ابيها !

فصاحت به : يا لك من عقرب ، ولكن لسعاتك لن تصيبني بل ستقع على رأسك ... سترى ! ..

ولم تلتفت اليه بل ارتدت ثيابها وخرجت الى دار الحكومة تطلب ممن تعرفهم من كبار الموظفين ان يوفدوا سميحاً الى جبهة الحرب ، ولم تكن ليلى مجهولة لدى كبار الناس ، فان جمالها وحديثها اللطيف وثروتها الطائلة جعلت لها مقاماً لدى الطبقة العليا في بيروت ، ولم يمض مساء اليوم التالي حتى كان سميح يركب القطار الى دمشق ومن دمشق الى بئر سبع ، ولقد عرف من اين جاءته الضربة الا انه احتملها برباطة جأش قائلاً : هذا نصيب من يستسلم للمتهتكات ! ...

## — ٥ —

وماذا كانت بضاعة الحرب الكبرى في بيروت ؟

ماذا كانت غير الموت والفحش والجوع ؟ ... نفوس تبيع عفافها وشرفها بالفلس والرغيف ، وعيال كبيرة بجاهها وثروتها حطها الدهر عن مقامها ورماها بالافلاس والفقر ، وزعانف مناكيد رفعتهم تقلبات الدهر الى اعلى الذرى

وتكردست على الطرق جثث ضحايا الجوع ، وحفلت افخم المنازل باعراض تباع وشرف يداس وكرامات تمتهن ، فالشرف والطهر والعفاف امست تباع كلها برغيف ! ...

وفتحت ليلى ابواب منزلها لكبار الضباط الاتراك ، فتناست سميحاً وحب سميح وترامت بين ايدي الضباط الاتراك والالمان والنمسويين ، فكانت دارها اشبه بمقر اركان الحرب تجتمع فيها كل ليلة نخبة من قادة الجيش العثماني

واصبحت ذات كلمة مسموعة في قيادة الجيش في بيروت ، وترامت اخبارها الى القيادة العسكرية في عاليه فلم يكن لها الا ان ترسل ببطاقة منها الى خازن الحبوب والدقيق حتى تتوارد عليها اكياس القمح كأنها من تجار الحبوب

وكثيراً ما توسلت اليها ابنتها ان تطلب من اصدقائها الضباط الاشفاق على سميح واعادته الى بيروت ، فقالت لها : ان سميحاً مجهول المقر يا بنية ! ...

— ومن اين جاءك الخبر ؟

— لقد حمله اليّ ضباط من اصدقائي ! ...

فبكت ابنتها ولطمت خديها واخذت في النحيب ، فقالت لها الام : وماذا تفعلين لو قلت لك عنه انه مات يا سعاد ؟

قالت : اني اقتل نفسي ! ...

فضحكت ليلى وقالت : اخلعي هذه الشفقة من قلبك ايتها الحمقاء ، اذا مات جاءك الالوف يطلبونك للزواج ، ولك ان تطربي اذا ورد عليك نعيه فان في موته سعادتك !

— لا تقولي هذا يا امي ، اني احبه ! ...

— اما هو فلا يحبك بل يحب اموالك الطائلة ! ...

— اني لراضية بما يكون منه ما دمت احبه ! ..

وسالت دموعها على خديها وازدادت بكاء ونحيباً ، فقالت لها امها : أتريدين ان تعرفي الحقيقة يا سعاد ؟ ... ان سميحاً كان من ضحايا ترعة السويس ، فلقد اصابته قنبلة انكليزية في رأسه نثرت اشلاءه في الفضاء !

فصاحت امرأة سميح صيحة ارتج لها المنزل وقالت لامها : أصادقة انت في ما تقولين ؟ ...

فتظاهرت ليلى بالحزن والالم وقالت لابنتها : ان ما اقوله لهو الحقيقة بعينها يا سعاد ، ولقد جاء نعي سميح في حينه ولكني اخفيته عنك ، اما الان وقد رأيتك باكية عليه شئت ان اعزيك به يا ابنتي ! ...

فراحت سعاد تنتف شعرها وتصيح : يا ويلي بعد سميح ، يا ويلي ! ...

وحاولت ان تضرب رأسها بجدار مخدعها ولكن امها كانت هناك تمنعها من الانتحار ، واسرع الجيران وتراكضوا على الصياح فقالت لهم ليلى : ان المصاب لفظيع ، لقد مات سميح !

فجاءوا يعزونها بالخطب الجلل ، وارتدت سعاد وامها ثياب الحداد ، وكان بكاء الابنة لا ينقطع ، فكلما تمثلت موت زوجها وحبيبها تصيح كالمجنونة : ليت القنبلة قتلتنا معاً ، متى اموت والحق به ، سميح ، سميح ! ...

وتمنت ان تكون الى قربه ساعة قتل لتنتحر على اثر موته ، وتمنت لو مات ميتة هنيئة فتودعه الوداع الاخير وتندبه وتبكيه ، وكلما زجرتها امها عن البكاء قالت لها : وكيف تريدين مني ان لا ابكيه ومثله قليل ؟ ...

ومضت اشهر وايام واذا بدموع سعاد تجف قليلاً فقالت امها : الحمد لله ، لقد استرحنا ، فان ابنتي تهوى ذلك الخائن الغادر ولا ادري كيف تهيم به وهو الجيفة المنتنة ! ...

وقد تناست ليلى وهي ترسل بهذه الكلمات ليالي الفجور والعار التي كانت تحييها الى قرب الشاب، لقد تناست هيامها به وتذللها اليه كي يرحمها ويشفق عليها فلا يهجرها ولا يمنح قلبه بكامله لزوجته ابنتها، وهو لما حاول ان يميل عنها الى ابنتها سعت به لدى رؤسائه فاوفدوه الى جبهة الحرب، ومنذ تلك اللحظة شعرت بانها انتقمت ، ولم تطرب كل الطرب الا بعد ما لمست في ابنتها شيئاً من التناسي والكف عن البكاء ، وكثيراً ما كانت تقول لها وهي تعزيها :

— ان البكاء لا يقيم الموتى من القبور يا ابنتي ! . . .

## — ٦ —

واقبل جمال باشا يحمل سيف النقمة . . .

فالقيادة العليا في عاصمة السلاطين عهدت اليه بشؤون البلاد السورية ، بل بشؤون البلاد العربية باجمعها ما عدا العراق

فكان صاحب السيادة المطلقة من آخر حدود حلب حتى آخر حدود الحجاز ، فالامر فيها امره والويل ثم الويل لمن يخطر له ان يصدم ذلك الامر

واسترع السوريون واللبنانيون يقبلون اذيال الباشا ، فالظافر منهم من كان يتشرف بالمثول بين يديه وتقبيل « انامله الطاهرة » والفائزة من النساء من كانت تقول : « رأيت جمال باشا ! . . . » اما تلك التي تصافحه او تلفت انظاره فالدنيا كانت تضيق باسرها عن تشامخها وتظاهرها بالعظمة والشأن

والحفلات والولائم والمآدب كانت تقام للباشا التركي في كل مكان . في حلب ودمشق وبيروت والقدس . فكان في عهده اشبه شيء بالآلهة . الحياة والموت بين شفتيه

وعز على ليلى ان يدخل جمال باشا منازل وجهاء بيروت ولا يدخل دارها ، فبذلت كل جهد لدى اصدقائها الضباط كي يقنعوه بان يتغدى في منزلها ، ودخلت هي بنفسها عليه تجرر الثياب الحريرية الفاجرة وتفيض من جسمها الروائح العطرية وتتجلى ابتسامة الشهوة والاستسلام على شفتيها واقتربت منه تقول : لي الشرف بان ادعو صاحب الدولة الى منزلي ! . . .

وجمال باشا من كبار العشاق، ومن يكون في مقامه ولا يعشق؟ . . فان اجمل النساء وقد رأين فيه رباً ثانياً يحيي ويميت تمنين لو يقضين واياه ساعة من ساعات الطرب واللذة ، وهذه الساعة كان لا يبخل بها جمال باشا على النساء اللواتي يقعن بين يديه

وهو لما ابصر ليلى اعجب بمحاسنها ، ونهض يحييها ويخاطبها باللغة الفرنسية قائلاً : يسرني جداً ان اقوم بزيارة حضرة السيدة ! . . .

وظل ممسكاً يدها يشد عليها ويضغطها ، ثم انتقل الى المعصم يلامسه ، ثم قال : ما اجملك يا سيدتي ! . .

فابتسمت ليلى ، ومـاذا بعد الابتسام ؟ . . . ماذا بعد الابتسام غير قبول ما يكون وما تقضي

رغبة الباشا ، فقال جمال : اريـد قبل كل شيء من سيدتي ان لا تكاثر من المدعوين الى وليمتها ، فأكون هنالك مع ثلاثة من الضباط والوالي وامين سره وتكونين انت مع اسرتك واعتقد ان مثل هذا العدد يكفي ، الا اذا شئت ان تتناول الدعوة ايضاً بعض صديقاتك ! . . .

فقالت : ستكون هنالك ابنتي وسيرى الباشا من جمالها ما يطربه !

فجالت ابتسامة الشهوة بين شفتي جمال وقال لليلى : ان تكن ابنتك على مثالك فانها لآية من ايات الحسن ! . . .

وجذب ليلى اليه وقبلها في شفتيها قائلاً : نعم ، انك لجميلة جداً يا سيدتي ! . . .

فتظاهرت بانها خجلت من تقبيله اياها واطرقت الى الارض ، وخدعت مظاهرها جمال باشا فقال لها : عفواً ، لا تغضبي ، ان من كان مثلك لا بد من ان يثير الشوق في قلوب المغرمين ! . . .

وهذا كل ما كانت ليلى تنتظره من جمال باشا ، على انها لم تستسلم اليه كل الاستسلام بل شاءت ان تزيد في اشواقه اليها ، فنهضت كالظبي النافر وجمال يشد بها وهي تقول : ارحم ضعفي يا صاحب الدولة !

قال : اريد ان تقام وليمتك في مساء الغد !

فقالت : سمعاً وطاعة يا مولاي ! . . .

وامعنت في الفرار ، ولم تنس وهي عند السلالم الحجرية ان تلقي نظرة الى الوراء ، فـاذا بجمال باشا يتأملها وينظر اليها بهيام ، والتقى النظران فابتسم كل منهما للاخر وكان في هذه الابتسامة من المواعيد ما لا يؤديه ابلغ كلام ، فان جمال باشا رأى فيها الطاعة والخضوع ، ورأت فيهـا ليلى الشوق والشغف والتفاني لاجل الوصال

وعرف جيران ليلى ان جمال باشا سيكون ضيفها فاسرعوا لمساعدتها في اعداد الوليمة . وكلهم راح يذكر باعجاب تلك السيدة « الشريفة » التي مات زوجها وعرفت كيف تـدير ثروته من بعده وكيف ترفع مقام بيتها وتزيد في شأنه ولمعانه

ولم يعتبوا عليها لسوى امر واحد ، وهو انه كان في وسعها ان تنقذ سميحاً من مخالب الموت فلم تفعل ، وعند ما يبدون لها عتبهم تجيب : بذلت جهدي لانقاذه ولم يحالفني التوفيق ! . . . .

وجاءت الى ابنتها تقول : ارتدي اجمل ثيابك ! . . .

فقالت : ولماذا ؟

— لتستقبلي بها جمال باشا !

— لست بمن دعاه الى داري بل انت التي دعوته فما لي وله !

— لا تعاندي ايتها الحمقاء ، ارتدي ثيابك كما اريد منك !

— لا ، لن ارتديهـا ، فان حزني على سميح يمنعني من استقبـال الرجل الذي رمى بـه في اشداق الموت !

— عليك ان ترتدى ثيابك وتجلسي الى المائدة كسائر المدعوين ، فالرجل ضيفي ومن واجبي ان اظهر له كل اكرام !

— هو ضيفك وليس ضيفي !

— ولماذا العناد يا ابنتي ، ان جمال باشا يعرف عن سميح الشيء الكثير ، وقد تسمعين منه ان سميحاً لا يزال حياً يرزق ، فإن جمال باشا واقف على الخبر الصحيح!

— أيكون سميح حياً يرزق ؟ . . .

— ربما ، ذلك مما لا يعرفه احد كالباشا نفسه ! .

وسعاد تعبد سميحاً ، فما كادت تسمع من امها ان الباشا يستطيع ان يخبرها عن مقر زوجها ومصيره حتى قامت الى اجمل ثيابها ترتديها ، وراحت امها تزيد في زينتها قائلة لها : اخلعي عنك ثياب الحداد يا ابنتي لئلا يعتقد الباشا انك تعرفين شيئاً عن زوجك فلا يروي لك الحقيقة ان يكن سميح قد مات ! . . .

وظلت تخادع ابنتها الى ان نزعت عنها ثياب الحداد ، ولما رفلت سعاد بثيابها الحريرية وتزينت وتبرجت امست كالبهجة للقلب الحزين ، فالناظر اليها يود ان تظل امامه كي يمتع عينيه بهذا السحر المذيب .

وكان المساء ، وكان موعد الباشا ، فتلألأت الانوار في منزل ليلى كأنها نجوم السماء ، والمنزل فخم جليل ، فان جمال باشا نفسه لما وطأ عتبته شعر بانه في دار اسرة كريمة غنية في مالها وجاهها .

واسرعت ليلى لاستقبال الباشا بالابتسام والترحاب ، ولقد ارتدت لتلك الليلة ثوباً شفافاً يبدو منه عنقها وصدرها وزنودها كي تزيد في شوق الباشا اليها ، فهوى جمال على يدها يقبلها واقتدى به ضباطه ، ولما وقعت العيون على المائدة وخوان الشراب ادرك الجميع ان هناك اسرافاً ما بعده اسراف ، فان ليلى جادت بمبلغ كبير من المال في سبيل الطاغية التركي

وجلسوا الى خوان الشراب ، وجلست ليلى بينهم مع ابنتها ، وكانت سعاد تخجل من النظر الى المدعوين ، وساءتها قهقهات امها ، فان ليلى كانت تضحك ضحكاً لا حياء فيه ، وكانت تقرع كأسها بكؤوس جمال باشا وضباطه كأنها احدى الراقصات

ولما نهضوا الى المائدة كانت الخمرة قد استولت على الادمغة والعقول ، فقال جمال باشا لسعاد : تعالي اجلسي الى قربي ايتها الحسناء ! . . .

فجلست ليلى عن يمينه وسعاد عن يساره ودارت الاحاديث ، فقال جمال باشا لسعاد : مالي اراك حزينة ايتها الانسة ؟

فقالت : لست آنسة يا صاحب الدولة بل انا متزوجة وزوجي يخدم في الجيش !

— أيكون زوجك من هؤلاء الابطال المناضلين عن حمى الدولة ؟

— اجل ، واعتقد ان مولاي يعرف عنه شيئاً ؟ . . .

— وما هو اسمه ؟ . . .   — انه يدعى سميح الابيض يا صاحب الدولة !

فاطرق جمال باشا كأنه يفكر ملياً ثم قال : يخيل اليّ اني سمعت بهذا الاسم ، فلا تجزعي ايتها الحسناء، ساجيئك بزوجك سالماً !

فابدت الفتاة شكرها باسمة طروباً ، وتناست همومها واحزانها ولمعت الامال في صدرها وعينيها ، واخذت تجيب بلطف وابتسام كلما خاطبها جمال باشا ، وكان قد افتتن بمحاسنها ، وبعد العشاء قالت ليلى لابنتها : اسمعينا شيئاً من اناشيدك يا ابنتي ! . . .

فراحت سعاد تغني بالفرنسية انشودة المهجورة الباكية ليل نهار بعاد أليفها وحبيبها ، وكان صوتها يشف عما بها من يأس وألم فجاء صورة حية لنفسها ، فتأثر جمال باشا ورفاقه وادركوا مبلغ الألم الرازحة تحت اعبائه تلك الحسناء الباهرة الجمال

وهمس جمال في اذن امها قائلاً : اريدها منك !

فساءها ان يلتفت جمال الى ابنتها ويعرض عنها فقالت : ان الام وابنتها تنتظران امر مولاي !

قال : اما الام فستكون لي الليلة واما الابنة فاريدها بعد غد !

فارتاحت ليلى لهذا الجواب ، وشاقها ان يمتلكها جمال باشا فقالت : ليكن مولاي على اطمئنان ، فليس له الا ان يأتي اليّ بعد غد لتكون ابنتي طوع يديه ! . . .

ودخل جمال واياها مخدعها ، واول حركة بدرت منه انه طوق عنقها بيديه واخذ يقبلها ، وكان يترنح من شدة السكر ، وخرج الى ضباطه يقول : اني اشعر بشيء من الالم وساضطر لقضاء ليلتي في هذه الدار، ففي وسعكم ان تنصرفوا ، وليبق منكم مرافقي وسائق سيارتي والحاجب ! . . .

فاطاعوا ، وقد عرفوا نية الباشا ، ولم يبق في دار ليلى غير مرافق جمال باشا الخاص وحاجبه وسائق سيارته ، حتى ان الحاجب وسائق السيارة لم يدخلا الدار بل اقاما في السيارة نفسها يغالبهما النعاس ، وكم من ليلة كهذه الليلة قضياها ساهرين حتى الصباح في انتظار جمال باشا المستسلم لشهوته بين يدي امرأة خائنة متهتكة

وجمال باشا تمتع بمحاسن ليلى ما طاب له ان يتمتع ، فلقد شاقه قالبها واطربته حركاتها وغذوبتها ، وكان يمعن في افتراسها كالذئب الخاطف الجائع ، ولكن هذا الذئب في افتراسه ليلى لم يكن ليفترس الفضيلة والعفاف وليلى قد ودعت الفضيلة والعفاف وامست ككل امرأة خلعت عن وجهها الحياء والحشمة والطهارة ، الا انه في عزمه على افتراس سعاد ، سعاد مثال الفضيلة والامانة الزوجية ، انه في توطيده النية على افتراسها كان اشبه بالذئب ، والمؤلم المبكي ان ام سعاد لم تمانع في القاء ابنتها بين يدي الذئب المكشر عن انيابه ، فان تلك المتهتكة شاءت ان تكون ابنتها متهتكة مثلها ، وهذا افظع ما تصل اليه خالعة الحياء والشرف ، هذا افظع ما تصل اليه الام المجرمة القاتلة الساقطة الاخلاق

وفي الساعة الرابعة صباحاً كان جمال باشا يخرج من مخدع ليلى ، فودعته الى الباب وهي تقول : اني في انتظار صاحب الدولة !

قال : سأعود وحيداً بعد غد !

فقالت : وبعد غد سيرى مني مولاي ما يرتاح له !

ولما استفـاقت في اليوم التالي نادت ابنتهـا اليها قائلة : سعاد أتعرفين ماذا قال لي جمال باشا عنكِ ؟

— وماذا قال ؟

— اخذ في امتداحكِ والثناء عليكِ ومما قاله لي انه لم يجد في حياته سيدة اجملَ منكِ !

— حقاً انه لذو عواطف رقيقة !

— وقال لي ايضاً انه سيبذل مجهوده لمعرفة مقر سميح !

— كم اكون له شاكرة اذا فعل !

— وسيأتي الينا بعد غد يطلعنا على نتيجة ابحاثه !

— بعد غد ؟

— نعم ، فاستعدي لاستقباله واظهري له كل بشاشة وترحاب ، ووافقيـه على كل ما يطلبه منك

— على كل ما يطلبه مني ؟ . . .

— اجل ، وبدون استثناء !

— واذا طلب مني خيانة زوجي ؟ . . .

— اجيبيه الى ما يريد ،فاذا استسلمتِ اليه انقذتِ سميحاً !

— هذا محال !

— اسكتي ايها الحمقاء !

— اني اوثر بقاء سميح في جبهة الحرب على انتهاك شرفي !

— اذاً انتِ لا تحبين سميحاً !

— احبه ، وحبي له يدعوني لصون شرفه والاحتفاظ بوده ! . . .

— ان معاندتكِ جمال باشاتقتل زوجكِ وتقتلكِ !

— لنمت كلانا ، فذلك افضل من ان نعيش مع العار !

فشعرت ليلى بان ابنتها منيعة الجانب فلا سبيل للاستيلاء عليها من هذه الناحية فقالت تخاطبها : ومن قال لكِ ان جمال باشا سيطلب منكِ خيانة زوجكِ ، فهو صديقنا ويريد ان يزورنا ومن عادتنا ان نستقبل الاصدقاء والضيوف فاحسني استقباله !

قالت : اهلاً بالصديق وبالضيف ! . . .

واستعدت للقاء جمال باشا بحذر شديد ، ولما حان موعد مجيئه قالت في نفسها : سارحب به اجمل ترحيب كلما بدا لي منه انه معتصم بالادب، واذا اتفق له ان يشذ ألفت نظره الى الشذوذ، وفي اعتقادي

انه يخجل من نفسه ويتركني وشأني !

وفكرت بسميح فقالت : يجب ان اقابله ببشاشة لاجل زوجي ، ففي وسعه ان ينقذه وان يميته ، فلماذا لا ابدي له بعض اللطف داعية اياه الاهتمام بامر سميح ؟

وعلى ملاطفة جمال باشا وطدت النية ، ودخل جمال دار ليلى ووجهه يطفح بشراً ، فقد جاء ينهش فريسته ، واعدت له ليلى مأدبة حافلة بكل مستطاب ، فقال لها : ان اجمل ما في المأدبة هو وجود سعاد الى قربي ! . . .

فضحكت ليلى ضحكة الخلاعة والفجور ، وسكبت لجمال باشا الكأس وقالت لابنتها : خذي واسقيه ! . . .

فترددت الفتاة قليلاً ، الا انها خافت الاساءة الى امها والاساءة الى القائد التركي فناولته كأس الشراب ، فجرع الباشا الكأس ويده بيد سعاد ، فصبرت على هذه القحة وقالت : ماذا تحمل اليّ عن سميح يا صاحب الدولة ? . . .

قال : لقد بحثت عنه فجاءني انه لا يزال حياً ! . . .

فقاطعته قائلة : ألا يزال حياً ? . . .

— نعم ، ولماذا كل هذا الدهش ? . . .

— لأن امي نقلت اليّ عن بعض الضباط انه مات !

— لا ، لم يمت ، ولكنه فرّ من الجيش ، ومن يفرّ من الجيش يصبح في مصاف الاموات !

فصاحت باضطراب وخوف : ولماذا ?

— لانه خائن ، والخائن لا يستحق غير الموت !

— ألا ترحمه وهو زوجي ? . . .

فحدق اليها ملياً وشاء ان يقول لها بفظاعته المعهودة : « لا ! . . . » ولكنه خاف اذا قطع لها كل امل بلقاء زوجها ان لا تخضع لمشيئته فيها فقال : سننظر في امره ! . . .

— اريد ان تعفو عنه ! . . .

وكان لا يزال قابضاً على يدها ، وما تجرأت على نزعها منه مخافة ان يتحجر قلبه على سميح ، فقال : ان العفو بين يديك ، فاذا حققت آمال جمال باشا فيك انقذت زوجك من الهلاك !

— وما هي هذه الآمال ? . . .

فصاحت بها امها وكانت تسمع الحديث : ألا تعرفين ما هي ? . . . هي ان تحبي الباشا ! . . .

— وهل تريب مني اني اكرهه ?

— ولكن عليك ان تسايريه ! . . .

— ها اني اسايره ! . . .

فجاءت اليها امها وامسكت منها يدها وامسكت جمال باشا باليد الاخرى وقادتهما الى مخدع سعاد واغلقت عليهما الباب بعد ان قالت لابنتها : هنا يجب عليك ان تسايريه ! . . .

فصاحت سعاد : افتحي ، افتحي ! . . .

واخذت في البكاء والنحيب ، فان امها ألقتها بين انياب الذئب وتركتها لا تسأل عنها ، لقد رمت بها الى هاوية الفجور غير حافلة بما ترتكبه من فظاعة واثم ودناءة ، فاقترب جمال باشا من فريسته يخفف عنها ما بها ويقول : لا تخافي يا سعاد ، ان جمال باشا لا يؤذيك ! . . .

وشاء ان يضمها الى صدره فاجفلت وابتعدت منه ، فهجم عليها يريد ان يتملكها بالقوة والعنف ، فصاحت به : اليك عني ! . . .

فقال : يجب ان تكوني لي ، أتسمعين ، يجب ان تكوني لي ! . . .

فصاحت به : اياك وان تقترب مني ! . . .

ولكنه كان قد امسك بذراعيها ورماها فوق السرير ، وشعرت بانها في موقف حرج فوثبت عن السرير وانتصبت واقفة على قدميها واقتربت من الطاغية تنظر اليه وجهاً لوجه والغضب لشرفها يقيمها ويقعدها وصاحت به : اخرج من هنا ! . . .

فقال : أتطردينني ؟ . . .

واعاد الكرة عليها يريد ان يحملها بين يديه ويلقيها على السرير ، فما كان منها الا ان لطمته على وجهه قائلة له : هذا جزاؤك ايها الوغد ! . . .

فاحس بانه ذليل امامها وقال لها متوعداً : الويل لك ولزوجك ! . . .

فقالت ولم تحسب للعواقب حساباً : أهناك ما هو افظع من الموت ؟ . . .

فقال : سترين ايتها الشقية !

قالت : لو كنت منصفاً لهنأتني ولكنك لا تعرف الانصاف ! . . .

فخطر له ان يطلق عليها نار مسدسه ، وكان الغضب قد اعماه والسكر قد نال منه مناله ، الا ان الباب فتح ودخلت ليلى تقول : على الباب ضابط يحمل رسالة لصاحب الدولة ! . . .

فخرج جمال باشا يتظاهر بالابتسام ، وتناول الرسالة فاذا فيها ان اسطول الحلفاء يجول في مياه البحر المتوسط على مقربة من بيروت ، وان حراس الشواطئ ابصروا زورقاً يرسل بالانوار المختلفة الى البر كأنه يتجسس على الجيش العثماني . فلما وقف جمال باشا على مضمون الرسالة دخل على سعاد يقول : اني ذاهب الساعة الى مقر اشغالي لامور خطيرة ، على اني سأعود غداً والويل لك اذا بقيت على عنادك ، فلقد احتملت منك ما احتملت شفقة على جمالك ورأفة بك . . . والان فالى اللقاء ! . . .

فأخذت تبكي ، وخرج جمال باشا وهو يود لو بقي امامها يرغمها على الاستسلام ، فقد أبى بعد ما اتفق له معها الا ان يحطم كبرياءها ، ومضى لمهمته وهو يتساءل كيف صبر على اللطمة وهو ممن لا يصبرون

على الضيم والاذى ؟

واستلقت سعاد على مقعد في غرفتها ، وخيل اليها ان جمال باشا سيفتك بسميح فصاحت : ارحمني يا الله !...

واذا حصاة تقع على زجاج نافذتها فقالت : من يضربني بالحصى ؟...

فوقعت حصاة ثانية وثالثة على زجاج النافذة فاطلت سعاد توشك ان تصيح : « الى اللص ! ... الى اللص !... » ولكنها جمدت في مكانها وقد رأت امامها سميحاً يناديها : تعالي : تعالي !... فارادت ان تتكلم فعقد لسانها ، وخيل اليها ان من تراه شبح من الاشباح ، ولكن سميحاً كان هناك بشحمه ولحمه ، فقال لها : تعالي اني في انتظارك !...

ولحجرتها باب يرمي الى الحديقة ففتحته وخرجت الى سميح تقول : أهذا انت؟...

فقال : نعم ، اجمعي حوائجك واسرعي معي بالفرار ، فالمدرعة الفرنسية تنتظرنا في عرض البحر !.. قالت : «لقد جاءني عنك انك قتلت!...» فقال : لا ، لم أقتل ، ولكني فررت الى مصر ومرت بي مدرعة فرنسية من امام بيروت فجئت اليك على زورق لنفر معاً .. اسرعي !...

— واين هو الزورق ؟... — انه ينتظرنا عند الشاطىء ، اجمعي حوائجك وتعالي !...

وكانت في شوق للخلاص من شهوات جمال باشا ومن ديار الاستبداد والذل ، فصعدت الى غرفتها وجمعت حلاها وعادت سريعاً الى زوجها تقول : هيا بنا !...

ولم يكن المنزل بعيداً من الشاطىء ، فان سميحاً كان قد دفع الزورق الى تلك الصخور الناتئة عند رأس بيروت ، وهناك انتظره اثنان من رجال البحر ، وما كاد يركب الزورق وسعاد تجلس الى قربه حتى انساب الزورق تحت ستار الظلام الى المدرعة الكبرى ، وفي المدرعة روت سعاد لسميح كل ما اتفق لها فقبلها في شفتيها قبلة الحب الصحيح وقال : بارك الله فيك ، اما امك ، تلك الاثيمة الخائنة فلا بد لي من الانتقام منها ، لا بد !..

وقص على سعاد حكاياته مع امها الفاسقة فازدادت الفتاة نفوراً من امها وقالت : هي التي ألقتني بين انياب الذئب !...

... انقضت الحرب واعترفت المانيا بالانهزام ، وكان سميح يقيم في مصر مع امرأته وقد رزق منها صبيين ينفيان عن القلب كل حزن وكدر ، فجاء اليها يوم اعلان الهدنة يقول : الا يشوقك ان نعود الى الاوطان يا سعاد ؟...

فقالت : « بلا ريب !... » وكانا قد شعرا بالحاجة الى المال ، وفي الاوطان تملك سعاد الاموال الطائلة ، فركبا البحر وعادا الى بيروت وسارا في طريق المنزل ، وفي المنزل لم يجدا أحداً ، فسألا عن ليلى فقيل لهما ان ليلى قد ماتت اشنع ميتة ، فقال سميح : وكيف ماتت ؟...

فكانت هنالك احدى نساء الجيران اللواتي يعرفنه فرحبت به وقالت : أأنت سميح ؟ ولكنهم

حملوا الينا نعيك !...

فقال : اني نجوت من الموت والحمد لله ... ولكن ماذا اصاب ليلى ؟

قالت : لا ندري ، فكل ما نعرفه عنها ان جمال باشا جاءها ذات مساء ، ثم اختفت وانقطعت اخبارها ، وبعد انقضاء ثلاثة ايام انتشرت في منزلها رائحة كريهة فكسرنا الابواب واذا بنا نجد ليلى جثة بلا روح ، وكانت عارية الثياب ، ممزقة الجسم ، مقطوعة الثديين ، وقد بدا لنا في جسمها من آثار التقطيع ما القى الرعب في افئدتنا وما نخجل من ايضاحه !...

ولقد صدقت جارة ليلى في ما روته عنها ، فان ليلى وقد بحثت عن ابنتها ولم تجدها قلقت كل القلق عليها وارسلت الى دائرة الشرطة تسأل عنها وهي تعتقد انها القت بنفسها في البحر او اصيبت بالجنون ، وفي اليوم التالي اقبل جمال باشا يسأل عن سعاد واذ لم يجدها ثار ثائره وقال : اين هي ؟

فقالت له الام : « لقد اختفت منذ اجتماعك بها » فصاح : « اني اريدها !... » فقالت : ألا يليق بي ان اقوم مقامها ؟...

فخيل لجمال باشا ان الام هي التي اخفت ابنتها فاتقد غضباً وقال : بلى ، انك لتليقين !...

ودخل بها حجرتها وامرها بان تنزع عنها ثيابها وما هو ان ارتوى منها حتى نادى احد ضباطه وقال له : افعل بها ما تشاء ثم انتقم منها افظع انتقام ، فلك ان تقتلها وان تشوه جسدها بفظاعة متناهية !

فاقبل الضابط يمعن في تعذيب ليلى وفي تشويه جسمها وهي تصيح وتتوسل وتسترحم وتستعطف والضابط لا يرحم ولا يشفق الى ان لفظت الروح ، وكان قد قطع لها ثدييها وقد اثخنها جراحاً وهو يقول : هكذا يريد الباشا !...

وقد استنتج بسميح شيئاً من هذا مع كونه لم يقف على الحقيقة بكاملها ، وقال لسعاد : هذه آخرة المتهتكات ، فان يد الله قد انتقمت لنا ممن نغصت علينا صفو الحياة !...

وابى البقاء في بيروت ، فباع املاك امرأته بكاملها وعاد الى مصر يحاول ان يتناسى فيها مع زوجته وولديه شقاء الحرب واهوالها وفظائع ليلى وجمال ، واذا تحدث عن ذلك الماضي الاسود قال : الحمد لله ، لقد نجونا من انياب الذئاب !!!

## تمت

# الشاعر المجنون

— بقلم الكاتب المعروف الياس ابو شبكه —



— لاتصدقيه يا عفيفةولا تعبأي بما يقول ، فهو ثرثار كجميع الشعراء ، يعظ الناس بلغة لا يفهمها الناس ، واذا خيل اليه ان في احدهم اعوجاجاً اخذ يحتال على الصدف حتى تجمعه به فيقول له في وجهه : « انت معوجّ » وربما اعلن في الصحف عن اعوجاجه هذا . اما اذا غشّى ابليس عيني احدى النساء فوثقت به واعطته قبلة فانه ليخرج من بين ذراعيها ناشراً على الملأ حكايته معها يزعم انه استمدّها من ابولون — إله الشعر والفنون والشمس — فلا يمضي وقت قصير حتى يعلم جميع الناس ان فلانة اعطت قبلة لفلان، واذا غضبت تلك المرأة وجاءت توبخه على عمله هذا يجيبها بقوله : « انا حر واحب الصراحة ! » ثم يذهب من عندها يضع امامه نارجيلة و كأساً من الخمر ويأخذ بنظم قصيدة يضمنها حكاية التوبيخ على اثر القبلة ليؤكد للقراء انه حرّ صريح ، وخلاصة القول يجب على جميع الناس — لاسيما النساء منهم — ان يتجنبوا هؤلاء الشعراء الاحرار الصريحين تجنباً تاماً فألسنتهم كالكلاّبات اذا تمسكت باحد احاطت به من جميع اطرافه فلا تبقي له منفذاً للخلاص

كان الاستاذ امين امين غلاماً في الخامسة والاربعين من عمره ، تدل تذكرة نفوسه على ان طوله — اذا استثنينا الطربوش — يبلغ مئة وثمانية وستين سنتيمتراً ، عريض الجبهة ، نافر الصدغين ، حصدت الايام شعور رأسه الا قليلاً منها تجتمع فوق عنقه الخلفي وعلى مقربة من اذنيه كما تتجمع كوم السنابل حول البيدر بعد الحصاد ، وكان لون بشرته يضرب الى لون النحاس ، وقد ذهب العارفون بعلم الالوان الى ان هذا اللون غير طبيعي فهو صباغ الليل ، فكأن الليالي — لكثرة ما رأته يقلق راحتها — ارادت ان تنتقم منه فتركت أثارها على وجهه

والاستاذ امين امين عندما انحط على هذه المرأة اخذ في البدء يدارج زوجها على صداقته واخلاصه حتى تمكن من الحصول على ثقته، فتسلل الى مداخل عيلته كما يتسلل الذئب الى حظيرة النعاج، وما زال يراوغ من الزوجة ويصافيها الوداد الكاذب حتى استطاع ان يستولي على قلب المرأة — على قلب المرأة الزوجة — واذ ذاك اصبح من الهين استيلاؤه على الجسد، ثم ان من النساء من يتحلب ريقهن لبضعة اذرع من الحرير او لقنينة من العطور يرفعها اليهن احد العشاق الخليعين فيستسلمن اليه حاطمات صنم اخلاصهن

للزوج الذي نذرن له الامانة امام الله والناس ، وعذرهن في ذلك ان المرأة في هذا العصر يجب عليها ان تماشي اختها في تيار البهرجة والتجمل او تصبح اضحوكة المتجملات من النساء

مضى على عشق الاستاذ امين امين لعفيفه خمس سنوات كانت عفيفة في السنة الاخيرة منها قد بدأت تشعر بميل جديد الى شاعر في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، وما زال هذا الميل ينمو في صدرها من يوم الى يوم حتى تمكن منها تمكناً شديداً فكاشفته به في ليلة خلّدها الشاعر في قصيدة له عنوانها « في هيكل الشهوات »

على ان الشاعر لم يرض ان يفهم حبه لها على طريقة حبها له ، بل اراد ان يغتنم الفرصة — وكان قد شعر بالحب الملطخ الذي بينها وبين الغلام الاربعيني — لوضع حد لهذا الحب غير الشرعي وارجاعها الى حضن زوجها

وكان شاعرنا المعشوق من تلك الطغمة التي تستشعر الاخلاص في كل ما تقول وما تعمل ، فاوحت اليه عفيفه بضع قصائد لم يكد الاستاذ امين امين يطلع عليها حتى ثار ثائره واهوى اليها يؤنبها على شقها عصا الطاعة في حبها له فقالت :

— وحقك يا امين لم انكث عهدك ولم اخنك مرة ، فهو لم يزعم انني وهبته قبلة الا . . .

فقاطعها الاستاذ امين امين بقوله :

— لا تقولي «يزعم» فمهما اجتهدت في اخفاء الحقيقة لا تتمكنين من خدعي ، قد اصدقك اذا اقنعتني بانك ندمت على تهورك في الاستسلام اليه ، ولكني لا اريد ان اصدق انه كذاب ، فهذا يختلف عن معظم اخوانه المحترفين حرفة « أبولون » بانه لا يخرج على لسانه كلمة لم يزنها بميزان الصدق

— ماذا تريد ان اقول لك اذاً ؟

— اريد ن افهم دائرة هذه القبلة ، وكم كان وزنها ، فهؤلاء الشعراء يستشعرون فلا يتهمون نفوسهم بموبقة ، فهم اذا ارتكبوا جريمة عبروا عنها بكلمة « قبلة » فالقبلة في افواههم تنطوي على كثير من المعاني

— تريد ان تعلم دائرة هذه القبلة وكم كان وزنها ؟

— نعم ، اريد ان افهم ذلك !

— اوتظن ان للقبل دوائر تضم جيوشاً من الموظفين وان لها اثقالاً وعيارات ؟

— لا ، ليس ذلك ، بل القبلة احياناً تبتدىء من الجبين وتنتهي عند الركبتين !

— هذه قبلتك انت يا صديقي !

= نعم ، وقبلتك انت ايضاً !

= صدقت ، قبلتي وقبلتك ، ولكن قبلته تختلف عن هذا النوع ، فهي لا تتعدى الشفتين ويسميها قبلة الالهة !

= يا له تيساً إلهياً ، وبماذا شعرت عندما قبلك في شفتيك ؟

= لم اشعر بشيء !          = لم تشعري بشيء ؟

= لا ، بماذا تريد ان اشعر ؟

= ألم تجر من شفتيه مادّة مائعة يسميها الشعراء رضاباً ؟

= لا ، لم يجر شيء ، ولكني شعرت بطعمة كطعمة الدم !

= اذن لم يقتصر الامر على قبلة عادية كما زعمت ، وتذوّقك طعم الدم يدل دلالة واضحة على انك امتصصت انت بدورك شفتي ذلك التيس ، وبماذا شعرت ايضاً ؟

= شعرت بارتجاف في ركبتيّ ! . . .

= ألم اقل لك ان هناك نوعاً من القبل يبتدىء من الجبين وينتهي عند الركبتين ، يا لك من غافلة يا عفيفة ، سامحك الحب ، سامحك الحب ، سامحك الحب ، ولكن الضربة لا تحتمل ، وهذا التسجيل لا يمحى ولن يمحى !

= هذا التسجيل ، واي تسجيل يا امين ؟

= يعتقد هذا الجنس من البشر ان كل شيء يخرج من بين شفتيه يجب ان يكون خالداً ، فهو لا يتلفظ بكلمة الا ويقول لها : « انت خالدة ! » ولا يكتب قصيدة الا ويقول لها : « ستقرأك الاجيال » ولا يقبل امرأة الا ويقول لها : « لقد اصبحت خالدة ، فلقد سجلت دمي على شفتيك ! »

= صحيح ، ولقد سمعته يقول لي بعد ان قبلني : « ان قبلتي التي سجلتها على شفتيك يا عفيفه قد محت بقداستها كل ما علق عليهما من قذارة القبل المدنسة ! »

= يريد بذلك انه محا قبلاتي ، يا له من تيس قديس ،ألا فلتمح جميع قصائده الحمقاء ، ولتتكمش بعنقه جميع شياطين الارض والسماء ! . . . قصائده الحمقاء والارض والسماء ، أسمعت ؟ لقد صرت شاعراً انا ايضاً ! . . .

= يظهر ان ما زعمه حقيقي ، فلما قبلتني عند دخولك علق من دمه المسجل على شفتيّ بعض قطرات على شفتيك فجرى الشعر على لسانك وبين ذراعيك . . . على شفتيك وبين ذراعيك ، أسمعت ؟

= نعم سمعت . لقد اصبحت شاعرة بحكم الطبيعة . . . لعن الله هذا المعتوه فلقد سجل دمه فينا جميعاً . . . ما العمل ؟ يجب ان ننتقم !

= ان ننتقم ؟ وبماذا ترانا نستطيع ان ننتقم ؟

= يجب ان ننتقم منه ونجعله اضحوكة الى ابد الابدين ودهر الداهرين !

فقالت عفيفة : آمين !

= ماذا تريدين ؟

= لا اريد شيئاً !

= سمعتك تناديني باسمي !

= لا ، بل قلت آمين ولم اقل امين ... وآمين هذه كلمة ...

= اعرف ، اعرف ، هي كلمة يصدّق بها السامعون على كلام المصلّين ... فاذا قال المصلي مثلاً :

« الى ابد الابدين ودهر الداهرين » يقول السامعون : « آمين »

= هذا تماماً !

= لنعد الان الى الانتقام ، فما الطريقة الفضلى للنيل منه من غير ان يشعر ؟

— من غير ان يشعر ؟

— آه ! نعم . والا رجع سهمنا الى صدرنا ، وجعلنا مضحكين الى ابد الابدين ودهر الداهرين ، لا تقولي آمين !

— لا ، لا ، ولكن ما العمل ؟

— ما العمل ، اسمعي ، لدينا طريقة واحدة وهي ان نضيف الى لقبه الشاعر نعتاً مضحكاً نأخذ ثأرنا به ، ولكي لا يشيع الامر نبقي هذا التعارف بيننا ، فاكون قد انتقمت منه لك وتكونين انتقمت لي منه ، اذا ان قصارى ما نرغب ان ...

— ان ننتقم ، ولكن هل اخترت النعت ؟

— لم اختره بعد ، ولذلك اردت ان تساعديني على ايجاده!

— نلقبه بالشاعر ... الكبير ؟

— لا ، لا ، يا لك من غبية ، فهذا الاسم يشرفه !

— اقصد بالكبير كالجبل او الحوت او الفيل او التمساح ، فيكون لهذا النعت معنيان معنى ظاهر ومعنى مضمر ، فاذا ما سميناه مثلاً الشاعر الكبير يكون قصدنا « الشاعر الكبير التمساح » الا اننا نترك « الكبير » يخرج من فمنا ونبقي « التمساح » في قلبنا !

— فكرة حسنة ، ولكنها لا تصلح في هذا الموقف ، فكلمة كبير تطلق على امثال اسكندر ذي القرنين والقيصر ونابليون وجنكيز خان وليس على تيس كهذا ! ...

— اذن نلقبه بالشاعر ميكروميغاس !

— ميكروميغاس ، ما معنى ميكروميغاس ؟

— ميكروميغاس كلمتان يونانيتان الاولى ميكرو ومعناها صغير ، والثانية ميغاس ومعناها كبير ، صغير كبير ... اما نعته بالصغير فينطبق على عقله ، ونعته بالكبير ينطبق على انفه !

— على انفه ، ما شأن انفه في هذه القضية ؟

— لقد سمعته مراراً عديدة يقول لي : لا تضحكي من انفي فمعظم الرجال العظام لهم انوف كبيرة!

— يا لكِ من ساذجة يا عفيفه ، ان المرأة وان كانت تحب الانتقام الا انها لا تستطيع شيئاً بدون عضد الرجل ، فدعيني اجد النعت ، نلقبه بالشاعر ... بالشاعر المجنون !

— الشاعر المجنون ؟ . . . ما من نعت ابلغ من هذا ، فلتحي !

— اما الان وقد وجدنا النعت الموافق فيبقى علينا ان . . .

فقاطعته عفيفة بقولها : ان نصادفه فنقول له في انفه : « انت شاعر مجنون ! . . . »

— لا يا غبية!

— ولماذا لا نكون صريحين مثله ؟

— ان الصراحة هذه شعار المجانين ، أفتريدين ان تكوني مجنونة ؟ ثم انه لا يعدم سبيلاً للاقتصاص منا اذا هو سمع منا هذه الكلمة ، فهناك مجانين مثله يفرغون له اعمدة جرائدهم ومجلاتهم ويدفعون له ثمن جنونه ورقات سورية . . . ان صراحة هذا المجنون تفيده مالياً فهو يشمت بنـا ويحقرنا ويقبض ثمن كل صفحة من هذا التحقير خمسة غروش ذهبية يشرب بها خمرة وتنباك . اما اذا وبخه احد عـلى خطته هذه فيجيبه : « انني ادرس المجتمع » ثم انه اذا اقتضى الامر لا يتردد ان يدفـع هو بدوره ثمن نعت مضحك كهذا ليبني عليه قصيدة او رواية يسميها « رواية اخلاقية »

— اذا كان الامر كذلك فيجدر بنا . . .

— يجدر بنا ماذا ؟

— ان نعقد معه اتفاقية !

— اتفاقية ؟

— نعم ، نقول له وجدنا لك لقباً يوحي اليك رواية فاذا دفعت لنا كيت وكيت نقوله لك !

— واذا دفع لنا ؟

— نقول له اتفقنا على ان نلقبك بالشاعر المجنون !

— لا يا غبية ، ثم قال في نفسه : « ان من النساء من يضحين بشرفهن في سبيل الدرهم ، حتى انهن ليجدن العار هيناً اذا شعرن ان وراءه قطعة براقة » !

— اذن تريد ان لا نستفيد شيئاً من الانتقام ؟

— ألا تعتقدين ان للانتقام الروحاني فائدة ؟

( يتبع )

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية اسبوعية مصورة

الرواية التامة

# في سبيل ابنتها!..

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

العدد ١٠٦

السنة الثالثة

بيروت في ٥ شباط ١٩٣٠

# في سبيل ابنتها

تزوجته وهي تعتقد ان نعيم الدنيا بين يديه ، وان السعادة في قلبه وبين شفتيه ، وان منتهى الامال في الجلوس على ركبتيه

تزوجته وهي تحس بلهيب الحب في قلبها ، وترى الاحلام زاهرة زاهية في طريقها ، وتنظر الى المستقبل فتصيح : المستقبل لي وحدي ! ...

وزوجها يرتع في شباب باهر فتان ، ويملك ثروة لا تفنى ، وتسير ابداً اعماله في طريق النجاح وهذه هي السعادة الكاملة لزوجين لا يطمح احدهما للشهرة والخلود ، فالطامح للشهرة والخلود يشقى ، ويشقى طويلاً ، ويشقى معه ذووه ، ولا يفوز ببغيته في معظم الاحيان

— جانين ، ألا تروقك هذه الحياة ؟

فنظرت اليه ضاحكة وقالت : وكيف لا تروقني وانت قائدي فيها ؟ ...

وماذا بعد هذا الجواب غير قبلات كثيرة ، وعناق شديد ، وكلمات متقطعة تشير الى الحب المتناهي ، فلا تسمع الاذن غير وقع القبلات ، وصدى التنهدات ، وهمس الشفاه : « احبك ! ... حبيبي ! ... انت حياتي ! ... انت كل مناي وعروس احلامي ! ... »

وتمتعا باطايب الحياة ، وعاشا في عز ورغد ، وحسدهما كل من يعرفهما على تلك النعمة وتمنى ان تكون له مثلها ، ولم يمض على زواجهما سنة واحدة من الزمن حتى كانت « جانين » تضع ابنة ، ويا لها من ابنة ، فالنور يتدفق من وجهها ، والعذوبة تبدو في نظراتها وحركاتها ، والعافية تتلألأ في وجنتيها

— وماذا تريدين ان يكون اسم ابنتنا يا جانين ؟ ..

فقالت المرأة : ندعوها روزيت ! ...

قال : ولماذا لا ندعوها « مرغريت » وقد ولدت في فصل الربيع ؟ ...

فقالت : ليكن اسمها مرغريت ، فكل ما تقوله آية منزلة عندي ! ...

وحمل ابنته بين يديه ، وراح يلاعبها ، وبلغت الابنة السنتين من العمر وهي زينة الدار وبهجة القلبين ، فالام كانت ترى فيها لذة الحياة ، والاب كان لا يطيب له عيش اذا لم يقبل في مسائه على ابنته يطوف بها الحديقة والدار ويغنيها وينشدها الاناشيد ويأتيها بالهدايا واطيب المأكول ، اما في الصباح فلا بد له من

انيعود اليها يسمع نداءها له : « بابا ! . . . بابا ! . . . » قبل الانصراف الى عمله

لقد كانت تطربه هذه الحياة الهنيئة الرغيدة ، ولكن هل يدوم الهناء والعيش الرغيد ؟ . . .

هو من تجار السكر في باريس ، فهوت اسعار السكر ، فما باع الكميات الكبرى الموجودة منه لديه ، واصر على التمسك باسعار الامس فاذا الكارثة تنقض عليه ، فخسر امواله كلها ولم يبق معه غير حلى امرأته ، فقالت له جانين : خذ جواهري وانفق ثمنها كيف تشاء ! . . .

فاكبر تضحية امرأته وابى ان يمس جواهرها ، ولكنها ألحت عليه ببيعها ففعل ، وجواهر امرأته تساوي المبلغ الكبير من المال ، وعاد الى المتاجرة بالسكر ، وما هي الا عشية وضحاها حتى خرج منها لا له ولا عليه ، فقد اضاع ثمن الجواهر فوق ثروته

فما كان من « جانين » الا ان ابتسمت لدن علمت ما اصاب جواهرها وقالت : اني احسن الخياطة ، ومنها سنكسب رزقنا ! . . .

ولكن الخياطة لا تبقي لذلك البيت شأنه الاول ، ومهما ربحت جانين منها فانها لعاجزة عن توفير القوت لزوجها وابنتها ، وابى الدولاب الا ان يدور فوقما دار ، فاذا بالزوج المسكين يموت متأثراً مما ألم به من خسارة وشقاء ، فمات وقد ترك بعده امرأة وابنة لم يكن لهما معين سواه ، مات والحسرة في قلبه ، والالم في نفسه ، والدمعة في عينيه

هذه هي فواجع الدهر ونكباته ، فالمرء لا يدري ما يكون من غده ، فانه لينام على الفراش الوثير ويصبح وهو لا يعلم ماذا يكون من امره في مسائه ، أينام على الحضيض ام يطويه التراب ام يرتع في عز ما بعده عز ؟ . . .

وجانين بكت وبكت زوجها ، لقد بكته باغلى الدمع واصدق العبرات ، وكانت تصيح وهي تودعه الوداع الاخير : من لنا بعدك ، من لنا ، الى اين تتركنا وتذهب ولا معين لنا سواك ؟ . . .

وعبس الدهر لذلك البيت ، فامسى ملعباً للبؤس ولنكد العيش والبكاء ! . . .

## — ٢ —

ما اوجع الفقر بعد الثروة والنعمة ، وما اصعب الاضطرار لكسب القوت بعد العز والرفعة والاطمئنان الى المستقبل الآتي ، فان « جانين » وقد رأت نفسها في حاجة وفاقة اخذت تفكر بالوسيلة التي تقوى بها على النجاة مع ابنتها من مخالب الجوع .

اجل ، لقد احست بالجوع بعد نعيم الامس ، وهذا الجوع كان يهددها ويهدد ابنتها بالموت ، فصاحت : ما العمل يا ربي ؟ . . .

وجاء صاحب المنزل يطالبها ببدل الايجار فقالت له : صبراً الى المساء ! . . .

وعند المساء اعتذرت الى الغد ، وفي الغد اقبل ، فبكت امامه فلم يتأثر لدموعها بل قال : اما ان

ترحلي او ان تؤدي لي المال المطلوب !

قالت : ألا ترحمني وترحم ابنتي ؟ . . .

فابى ان يسمع ، قالت : ساشتغل واودي لك المبلغ !

فقال : لقد شبعت من الوعود ، فاما ان تدفعي الان لي المال او ان تغادري المنزل ! . . .

فتوسلت اليه واستعطفته وروت له حكايتها وشكت له اوجاعها فما كان ليرحم ، قالت : اني اموت من البرد مع ابنتي اذا طردتنا من دارك ! . . .

فقال : ان الله نفسه لم يرحمكما فكيف تطلبان الرحمة مني ؟ . . .

قالت : هذا صحيح ، فان الله نفسه تخلى عنا فهل نرجو الرحمة من العبد ؟ . .

واظهرت شيئاً من الصبر ، وقامت الى ما بقي عندها من حوائج تجمعها ، وحملت ابنتها على ذراعيها وراحت تطوف الشوارع والاسواق تبحث عن مأوى وعن رغيف من الخبز ! . . .

تلك هي الفاجعة الكبرى . من العز ، الى الفقر ، الى استجداء اكف المحسنين ، « وجانين » لو شاءت لاستطاعت ان تتقي الكارثة بابتسامة تخدع بها العشاق الملتفين حولها ، وما اكثر هؤلاء . هي لو شاءت لاستطاعت ان تبقى في نعيمها بكلمة واحدة تتلفظ بها شفتاها ، ولكنها آثرت الموت على ان تعيش عيش الدعارة والذل

فكانت تقول : الموت افضل من العار ! . . .

وهي لولا ابنتها لزهدت بالحياة كل الزهد ، ولكنها ادركت بان من واجبها ان تساعد على الحياة المخلوق الذي مهدت له سبيل النور ، ولاجل هذه الابنة طاب لها ان تعيش وان تكسب رزقها بكل وسيلة مستطاعة ، على ان تكون وسيلة شريفة لا عار فيها

و« جانين » ذات جمال لا مثيل له ، فان باريس على رحبها لا تحفل بالكثيرات ممن يرتعن في هذا الجمال ، ولها قد وجسم مسبوكان من الخيزران والعاج ، فكيف لا تستميل اليها كبار العشاق وهي من هذا المعدن الخلاب ؟ . . .

ولكن « جانين » ابت ان تعرض جسدها الريان على الجائعين الجشعين ، فكانت تطوف اسواق باريس ودمع امتهما اجتهدت في مغالبته يسيل على خديها ، وكلما حاولت ان تتكلم غصت بالكلام وارتج عليها

ومرغريت ، مرغريت ابنتها ، كانت ترقد على ذراعيها وتسبح في نوم هنيء ، وماذا عساها ان تعلم من امر امها وهي لا تعرف من هذا الوجود الا ان تأكل وتشرب وتلعب وتنام ؟ . . .

والى اين تذهب « جانين » في اسواق باريس ، الى من تلتجيء وهي لا تعرف احداً ؟ . . . لقد خافت شماتة جيرانها اذا لجأت اليهم ، وخافت طمع الرجال فيها اذا قرعت باب احدهم تسأله الرحمة ، وبعد مسير ساعتين من الزمن على غير هدى من امرها شعرت بالعياء ، فبحثت عن مكان تستريح فيه فلم تجد لها مكاناً ، وخارت قواها فارتمت في وسط الطريق وهي تئن وتبكي ! . . .

فالجوع والعياء والقنوط اجتمعت كلها لمحاربتها ، وكان الناس قد ابصروا هذا المشهد المؤلم فدهشوا له واسرعوا الى تلك المرأة الجميلة يرفعونها عن الارض ، ووقفت ابنتها الصغيرة الى قربها تصرخ وتقول : ماما . . . ماذا اصابك . . . ماما ؟ . . .

ومن اين لها ان تعلم ماذا اصاب « الماما » وهي لا تزال تجهل متاعب العالم ومصاعبه ومظالمه ؟ . . .

وحملوا الام الى نادٍ قريب ، وجاءوها بالمنعشات ، فخجلت من نفسها وقد ادركت ما اصابها ، وسألوها عما بها ، فقالت :

— اني ابحث عن عمل اعيش منه مع ابنتي ! . . .

فبدت للقوم الحقيقة الراهنة ، فقال لها صاحب النادي : هل تحسنين الرقص يا سيدتي ؟ . . .

وكان قد اعجب منها بحسنها وقوامها ، فاجابت : نعم ، اني احسنه ! . . .

— وهل تستطيعين ان تشتغلي كراقصة في هذا النادي ؟ . . .

راقصة ؟ . . . كيف ترضى «جانين» لنفسها بهذا المصير الاسود بعد عزها وجاهها ؟ . . . انها لفي حاجة الى العمل ، واشغال الخياطة وقف دولابها وهي مضطرة لتعيش ولتكسب قوتها وقوت ابنتها ، الا انها لم تحلم في يوم من الايام ان جور الليالي سيرميها على الملاعب تعيش من الرقص والتبرج وربما . . . من الخلاعة والفجور ! . . .

فقالت لصاحب النادي : أليس من وظيفة لي غير وظيفة الرقص اعيش منها ؟ . . .

فابتسم صاحب النادي وقال : ان الجميلات مثلك لا يعدمن وسيلة لكسب رزقهن !

فقالت : اني اعرف هذا ، ولكني اريد وسيلة شريفة اعيش منها !

فالتفت السامعون بعضهم الى بعض يتغامزون ، فقالت جانين : وهل استطيع ان اكسب رزقي ورزق ابنتي بشرف من الرقص ؟ . . .

فقال صاحب النادي مازحاً : الخاطر في ذلك لكِ ، فاذا شئت ان تستسلمي للعشاق فلن اصدك عنهم ، واذا ابيتِ فلن يرغمكِ احد منهم على حبه ! . . .

فاخذت تفكر بما يجب عليها ان تفعل ، ورأت انها اذا ترددت في قبول الوظيفة التي يعرضونها عليها ربما لا تجد لها عملاً ، فقالت وقد نظرت الى ابنتها الصفراء اللون : رضيت ! . . .

وسال دمعها على اثر هذه الكلمة ، فلقد رضيت باحقر مهنة — وكانت ترى مهنة الرقص احقر مهنة في الكون — لتحمي ابنتها من خطر الجوع ، لتنجو من قول ابنتها لها :

— اين الاكل ؟ . . . اني جائعة يا ماما ! . . .

وقلبها كان يتمزق عندما تسمع ابنتها تخاطبها بهذا الكلام ، واول ما قالته لصاحب النادي بعدما اتفقت واياه على المبلغ الزهيد الذي ستتقاضاه منه في كل شهر ، اول ما قالته له بعد ابرام الاتفاق : اعطني ما اسد به رمقي ورمق ابنتي ! . . .

## -٣-

ورقصت « جانين » في النادي ، لقد رقصت في البدء بشيء من الحياء ، ولكن ما انقضى اليوم الاول والثاني حتى رسخت قدمها في الفن وامست كتلك الراقصات اللواتي مضى عليهن في ملاعب الرقص عشرات السنين

والان وقد اجتمع لديها بعض المال فماذا تفعل بابنتها ، ماذا تفعل بها ؟ ... أتبقيها الى جانبها لتمسي في الغد راقصة مثلها ؟ ...

لا ، ان « جانين » وقد اضطرت لدخول ملعب الرقص كي تعيش لن تدفع ابنتها الى الهاوية بل ستهذبها في ارقى المعاهد واكثرها تمسكاً بالاداب ، فتنشأ الفتاة على ما كانت عليه امها من قبلها ، ورأت ان خير المعاهد هو معهد الراهبات ، فحملت ابنتها اليه قائلة لها : هنا ستقيمين بعد الان يا مرغريت ، وسازورك يا ابنتي في معظم الاحيان ! ...

وودعت ابنتها بقبلة في جبينها ، وانصرفت وهي تقول : لاجل ابنتي يجب ان اشتغل واعيش ! ...

واطمأنت الى مصير ابنتها ، فكانت تؤدي عنها المال المطلوب للمعهد وتزورها في كل اسبوع وتحمل اليها الهدايا ، لقد كانت تحيي الليالي الطويلة في سبيل ابنتها الصغيرة ، ولم يطل الزمن على « جانين » حتى اصبحت من اشهر الراقصات في باريس

فان الحفلة التي تحييها كانت تضم الالوف من المعجبين بها ، وذاع صيتها ، وجاء مدير نادي « لونابرك » يعرض عليها المبالغ الطائلة من المال فقالت له : لا اترك هذا النادي الذي ساعدني على الحياة ، فاذا شئت ان اكون لديك اتفق وصاحب هذا النادي ثم تعال اليّ !

فما كان من مدير نادي « لونابرك » الا ان دفع مبلغاً طائلاً من المال لصاحب النادي الصغير كي يرضى بان تبرح « جانين » ناديه ، وفي نادي « لونابرك » ادهشت « جانين » باريس بكاملها ، فتناقلت اسمها الافواه واصبحت ليالي « لونابرك » اروع ليالي باريس على كثرة ما هنالك من الاندية والملاهي

واطلقوا على « جانين » لقب « ملكة الملاعب » فاذا بدت للرقص صاح المشاهدون : هذه هي الملكة ، لتحيَ الملكة ! ...

وابتكرت من فنون الرقص ما زاد في سمعتها ، فكأنها خلقت للملعب لا للبيت ، وهام بها الكثيرون ، ووجدت في طريقها مئات العشاق ، ولكنها كانت تصدهم عنها بابتسامة لطيفة تفهمهم بها ان ما يطلبونه منها لهو صعب المنال

واشتد الاقبال على « لونابرك » ، وتراكض القوم من كل جانب ليشاهدوا « ملكة الملاعب » وجانين التي كانت قد جمعت من الرقص ثروة تستطيع معها ان تعيش بدون ان تتعاطى هذه المهنة الشاقة رأت مدير الملعب يستعطفها كلما حاولت ان تهجر ملعبه راجياً منها ان لا تتخلى عنه

فاطلعته على حكايتها، وقالت له انها ابنة نعمة وغنى، وانها لم تضطر للرقص لولا ان فجعها الدهر بزوجها وبامول زوجها ، وانها الان وقد استعادت ثروتها وامست تقوى على ان تعيش وتعيش معها ابنتها بهناء واطمئنان تريد هجر الملاعب ، ولكن مدير النادي كان يتوسل اليها قائلاً : جانين ، رحماك لا تفعلي ، ان خروجك من هذا النادي يقضي عليه بالافلاس ! . . .

و« جانين » كثيرة الشفقة ، فما ان يخاطبوها باقوال اللين واللطف والاستعطاف حتى تتناسى امرها وتخدم بكل اخلاص الملتجئين اليها ، فرضيت من مدير النادي بالبقاء على الملعب ، وكانت تحفل لياليها بنخبة الباريسيين

ولقد حجبت كل راقصة ، وبلغ من هيام الناس بها انهم اخذوا يرقبون بفارغ صبر ظهورها على ملعب « لونابارك » ، واذا اتفق لراقصة سواها نيل شيء من الاعجاب فان ما تناله لا يبلغ ذرة مما تدركه «جانين» والذين يرتادون النادي انفسهم طلبوا ان تظهر في كل ليلة الراقصة الفتانة ثلاث مرات على الملعب ، فابت ، وبعد الرجاء والتوسل قالت : ساظهر مرتين !

وهي اعتقدت ان في ظهورها في كل ليلة مرتين على الملعب تضحية منها ، ولكنها رضيت بهذه التضحية لاجل مدير النادي ، ولاجل النادي نفسه ، فهي تعلم انها اذا برحته تضاءل عدد زائريه

وكم كانت تطرب عندما ترى ابنتها قد كبرت وترعرعت وبدت محاسنها للعيان ، وشعرت الفتاة بان امها لا تدعوها اليها في اثناء فرصة الصيف بل تبقيها في المعهد ، فقالت لها : ولماذا لا اقضي ايام الصيف الى قربك يا امي ؟ . . .

فكانت الام تجيب وهي لا تريد ان تعرف ابنتها شيئاً من امرها : ان منزلنا بعيد جداً من قلب العاصمة يا ابنتي ، وجيراننا من الطبقة الدنيئة فلا ارضى بان تكوني بينهم وانت الحمل الوديع ! . . .

فتعتقد الفتاة ان امها تقول الحقيقة وتكتفي بهذا الجواب وهي الفتاة التي نشأت في معهد الراهبات على التقوى والفضيلة فلا تطيق ان تعاشر فئة من الاسافل الاشرار ، ولو علمت ان امها تضللها ، وانها تخفي عنها اموراً ذات شأن لتبدل موقفها من رفيقاتها ، فكانت تقول لهن ان امها صاحبة اموال وقصور فخمة وانها تعيش من ريع ثروتها

ومن كان يبصر « جانين » في الطريق ويبصرها في الملعب لا يصدق ان هذه المرأة المزدانة بالحشمة والوقار هي تلك الراقصة الفتانة ، العارية الثياب ، البارزة النهدين والفخذين

وكل العشاق الذين هاموا بجانين ارتدوا عنها وقد لمسوا فيها الفضيلة والعفاف الا احد ارباب المصارف الكبرى « فيكتور موتون » . فقد جاء الى الراقصة يعلن لها حبه فافهمته حقيقة امرها وطلبت منه بلطف ان يدعها وشأنها ، فاعاد الكرة عليها فقالت له : ان كنت تود محادثتي كصديق فاهلا بالاصدقاء ، اما ان تطلب مني ان ابادلك الحب فلا شأن لك معي ! . . .

فضحك « فيكتور موتون » كأنه يستخف باقوال الراقصة ، وكان سمجاً جداً فاخذ يقول : ألا

تحبينني يا جانين ؟ . . .

فهزت رأسها وقالت : دعنا منك يا مسيو موتون !

— ماذا ، ألا تحبينني ؟ . . .

— لا جواب عندي لهذا السؤال !

— ولكنني احبكِ واراكِ جميلة جداً !

فنظرت اليه باحتقار وقالت له : حقاً انك لقليل الذوق !



فجثا على مقعدها وحاول ان يطوق جيدها بيديه . . . ( صفحة ١٠ )

وادارت له ظهرها ، فغاظه موقفها منه ، ولم يجد بداً من الانصراف ، فخرج وهو يتمتم ويقول : يجب أن امتلكها ، فان جمالها وقالبها وبشرتها البيضاء وعينيها السوداوين وكل ما فيها جواهر نادرة المثال لم اجدها في راقصة بل في امرأة سواها !

وعاد اليها ذات يوم وقد خرجت من الملعب الى مخدعها ، فقرع الباب ، فنهضت تفتح له ، ولما ابصرته ابدت اشمئزازها وعادت تجلس على مقعدها ، فوقف حائراً امام هذا الاستقبال الجاف وقال : جانين ، أهكذا تستقبلينني ؟ . . .

فلم تجب ، قال : أهذا هو مقامي عندكِ ؟ . . .

فادارت له ظهرها ، وكانت لاتزال في ثياب التمثيل ، قال : جانين ، انك تحتقرينني ! ...
فتظاهرت بانها لم تسمع ، فاقترب منها قليلاً وصاح : اني احبكِ يا جانين ! ...
فضحكت ضحكة الازدراء والاستخفاف ، فقال : واعبدكِ ايضاً ! ...
قالت : ابحث عن صنم تعبده ودعني وشأني ! ...
— جانين لماذا لا تبادلينني الحب ، فان حبكِ سلب مني قلبي ! ...
— عسى ان لا يسلب منك حياتك ! ...
— أهذا هو جوابك لمن يحبك ويتوسل اليك ان ترحميه ، أهذه هي شفقتكِ على من جمالكِ هدف احلامه ؟
فتأففت وقالت : ما لنا ولاناشيد الحب تلقيها على مسمعي ، ما لنا ولهذه السفسطات ! ...
فجثا على مقعدها وحاول ان يطوق جيدها بيديه ، فنظرت اليه نافرة غاضبة وقالت : أرأيت اسمج منك يا مسيو موتون ؟ ... أرأيت اسمج منك ؟ ..

فما كان منه الا ان هجم عليها يريد تقبيلها ، فنهضت كاللبوءة تتقد غضباً ونفوراً وتصيح به : اخرج من هنا ايها الوقح ، اخرج ! ...
واسرعت الى الباب تفتحه له وتقول : لا تقف دقيقة واحدة عندي ، هذا هو طريقك ، اخرج ! ..
فامتثل مرغماً ، وخرج والعرق البارد يتصبب من جبينه وهو اشبه بالذليل الحقير ، واغلقت وراءه الباب وهي تقول : انه لغليظ ، واني لاتساءل كيف استطاعت امه ان تحمله تسعة اشهر في احشائها ! ..
وجلست تفكر بابنتها وتقول : يجب ان اذهب غداً اليها ازورها واقدم لها الهدايا ، فقد طال شوقي لمرغريت ! ...

## — ٤ —

وكانت مرغريت قد بلغت من العمر عنفوانه ، فتجلت محاسنها ورأى فيها كل من ابصرها جمالاً فريداً عديم المثيل
وحامت حولها العيون ، ولم يخطر في بال احد من الناس انها ابنة الراقصة الطائرة الصيت « جانين »
واقبلت امها تزورها وتقبلها بلهفة وشوق ، وكانت هناك احدى صديقات مرغريت فلما ابصرت « جانين » تراجعت قليلاً الى الوراء وقد عرفت راقصة « لونابرك » وقالت في نفسها : اتكون هذه امها ؟ ...
وخاطبتها قائلة : يلوح لي اني ابصرتك في مكان لا اتذكره تماماً يا سيدتي ! ...
فقالت جانين وقد ادركت ما ترمي اليه الفتاة : واين ابصرتني يا ابنتي ؟ ...
قالت : في احد ملاعب باريس على ما اعتقد ! ...
— انت على خطأ يا ابنتي ، فاني لا ابرح داري حيث اقيم منذ وفاة المرحوم زوجي ! ...

وانصرفت جانين الى حديث آخر تحاول ان لا تترك في ذهن ابنتها شيئاً يوحي اليهـا ان امها من الراقصات ، وراحت « لوسي » رفيقة مرغريت تقول في نفسها : ما اعظم الشبه بين هذه السيدة والراقصة جانين ! . . .

وكانت « لوسي » شديدة الغيرة والحسد . وكثيراً ما ابدت نفورها من مرغريت واتهمتها امـام رفيقاتها بانها سيئة الاخلاق سريعة الغضب ، وكثيراً ما عابت عليها جمالها قائلة عنها : ان بينها وبين الجمال فرقاً بعيداً ! . . .

ومرغريت كانت تسمع من رفيقاتها ان لوسي تتحامل عليها ، ولكنها لم تكن لتصدق مايقال لشدة حبها لصديقتها وثقتها بها واخلاصها لها . فكانت تضحك مما يروونه لها عن لوسي وتقول : لا يخطر لي في بال ان اخلص رفيقاتي تحط من مكانتي ! . . .

فان مرغريت طيبة القلب ، لا تعرف خداع العالم ومكره ، في حين ان « لوسي » من الفتيـات الماكرات اللينات الملامس الحاملات في انيابهن العطب ، فكانت اشبه بالافعى تظهر لمرغريت اللين والحب والود وتدس لها السم

وما كان ليغيظها غير ذلك الجمال الباهر الرائعة فيه مرغريت . فكانت تتقد غيظاً وحقداً عندمـا تسمع ان مرغريت جميلة ، وكانت تتألم اذا اطنب احد امامها في بهاء مرغريت

ولو كانت جميلة ، بل لو كانت على شيء من الجمال لهان الامر ، فان منظرها لا محاسن فيه ، فهي ذات وجه طويل وانف طويل ، رقيقة الجسم ، صفراء اللون

ومع كل نقمتها على مرغريت اعتقدت هذه فيها الاخلاص ، فراحت تروي لها شؤونها وتقص عليها حكاياتها ولا تخفي عنها سراً من اسرارها ، و« لوسي » تسمع وتحفظ عن مرغريت كل ما ترويه لهـا الفتاة من حسن وقبيح ، بل هي كانت تنسى الحسن ولا تحفظ غير القبيح

واتفق ان مرغريت قالت لها ذات يوم : أتعرفين يا لوسي ? . . .

فقالت : هل من بشرى تريدين اطلاعي عليها ? . . .

— لقد بدأت اشعر بعاطفة الحب ، ومع اني بذلت كل مجهود في اتقائها فما استطعت ان انزعها من فؤادي ، ولذلك ابقيتها فيه . لا انكر بان في ذلك ما يسيء الى التعاليم التي تلقيناهـا ، ولكن ماذا تريدين مني ان افعل ? . . . لقد احببت ! . . .

— ومن تكونين قد احببت يا مرغريت ? . . .

فنظرت الى رفيقتها باسمة وودت ان لا تصرح لها باسم من تحب ، غير ان لوسي ألحت عليها بالتصريح فقالت : أتعرفين المحامي « روستان » الذي يلقي علينـا في كل اسبوع محاضرة عن حقوق المرأة في المجتمع ? . . .

قالت : أهو الذي تحبين ? . . .

فابتسمت مرغريت واحست بشيء من الخجل فلم تجب ، فاعادت عليها لوسي السؤال فقالت : نعم! وخبأت وجهها بيديها وهي تقول : بربكِ يا لوسي لا تطلعي احداً على امري ، اياكِ وان تعرف الراهبات شيئاً من هذا فانهن ليطردنني والويل لي عند ذلك من امي ! . . .

فقالت لوسي : لا تخافي ! . . . .

واخذت في التفكير ، فقالت لها مرغريت : ما بكِ ، ارى الخبر قد اوجمكِ ، فهل تحبين المحامي الشاب مثلي ؟ . . .

فتظاهرت لوسي بالابتسام وقالت : ان قلبي لا يزال منيعاً يا مرغريت ، فالحب لم يفتتحه الى الان ، على اني افكر بماذا يكون من امر الراهبات معك لو اتصل بهن النبأ ! . . .

فقالت : ومن اين لهن ان يعرفن به ولم يطلع عليه احد سواكِ ! . . .

وكان في نية « لوسي » ان تروي للراهبات الخبر ، بيد انها خافت ان ترتاب مرغريت بحسن نيتها وهي التي يشوقها ان تقف ابداً على اسرار صديقتها ، فكتمت السر على كره منها ، لقد كتمته مع انها شعرت بانه بكتلة من نار تحرق قلبها

« ولوسي » ايضاً تحب المحامي روستان ، وحبها له زاد في كرهها لمرغريت ، فالحقد والحسد اقترنا بالغيرة ، وماذ لا يفعل من تنهشه هذه الافاعي الثلاث ؟

وخافت « لوسي » ان يفتتن المحامي الشاب ، الجميل الصورة ، الكبير الثروة ، بصديقتها مرغريت وهي اجمل منها واكمل فعمدت الى الوشاية بها اليه . والمحامي « روستان » كان قد شعر بميل لمرغريت فقال في نفسه : انه ليشوقني ان تشاطرني هذه الفتاة نصيبي من الدنيا ! . . .

واكثر من النظرات الى مرغريت ، واطربه ان تبادله الفتاة نظرات مثلها تدل على شغف وجوى ، وقال لها مرة : انكِ لجميلة جداً يا مرغريت ! . . .

وجاءها في المرة الثانية بطاقة من الازهار ، وفي المرة الثالثة لامس يدها

وكانت لوسي تنظر بامتعاض الى هذه الحركات والى مظاهر الحب البادية من الشاب نحو رفيقتها ، وبلغت منها الغيرة في احدى الليالي ان اخذت تبكي وتقول : يجب ان انزعه منها ، ولكن ما العمل للاستيلاء عليه ، اي وسيلة استطيع اختراعها لادفعه عنها ؟ . . .

وطلبت من رفيقتها ان تمهد لها السبيل لمصادقة المحامي الشاب ، فلم تخيبها مرغريت في ما طلبت منها ، ولما اضحت « لوسي » على صلة وثيقة بالشاب اخذت تبدي له كل اخلاص وميل وحب ، وقد حاذرت لشدة دهائها ان تقول له كلمة في مرغريت

بلى ، لقد كانت تتحدث له من حين الى آخر عن الفتاة بما يخفض من شأنها لديه ، فتقول له عنها انها طائشة ، وانها كثيرة الغنج ، وان ذويها لا يسألون عنها ، فلا يهتمون بها في خلال فصل الصيف بل يتركونها في المعهد تعاني حر المدينة وتستنشق هواءها الفاتر الموبوء

وقالت له مرة عنها : ان امها تزورها وتأتيها بالهدايا ولكنها مع كل ما تبديه لها من العطف والحنان تبقيها بين جدران المعهد كأنها تخاف اذا دعتها اليها ان تنغص عليها صفو عزلتها ، ألا ترى في هذا الامر ما يدهش يا سيدي الاستاذ ؟ . . .

فقال المحامي في نفسه : أيكون لامها عشيق فتأبى على ابنتها ان تفاجئها بين ذراعيه ؟ . . .

وخاف ان تصبح الابنة شبيهة بامها فقال : كما هي الام تكون البنت ! . . .

بيد انه كان يحب مرغريت حباً حقيقياً فاخذ يقول : ساجتهد في تدريبها ونصحها بان تكون شريفة حسنة السمعة ، واني لعلى اعتقاد بانها ستنقاد الى نصحي وارشادي ! . . .

وقال للوسي وكانت تكثر من محادثته والتردد اليه : اني احبكِ يا لوسي لانكِ صديقة مرغريت ، فان صديقاتها صديقاتي ! . . .

فقبلت منه « لوسي » هذا العطف شاكرة ، غير انها ودت ان ينقلب عطفه عليها الى حب وعشق وغرام !



نالت مرغريت شهادتها المدرسية ، وكتبت الى امها تقول لها ان دروسها قد انتهت وانها تود العودة الى البيت

وتناولت جانين رسالة ابنتها وهي تقول في نفسها : ماذا يجب عليَّ ان افعل كي لا تشعر ابنتي بامري ؟ . . .

ورأت انها مضطرة لاستقبال ابنتها في دارها ، فقامت الى دير الراهبات تعانق تلك الفتاة التي بلغت الحد الاعلى من العلوم المدرسية وتقول لها : انتِ عنوان فخري يا ابنتي ! . . .

وجاءت بها الى منزلها الفخم ، الى تلك الدار التي تليق بان تكون مقر الامراء والملوك . فان جانين اتقنت بناء دارها وامست كأنها في افخم القصور

وارتاحت الفتاة لمظاهر الثروة والعظمة في دار امها ، فكانت تتنقل من حجرة الى حجرة ومن قاعة الى قاعة وهي تقول : ما ابهى هذه الدار يا امي ! . . .

وشاقتها الاقامة في ذلك القصر فقالت تسأل امها : ولماذا كنت ترفضين ان اجيء اليكِ في خلال فصل الصيف ولا دروس عندي ؟ . . .

قالت : كنت اخاف عليكِ يا ابنتي ان تبطري وانت امام هذا العز فرأيت ان تهتمي بدروسكِ وان تظلي جاهلة ما نملكه من ثروة طائلة وما نرتع فيه من بحبوحة ونعمة ! . . .

ودقت الساعة الثامنة ليلاً ، لقد دقت تلك الساعة التي يجب على جانين فيها ان ترتدي ثيابها وتسرع الى نادي « لونابرك » تفتن فيه عشاقها والهائمين بها . لقد دقت ساعة المهنة والواجب . فان جانين الممثلة الكبرى يجب عليها في هذه الساعة ان تبدو على الملعب عارية الصدر ، بارزة النهدين ، مكشوفة

الفخذين ، فماذا تقول لابنتها ، واي عذر يشفع بها لدى تلك الفتاة التي اكملت دروسها المدرسية وجاءت الى منزل امها تستظل عطفها وحنانها ؟ . . .

لقد حارت « جانين » في ما تستنبطه من اعذار ، فهل تقول لابنتها : ( اني راقصة يا ابنتي ! . . . ) وتهدم كل ما في ذلك القلب النقي من كبرياء وخيال واحلام ؟

وقامت ترتدي ثيابها ، فقالت لها ابنتها : الى اين يا امي ؟ . . .

قالت : جاءتني رسالة تفيد ان احدى صديقاتي سترحل غداً الى اميركا وقد رأيت ان اذهب الليلة لوداعها لئلا تستاء مني ، فقومي الى سريرك ونامي يا ابنتي ، فمن المحتمل ان اتأخر الى نصف الليل ! . .

فاقتنعت الفتاة بهذا الجواب ، ونهضت الى سريرها تستلقي فيه وهي شديدة الارتياح لخلاصها من ايام المدرسة ، فكانت تقول لنفسها : ان من يملك مثل هذه الثروة يحق له ان يتنعم بها ! . . .

واول من فكرت به هو المحامي ( روستان ) فقالت : هو غني كبير وانا ايضاً غنية كبيرة ، فكل منا يليق بالآخر ! . . .

ونامت في تلك الليلة وهي تحلم بانها تعانق معبودها (روستان )، وكانت تتخيله وتقول : ها هو بين ذراعيّ ، ها هو ! . . .

واين كان روستان في تلك الليلة ؟ . . . لقد كان في صحبة لوسي يتنقل واياها من مكان الى مكان ، فالفتاة وقد خرجت من المدرسة اسرعت اليه تقول : لقد اصبحتُ الان حرّة يا سيدي الاستاذ ، فقم بنا الى نزهة في انحاء العاصمة !

وروستان وهو يعلم ان لوسي صديقة مرغريت وانه يجب عليه ان يكرم صديقة التي يحبها اجاب لوسي الى ما ارادت وطاف واياها شوارع باريس وانديتها وهو يرشدها الى اجمل الاماكن ويسير بها الى افخم الاندية وابهى الملاعب قائلاً لها : هذه هي باريس ! . . .

ودخلا نادي ( لونابرك ) وجلسا فيه يرقبون مع الناس ظهور الراقصة جانين ، وكانت لوسي تود ان تتثبت امر هذه الراقصة ، فهي التي قالت للمحامي الشاب : تعال ندخل هذا النادي ! . . .

فقد شاءت ان تبصر فيه جانين الراقصة الذائعة الصيت وكان ثمة ما يقول لها : ان جانين هي ام مرغريت !

وظهرت جانين على الملعب يحييها التصفيق ويعلو لاجلها الهتاف ، فان ملكة النادي برزت امام العيون ، فحيوها ونادوها لتطربهم برقصها المدهش العجيب ، ولم يبق من ريب لدى لوسي وقد رأت الراقصة بانها هي هي والدة مرغريت

وتراءى لها انها قد ظفرت بما تبتغي ، فان روستان عندما يعلم ان والدة مرغريت راقصة في نادي ( لونابرك ) يمتنع عن حب الفتاة ويصبح بكليته لها هي لوسي ، فقالت للمحامي الشاب : أتعلم ما ينقصنا في هذه الليلة ؟ . . .

قال : لا !

فقالت : ان مرغريت تنقصنا فمن الواجب علينا ان ندعوها غداً لهذه الحفلة الراقصة ، فلا يتيسر لنا في كل حين ان نشاهد الراقصة جانين وهي اكبر راقصة في باريس !

قال : صدقت ! ...

وطرب لهذه الفكرة ، ووطد النية على ان يدعو في الغد مرغريت الى نادي ( لونابرك ) كي تشهد رقص ( جانين ) اكبر راقصة في العالم ، وكان يقول :

— يجب ان اكون لها بكليتي ، فهي رفيقتي في غدي والشعلة التي تضيء مستقبلي ! ...

## — ٦ —

استفاقت مرغريت في صباح اليوم التالي واسرعت الى امها تسأل عنها ، فقيل لها انها نائمة ، فما كان منها الا ان اقتربت منها وهزتها وقالت : صباح الخير يا اماه ! ...

وكانت جانين لا تزال في حاجة الى النوم وقد قضت ليلتها الى ما بعد نصف الليل في النادي فابتسمت لابنتها وقالت : عمي صباحاً يا ابنتي ! ...

وتثاءبت فقالت لها مرغريت : اراك في حاجة الى النوم يا امي ! ...

قالت : نعم ، فقد بقيت الى ساعة متأخرة من الليل في وداع صديقتي ! ...

وعند المساء ارتدت جانين اجمل ملابسها ، فقالت لها ابنتها : الى اين ? ...

فناولتها رسالة وقالت لها : ان هذه الرسالة تنبئ عن الزيارة التي يجب علي القيام بها في هذه الليلة !

وقد جاء في الرسالة ان احدى صديقاتها تموت وهي تتوسل اليها ان تكون الى قربها في ساعتها الاخيرة ، فقالت مرغريت : مسكينة هذه الصديقة ، وهل تحبينها يا امي ? ...

— فوق ما تتصورين يا ابنتي ، فلقد كانت شديدة الاخلاص لي ! ...

وخرجت من المنزل وهي تقول في نفسها : ماذا استطيع ان اقول لابنتي في مساء الغد لاخرج من داري بدون ان تشعر بامري ? ...

وحارت في استنباط الحيلة ، فقالت في نفسها : يجب ان ابلغ صاحب النادي باني سامتنع عن العمل في ناديه ، فلا اريد ان يتصل بابنتي ان امها من الراقصات ! ...

وسارت الى النادي وهي شديدة التفكير ، ودخلت على المدير تطلعه على نياتها ، فاضطرب لما عرف انها راغبة في الانصراف عن العمل ، فاخذ يتوسل اليها ، فقالت : ان سمعة ابنتي وراحتي قبل كل شيء عندي ! ...

قال : ألا تنتظرين حتى آخر هذا الاسبوع ? ...

قالت : لا بأس ! ...

واتفقا على ان تبرح النادي في آخر الاسبوع بعد ان تشبثت بالكف عن متابعة مهنتها ، ورأى مدير النادي ان يودعها بحفلة خطيرة تليق بشأنها ومقامها

وبينا يتفق مدير النادي والراقصة جانين اذا باب منزلها يُطرق ويدخل منه المحامي روستان والفتاة لوسي رفيقة مرغريت ، فلما ابصرتها ابنة جانين طربت كل الطرب واقبلت على المحامي تترامى بين ذراعيه وتقول له : أهذا انت ؟ . . .

فلم تطق لوسي هذا العناق ، ولكنها ارتاحت للصدمة التي تنتظر مرغريت وقالت : ان طربها لن يطول ! . . .

وقال المحامي روستان يخاطب مرغريت : لقد جئنا ندعوك الى نادي « لونابرك » !

فدهشت وقالت : واي عمل لنا في النادي وهناك الراقصات العاريات الثياب والاخلاق ؟

فقال المحامي الشاب : تعالي ، سنضحك منهن ونقضي ليلتنا في انس وسرور ! . . .

— ولكن امي ليست هنا ، وهي اذا عرفت عني اني دخلت النادي وبختني شديداً ، فانها لا تغفر لي مثل هذا الذنب !

والتفتت الى لوسي وقالت : ما كنت اعهدك قبل اليوم يا لوسي تتناسين سريعاً تعاليم الدين ، ألا تعلمين ان دخول نادي « لونابرك » من الخطايا ؟ . . .

فضحكت لوسي طويلاً وقالت : واين ينهانا الدين عن ارتياد الاندية ؟ . . . تعالي ، فالمسيو روستان هو رفيقنا في هذه الليلة ، ومن كان المسيو روستان في رفقته لا خوف عليه من الخطيئة ! . . .

وظلت بها الى ان اقنعتها بارتياد النادي ، وقالت : اين ثيابك ؟ . . .

وجاءتها بثياب فاخرة ، وساعدتها في ارتداء تلك الثياب ، وطلت لها وجهها بالمساحيق وهي تقول لها : لقد اصبحت الان من الفاتنات ، فلا ريب بان المسيو روستان سيزداد هياماً بك ! . . .

وكانت تقول في قلبها : في هذه الليلة ساقضي عليها وساحرمها اياه الى الابد ! . . .

ولما انتهت مرغريت من ارتداء ثيابها قالت : هيا بنا ! . . .

وخرج الثلاثة من المنزل ، وكان المحامي روستان قد لمس في تلك الدار الثروة والفخامة والنعمة ، وركب الثلاثة سيارة الشاب التي تنتظرهم على الباب ، فاقام المسيو روستان بين الفتاتين وجلست مرغريت عن يمينه ولوسي عن يساره ، وكان يطرب شديداً عندما تلامس يده يد مرغريت ، وعندما تمر السيارة فوق حجر كبير او تهوي في حفرة صغيرة فتهتز مرغريت وتميل عليه ، وقد تمنى في تلك الليلة لو تكون طرق باريس باجمعها اخاديد في اخاديد كي تظل فاتنته تميل وتهوي عليه بجسمها الرائع الريان ! . . .



اخذ الهتاف لجانين في نادي « لونابرك » يشق عنان السماء

فان « جانين » شاءت ان تودع الملعب بضروب من الرقص لم يعرفها الباريسيون قبل اليوم فرقصت لهم رقصاً مدهشاً ، وزادت في هيامهم بها، وارتفعت الكؤوس من كل جانب وتحركت الشفاه تقول : هذا نخبك يا جانين ! ...

وضاق النادي بالقوم ، واخذت جانين تدور عليهم وتلاطفهم على غير عادتها كأنما هي تودعهم الوداع الاخير

ودخل المحامي روستان مع مرغريت ولوسي نادي « لونابرك » ، وبذل كل جهد ليجد مكاناً له ولرفيقتيه



وما ابصرت ابنتها حتى تولاها الذعر ... ( صفحة ١٨ )

ودهشت مرغريت مما رأته في النادي ، وزاد دهشها مناظر الراقصات العاريات ، فكادت تخفي وجهها بين يديها لشدة خجلها من وجودها في ذلك المكان ، فقال لها روستان : ولماذا الخجل يا مرغريت ? ...

قالت : يا ويلي من امي اذا ابصرتني هنا ، فاني لا ادري ماذا تفعل بي !

وكانت « جانين » تجول في النادي وتودع زائريه ، واقتربت من خوان المحامي ورفيقتيه ، فنهض

الشاب يصافحها ويقول : اهلا وسهلاً بسيدتي ! . . .

فقالت مازحة : ان « جانين » ستغادر النادي بعد حين قريب وقد جاءت تلقي عليكم تحية الوداع !

قال : هذا مما يسوءنا جداً يا سيدتي ! . .

فقالت : ويسوءني ايضاً ! . . .

وألقت نظرها على مرغريت ولوسي ، وما ابصرت ابنتها حتى تولاها الذعر ، فلقد وقع ما كانت تخشاه ، لقد انقضت عليها المصيبة التي حاذرتها ، وكانت ابنتها تحدق اليها بذعر ايضاً وتكاد تصيح بها : « اأنت امي ؟ . . . » ولكنها خافت ان يعرف روستان ان امها راقصة ، وتلاقى النظران ، فاحمر الوجهان ، واختلج الجسدان ، فالفتاة كانت تنظر الى امها بخجل واضطراب ، وقد تمنت كل منهما ان تميد بها الارض ، فالام كانت تنظر الى الفتاة وكأنها تقول : « عفوك يا ابنتي ! . . . » والابنة كانت تنظر الى امها وهي تقول لها : « أحقاً انت امي ؟ . . . ليتني لم ابصرك ولم اعرفك ! . . . أتكون امي من الراقصات ؟ . . . »

وارتجفت الفتاة ، وارتجفت الام وجرضت بريقها ، وملكها الذعر ، فقال روستان لمرغريت : ما بك يا مرغريت ، ماذا اصابك ؟ . . . لماذا ترتجفين ؟ . . .

فهمست في اذنه لوسي قائلة : هذه امها ! . . .

فلم يصدق روستان ، فقالت له لوسي : اجل ، هذه امها ، فهي لا تعلم ان امها من الراقصات ! . . .

وصعقت مرغريت في مكانها ، وعلا وجه جانين الاصفرار ، ولما انحلت عقدة لسان الفتاة قالت تخاطب امها : الويل لك ، لقد جلبت لنفسي الموت ! . . .

ولم تطق البقاء في النادي بل اسرعت في الخروج منه وهي على غير هدى ، فكانت ضائعة الصواب ، يائسة ، قانطة ، تتمنى الموت وتسعى للانتحار ، ولقد قالت في نفسها : لم يبق امامي غير ان ألقي بنفسي في نهر « السين » ! . . .

وراحت تفتش عن ذلك النهر والموت في قلبها ، وكره الحياة يدفعها الى الانتحار ، أتكون امها راقصة وهي تخجل من النظر الى الراقصات ؟ . . . أتقف امها شبه عارية امام الباريسيين وغير الباريسيين وهي تعلم ما وراء ذلك الموقف من عار ؟ . . .

لا ، انها لا ترضى لنفسها بان تكون ابنة راقصة ، فقد خيل اليها ان امها من الطبقة العالية في باريس ، وان القوم يحترمونها وينظرون اليها نظرة اكرام ووقار ، لقد خيل اليها ان امها مثال التقوى والعفاف والفضيلة فاذا هي تغوص في الدنايا حتى رأسها ، اذا هي تنغمس في حمأة الشهوات والرذائل ولا تحفل بسمعتها ولا بسمعة ابنتها ! . . .

لا ، لا ، هي لا تريد ان تكون ابنة هذه الام ، وكيف يحبها روستان ويتزوجها بل كيف يحترمها وقد عرف ان امها راقصة ، فهل يتزوج من كان في مقامه وشأنه بنات الراقصات ؟ . . .

ان امها قتلت لها مستقبلها ، فخرجت من النادي وهي تبكي البكاء الأليم ، وكانت تجهل شوارع باريس فمشت فيها كيفما اتفق لها ان تمشي وهي تقول : ادركت الان لماذا كانت امي تأبى ان اقيم لديها في ايام العطلة المدرسية ، ادركت لماذا اعتذرت لي امس وفي هذه الليلة عن اضطرارها ابراح المنزل بحجة وداع صديقتين لها ، هي جاءت للرقص وابت ان اعرف شيئاً من امرها فتذرعت بهذه الحجج الواهية !

وقالت ايضاً : ليتني لم ادخل النادي ، ليتني لم اطلع على هذه الحقيقة المرة ، انها لحقيقة جرحت عواطفي وكبريائي وقلبي ... وروستان ... روستان ... اين هو ؟... لقد تناساني !...

وكلما افتكرت بان روستان سيتخلى عنها ازدادت بكاء ونحيباً ، وقالت :

— لو بقي على حبي للحق بي !...

ولم تشعر بسوى يد تقبض على معصمها ، فاجفلت وتراجعت الى الوراء ، وصاحت : روستان !... فاجابها صوت في ذلك الليل يقول : لا ، لست روستان ، انا « فيكتور موتون » ايتها الانسة صاحب المصرف المعروف في باريس !

— وماذا تريد مني ؟...

— لقد شهدت في نادي «لونابرك» ما اتفق لك مع الراقصة «جانين» ولذلك عزمت على ان اقوم بخدمتك !

— لا اريد خدمة من احد يا سيدي ، فلم يبق امامي غير الانتحار !...

فقال : من الحرام ان تفكري بالانتحار وانت في هذا الجمال الباهر ، فالمستقبل لا يزال يبسم لك !...

— اني لا ارى غير الشقاء امامي !...

— خففي من غلوائك ، فالحياة هي في اي حال افضل من الموت !...

— والشرف ... والشرف يا سيدي ... فكيف تعيش فتاة شريفة وامها راقصة ؟...

قال : انكريها واهجريها وعيشي عيش التقي والفضيلة والعفاف ، واذا احتجت الي فهذا هو عنواني ، وان كنت الآن في حاجة الى المال فاليك بهذا المبلغ !

وناولها بطاقته وورقة مالية بالف فرنك ، فشاءت ان ترفض المبلغ فقال لها : اتوسل اليك ان تقبليه ، وغداً اسرعي الي فارشدك الى احد اصدقائي حيث تكتسبين خبزك بشرف وبعرق الجبين ، فاني شديد الغيرة على التقوى والعفاف ايتها الانسة !...

وودعها وانصرف وهو يقول : لقد استوليت عليها ، فاذا فاتتني الام فلن تفوتني البنت !...

ولم يكن « فيكتور موتون » غير ذلك السمج الذي صدته امها عنها وطردته من مخدعها في النادي لما جاء يعلن لها حبه ، ولكن من اين لمرغريت ان تدري كل هذا ، فرأت في الشاب وجهاً جميلاً ، وثياباً انيقة ، وكلاماً لطيفاً ، وشفقة متناهية ، فقالت : هو افضل من روستان ، فان روستان تركني أهيم على وجهي ولم يفكر بي ، اما هذا فقد اشفق علي وجاء يعزيني بمصابي !...

واجهشت بالبكاء للتبديل السريع في عواطف روستان نحوها وقالت : لقد كنت اعلق عليه الامال

الكبار ، اما الان فكل آمالي به قد تلاشت ... فما اصعب حبوط الامال ! ...

ومشت الى فندق قريب منها وطلبت فيه المبيت، وقضت ليلها في بكاء ونحيب وهي تتمثل امها العارية على ملعب الرقص وتتمثل روستان يميل عنها الى سواها ، فقالت : ان حياتي لن تكون بعد اليوم غير شقاء في شقاء ! ...

ونامت وهي تقول : ما اعظم جنايتكِ عليّ يا امي ! ....

وودت ان تعلم ألا يزال روستان على حبه لها ام تناساها، وكانت تتساءل : ان يكن لا يزال على حبي فلماذا لم يسرع اليّ لما خرجت من النادي يلاطفني ويخفف عني ما بي ؟ ...

وروستان حاول اللحاق بها ، ولكن لوسي الماكرة كانت هناك تمنعه من براح النادي قائلة له : دعها، انها تعود الى منزلها ، وستزول حدتها في الطريق ، اما اذا لحقت بها فانها تزداد ألماً وتوجعاً وربما افضت بها الحال الى ما لا تعلم !

قال : يجب ان ألحق بها ! ...

— لا ، ابق هنا رحمة بها ! ...

وكانت لوسي تعلم ان مرغريت لا تصبر على العار بعد ما عرفت ان امها راقصة ،بل هي ستنتحر لا محالة او تفر من باريس كي تبتعد مما تركته لها امها من سمعة مملوءة بالاوساخ ، ومتى انتحرت او هجرت باريس يصبح روستان لها وحدها هي لوسي ، وهذا كل ما ارادته ، وهذا كل ما تصبو اليه ! ...



استفاقت مرغريت في الفندق وهي تقلب بيديها بطاقة « فيكتور موتون » صاحب المصرف الكبير واستعادت فاجعة الامس فاخذت تبكي ، وراحت تفاضل بين ان تنتحر او ان تبقى في قيد الحياة ، وعزمت بعد تفكير طويل على ان تشتغل وتعيش ، وكان يلوح لها ان روستان لن ينساها ، فلا بد من ان يبحث عنها ويتزوجها

واقبلت على مصرف « فيكتور موتون » تحمل بيدها بطاقته وتستأذن عليه بالدخول . ودهشت مما رأته من بذخ وفخامة وابهة في ذلك المصرف وقالت في نفسها : ان صاحبه لمن كبار الاغنياء !

وما كاد فيكتور موتون يسمع بان هناك فتاة تطلب مقابلته حتى تذكر حادث نادي « لونابرك »وقال لحاجب المصرف : لتدخل حضرة الانسة فوراً اليّ ! ...

وتناسى اعماله وقام يستقبل مرغريت بلطف واحترام قائلاً لها : يسرني جداً ان تكوني قد عدلت عن فكرت الانتحار !

فقالت : الفضل يعود اليك ، ولقد جئت الان اطلب منك عملاً ! ...

قال : حباً وكرامة ، فان لي صديقاً يحتاج الى فتاة تتولى بيع الروائح العطرية في محلاته الواسعة

فسأرشدك اليه وازورك هناك المرة بعد المرة !...

ونظر الى محاسنها فاعجب بها وقال : ما ابهاها ، انها اجمل من امها ، ولكن امها ... آه من امها... فهي بصدودها تزيد في اشواقي اليها ... ولو طلبت مني ان اتزوجها لتزوجتها !...

وقال لمرغريت : اليك بهذه الرسالة ، وساخاطب صديقي بالهاتف كي لا يتردد في قبولك !...

وقام الى الهاتف يطلب صديقه ويوصيه بمرغريت ، وبعد ساعة من الزمن كانت الفتاة تتولى العمل في تلك المحلات الكبرى وتبيع الروائح العطرية للطالبين

* * *

— اين مرغريت ؟...

هذا اول سؤال ألقته جانين على خدم المنزل بعد عودتها من نادي « لونابرك »

فاجابوها : لقد جاء اصدقاؤها يدعونها الى جولة في شوارع باريس ايتها السيدة !

— ألم ترجع ؟...

— لا ايتها السيدة جانين ، فهي لا تزال في جولتها !...

فضربت الراقصة كفاً بكف وقالت : لقد انتحرت ابنتي !...

وتواثبت الدموع الى عينيها وقالت : انا الجانية عليها !...

وخافت ان تكون الفتاة قد انتحرت فاسرعت الى رجال الشرطة ترجو منهم ان يبحثوا لها عن ابنتها ، ومضى عليها الليل وهي في بكاء ونحيب ، وطلع الصباح فظلت اخبار ابنتها مجهولة ، ومضى اليوم الاول والثاني والثالث ومرغريت ضائعة لا تصل الى امها اخبارها

فانتحبت على ابنتها ، وتخلفت عن النادي ، فقامت قيامة الهائمين بها وتساءلوا : «اين هي؟...» فقيل لهم انها مريضة ، ومضى الاسبوع على هجرانها نادي « لونابرك » فتضاءل عدد زائريه ، فاسرع اليها مدير النادي يتوسل اليها كالطفل ان ترحمه وتشفق عليه ، فسردت له حكايتها وهي تقول : رحماك اين ابنتي؟..

فقال : سابذل كل ما في وسعي لمعرفة مقرها ، وارى اني ساعثر عليها ، وانت في مجيئك الى النادي لابدان تنذي بعض مصابك !...

فعاندت ، فقال : ارحمينا يا جانين !...

فابت ان تخيب رجاءه ، ووقفت في النادي ترقص رقصة الحزن الكئيب ، فكادت حركاتها تثير الدموع من العيون ، وقال الناس : ان جانين تتألم !...

وقرع ذات ليلة باب مخدعها شاب متأنق في ثيابه ، جميل في صورته ، فاذنت له بالدخول ، فقال : انا المحامي روستان ، وقد جئت اسأل سيدتي عن ابنتها مرغريت !...

فتنهدت وقالت : ولكن مرغريت ضائعة يا سيدي !...

وغلبها الدمع فاخذت في البكاء ، فقال المحامي مذعوراً : ضائعة ؟... وكيف تكون ضائعة

يا سيدتي ؟ ...

— لقد بحثت عنها طويلاً فلم اعرف لها مقراً ! ...

وبدا الحزن في اقوال الراقصة ، واضطرب المحامي الشاب وقال : كيف ضاعت ؟ ... اني احبها يا سيدتي ، اني احبها ، وقد كنت رفيقها في ليلة الفاجعة ، ولا ادري لماذا اضطربت كل ذلك الاضطراب وركنت الى الفرار ! ...

فقالت : لانها رأتني في النادي ، وقد جهلت اني ارتدت النادي لاجلها ، ووقفت على الملعب لاجلها ، ورضيت لنفسي بهذا المصير لاجلها ، فان حياتي كلها لها !

وروت للمحامي روستان حكايتها وقالت : هل ترى في مسلكي عاراً يا سيدي ؟ .. اني قمت لاجل ابنتي بكل هذه التضحيات ، ولكني دخلت الملعب شريفة وسأخرج منه شريفة ، وكثيرون هم الذين هاموا بي فرددتهم جميعاً ، والان ... الان بعد ان تحققت امري ساعدني في البحث عن ابنتي ! ...

وكانت تبكي ، فتأثر المحامي الشاب لحالها وقال : ساجتهد في البحث عنها يا سيدتي ! ...

وبحث عنها فلم يجد لها مقراً ، ومضت الاشهر ومرغريت لا تظهر للعيان ، فقنط من لقائها المحامي روستان ولم يجد امامه غير لوسي ، فقالت له ذات يوم : لماذا تبكي يا سيدي الاستاذ ، ألا تراني أليق بك اذا طلبتني للزواج ؟ ..

قال : وهل ترين من الصواب ان تقيمي مقام مرغريت في قلبي ؟ ...

قالت : ان مرغريت ضاعت فلا خوف علينا من لومها وعتبها اذا تزوجتني ! ...

فقال : هذا صحيح ! ...

ووعدها بان يتزوجها ، وضربا موعداً للزواج لا يزيد اجله على الاسبوع

— ٩ —

خطر لفيكتور موتون ان يزور مرغريت في محل عملها ، فاستقبلته بكل بشاشة ، وراقته محاسنها واتقدت شهوته اليها فقال في نفسه : سأجعل منها خليلتي ! ...

ورأى ان يجعلها ابداً تحت رحمته فراح يفتش عن وسيلة يطردها بها صاحب المحل وتمسي بلا مأوى ولا معين فلا تجد امامها سواه . وبينما هي تأتيه بزجاجة من الروائح العطرية ضرب بيده كل ما هنالك من زجاجات فهوت الى الارض وتحطمت بضجة ملأ صداها المحل على رحبه ، فقال : « عفواً منك يا مرغريت ! ... » فذعرت وقالت : ان جزائي سيكون الطرد . قال : لا تخافي ستقيمين في داري وتشتغلين في مصرفي ! ...

وكان نصيب مرغريت الطرد من العمل ، فقال لها فيكتور موتون : لا تتألمي يا مرغريت ، فاذا كنت السبب في طردك من محل العطور فلن انساك ولن اهمل شأنك ، وها اني اعرض عليك الان

امراً واحداً وهو ان تكوني زوجتي !...

فاطرقت الى الارض ، فقال لها : أترفضين ؟...

قالت : ولكني وهبت قلبي لسواك ، لقد وهبته للمحامي روستان !... قال : عليك ان تفكري ملياً بامرك ، ولا يخفاك ان ثروتي طائلة وانك تعيشين في داري كالملكات ، على اني امهلك الى الغد اذا كان لديك من تستشيرينه في امرك !...

فوعدته بانها ستأتيه غداً بالجواب القاطع ، ومضت الى حجرتها ، وبينا هي في طريقها اذا بها تبصر صديقتها لوسي ، فنادتها وبعد ان تبادلتا السلام قادتها مرغريت الى حجرتها قائلة لها : هنا اقيم يا لوسي، فماذا تحملين الي من اخبارك ؟... فقالت لوسي : سأتزوج غداً !

— اني اهنئك ، ومن هو ذاك المعبود الجميل الذي سيتزوجك ؟

— هو المحامي روستان يا مرغريت !

فكان هذا الجواب كالخنجر ينفذ الى قلب مرغريت، فاخذت تبكي . فقالت لها لوسي ما بك تبكين ؟

قالت : لا شيء ، لا شيء ، لقد تذكرت امي ، غير اني اهنئك بروستان يا لوسي، وانا ايضاً سأتزوج غداً بالثري الكبير فيكتور موتون !...

وتظاهرت بالابتسام وقالت لصديقتها : احملي سلامي الى الاستاذ روستان وتهنئتي ، فكل منكما يليق بالآخر !...

ولما ودعتها لوسي راحت مرغريت تبكي حظها من الدنيا وتقول : يجب ان اجرع الكأس حتى ثمالتها، فسأتزوج غداً فيكتور موتون ! ...

وعلى هذا الزواج وطدت النية ، وراحت تجمع حوائجها كي تغادر في صباح اليوم التالي الحجرة الحقيرة التي تقيم فيها

اما لوسي فما كادت تبصر خطيبها الاستاذ روستان حتى بادرته بقولها : أتعرف من ابصرت في هذا النهار ؟ ... لقد ابصرت صديقتنا مرغريت ، فهي تقيم في حجرة حقيرة في حي الايطاليين وقد عزمت على ان تتزوج غداً فيكتور موتون المالي الكبير ! ...

فانتفض وصاح : فيكتور موتون ؟ ... قالت : نعم، ولن يطلع الصباح حتى تكون قد تزوجته ، فقال : وفي اي منزل تقيم من حي الايطاليين ؟ ... قالت : في المنزل ذي الرقم ٣٣

فاكتفى بهذا الجواب ، وقام الى ثيابه وارتداها ، قالت : الى اين ؟ ... قال : ساعود ! ...

قالت : تعال اخبرك بما اعددت لحفلة زواجنا ! ... قال : لا اريد ان اتزوج ! ...

واغلق في وجهها الباب ، واتجه بسيارته الى منزل الراقصة جانين ، فاطلعها على الحقيقة ، فذعرت وقالت : لا، يجب ان لا تتزوج ابنتي ذلك السمج اللئيم ، يجب ان نحول دون هذا الزواج ، وعليك ياسيدي ان تذهب بسيارتك الى حجرتها في حي الايطاليين تبحث عنها ، وانا اذهب الى دار فيكتور موتون ،

فاذا لم تجدها في حجرتها وافني الى دار ذلك الشرير ! ...

وتفاهما، وركب روستان سيارته الى المنزل ذي الرقم ٣٣ في حي الايطاليين فقالت له صاحبة المنزل: ان الانسة مرغريت غادرت حجرتها في هذا الصباح واخبرتني بانها ستتزوج المسيو فيكتور موتون ! ..

فاكتفى روستان بهذا الجواب، وراح ينهب الارض بسيارته الى دار المالي الكبير . وكانت مرغريت قد دخلت داره ولكنها لم تجده فاقامت تنتظر مجيئه ، واذا الباب يُفتح وتدخل منه امها ، فلما ابصرتها مرغريت هربت منها وراحت تختبيء وراء الستائر وتقول : ماذا جاءت امي تفعل هنا ?... أتكون عشيقة موتون ???

واستهانت بمقام امها واعتقدت ان امها من الساقطات تعشق من يطلب منها ان تعشقه، وانتظرت ما يكون من امرها مع فيكتور موتون، ودخل فيكتور موتون منزله، فلما ابصر جانين اسرع اليها يرحب بها ، فقالت : لا ريب بانك لم تكن لتنتظر مجيئي ، على اني اصرح لك باني اخطأت جداً في الاساءة اليك ، وقد شعرت الان باني احبك ، ودفعني شوقي لك للمجيء اليك بنفسي كي استرضيك !

ودعته للجلوس الى قربها وهي تريد ان تكسب من الوقت الى ان تصل ابنتها او يصل الاستاذ روستان ، وطاب لموتون ان يقبلها فلم تضن عليه بما اشتهى ، قالت : جاءني عنك انك ستتزوج ! ...

قال: لقد كذبوا فكل ما ازدته هو ان اتخذ لي عشيقة، اما وقد جئت انت فستكونين العشيقة التي اريد!

وكانت مرغريت تسمع هذه الاقوال وهي تنتفض غيظاً ، ولما رأت امها تهوي على فيكتور موتون وتعانقه لم تستطع صبراً فخرجت من وراء الستائر وصاحت بامها : كفاك فجوراً ايتها الساقطة ، كفاك !

فاستفاقت الام لدى هذه الصفعة ، وأدرك فيكتور موتون خطأه فوثب الى مرغريت يقول لها : « وانت ايضاً ستكونين خليلتي !...» وحاول ان يضمها اليه ولكن الاستاذ روستان كان قد دخل عليهم ، فلما ابصرته مرغريت صاحت: انجدني يا روستان ، انجدني ، اليّ ، اليّ !...

وكان روستان قد هجم على فيكتور موتون ولكمه في ظهره ، فشعر الرجل المالي بالالم وشاء ان يلكم المحامي ولكن روستان كان اقوى منه ، فما هي الا ضربات ثلاث حتى رماه الى الارض وقد أغمي عليه ، وقال لمرغريت : « تعالي !...» وضمها الى صدره على مرأى من امها ، واسرع الثلاثة في الفرار ومرغريت تقول : « لا اريد ان ابصر امي ، لا اريد !... » فاطلعها روستان على الحقيقة وقال: ان امك فعلت ما فعلته لاجلك ، والان هيا بنا نحتفل بزواجنا !.. قالت: ولوسي ?... قال : ما لي ولها . قالت : هي صديقتي وقد اخبرتني انك ستتزوجها . قال : هي اغرتني على ان اتزوجها !...

وكانت السيارة قد وقفت بهما امام دار الراقصة جانين، واذا بلوسي تسرع اليهم وتقول لمرغريت : انت احق مني بروستان يا صديقتي ، فهنيئاً لك به ، اما انا فلم افلح في استمالته اليّ مع كل ما بذلته ! ...

وفي الدقيقة نفسها احتفل روستان بعقد زواجه على مرغريت ، وامتنعت جانين عن الرقص ، وكانت تقول لابنتها : اني قمت بما قمت به من تضحيات لاجل سعادتك يا ابنتي !!!

— تمت —

# الشاعر المجنون

— بقلم الكاتب المعروف الياس ابي شبكه —

## — ٢ —

— الانتقام الروحاني ؟ ما هو هذا الحيوان ؟

— يقسم الانتقام الى قسمين : مادي وروحاني ، فالانتقام المادي وهو المسمى الانتقام الحيواني تقوم دعائمه على المال او الدم ، فالحكومات الظالمة مثلاً تنتقم انتقاماً مادياً بارهاق الشعب بالضرائب التي لا يقوى معها على رفع رأسه الى السماء فيبقى ناظراً الى الارض ، والنفوس الشريرة تنتقم انتقاماً مادياً باغتيالها الناس في وسط راحتهم وامنهم فتجردهم من الروح التي وهبتهم اياها السماء ، اذن فالانتقام المادي شعار الحكومات والاشرار من الناس

— تحليل جميل لا بأس به . والانتقام الروحاني ؟

— اما الانتقام الروحاني فهو شعار رجال الدماغ كالشعراء والرسامين والموسيقيين ، فالشاعر مثلاً ينتقم روحانياً بنظمه قصيدة او تأليفه رواية يحط بها من قدر خصمه كما فعل فولتير في احدى رواياته الفلسفية اذ تهكم بها على الفيلسوف « فونتنيل » تهكماً ما زلنا نضحك له الى اليوم ، وهكذا يفعل الرسام والموسيقي

— اذن فنحن كالشعراء في انتقامنا

— نعم ، الانتقام لا غير ... الا ان هؤلاء ينشرونه ونحن نطويه ، وبين النشر والطي بون شاسع ، فبنشرهم انتقامهم الروحاني يحصلون على مادة ، وهذا شيء معيب يحاسبون عليه ، اما بابقائنا الانتقام مطوياً فلا نحصل الا على مادة روحانية ، وهذا اشرف وانبل ... وانكى .

— وانكى ؟ كيف وانكى ؟

— نعم انكى ، لان الشيء المجهول يغيظ وينكي . ألم تسمعي بالبرغشة كيف تنتقم ؟

— كيف ؟

— تنسل البرغشة في الليل الى فراش النائم فتلدغه ثم تطير فوق رأسه وتجعل تئز ازيزاً مزعجاً حتى تقلق راحته فيستطير غيظاً ، ولماذا يستطير غيظاً وهي برغشة ضعيفة ؟ لانها تكاد لا ترى في المكرسكوب ، فكيف يراها المسكين لينتقم منها ؟

— ويسمى هذا انتقاما روحانياً ؟

— نعم !

— تحليل جميل . اذن فسنكون كالبرغشة أليس كذلك ؟

— نعم ، كالبرغشة !

— اتفقنا ؟

— اتفقنا !

واخيراً اتفقق الاستاذ امين امين والسيدة عفيفه على ان يكونا برغشتين فينتقما من الشاعر انتقامـاً روحانياً سرياً ، لا يشعر به احد ، هي تنتقم له وهو ينتقم لها ، ثم نهضت عفيفة لتعد الخمرة والمـازة وهي تظن ان طفلها نائم نوماً عميقاً

— ٢ —

ولما كان من غد نهض الشاعر مبكراً من فراشه فاشعل نارجيلة وشرع ينظم بعض مقاطع من قصيدة في عشرة اناشيد كبيرة عنوانها « غاواء » ثم ارتدى ثيـابه و اتجه الى منزل السيدة عفيفة ليشرب القهوة عندها حسب عادته في معظم الايام

وكان الشاعر كلما تمردت عليه قريحته وهو ينظم قصيدته « غلواء » وضع القلم ناحية وقال في نفسه : « لنذهب الى عفيفة نستوحي »

كانت السيدة عفيفه في الساعة التي زارها بها الشاعر تضرب اخماساً باسداس ، فهي تحب الشاعر ، او تحب نفسها في شعره ، الا انها لم تكن تستطيع الاستغناء عن الاستاذ امين امين فاوقعها هذا العـامل النفساني في حيرة ما بعدها حيرة !

اذا هي تمردت على الاستاذ امين امين خسرته وبخسارتها اياه تخسر كثيراً من متع الحيـاة التي لا تسوغ المرأة لنفسها الاستغناء عنها ، واذا تمردت على الشاعر خسرته ايضاً وبخسارتهـا اياه تخسر كثيراً من احلامها الروحانية ، فهي وان كانت امرأة متقلبة ، غبية وعلى جانب من السذاجة التي نادراً مـا تجاوز المرأة منها الا انها تنطوي على زاوية من الاحساس ، وعلى كثير من الخيال ، فلا يقع نظرهـا على « الجوكوندة » مثلًا الا وتقول متأوهة : « من لي بمثل ليوناردي دي فنشي ، يخلد جمالي بريشته الساحرة ! » ولا تتذكر لور او بياتريس الا وتقول متأوهة : « من لي بمثل بترارك او دنتي يخـلد ذكري بقصيدة من نفسه الالهي ! »

عندما دخل الشاعر على عفيفة ابصرها في حالة ارتباك شديد فقال لها :

— ألا تزالين تحبينه يا عفيفة ؟ ومتى يقف هذا الحب عند حد ؟ لقد قلت لك مراراً ان عشيقك هذا انما هو محتلس لئيم ، محتلس مجرم ، وكل دقيقة من حياته ملأى بالاثام والاوساخ ، انه كتلة من الاقذار

المعيبة تدب فيها عقارب الخبث وديدان الشهوات، اما اذا شعرت بان منطقي هذا لا يتفق ومعتقدك فيه فاطرديني من بيتك كما يطرد المجرم، لقد سلحت السماء لساني بالحقيقة فلن احيد عنها، ان عشيقك هذا لا يستثمر الجهة الوحيدة التي تؤخذين بها وهي ضعف المرأة الذي فيك، اجل، انه يستثمر هذا الضعف ليبلغ مشتهياته منك فيجعلك جاحدة بحق زوجك امام الله والناس ثم يطرحك بعد ذاك فضلة شهواته وسقاطة عاره، اين شرفك يا عفيفة ؟ تذكري تلك الكلمات الروحية التي سمعتها من فم الكاهن في ساعة الاكليل . تذكري عهد الوفاء والامانة الذي اعطتيه لزوجك قبل ان ارتفعت يد الكاهن فوق جبينك النقي . تذكري ذلك الكلام المقدس الذي خرج من فم نائب المسيح وهو يعطيك بركة الزواج، ألم يقل لزوجك : « اترك امك واباك واتبع امرأتك ؟ » أبهذه اللطخة تبادلين هذه التضحية التي رضي بها زوجك من اجلك؟ وهل هناك تضحية اعظم من تلك التي تدفع الرجل الى ترك التي حملته في احشائها تسعة اشهر وغذته بحليب صدرها وماء عينيها و ترك ذلك الذي قاسى متاعب الحياة من اجله واحرق زيت عينيه لينير به طفولته وحداثته، وكل ذلك من اجل امرأة عاهدها وعاهدته على الوفاء والامانة في عقبات الحياة ؟ اين ضميرك يا عفيفة ؟ أيمكن ان يكون للزوج غير زوجته والزوجة غير زوجها ؟ اذا دهتك مصيبة تستنجدين زوجك، واذا مرض طفلك تستنجدين زوجك، واذا احتاج البيت الى ضرورياته تذهبين الى زوجك، توفرين لزوجك جميع مشقات العيلة وشهوات جسدك لعشيقك، كأن زوجك متعة من متع البيت لا تفكرين فيها الا وقت الحاجة اليها . اين ضميرك يا عفيفة ؟ تذكري انك عندما تهرمين غداً، عندما تذهب عن وجهك ملامح الشباب ويتكمش رخام جسدك، عندما يحتجب بريق الجمال عن مقلتيك وتنطفىء شعلة الشهوة في نفسك، عندما يميل عنك عشيقك ليرتمي بين ذراعي غيرك، بين ذراعي امرأة شابة تؤخذ بمثل ما أخذت به فيمتزج شعور شاربيه البيضاء القذرة بشعور رأسها السوداء النقية لا يبقى لك الا حنان زوجك يا عفيفة، فيتضح لك اذ ذاك ان بين عهد الخطبة وعهد الهرم صلة عفاف لا ينبغي ان تلطخ بموبقة، وان من يمد يداً قذرة الى هذه الصلة انما هو مجرم خسيس مختلس تستحق يده القطع وعينا القلع . أراك تبكين . . . فبحق هذه الدموع الصادقة يا عفيفة، بحق هذه الدموع التي ذرفت مثلها في ساعة الاكليل اذ ترتمي بين ذراعي زوجك، بحق عيون طفلك، بحق عيونه البريئة الطاهرة التي لا تزال عالقة بالسماء بخيوط من اشعة العفاف المقدس ان تعودي الى النقاوة التي درجت عليها منذ نعومة اظفارك يا عفيفة . . . يا عفيفة !

وكان الشاعر يتكلم وعفيفة تبكي وهي تقول في نفسها « ان المجانين يتكلمون بهذا المنطق ! » ولما انتهى من كلامه رفعت اليه عينيها المغرورقتين بالدموع وقالت له :

— شفيق . . . لقد احببت روح الشاعرة ولا ازال احبها، ولكن زوجي هو الذي مهد لي هذه الطريق التي سلكتها، فهو يقول ان مزاجه لا يحتمل حرارة الطقس في الساحل فسكن اعالي الجبل، وشعرت بان مزاجي لا يحتمل برد الجبال فسكنت الساحل، فماذا تطلب من امرأة تصرف السنة بعد

— ويسمى هذا انتقاماً روحانياً ؟

— نعم !

— تحليل جميل . اذن فسنكون كالبرغشة أليس كذلك ؟

— نعم ، كالبرغشة !

— اتفقنا ؟

— اتفقنا !

واخيراً اتفق الاستاذ امين امين والسيدة عفيفه على ان يكونا برغشتين فينتقما من الشاعر انتقاماً روحانياً سرياً ، لا يشعر به احد ، هي تنتقم له وهو ينتقم لها ، ثم نهضت عفيفة لتعد الخمرة والمازة وهي تظن ان طفلها نائم نوماً عميقاً

— ٢ —

ولما كان من غد نهض الشاعر مبكراً من فراشه فاشعل نارجيلة وشرع ينظم بعض مقاطع من قصيدة في عشرة اناشيد كبيرة عنوانها « غاواء » ثم ارتدى ثيابه واتجه الى منزل السيدة عفيفة ليشرب القهوة عندها حسب عادته في معظم الايام

وكان الشاعر كلما تمردت عليه قريحته وهو ينظم قصيدته « غاواء » وضع القلم ناحية وقال في نفسه : « لنذهب الى عفيفة نستوحي »

كانت السيدة عفيفه في الساعة التي زارها بها الشاعر تضرب اخماساً باسداس ، فهي تحب الشاعر ، او تحب نفسها في شعره ، الا انها لم تكن تستطيع الاستغناء عن الاستاذ امين امين فاوقعها هذا العامل النفساني في حيرة ما بعدها حيرة !

اذا هي تمردت على الاستاذ امين امين خسرته وبخسارتها اياه تخسر كثيراً من متع الحياة التي لا تسوغ المرأة لنفسها الاستغناء عنها ، واذا تمردت على الشاعر خسرته ايضاً وبخسارتها اياه تخسر كثيراً من احلامها الروحانية ، فهي وان كانت امرأة متقلبة ، غبية وعلى جانب من السذاجة التي نادراً ما تخلو المرأة منها الا انها تنطوي على زاوية من الاحساس ، وعلى كثير من الخيال ، فلا يقع نظرها على « الجوكوندة » مثلاً الا وتقول متأوهة : « من لي بمثل ليونردي دي فنشي ، يخلد جمالي بريشته الساحرة ! » ولا تتذكر لور او بياتريس الا وتقول متأوهة : « من لي بمثل بترارك او دنتي يخلد ذكري بقصيدة من نفسه الالهي ! »

عندما دخل الشاعر على عفيفة ابصرها في حالة ارتباك شديد فقال لها :

— ألا تزالين تحبينه يا عفيفة ؟ ومتى يقف هذا الحب عند حد ؟ لقد قلت لك مراراً ان عشيقك هذا انما هو مختلس لئيم ، مختلس مجرم ، وكل دقيقة من حياته ملأى بالاثام والاوساخ ، انه كتلة من الاقذار

المعية تدب فيها عقارب الخبث وديدان الشهوات، اما اذا شعرتَ بان منطقي هذا لايتفق ومعتقدك فيه فاطرديني من بيتك كما يطرد المجرم ، لقد سلحت السماء لساني بالحقيقة فلن احيد عنها ، ان عشيقك هذا لايستثمر الجهة الوحيدة التي تؤخذين بها وهي ضعف المرأة الذي فيك، أجل، انه يستثمر هذا الضعف ليبلغ مشتهياته منك فيجعلك جاحدة بحق زوجك امام الله والناس ثم يطرحك بعد ذلك فضلة شهواته وسقاطة عاره ، اين شرفك يا عفيفة ؟ تذكري تلك الكلمات الروحية التي سمعتها من فم الكاهن في ساعة الاكليل . تذكري عهد الوفاء. والامانة الذي اعطتيه لزوجك قبل ان ارتفعت يد الكاهن فوق جبينك النقي . تذكري ذلك الكلام المقدس الذي خرج من فم نائب المسيح وهو يعطيك بركة الزواج ، ألم يقل لزوجك : « اترك امك واباك واتبع امرأتك ؟ » أبهذه اللطخة تبادلين هذه التضحية التي رضي بها زوجك من اجلك؟ وهل هناك تضحية اعظم من تلك التي تدفع الرجل الى ترك التي حملته في احشائها تسعة اشهر وغذته بحليب صدرها وماء عينيها و ترك ذلك الذي قاسى متاعب الحياة من اجله واحرق زيت عينيه لينير به طفولته وحداثته ، وكل ذلك من اجل امرأة عاهدها وعاهدته على الوفاء والامانة في عقبات الحياة ؟ اين ضميرك يا عفيفة ؟ أيمكن ان يكون للزوج غير زوجته والزوجة غير زوجها ؟ اذا دهتك مصيبة تستنجدين زوجك ، واذا مرض طفلك تستنجدين زوجك ، واذا احتاج البيت الى ضرورياته تذهبين الى زوجك ، توفرين لزوجك جميع مشقات العيلة وشهوات جسدك لعشيقك ، كأن زوجك متعة من متع البيت لا تفكرين فيها الا وقت الحاجة اليها . اين ضميرك يا عفيفة ؟ تذكري انك عندما تهرمين غداً ، عندما تذهب عن وجهك ملامح الشباب ويتكمش رخام جسدك ، عندما يحتجب بريق الجمال عن مقلتيك وتنطفىء شعلة الشهوة في نفسك ، عندما يميل عنك عشيقك ليرتمي بين ذراعي غيرك ، بين ذراعي امرأة شابة تؤخذ بمثل ما أخذت به فيمتزج شعور شاربيه البيضاء القذرة بشعور رأسها السوداء النقية لا يبقى لك الا حنان زوجك يا عفيفة ، فيتضح لك اذ ذاك ان بين عهد الخطبة وعهد الهرم صلة عفاف لا ينبغي ان تلطخ بموبقة ، وان من يمدّ يداً قذرة الى هذه الصلة انما هو مجرم خسيس مختلس تستحق يده القطع وعينا القلع . أراك تبكين . . . فبحق هذه الدموع الصادقة يا عفيفة ، بحق هذه الدموع التي ذرفت مثلها في ساعة الاكليل اذ ترتمي بين ذراعي زوجك ، بحق عيون طفلك ، بحق عيونه البريئة الطاهرة التي لا تزال عالقة بالسماء بخيوط من اشعة العفاف المقدس ان تعودي الى النقاوة التي درجت عليها منذ نعومة اظفارك يا عفيفة . . . يا عفيفة !

وكان الشاعر يتكلم وعفيفة تبكي وهي تقول في نفسها « ان المجانين يتكلمون بهذا المنطق ! » ولما انتهى من كلامه رفعت اليه عينيها المغرورقتين بالدموع وقالت له :

— شفيق . . . لقد احببت روحك الشاعرة ولا ازال احبها ، ولكن زوجي هو الذي مهد لي هذه الطريق التي سلكتها ، فهو يقول ان مزاجه لا يحتمل حرارة الطقس في الساحل فسكن اعالي الجبل ، وشعرت بان مزاجي لا يحتمل برد الجبال فسكنت الساحل ، فماذا تطلب من امرأة تصرف السنة بعد

السنة بعيدة عن زوجها ، والمرأة عدا انها ضعيفة بحاجة الى من يشاطرها شعورها في هذه الحياة ، ثم ان من النساء من لا يستطعن العيش بدون رجل ، ولا اكتمك ، وقد اطلعتك على جميع اسراري ، اني من هؤلاء النساء !

— انت لا تسكنين الجبال وهو لا يسكن الساحل ، انت لا تحتملين البرد وهو لا يحتمل الحر ، فهذه الحجة يا صديقتي واهية ومضحكة . كان من الواجب اذاً — قبل ان تعقدا عقد الزواج — ان تختبرا المزاج ، ثم ان مزاجك ومزاجه كانا على اتم اتفاق قبل ان عرفت عشيقك يا عفيفة ، فما معنى هذا؟ أتريدين ان اشرح لك هذا المعنى ؟ ان الرسالة الاولى التي ارسلها اليك هذا العشيق واطلع عليها زوجك هي هي التي قذفت به الى الجبال وسمّرتك في الساحل ، ولقد كان من الواجب على زوجك ان يهجرك لو لم يكن هناك طفل يربطكما باتحاد مرغم ... اين الطفل ؟

— انه يلعبَ في الغرفة المحاذية !

— ناديه !

— اميل !

— ماذا تريدين يا ماما ؟

— « عمو » هنا تعال !

— « عمو » من يا ماما ، « عمو » امين ؟

— لا ، « عمو » شفيق ، يا روح الماما!

— كلهم « عمو » يا ماما ، عمو امين ، عمو جورج ، عمو انطوان ، عمو خليل ، عمو شفيق ، عمو زوزو ، كلهم عمو يا ماما ؟ ...

فهزّ الشاعر رأسه وقال لعفيفة :

— أتسمعين ؟ ان الحكمة تخرج من افواه الاطفال كما تخرج من افواه المجانين يا صديقتي ! ...

كان اميل ولداً في الخامسة من عمره ، تنمّ ملامحه عن ذكاء وعيناه عن براءة ، فلما دخل الى الغرفة نظر الى والدته نظرة تنمّ عن حرد وقال لها :

— والبابا يا ماما ، أليس لي بابا امين ، بابا جورج ، بابا انطوان ، بابا خليل ، بابا شفيق ، بابا زوزو ؟

فاخذ الشاعر الطفل بين ذراعيه ، ثم اجلسه على ركبتيه وقال لعفيفة :

— أتسمعين ؟ ان الحكمة تخرج من افواه الاطفال كما تخرج من افواه المجانين ، هذه الحقيقة مؤلمة يا عفيفة ، فان كنت لا تريدين ان تتعظي بكلامي فاتعظي بكلام طفلك !

فلما سمع الطفل كلمة مجانين من فم الشاعر برقت عيناه بريقاً طاهراً وقال له :

— ما معنى مجانين يا عمو شفيق ؟

فقبله الشاعر ضاحكاً وقال له : المجانين هم عفاريت لا يكذبون يا بنيّ !

— اذن فانت عفريت يا عمو ؟

— لماذا ؟

— لاني سمعت عمو امين يقول للماما ، امس مساء ، انك شاعر مجنون . . . ما معني شاعر يا عمو ؟

لم تكد الام تسمع دويّ هذه القنبلة البريئة الساذجة خارجاً من فم ابنهـا حتى جمدت مصعوقة في مكانها ، فهي لم تكن تعلم انولدها كان مستيقظاً ساعة الحوار الذي دار بينها وبين الاستاذ امين امين ، اما الشاعر فلما سمع كلام الطفل غير المنتظر وانتبه الى التأثير الذي احدثه على وجه عفيفة حدّق اليهـا بنظر ناري ، ثم قال لها :

— ما معنى هذا يا عفيفه ؟ ماذا جرى امس ؟ أنحن الان في صباح ليلة قذرة ؟ ماذا ارى في محجريك؟ ان الخطوط البنية التي تحيط بقلتيك انما هي آثار الشهوة التي تذوقتها ليلة امس ، يخيل اليّ ان عظـاتي تذهب ادراج الرياح او هي ضرب من الجنون في نظرك ونظر عشيقك وان لعبة سخيفة او قنينة عطور تنسيك الدموع التي تذرفينها وتبكيت الضمير الذي يخالج روحك على اثر عظـاتي ، كان من الواجب عليّ اذاً ان احذو حذو عشيقك فاشبعك من اللذة البهيمية واخدعك بمتعة من متع البهرجـة والتجمل لاكون عاقلاً حكيماً ، كان من الواجب عليّ ان احذو حذو عشيقك فاغشى خدرك في هدأة الليل ساعة تنطفىء المصابيح في الحي ، واجعل خدر المرأة مغارة للصوص لاكون عاقـلاً حكيماً ، كان من الواجب عليّ ان احذو حذو عشيقك فاقطر في صدر زوجك قطرة من الصداقـة الخبيثة واقطر قطرة اخرى في نسله لاكون عاقلاً حكيماً ، كان من الواجب عليّ لاكون عاقلاً حكيماً ان امتصك امتصاصاً حتى اجعلك قشوراً جافة ، واحفر بشهواتي رخام جسمك المصقول لتبرز تحته عظامك الصفراء المريبة ، اجل ، كان من الواجب عليّ احذو حذو هذا العشيق الفاسق لكيلا ادرج في عداد المجانين ! . . .

ثم غيّر لهجته القاسية واستطرد قائلاً وهو يبتسم :

— لا اشك في انك تأثرت يا عفيفة ، ولكني كمـا لا اشك في انك تأثرت هكذا لا اشك في ان التأثير هذا انما هو تأثير موقت قد تكفيني نظرة من عشيقك او بعض اذرعة من الحرير لتزيله وتمحوه من نفسك . لا بأس ،عليّ ان ابني وعليه ان يهدم ، كل منا يغني على ليلاه . . . وليس لاحد منا ان يعترض الاخر في مهنته ، ولكن ألا تقولين لي كيف توصل عشيقك الى ايجاد هذا النعت الجميل الذي مهرني به؟ فنعت كهذا لا يجيء عفواً ومن غير مقدمة ! . . .

فحاولت عفيفة ان تنكر كلام طفلها — والنكران كالكذب لا يكلف المرأة شيئاً — فقالت له :

— وهل صدقته يا شفيق ؟ فلقد كان راقداً عندما جاء امين . . .

فقاطعها الطفل بقوله : كنت مستيقظاً يا ماما ، وكنت اضحك تحت اللحاف ، وحياتك يا ماما !

هذا التصريح البريء اوقف الام عن الاسترسال في النكران فلبثت صامتة صمتاً مضحكاً فقال لها الشاعر ضاحكاً :

— نصيحتي لك ان تُرقدي في غرفة غير التي تستقبلين فيها عشيقك يا عفيفة اذا شئت ان تبقي لياليك سرّية وان ينام الطفل عن مشاهدك الجميلة!

فلم يكد الطفل يسمع النصيحة حتى مدّ يده الى ذقن الشاعر وقال له :

— لا ، لا يا عمو ، لا انام الا بالقرب من الماما ! . . .

ثم التفت الى امه وسألها قائلاً :

— ما معنى عشيقك يا ماما ؟

فاجابه الشاعر بقوله : هو عفريت يا بنيّ ، يدخل الى البيت في الليل فيخيف الاولاد الصغار

— أله قرون يا عمو شفيق ؟

— نعم له قرن طويل يا بنيّ ، ولكنه لا ينطح به الا ام الاولاد الصغار ! . . .

فالتفت الطفل الى امه وقال لها خائفاً :

— ارجوك يا ماما ، لا تتركي الباب مفتوحاً في الليل ! واكتبي للبابا يحضر غداً !

فلم تقو عفيفة امام هذا المشهد على تسكين عواطفها فنهضت من مكانها واتجهت الى غرفة اخرى لتستسلم الى البكاء ، اما الشاعر فلما ابصر ما بدا منها نهض بدوره ، وقبل ان ينصرف الى شأنه وقف على عتبة الباب وقال لعفيفة :

— لقد غفرت لك اساءتك اليّ يا صديقتي ، وغفرت لعشيقك تهكمه وجهله ولكني لن اغفر له خدعه اياك والسم الذي ينفثه في صيانتك ، اني لادعك امام ضميرك وامام زوجك وجهاً لوجه فهذا رسمه الجميل على الجدار فانظري اليه وتذكري !

قال هذا وانصرف الى شأنه تاركاً عفيفة في اشد حالة من حالات الندم

## — ٣ —

في الجهة الشرقية من برج بيروت ، على كتف كوكب الشرق — احد المقاهي القديمة في المدينة — على مقربة من قصر الحكومة القديم ، يقوم اليوم مقهى حديث الطراز كان في الماضي مسرحاً للتمثيل سمي « زهرة سوريا » الا ان يداً « طاهرة » امرت باحراقه سراً على اثر تمثيل رواية « اليهودي التائه » على ملعبه فبقي متهدماً حتى قامت على انقاضه تلك البناية الفخمة المسماة اليوم « باريزيانا » وباريزيانا هذه لها صبغتان مختلفتان : صبغة شرقية وصبغة اوربية ، فالصبغة الشرقية تجدها في النهار اذ انك اذا يممت باريزيانا من الساعه السابعة صباحاً الى الساعة التاسعة مساء ، لا يقع نظرك الا على عشاق النارجيلة والقهوة والعرق ، والصبغة الاوربية تجدها في الليل اذ انك اذا يممت باريزيانا من الساعة التاسعة ليلاً الى الثالثة بعد منتصف الليل لا ينحطّ نظرك الا علـى عشاق الخمرة الحمراء كالوسكي والكونياك والجونيوو ك ، وعلى عشاق الاجساد العارية المستسلمة للشهوات البهيمية ، الاجساد التي تباع وتشرى مع ارتفاع الكمبيو -

وانخفاضه ، ولقد اطلق احد الشعراء على باريزيانا في الليل لقب «هيكل الشهوات» فكان اللقب هذا افضل ما ينطبق على باريزيانا هذه

في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم الذي جرى فيه الحديث بين عفيفة والشاعر شفيق كان اربعة من اصدقاء الشاعر جالسين يشربون القهوة في احدى زوايا باريزيانا ، احدهم يدعى ماجداً ، والثاني نبيهاً ، والثالث نخله ، والرابع اسكندر ، وكان حديثهم يتناول الازياء كعادتهم كلما اجتمعوا ولم يجتمع الشاعر معهم ، فقال نبيه :

— بكم اشتريت عقدة طوقك يا ماجد ؟ فهي جميلة كقوس قزح !

فاخذها بيده وقال : بخمسة وسبعين غرشاً سورياً !

— اذن فهي ليست من اوربا ؟

— لا ، هي من صناعة دمشق !

فاعاد نبيه النظر اليها وقال : انها والحق يقال حرية باعناق الفلاحين !

فقال ماجد : لقد اشتريتها وندمت ، ولكني انتصحت بنصيحة صديقنا شفيق الذي قال لي : «يجب ان تنشط الصناعة الوطنية يا ماجد ! »

فاعترضه نخله بقوله : دعنا الآن من ذكر هذا الشاعر وقل لي ألا ترى حذائي جميلاً ؟

— انه لفي غاية الجمال ، فمن اين اشتريته؟

— لقد ارسله الي صهري من باريس مع هذه القبعة . . . كيف ترى قبعتي ؟

— جميلة ، ولكن الحذاء اجمل !

فاعترض نبيه بقوله : انك تراه اجمل يا ماجد لان رجل نخله جميلة ، الا ان القبعة من الجوخ الثمين النادر ، وتزيد رونقها البطانة الحريرية التي فيها . كيف ترى قميصي ؟

فقال له ماجد : حريرها من الجنس الفاخر ولكن الخياط لم يحسن تفصيل الطوق على عنقك !

— لقد لاحظت ذلك ، ولكن كيف اعمل لاهتدي الى مفصّل ؟

فقال له اسكندر : انا اهديك . . .

فلم يعبأ به نبيه اذ كان يعتقد ان من يكون مثل اسكندر فتى طبيعياً يهزأ بالازياء ويحتقر الرجال المنصرفين الى التجمل لا يحق له ان يشترك بحديث كهذا ، الا ان نخله تنازل فاعار كلام اسكندر بعض الاهتمام ، وقد يكون هذا التنازل عن شفقة بصديقه ، فقال له مبتسماً :

— ما اسم المفصل الذي تريد ان تهدي نبيهاً اليه يا اسكندر ؟

— اسمه راغب سليم !

— راغب سليم ؟ هذا صانع احذية يا صديقي !

— نعم ، ولكن اجادته تفصيل الاحذية تدل دلالة واضحة على انه يجيد تفصيل الاطواق للاعناق ،

لان التفصيل واحد فمن يجيد تفصيل الارجل يجيد تفصيل الاعناق !

فثار ثائر نبيه لدى سماعه هذه الاهانة فالتفت الى اسكندر وقال له غاضباً :

= ما معنى هذا ، أتهينني ؟

فقال له اسكندر :

= لا ، لست اهينك يا صديقي ، ولكني اردت ان اضع حداً لحديثكم التافه ، فمن حديث عن الحذاء الى حديث عن القبعة الى حديث عن القميص الى آخر عن عقدة الطوق . . .

فقاطعه نخله بقوله :

= او تريد ان نحذو حذو رفيقك الشاعر فنتحدث بالادب ، فمن تحليل قصيدة الى نقد مقالة الى شرح قاعدة فلسفية الى تحليل مزاج عصبي ولينفاوي ودموي الى نقد عادات المجتمع والى ما هنالك من السخافات التي يسميها الادب ؟

فاجابه اسكندر : يا قليل الادب . . .

فقاطعه نخله بقوله : يا قليل الحياء . . .

= نعم ، انا قليل الحياء لاني لا اتهجم على حقوق النساء ، فاصرف وقتي في بحث الازياء !

فضحك ماجد حتى استلقى على ظهره وقال :

= اصبحت تتكلم بلغة السحر فتجري القوافي على لسانك كما تجري على لسان صديقك الشاعر

( يتبع )

---

# الف ليلة وليلة

مجلة روائية اسبوعية مصورة

الرواية التامة

# اين اختها؟...

صاحب المجلة ومنشئها : كرم ملحم كرم

السنة الثالثة

العدد
١٠٧

بيروت في ١٢ شباط ١٩٣٠

# الشاعر المجنون

– بقلم الكاتب المعروف الياس ابي شبكه –

## -٣-

– ضع في فمك بخوراً وتلفظ باسم شفيق ... صديقي الشاعر ، وصديقك انت ايضاً ، فلقد سمعتك الف مرة تمدحه في وجهه وتثني على مؤلفاته حتى اذا اجتمعت برفاقك اخذت تغتابه وتبهته لتحط من قدره في نظر الغير ، اما هو فلم اسمعه مرة يتناول اصدقاءه بفلتة من فلتات اللسان ، ولو شاء. ذلك لما اعياه المنطق عن جعلك مضحكاً ومحقراً في عيون الناس ، فان في لسانه جنة تستطيع ان ترفع من شأن الرجل كما تستطيع ان تحط من شأنه . ثم اي حق يخول لك ان تقيس نفسك به ؟ فانك لتصرف لياليك الى الطاولة الخضراء او في مواخير الدعارة والبغاء اذا هو في عزلته ، امام المصباح ، يحرق زيت قلبه ودماغه ليخرج قطعة مفيدة يهذب بها الناس ...

فقاطعه ماجد بقوله : لا بل يحط بها من قدر الناس !

وقال نبيه : الحق اقول لك يا اسكندر اني اصبحت اتجنب صديقنا شفيقاً وانصح كل صديق بان يتجنبه !

– ولماذا ؟

– لان مخيلته في المدة الاخيرة صوّرت له ان يستثمر هفوات اصدقائه فيبني عليها رواية مضحكة يسميها رواية « اخلاقية » ، فامس تهجم على احد اصدقائه في روايته « الاستاذ حنتوش » وغداً يتهجم علينا في رواية اخرى قد يسميها الاستاذ جابر او نبيه او نخله ، والانكى ان هناك مجلة تصدر كل سبت باسم « الف ليلة وليلة » تستقبل تهجماته بصدر رحب ، فلعنة الله على صاحب هذه المجلة ، كان من الواجب ان يسمي مجلته « الف ضربة وضربة »

فهز اسكندر رأسه وقال :

– لقد اخطأت بزعمك انه تهجم على احد في روايته « الاستاذ حنتوش » فهو لم يتهجم يا صديقي بل درس درساً وحلل تحليلاً ، لقد ابصر فصوّر وسمع فنقل ... ان الكاتب يا صديقي يستقي مواضيعه من الحوادث التي تطرأ له او شاهدها ، فاذا انصرف الى تصوير المشاهد تصويراً شاذاً عن الحقيقة كان تصويره مزيفاً وعمله خطأ . ثم ان الكاتب يحق له ان يكيف روايته كيف شاء بشرط ان يكون اميناً في سرد الوقائع التاريخية ومفيداً في العبر التي يستنتجها منها . هل قرأت رواية « كليو باترة » لشوقي ؟ انها

لمأساة جميلة وصادقة وان يكن الشاعر قد تصرف في سردها تصرفاً مطلقاً . يذكر التاريخ ان كليوباترة اماتت نفسها بلدغة افعى ، أفتريد ان يذكر الشاعر ذلك كما ذكره التاريخ ؟ لا ، بل على التاريخ ان يذكر الحادث وعلى الروائي او الشاعر ان يصوره كما يشاء ويريد . وكما خلق شوقي في مأساته كاهناً يحترف حرفة الصلاة في المعابد كما يحترف حرفة تدريب الافاعي فمهد لكليو باترة طريق الانتحار بلدغة افعى على يد هذا الكاهن الذي سماه انوبيس هكذا يخلق الكتبة اشخاصهم الخياليين لينفذوا تمثيل الحقيقة تنفيذاً يستوحونه من خيالهم الخاص ، ولهم ملء الاختيار في ان يسموهم الاستاذ حنتوش او الاستاذ فركوش او غير ذلك !

فضحك نخله وقال : لقد اصبح مجلسك مجلس تحليل وادب كمجلس رفيقك الشاعر يا اسكندر ، اذن فاصبحت لا تطاق ولا تحتمل

— ان كان ذلك فما عليكم الا ان تتجنبوني كما عزمتم ان تتجنبوا شفيقاً ، اما انا فلقد صرت بغني عنكم وعن صداقتكم !

— صرت بغنى عنا وعن صداقتنا ؟

— نعم يا صديقي ، لان احاديثكم اصبحت لا تتناول الا الازياء ، اما سبب استغنائي عنكم فلاني اذا شئت ان اشتري حذاء اذهب الى عند صانع الاحذية ، واذا شئت ان اشتري طربوشا اذهب الى مخزن الطرابيش ، واذا شئت ان ابتاع قميصاً اذهب الى الخياط !

فنهض الثلاثة عن كراسيهم وقبل ان ينصرفوا عن اسكندر قالوا له :

- اذهب الى حيث تشاء ، اما نحن فبغنى عن الادب ايضاً !

ولما توارى الثلاثة عن بصره اطلق اسكندر نفخة من دخان النارجيلة وقال في نفسه : مسكين انت يا شفيق فان جهودك في ادبك لتتلاشى كما يتلاشى دخان هذه النارجيلة !

## — ٤ —

بعد مرور عشرة ايام اضطر الاستاذ امين امين للسفر الى بورت سعيد ، فجاء الى عفيفة يودعها قبل رحيله وداع العاشق المحموم

كانت الساعة السابعة مساء ، وكان الخريف ينفخ في الفضاء الرمادي بعض اشباح من السحب السيارة

فلما دخل الاستاذ على عفيفة يحمل بيده قماشة من الحرير وقنينة من عطور « هوبيكان » واخرى من عطور « بعض ازهار » وغلافاً كبيراً يحتوي على رطل او رطلين من الموز والتفاح والاجاص وعلى بعض العلب من السردين والطون والقريدس والكركند ولعبة او لعبتين للطفل نسيت عظات الشاعر وتلاشى الندم في صدرها كما يتلاشى دخان النارجيلة من فم اسكندر ، فرحبت به كعادتها وطبعت على شفتيه قبلة لم تطبع مثلها كليوباترة على شفتي انطونيو !

كان الشاعر صادقاً حين قال لها : « لا اشك في انك تأثرت يا عفيفة ولكن تأثيرك هذا انما هو تأثير موقت قد تكفي نظرة من عشيقك او بعض اذرعة من الحرير لتمحوه من نفسك ! »

لم يكد الاستاذ امين امين يستفيق من سكرة القبلة حتى وقعت عيناه على الطفل يعبث باللعبتين وبالثمار الشهية فالتفت الى عفيفة وقال لها :

— يجب ان يرقد الطفل يا عفيفه !

فانتبه اميل الى ملاحظة الاستاذ فصرخ قائلاً :

— لا ، لا يا عمو ، لا انام الا مع الماما ، قال لي عمو شفيق ان عشيق الماما عفريت يدخل الى البيت في الليل فيخيف الاولاد الصغار ، وان له قرناً طويلاً جداً ! . . .

فلما سمع الاستاذ كلمة « عشيق » من فم الطفل اضطرب من قمة رأسه الى اخمص قدميه ، ونظر الى عفيفة نظرة ريبة هائلة ، ولكن الطفل لم يدع له سبيلاً للكلام فقال له :

— اخبرت عمو شفيق انك سميته الشاعر المجنون ! . . .

لا يستطيع القارىء ان يتصور سورة الغضب التي اشتعلت في صدر الاستاذ امين امين لدى سماعه هذا التصريح البريء. فلقد كان يظن ان اميل كان راقداً ساعة دار الحوار بينه وبين عفيفة ، منذ عشرة ايام ، فنظر الى عشيقته نظرة نارية وقال لها :

— ماذا جرى يا عفيفة ? ما معنى هذا ? لعن الله ثمرة بطنك فلقد هدمت ما بنينا !

على ان عفيفة استطاعت بانكارها الحقيقة ان تسكن حدة عشيقها ، والمرأة وان تكن ضعيفة وعاجزة الا انها اقوى حيوان ولدته الطبيعة في فنون الحيل ، فان فطرتها الانوثية الضعيفة متى عجنت بخميرة الحيل وامتزجت بخمرة الجمال كانت قوة تعالج نفوذها في حيوانية اي رجل كان فتقهره وتسطو عليه

* * *

دقت الساعة العاشرة في الليل ، فنهضت عفيفة من الفراش حيث تظاهرت امام طفلها انها تنام معه ، وبعد ان خلعت عنها قميص النوم الابيض وارتدت رداء اسود شفافاً كان جسدها العاري يبين خلاله متموجاً تموج الشهوة في الصدور على اثر الخمرة — واية حيوانية لا تتخلج لدى رؤيتها جسد امرأة عارية ينخلع تحت شفافة سوداء ? — انسلت الى الغرفة المجاذية حيث كان ينتظرها عشيقها الخليع

وكان الاستاذ امين امين ينتظر عشيقته بفارغ صبر وقد امتزجت سكرة الخمرة بسكرة الشهوة في دماغه فبرقت تانك السكرتان في حدقتي مقلتيه بريقاً اخاف عفيفة اذ تذكرت في تلك الساعة كلمات الشاعر وبراءة طفلها فابتعدت عنه قائلة :

— لا ، لا اريد ، ابتعد ، لا تقرب مني !

فاستغرب الغلام الاربعيني هذه اللهجة الجديدة من عشيقته فقال لها :

— اذن كان الطفل صادقاً في كلامه ، فماذا قال لك ذلك الشاعر المجنون ?

ثم دنا منها فدفعها عنه كما تدفع الافعى بالاقدام ولبث ناظراً اليها باحتقار وقد جمدت حدقتا عينيه كالزجاج الصلب ، اما هي فشعرت بهول الموقف واتضح لها انها ستخسر عوناً كبيراً فتكلفت الابتسام وزحفت اليه كالكلب الذي يعود صاغراً الى القدم التي رفسته ، وقالت له :

— ان اشقى ساعة عرفتها هي الساعة التي تشك بها في اخلاصي لك يا امين !

... بقي الغلام الاستاذ نصف ساعة ملتصقاً على صدرها كحية جشعة تنتصب على بطن نعجة ، وكانت شهوته تتذوق الى النهاية خلسته المنتصرة في حين كانت عينا فريسته شاخصتين الى رسم زوجها . وبعد ان اشبع جوعة عهره هوم رأسه من السكر فنام على جنبي عفيفة !

— ٥ —

ومر شهران

نحن الان في ليلة عيد الميلاد ، السماء تبشر بقرب المطر ، والبروق المتتابعة تكشف من فترة الى اخرى جبال الفضاء السوداء

كان الشاعر في تلك الاونة جالساً بالقرب من عفيفة وقد استغرقت في تفكير عميق ، وبعد ان جرى بينه وبينها حديث طويل استطرد قائلاً :

— اجل يا عفيفة ، ما من ليل اثقل على قلب المجرمين من هذا الليل المقدس ، فالاجراس التي تدوي في الفضاء تذكر المذنب بليالي الاعياد السالفة ، ايام كان ولداً صغيراً ، طفلاً بريئاً تناغيه امه ويحضنه ابوه ، ايام كان السلام يرفرف فوق رأسه وملائكة الحنان والطهر تنشد على مسمعه اغاني الطهر والحنان ، ايام كان ينام وتحت مخدته هدايا والديه فمن لعبة جميلة الى اقراص من الحلوى الى صور صبيانية متلونة ، ويستفيق على نداء امه وابيه فيبتسم لدى ابتسامهما ويزيد الصباح نوراً في مقلتيهما والحياة حباً في قلبيهما ، ايام كان كل شيء امه وابوه ، فاذا نظر الى الازهار رأى صورة والديه ، واذا نظر الى السماء ابصر فيها صورتهما العذبة . آه يا عفيفة ، عندما افتكر ان طفلك سيستفيق غداً كما يستفيق كل طفل ، فيطل من النافذة ويقع نظره البريء على اطفال مثله يقودهم آباؤهم الى الكنيسة بلباس الاعياد او الى الاسواق ليبتاعوا لهم اللعب والحلوى فيلتفت الى ما حوله فلا يرى والده وهو يعلم انه ليس بيتيم وان والده حي يرزق ، اجل ، عندما افكر في ذلك تنكمش نفسي يا عفيفة وتضأل الحياة في عيني ، أتظنين ان الاطفال لا يفكرون يا صديقتي وان قلوبهم الصغيرة الطاهرة لا تشعر بغصة ؟ آه ، لا ، فالولد يشعر ولكنه يجهل التعبير عن شعوره

كان الشاعر يتكلم وعفيفة تبكي الا ان بكاءها اليوم انما كان بكاء حقيقياً صادراً عن ندم حقيقي ، ولما انتهى من كلامه رفعت اليه نظرها الكئيب وقالت له :

— ماذا تأمرني ان افعل الان ؟ قل .. تكلم ... اني طوع اشارتك يا صديقي !

— اريد ان تعودي الى زوجك وتعيشي بالقرب منه تلك العيشة المسيحية الحقة التي تبارك القبلة وتوجد راحة الضمير ، اريد ان تنفضي عنك اقذار الماضي وتكفري عن آثامك بتوبة حقيقية واخلاص حقيقي ، اريد ان تجددي لزوجك نذر الوفاء والامانة الذي نذرته له في ساعة الاكليل وان تذهب عن ثوبك النقي الابيض تلك اللطخة القذرة الحمراء ، اريد ان تفهمي اخيراً انك ام وزوجة وان حبك يجب ان تحصي به اثنين لا غير : زوجك وطفلك ، لان زوجك تربطك به رابطة مقدسة هي رابطة الروح والجسد وتربطك بطفلك رابطة مقدسة ايضاً هي رابطة الرحم

— اشكرك يا شفيق على عاطفتك النبيلة ، ولكن امين الذي خدعني فكيف انتقم منه ؟

— لا اريد ان تنتقمي يا عفيفة فالانتقام شعار النفوس المنحطة ، بل اريد ان تغفري فالغفران يا صديقتي مظهر من مظاهر الندم والتكفير . لقد انزل المسيح صلاة روحية بنت هيكل النصرانية على الارض وسلمت الانسان مخاطبة ربه السماوي قائلة له : « اغفر ذنوب اعدائك فيغفر لك الله » صلاة وجدتها « الكلمة المتجسدة » بين انقاض العالم فاعادتها على مسامع البشر بشفتيها الالهيتين ، اجل ، لقد انزل المسيح هذه الصلاة لتعلمنا ان نغفر لمن اساء الينا فاغفري لمن اساء اليك وليكن غفرانك هذا درجة تصعدين بها الى الله فتستغفرينه عن ذنوبك !

فاطلقت عفيفة تنهدة من صدرها وقالت : لقد غفرت له

ثم نهضت الى خزانتها فجاءت ببعض رسائل واستطردت قائلة :

— هذه رسائله لخذها !

فقال لها الشاعر : وما حاجتي بها ؟

فقالت : هي كل ما بقي لي منه فلا اريد ان ابقي لديّ شيئاً من آثاره !

— اذن فانت تريدين ان احفظ آثاره في جيبي ؟

— لا ، بل اردت ان تتحقق صدق ندمي وتوبتي فسلمتك حجة عليّ !

— لا اصدق ندمك يا عفيفة ما لم ابصرك تغادرين هذا البيت !

— اغادره الى اين ؟

— الى زوجك !

— متى تريد ان اذهب ؟

— اريد ان تذهبي غداً صباحاً !

— ساذهب غداً صباحاً !

والقى الشاعر نظرة عدم اكتراث الى رسائل الاستاذ امين امين فوقع نظره على عبارة وردت في واحدة منها مؤرخة في ٢٦ تشرين ثاني سنة ١٩٢٩ وهذه هي :

« قد احضر من الان الى عشرين يوماً ، فاريد ان اجدك جميلة ويانعة لاني اشعر برغبة شديدة الى

امتلاكك . ماذا حلّ بعابدك القديم الشاعر المجنون ؟ »

فضحك الشاعر لدى قراءته هذه العبارة ، ثم التفت الى عفيفة وقال لها :

— الشاعر المجنون . . . ولقد غفرت له انا ايضاً ، الا اني اريد ان اداعبه بعد رحيلك مداعبة خفيفة لا تسيء اليه فستتركين لي مفتاح البيت !

ولما كان من غد جاء الشاعر الى عفيفة يودعها عند رحيلها ، ولما ركبت السيارة التي ستقلها مع وطفلها الى اعالي الجبال قال لها بصوت منخفض :

— سامثلك في بيتك عندما يحضر فالعب دور العشيقة نصف ساعة من الليل . كوني وفية لزوجك ومشفقة على طفلك واعلمي دائماً انك ام وزوجة !

## — ٦ —

« قد احضر من الان الى عشرين يوماً »

الا ان العشرين يوماً مرت ولم يحضر الغلام الاربعيني ، ومرّ فوقها عشرة ايام . في السادس والعشرين من كانون الاول كان الشاعر في بيروت فانتهى اليه ان الاستاذ امين امين عاد من مصر منذ بضع ساعات فقال في نفسه : « اذن فسيراه الليل في الزوق »

اراد الشاعر ان يجعل ختام سنوات الغرام التي مرت على ذينك العاشقين مداعبة يضحك لها بضعة ايام ، ثم انه شاء ان يمثل دور الجنون نصف ساعة من الليل

لم يكد المغيب يبشر بقدوم كتائب الليل وتمتد جبال الدماء من بيروت الى ما وراء جبل «حريصا» حتى كان الشاعر في خدر عفيفه يعدّ العدة لاستقبال الغلام الاربعيني الملتهب بلهيب الفراق

خلع الشاعر ثيابه وارتدى رداء اسود شفافاً كانت عفيفة ترتديه في الليالي الحمراء ، ثم جلس الى المرآة فوضع امامه حقة الخضاب ورسم عفيفة واخذ يرسم على وجهه خطوطاً ملونة قلد بها تقاطيع وجه عفيفة ، ولما انتهى عمله ضحك ضحكة عالية اتبعها بضحكة جهورية متقطعة تشبه دوي جدار ينهار ، ولبث ينتظر . . . اما الضحكة هذه فكانت نموذجاً من ضحك المجانين

دقت الساعة التاسعة في الابعاد ، وما هي الا هنيهة حتى سمع الشاعر وطء اقدام فالتفت من النافذة فابصر شبحاً يتقدم فاومأ اليه بان يخطو خطى اللصوص ، ثم اطفأ النور وذهب الى الباب ففتحه وقال للاستاذ امين امين بصوت منخفض جداً قلد به صوت عفيفة :

— ادخل مخدعي ولا تأت بحركة فزوجي هنا !

فاضطرب الاستاذ اضطراباً شديداً وحاول ان يرجع الا ان الشاعر شجعه على الدخول بقوله :

— لا تخف فهو مريض ، ولقد نام نوماً عميقاً منذ ساعة انا ملتهبة شوقاً اليك :

فدخل الغلام الاربعيني على رؤوس رجليه ، تستره الظلمة ، وكمن في مخدع عفيفه !

كان الشاعر قد مدّ فراشاً من الوحول تحت سرير عفيفة ،فلما دخل الاستاذ الى المخدع تبعه الشاعر بعد هنيهة وقال له سراً بصوت مضطرب :

— اختبئ تحت السرير فلقد نهض زوجي من فراشه وربما يحضر الى هنا . لعنة الله عليه !

فاسرع الاستاذ بالامتثال ولم يكد يدخل الى فراش الوحول حتى شعر بشيء لزج تحتــه الا انه لم يجرؤ ان يصرخ او ان يخرج من تحت السرير فبقي يتمرغ في مكانه ،وما هي الا هنيهة من الوقت حتى احس ببرد قارص وبرجفان شديد ، عند هذا اشعل الشاعر المصباح وقال له :

— انهض فلقد زال الخطر !

فخرج الغلام من مخبأه ولم يكد يلقي نظره على الشاعر حتى جمد في مكانه كالصنم فقهقه الشاعر ضاحكاً تلك الضحكة التي اختبرها قبل هنيهة وقال له :

— لقد تقمص الشاعر المجنون بعفيفة او عفيفة تقمصت به فتعال نتغــازل ، اراك ترتجف يا حبيب القلب فيظهر ان مزاج الهواء قد تغير فاصبح الحر في اعالي الجبال والبرد هنا !

عند هذا فهم الاستاذ كل شيء ، ولكنه لم يجسر ان يتلفظ بكلمة ، واستطرد الشاعر قائلاً :

— لقد كلفتني ان انوب عنها باستقبالك كلما شرفتها بزيارتك ، أفتريد كأساً من العرق ام كأساً من الجونيو وكر . . . ام قدحاً من خمرة الشفاه ؟

وبدرت من الشاعر التفاتة الى كرسي امامه فابصر عليه رزمة لم يشك في انهــا تحتوي على علب من السردين والطون والقريدس والكركند والمقانق فاخذها بيده ثم علقها باحد ازرار سترة الاستاذ وقال له : تستطيع الانصراف ايها العشيق فلا بأس عليك !

فخرج الاستاذ امين من غير ان ينبس ببنت شفة ، ولما اجتاز عتبة الباب سمع ضحكة الشاعر تتقطع على ادراج الهواء المجنون

## تمت

---